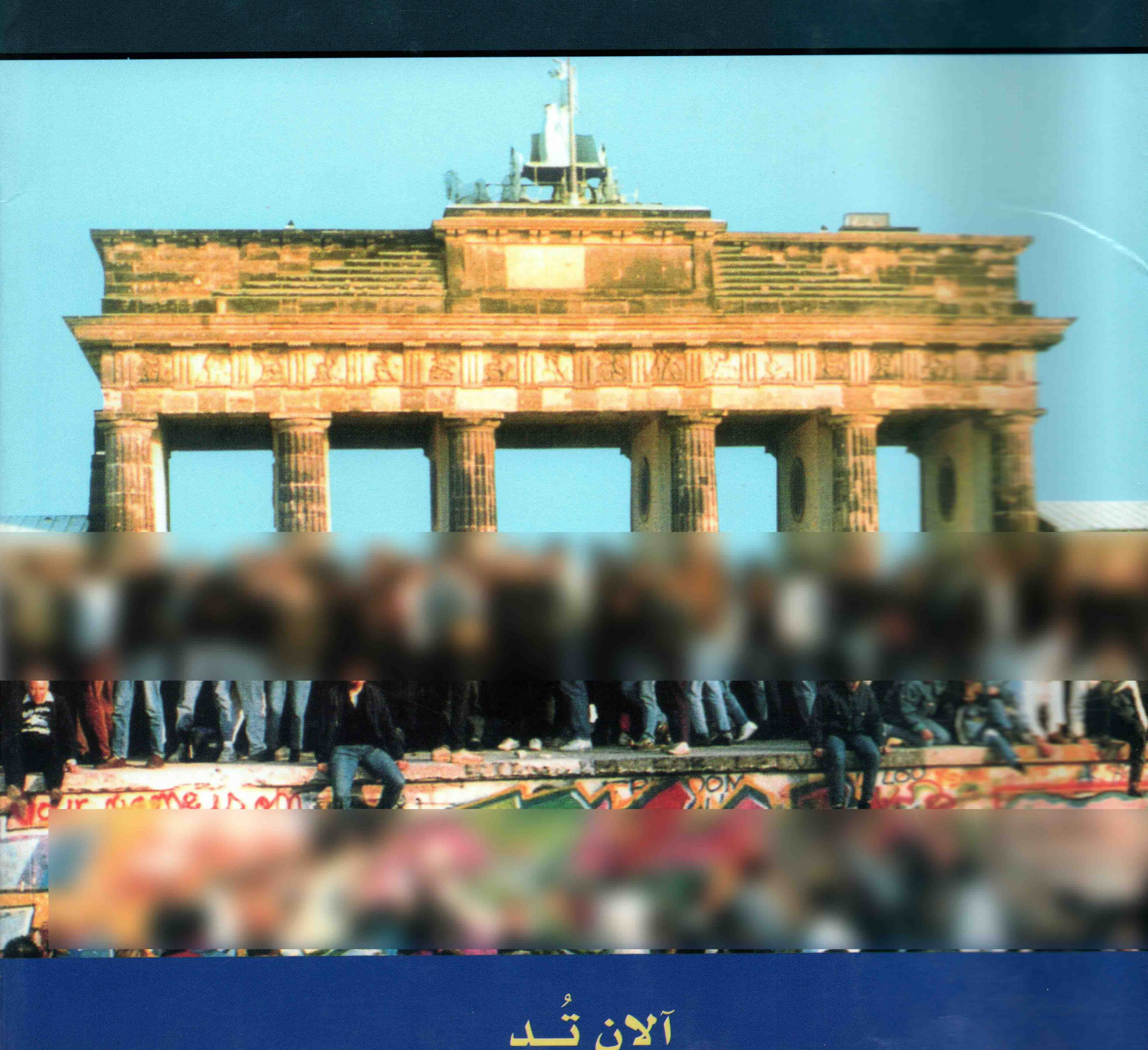
# ديمقراطيات ودكتاتوريات

## سادت أوروپا والعالم 1919 ـ 1989

## DEMOCRACIES AND DICTATORSHIPS



آلان تُـد

**تنبيه**: لقد استعملنا حرف گ للتعبير عن حرف G منعاً للإشكال بين ج المصريّة التي تقابلها غ في بلاد عربية أُخرى، نحو: ريگان بدلاً عن ريجان أو ريغان؛ وپنتاگون بدلاً عن پنتاجون أو پنتاغون؛ وإنگلترة بدلاً عن إنجلترة أو إنكلترة.

# ديمقراطيات ودكتاتوريات

# DEMOCRACIES AND DICTATORSHIPS

## سادت أوروپا والعالم بين
## 1919 و1989

## Europe and the world 1919-1989

ألان تُدْ

Allan Todd

تعريب

مروان أبوجيب



شركة الحوار الثقافي ش.م.م.
AL-Hiwar Athaqafi (Intercultural Dialogue) s.a.r.l.
يونِسكو سِنتر، شارع ڤردان، بيروت، لبنان
ص.ب. 6750 ـ 13 ـ فاكس 718 790 ـ 1 ـ 961+
البريد الإلكتروني info@interculturalbooks.com
http://www.interculturalbooks.com

**Original title:**

**DEMOCRACIES AND DICTATORSHIPS**

***Europe and the world 1919-1989***



تُدْ، آلان
ديمقراطيات ودكتاتوريات سادت أُوروپا والعالم 1919 ـ 1989
أبو جيب، مروان: تعريب
ISBN 9953-67-005-6
1 ـ التاريخ السياسي للقرن العشرين
تنضيد الحروف والإخراج: محمد نبيل جابر
طبع في لبنان
الطبعة العربية الأولى 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

**إن الكتب التي نُصدِرُها لا تُعبِّرُ بالضَّرورة عن رأْينا، وإنما قصدنا من نشرها نَقل ما فيها، بأمانة، إلى القارئ العربي حتى يُسْهِمَ بِدَوْرِهِ في «الحوار الثقافي».**

# المحتوى

# العلاقات الدولية
# 1919 - 1939

# 1 معاهدة ڤرساي

**أسئلة تركيزية**

- ماهي أهداف الثلاثة الكبار؟
- ماهي المشكلات التي واجهوها؟
- هل ظُلِمَت ألمانيا؟

## تواريخ هامة

الهدنة هي وقف لإطلاق النار يضع نهاية مؤقتة للقتال أثناء الاتفاق على شروط المعاهدة. أما المعاهدة فتضع حداً للحرب بشكل رسمي.

1918 كانون الثاني/يناير: خطة وِلْسُن ذات المبادئ الأربعة عشر

4 تشرين الأول/أكتوبر: الحكومة الألمانية تطلب هدنة بناء على مبادئ وِلْسُن الأربعة عشر

تشرين الثاني/نوڤمبر: الحلفاء يوافقون على الهدنة بناء على المبادئ الأربعة عشر، وَوِلْسُن يخسر الأغلبية في الكونگرس لصالح الجمهوريين

11 تشرين الثاني/نوڤمبر: ألمانيا والحلفاء يوقعون على الهدنة

كانون الأول/ديسمبر: تحالف لويد جورج الليبرالي - المحافظ يفوز في الانتخابات التي جرت تحت شعار «لِتدفع ألمانيا»

1919 كانون الثاني/يناير: مؤتمرات السلام تبدأ في باريس

أيار/مايو: ألمانيا توجّه عدة انتقادات لمشروع معاهدة

فرساي

28 حزيران/ يونيو: ألمانيا توقِّع على معاهدة فرساي

أيلول/ سبتمبر: النمسا توقِّع على معاهدة سان جِرمان

تشرين الثاني/ نوفمبر: بلغاريا توقِّع على معاهدة نُويّ

1920 آذار/ مارس: مجلس الشيوخ الأمريكي الذي يسيطر عليه الجمهوريون يرفض معاهدة فرساي، ولذلك توقِّع الولايات المتحدة معاهدة سلام مستقلة مع ألمانيا

حزيران/ يونيو: هنگاريا توقِّع على معاهدة تريانون

آب/ أغسطس: تركيا توقِّع على معاهدة سيڤريس (وقد حلت محلها معاهدة لوزان في تموز/ يوليو 1923).

السلام المأمور به هو سلام مفروض أو «يتم إملاؤه». لم يُسمَح للوفد الألماني الذي مثَّل حكومة ألمانيا الجديدة الديمقراطية بالمشاركة في مفاوضات السلام، إذ تم تسليمه المعاهدة في 7 أيار/ مايو 1919 وأعطي مهلة 15 يوماً (تم تمديدها 7 أيام فيما بعد) للتعليق على بنودها الأربعمئة والأربعين، لكن انتقادات الوفد التفصيلية ـ وبخاصة أنها كانت قاسية جداً ولا تقوم بشكل خاص على أساس مبادئ وِلْسُن الأربعة عشر ـ أقنعت البريطانيين بالضغط من أجل بعض التعديلات، إلا أن التغييرات كانت طفيفة.

## نظرة شاملة

في تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1918 وبعد أربع سنوات من النزاع، تم توقيع هدنة لوقف القتال في الحرب العالمية الأولى، وفي كانون الثاني/ يناير من سنة 1919 اجتمع قادة دول الحلفاء المنتصرة في باريس لتقرير كيفية التعامل مع ألمانيا والقوى المهزومة الأخرى. كان القادة الثلاثة الرئيسون هم وِلْسُن Wilson (الولايات المتحدة الأمريكية) وَكليمنصو Clemenceau (فرنسا) وَلويد جورج Lloyd George (بريطانيا)، وأصبحوا معروفين بالثلاثة الكبار. (وعلى الرغم من أن إيطاليا كانت حليفة منذ سنة 1915، إلا أن رئيس الوزراء الإيطالي، أورلاندو Orlando، كان الآن موضع تجاهل). اختلف هؤلاء الثلاثة في أهدافهم، إذ أراد وِلْسُن سلاماً عادلاً، وأراد كليمنصو سلاماً قاسياً بينما أراد لويد سلاماً وسطاً. تم على

كان الإمبراطور الألماني معروفاً باسم القيصر kaiser، وكان قبل سنة 1918 يسيطر على الحكومة وعلى الشؤون الخارجية والقوات المسلحة، وكانت الديمقراطية البرلمانية محدودة جداً ولاسيَّما في الحرب العالمية الأولى

وجه الإجمال توقيع خمس معاهدات سلام منفصلة بين الحلفاء والقوى المهزومة، الرئيسة منها هي معاهدة ڤرساي Treaty of Versailles التي عالجت موضوع ألمانيا، وفرضت قيوداً عسكرية هامة عليها وأدت إلى أن تفقد بعضاً من أراضيها في أوروبا إضافة إلى جميع مستعمراتها فيما وراء البحار، كذلك اضطُرَّت ألمانيا للقبول بالمَلامة الكاملة على الحرب (بند «ذنب الحرب») وأن تدفع لذلك تعويضات هائلة لفرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص. قدِّمَت المعاهدة إلى ألمانيا على مبدأ «الأخذ بمجملها أو تركها»، وكان الرفض يعني استئناف الحرب، ودار الجدل بين معاصريها والمؤرخين حول ما إذا كانت ظالمة وَقاسية «تم إملاؤها».

## ماهي أهداف الثلاثة الكبار؟

بحلول شهر أيلول/سبتمبر من سنة 1918 أدركت القيادة الألمانية العليا أنها مُتَّجهة إلى خسارة الحرب وأمرت الحكومة المدنية المباشرة بمفاوضات السلام على أساس خطة وِلْسُن ذات المبادئ الأربعة عشر، فتحفَّظت فرنسا وبريطانيا على بعضها وهدَّد وِلْسُن بإبرام معاهدة سلام منفصلة مع ألمانيا إذا لم تقبلا بخطته كأساس للهدنة. وفي 9 تشرين الثاني/نوڤمبر سنة 1918 تنازل القيصر عن العرش، وفي الحادي عشر منه وقَّعت حكومةٌ ألمانية مدنية مؤقتة جديدة على الهدنة. غير أن هذه الهدنة التي تم التفاوض عليها من قبل القادة العسكريين الحلفاء اختلفت في كثير من نواحيها عن مبادئ وِلْسُن الأربعة عشر.

## الولايات المتحدة الأمريكية

منذ أوائل سنة 1917 كان الرئيس وِلْسُن ينوي استخدام

وُلِد وودرو وِلْسُن Woodrow Wilson سنة 1856، وانتخِب سنة 1912 رئيساً ديمقراطياً للولايات المتحدة الأمريكية وأعيد انتخابه سنة 1916. كانت مبادئه الأربعة عشر التي طرحها في كانون الثاني/يناير سنة 1918 الأساس الذي قامت عليه مطالبة الحكومات الألمانية المدنية بالسلام في شهري تشرين الأول وتشرين الثاني سنة 1918. كان هدفه الرئيس هو تأسيس عصبة للأمم من أجل تسوية النزاعات بصورة سلمية وَإنهاء الدبلوماسية السريّة، ولكنه اضطُرَّ لتقديم عدة تنازلات لبريطانيا وفرنسا. وفي النهاية، وعلى الرغم من الحملة الشديدة فإن مجلس الشيوخ الأمريكي رفض معاهدة ڤرساي وَعضوية عصبة الأمم الجديدة. وَأبرمت الولايات المتحدة بدلاً من ذلك اتفاقيتها الخاصة بالسلام المنفصلة مع ألمانيا وتبنت في عهد الجمهوريين سياسة عدم الاكتراث بالدبلوماسية الأوروبية، وذلك على الرغم من استمرار الاهتمام بالتطوير الاقتصادي وَالتجاري.

قوة الولايات المتحدة المالية والعسكرية لبناء نظام عالمي جديد في العلاقات الدولية حالما تضع الحرب العالمية الأولى أوزارها، وأراد وضع حد لدبلوماسية «القوة العظيمة» الأوروبية التقليدية القائمة على أساس المعاهدات السرية والتحالفات العسكرية، وأن يقيم بدلاً عنها دبلوماسية علنية ومبادئ جديدة للقانون الدولي وإيجاد منظمة دولية جديدة لضمان السلم العالمي.

في الثامن من كانون الثاني/يناير سنة 1918 قدَّم وِلْسُن للكونگرس الأمريكي مبادئه الأربعة عشر التي تلخص التسوية السلمية التي أرادها. المهم أنه لم يناقش خطته بصورة مقصودة مع بريطانيا وفرنسا على نحو مسبق، لأنه عرف أنهما لا توافقان على بعض أهدافه العامة وأن فرنسا على وجه الخصوص كانت تريد فرْض سلام قاسٍ على ألمانيا.

## فرنسا

راينلاند Rhineland هي المنطقة الواقعة إلى الغرب من نهر الراين بين فرنسا وألمانيا. قررت معاهدة ڤرساي في نهاية المطاف أن تمتد المنطقة منزوعة السلاح بعرض خمسين كيلومتراً على امتداد ضفة الراين الشرقية وكذلك جميع الأراضي الواقعة إلى الغرب منه.

**ماهي أهداف فرنسا الرئيسة حالما تُلحَق الهزيمة بألمانيا؟**

كانت فرنسا ـ خلافاً للولايات المتحدة وَبريطانيا ـ قد تعرَّضت للغزو أثناء الحرب العالمية الأولى وَبذلك تم القضاء على قسم كبير من زراعتها وصناعتها، وهذا ـ بالإضافة إلى غزو فرنسا قبل ذلك من قبَل ألمانيا أثناء الحرب الفرنسية ـ البروسية (1870 ـ 1871) ـ جعَل فرنسا تريد إضعاف ألمانيا على الدوام وأن تكون منطقة راينلاند Rhineland منزوعة السلاح وأن يتم تسليم معظم المعدات العسكرية الألمانية. ولِضمان ذلك أرادت أيضاً أن يستمر الحصار البحري المفروض من قبل الحلفاء على ألمانيا حتى توقِّع معاهدة سلام.

وِلِدَ جورج كليمنصو المعروف بـ «النَّمر» سنة 1841، وانتخِب سنة 1871 نائباً راديكالياً في الجمعية

يصوِّر المؤرخون كليمنصو Clemenceau وَالمارشال فوش Marshal Foch (القائد العام قبيل انتهاء الحرب) بصورة

تقليدية أنهما عازمان على معاقبة ألمانيا وإرغامها على دفع تعويضات لقاء الأضرار التي أوقعتها أثناء الحرب. غير أن كليمنصو لم يصر على التعويضات الهائلة من ألمانيا إلا بعد أن رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا دعوته لإلغاء ديون فرنسا الحربية (التي تحملتها بسبب الحرب العالمية الأولى).

الوطنية الفرنسية، وأصبح رئيساً للوزراء بين سنتي 1906 و 1909، وسنتي 1917 وَ 1920. وعلى الرغم من أنه دفع بشدة باتجاه مصالح فرنسا الأمنية في معاهدة ڤرساي، إلا أنه لم يكن قاسياً على ألمانيا كما ادَّعى بعض المؤرخين، فقد ساوره القلق بشكل خاص من أن روسيا لم تعد حليفاً محتملاً قوياً ولذلك فقد دفع لجعل منطقة الراين منزوعة السلاح وكذلك لوضع قيود صارمة على ألمانيا.

## بريطانيا

تعرض لويد جورج Lloyd George (مثل كليمنصو) أيضاً لضغط الصحافة الوطنية والرأي العام من أجل «جعل ألمانيا تدفع». إلا أن بريطانيا لم تكن ترغب في رؤية فرنسا تحل محل ألمانيا كقوة مهيمنة في أوروپا، حيث أن العلاقات بين بريطانيا وفرنسا ظلت متوترة في غالب الأحيان خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر. كان لويد جورج حريصاً أيضاً على إعادة بناء ألمانيا كشريك تجاري وكذلك على الأمر الأكثر أهمية، وهو الإبقاء على سيطرة الامبراطورية البريطانية.

وهكذا فقد حاول لويد جورج أن يدفع باتجاه سلامٍ وسطٍ بين أهداف وِلْسُن المثالية وأهداف كليمنصو العقابية.

كان ديڤيد لويد جورج David Lloyd George، المولود سنة 1863، من الأحرار، وكان وزيراً للخزانة بين سنتي 1908 وَ1915، وفي سنة 1916 حلَّ محل أسكيث Asquith رئيساً للوزراء في حكومة التحالف أثناء فترة الحرب. وفي كانون الأول/ديسمبر 1918 أعيد انتخابه زعيما لتحالف الأحرار وَالمحافظين الذي فاز بأغلبية كبيرة وكان يتعرض لضغط من الصحافة والجمهور من أجل «جعل ألمانيا تدفع». ولكنه حاول ـ بصفته رئيساً لوفد السلام البريطاني ـ أن يحدَّ من بعض طلبات فرنسا المتطرفة.

## ماهي المشكلات التي واجهوها؟

بالإضافة إلى التباين الواضح بين الحلفاء في نوع معاهدة السلام التي يجب تنظيمها، فقد زاد الوضع تعقيداً بسبب النتائج التي تمخَّضت عنها الانتخابات النصفية في تشرين الثاني/نوڤمبر 1918 حيث هَزم فيها الجمهوريون حزبَ وِلْسُن الديمقراطي في كل من مجلسي النواب والشيوخ. كان معظم الأمريكيين ـ وبخاصة الجمهوريين ـ يعارضون مبادئ وِلْسُن الأربعة عشر وَيرفضون أي تورّط للولايات المتحدة في عصبة

الأمم المقترحة. وهكذا ففي الوقت الذي افتتحت فيه محادثات السلام في باريس في كانون الثاني/يناير 1919 كانت فرنسا وبريطانيا قد أدركتا أن موقف المساومة الذي يتمتع به وِلْسُن قد ضعُف كثيراً. (وفي الحقيقة فإن المبدأ الوحيد من أصل الأربعة عشر الذي حاز القبول هو دعوته إلى إنشاء عصبة للأمم League of Nations وقد أجبر البريطانيون والفرنسيون وِلْسُن على التراخي في كثير من المبادئ الأخرى).

تجري الانتخابات لمجلسي النواب والشيوخ مرتين إحداهما مع انتخابات الرئاسة والثانية في منتصف مدة ولاية الرئيس.

واجه صُنَّاع سلام سنة 1919 ـ بعيداً عن هذه الاختلافات ـ كثيراً من المشكلات الخطيرة كان منها الثلاث التالية:

- الحالة الراهنة في ألمانيا،
- وَمستقبل دور ألمانيا في أوروپا،
- وَعدم الاستقرار في وسط وَشرق أوروپا.

## الوضع في ألمانيا

في أوائل تشرين الأول/أكتوبر من سنة 1918 وبعد فشل هجوم الربيع الذي شنه الألمان ونجاح الهجوم المعاكس الذي ردَّ به الحلفاء في شهر آب/أغسطس ، قام القائدان العسكريان الألمانيان لودندورف Ludendorff وَهايدنبيرگ Hindenburg بتسليم السلطة إلى حكومة مدنية من أجل تجنيب الجيش الألماني اللوم المباشر على أية اتفاقية سلام، ثم أعطيا تعليمات سرية لهذه الحكومة كي تطلب السلام. غير أن الشعب الألماني أُصيب بصدمة عندما علم بهذه المفاوضات من أجل السلام لأنه كان قد أُبلِغ أن ألمانيا ما زالت تحقق الانتصار. وبحلول مطلع تشرين الثاني/نوڤمبر اتسع نطاق العصيان والقلاقل الثورية إلى أصقاع ألمانيا، حيث احتل

العمال المصانع في كثير من المناطق وأُنشئت مجالس عمالية في تقليد مباشر لثورة تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1917 في روسيا. بيْد أن هذه الأعمال كانت احتجاجاً ضد استمرار الحرب وأشهُر نقص الطعام وتدهور قيمة العملة السريع.

SPD هو الحزب الديمقراطي الاجتماعي Social Democratic Party وَ USPD هو الحزب الديمقراطي الاجتماعي المستقل الذي كان مجموعة منشقة عن الجناح اليساري من الحزب الديمقراطي الاجتماعي.

وفي التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر استقال رئيس الحكومة المدنية الأمير ماكس أوف بادن Max of Baden ، وتنازل القيصر عن العرش وهرب إلى هولندا، ثم تسلمت السلطة حكومة جديدة ديمقراطية اشتراكية مؤقتة مشكلة من وزراء من الحزبين الديمقراطي الاجتماعي SPD والديمقراطي الاجتماعي المستقل USPD ، ووقَّعت على الهدنة بعد يومين.

**ماهي خرافة «الطعنة في الظهر»؟**

إلا أن الكثير من الألمان كانوا يرون أن هؤلاء السياسيين خونة بسبب التوقيع على الهدنة (وأصبحوا يُعرَفون فيما بعد بِ «مجرمي تشرين الثاني/نوفمبر»)، أما الجيش فكان يُنظَر إليه كـ «أبطال لم يُهزَموا»، وبخاصة أن ألمانيا لم تغزَ. وسرعان ما اعتقد الكثيرون أن الشيوعيين وَالاشتراكيين وَاليهود خانوا ألمانيا ، وهم الذين «طعنوا ألمانيا في الظهر» في خريف سنة 1918. هذه الخرافة التي جاوزت حد الصدق كثيراً أدت إلى تشويه سمعة الحكومة الديمقراطية الجديدة في ألمانيا إلى حدٍّ خطير. كذلك فقد أحدث تنازل القيصر عن العرش فراغاً سياسياً في ألمانيا التي لم تجرِّب الديمقراطية السياسية الكاملة من قبل أبداً.

**لماذا ينظر كثير من الألمان إلى معاهدة ڤرساي على أنها «تم إملاؤها»؟**

توقَّع معظم الألمان من حكومتهم أن تتصدى على الفور لصياغة شروط السلام التي اعتقدوا أنها ستقوم على أساس مبادئ وِلْسُن الأربعة عشر، وقد توقعوا بخاصة أن يتم تطبيق مبدأ تقرير المصير على كل المجموعات الوطنية بالتساوي

على جميع الألمان (وبعبارة أخرى أن يتمكن المواطنون الألمان من تقرير البلد الذي يريدون أن يكونوا فيه).

## دور ألمانيا في أوروپا

تطوَّرت ألمانيا كثيراً عقِب توحيدها بعد الحرب الفرنسية - الپروسية وأصبحت قوة رئيسية جديدة في أوروپا، إذ ارتفع عدد سكانها من 49 مليوناً سنة 1890 إلى 66 مليوناً سنة 1914 وكانت سرعة نمو اقتصادها أكبر من أي بلد أوروپي آخر. وعند بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914 كان إنتاج الفولاذ الألماني يزيد عن مجموع إنتاج كل من بريطانيا وَفرنسا وَروسيا مجتمعة، أما إنتاجها من الفحم فكان الثاني بعد بريطانيا، لكن الأهم هو أن ألمانيا كانت تتمتع بفائض هائل في الصناعات الجديدة الكهربائية والكيميائية، وهذا النمو الاقتصادي هو الذي مكَّن ألمانيا من التوسع العسكري والبحري، حيث شعر كثير من الألمان أن أمام بلادهم دوراً هاماً يجب أن تلعبه في أوروپا، ورأوا ألمانيا حاجزاً أمام المد الشيوعي، أما الآخرون فرأوا أن انحسار الإمبراطوريتين النمساوية - الهنگارية والروسية يقدِّم فرصاً للتوسع الألماني في المستقبل.

غير أن الحرب العالمية الأولى أثَّرت سلباً على قوة ألمانيا الاقتصادية وكذلك على بقية أوروپا، وبحلول سنة 1918 كان إجمالي الصناعة في أوروپا قد انخفض بنسبة ثلاثين بالمئة عما كان عليه سنة 1914 ، ولكنه كان أسوأ بكثير لألمانيا والنمسا حيث كان الانخفاض يساوي ستين بالمئة. لقد أجبرت الحرب جميع البلدان على الاقتراض، إذ اقترضت بريطانيا وَفرنسا على وجه الخصوص كثيراً من الولايات المتحدة الأمريكية، ونتيجة لذلك كانت العملات الأوروپية

عموماً أضعف في سنة 1918 ونسبة التضخم عالية، وكان هذا مرة أخرى الأسوأ في ألمانيا حيث ارتفع الدَّيْن القومي من 5,000 مليون مارك سنة 1914 إلى 154.000 مليون مارك سنة 1918، وحينئذ انهارت قيمة المارك بنسبة خمس وسبعين بالمئة وكانت قيمته سنة 1920 تعادل عشرة بالمئة مما كان عليه سنة 1914.

أدت المشكلات الخاصة الصعبة في ألمانيا إلى هبوط في درجة الانتعاش العام في العشرينيات، ويطرح بعض المعاصرين من أمثال ج.م. كينيس J.M. Keynes في كتابه النتائج الاقتصادية للسلام Economic consequences of peace (1920) ضرورة انتعاش الاقتصاد الألماني حتى تنتعش التجارة الأوروپية على وجه العموم. غير أن إعادة بناء الاقتصاد الألماني أوجد كثيراً من المخاوف (ولا سيَّما في فرنسا) من بعث الحياة في القوة العسكرية الألمانية في قابل الأيام.

## الاضطراب في وسط وشرق أوروپا

كانت الامبراطورية النمساوية الهنگارية تشكل عنصراً اقتصادياً هاماً من أوروپا الوسطى والشرقية. ترافق تأثير الحرب العالمية الأولى مع الشعور القومي الذي مزَّق الامبراطوريات الهابسبرگية Habsburg (النمساوية ـ الهنگارية) والعثمانية (التركية) وآل رومانوف Romanov (الروسية)، وأدى ذلك إلى مزيد من الفوضى الاقتصادية العامة في أوروپا بعد سنة 1918.

حلّ محل هذه الامبراطوريات عدد كبير من الدويلات (الدول الخَلَف) التي طالبت بحق تقرير المصير القومي، ولكن معاهدات السلام مع هذه البلدان لم تنجح في حلّ جميع مطالبها العرقية والقومية. فقدت هنگاريا 66٪ من أراضيها وَ 40٪ من عدد سكانها، حيث تم على سبيل المثال

الدول الخَلَف هي الدول الجديدة التي أنشئت ـ أو أعيد إنشاؤها كما هي حال پولونيا ـ في وسط وشرق أوروپا بموجب معاهدات السلام الموقعة في سنتي 1919 و1920. الدول الجديدة ـ باستثناء پولونيا (التي كانت ألمانيا القديمة والإمبراطوريتين النمساوية ـ الهنگارية والروسية تتقاسمانها فيما مضى) ـ هي تشيكوسلوڤاكيا وَيوگوسلاڤيا، وَأصبحت النمسا وهنگاريا دولتين منفصلتين، وَحصلت فنلندا ودول البلطيق ـ إستونيا وَلاتڤيا وَليتوانيا أيضاً ـ على استقلالها إذ كانت من قبل جزءاً من روسيا القيصرية. كثير من هذه الدول كانت ضعيفة في الناحيتين الاقتصادية والعسكرية وكثير منها كان ضمن سكانها مجموعات من أقليات عرقية (أرادت في غالب الأحيان أن يَحكمها بلد آخر وإلا شعرت أنها تعاني من سوء المعاملة).

إعطاء الـ 3,5 مليون نسمة الناطقين بالألمانية من سكان زوديتنلاند Sudetenland (وهي جزء من موراڤيا Moravia) إلى تشيكوسلوڤاكيا التي أعيد تشكيلها وضمَّت مجموعات من أقليات عرقية أخرى، أما دولة يوگوسلاڤيا الجديدة وَدولة پولونيا التي استعيد كيانها فتتشكلان من مجموعات أقلية مختلفة ورثت توترات قائمة. وسرعان ما أصبحت معظم هذه الدول ـ باستثناء تشيكوسلوڤاكيا ـ دكتاتورية يمينية بشكل أو آخر وكان لمعظمها مطالب تتعلق بالأراضي مع جيرانها.

إضافة إلى هذا الاضطراب السياسي اللافت للنظر، كان هناك تهديد عقائدي وعسكري محتمل فَرَضته الحكومة البلشڤية Bolshevik السوڤييتية الروسية. ومن المهم أيضاً أن زوال هذه الامبراطوريات الثلاث وَخروج روسيا السوڤييتية من مصاف القوى العظمى (في هذا الوقت) كانا حقيقة تعني أن ألمانيا وحدها هي التي بقيت دولة موحَّدة ومتماسِكة.

**ما هو أثر الحرب العالمية الأولى على بلدان وسط وشرق أوروپا؟**

البلشڤيون Bolsheviks هم أعضاء في حزب سياسي ثوري روسي قاده لينين Lenin وكانوا يتبعون أفكار كارل ماركس Karl Marx الشيوعية. قاد هذا الحزب الانقلاب على الحكومة المؤقتة في روسيا في تشرين الثاني سنة 1917 وغيَّر اسمه سنة 1918 إلى الحزب الشيوعي الروسي، وكانوا يأملون بوقوع ثورات عمالية أخرى في بقية أنحاء أوروپا

وبالرغم من أن الجيش الألماني لم يفلح في إحراز النصر في الحرب العالمية الأولى إلا أنه لم يُهزَم أو يُدَمَّر بشكل كبير، أضف إلى ذلك أن كثيراً من السياسيين في أوروپا كما رأينا أصبحوا يرون في ألمانيا المانع الرئيسي أمام انتشار البلشڤية في أوروپا التي مزقتها الحرب وذلك بالنظر إلى الاضطراب السياسي في وسط وشرق أوروپا.

## هل ظُلِمَت ألمانيا؟

جعلت أهداف الحرب المختلفة التي رمى إليها كل من الثلاثة الكبار من المستحيل طرح صيغة لتسوية سلمية مؤقتة على مفاوضات تفصيلية مع الممثلين الألمان، وبدلاً من ذلك، خرج الحلفاء بمُسَوَّدة معاهدة قُدِّمَت للألمان إما للقبول بها أو لرفضها، إلا أن الرفض لم يكن خياراً مطروحاً أمام

الوفد الألماني لأن ذلك يعني استئناف الحرب، وقد سبق للقادة الألمان أن أبلغوا الحكومة المدنية الديمقراطية الجديدة عدم قدرة الجيش الألماني على المقاومة، ولذلك فإن الوفد الألماني، مهيض الجناح، كان مجبراً على القبول بالشروط فاستقال المستشار الألماني شايدِمان Scheidemann (الذي انتُخِب في كانون الثاني/يناير 1919) احتجاجاً على ذلك، ولكن باوِر Bauer الذي خَلَفَه وقعها في 28 حزيران/يونيو 1919.

## شروط معاهدة ڤرساي

تناولت المواد الست والعشرون الأولى تأسيس عصبة الأمم League of Nations - كما هو الحال في بقية المعاهدات - أما المواد الأخرى التي تتعلق بألمانيا على وجه الخصوص فقد رآها المؤرخون منذ أمدٍ بعيد أمراً مُجْحِفاً تم إملاؤه وفرضه على ألمانيا الضعيفة. غير أن المؤرخين الذين يراجعون الأحداث التاريخية بعد وقوعها جادلوا في الفترة الأخيرة بأنها عادلة نسبياً، وأنها بالتأكيد أكثر عدلاً بكثير من معاهدة بريست - ليتوڤسك Brest - Litovesk التي فرضتها حكومة القيصر على روسيا السوڤييتية في آذار/مارس 1918. كانت معاهدة ڤرساي مصمَّمة من أجل الحدِّ من قوة ألمانيا العسكرية والسياسية.

### القيود العسكرية

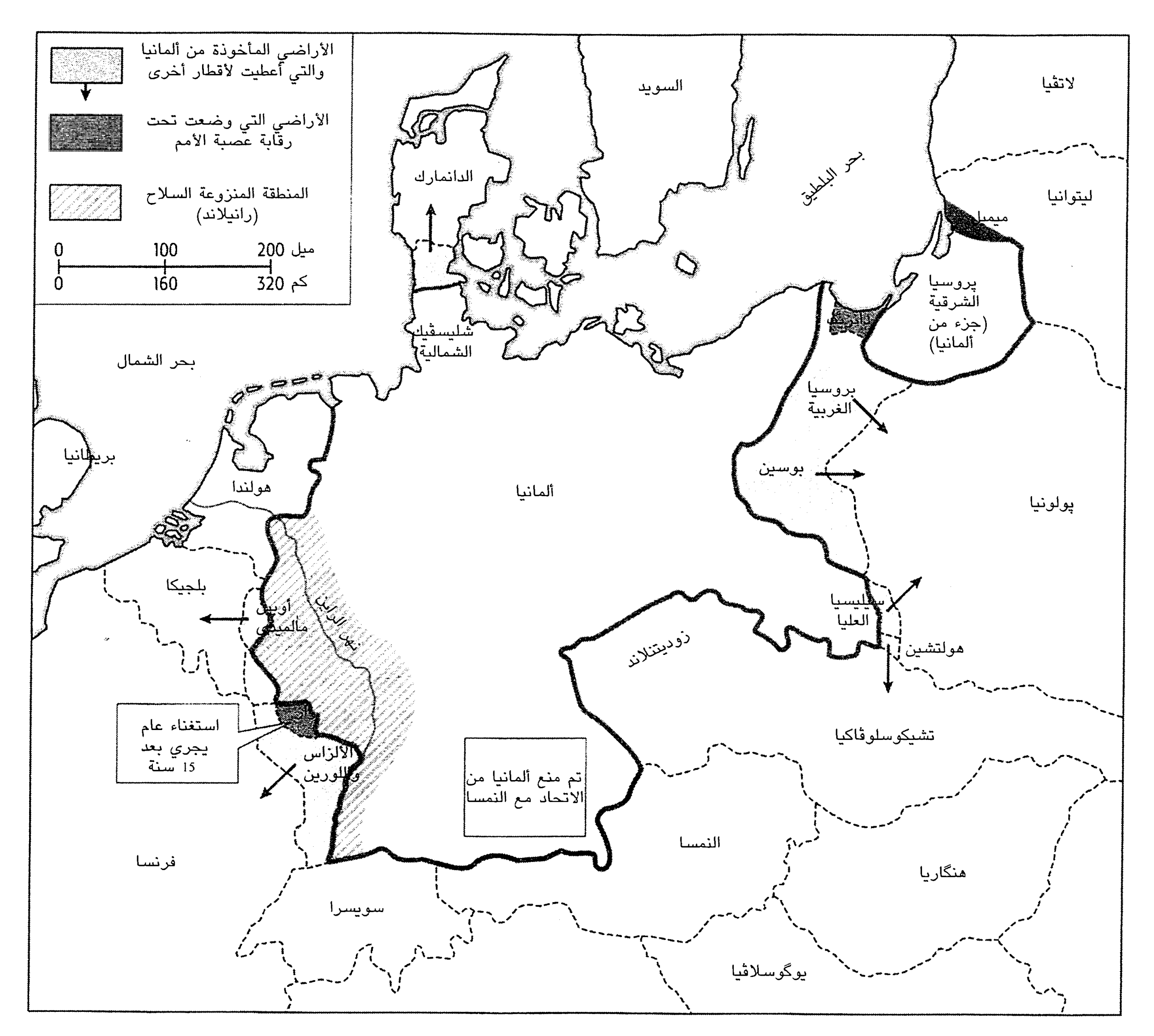
تتضمن القيود العسكرية:

- منع الجيش الألماني من امتلاك الدبابات أو المدفعية الثقيلة أو الطائرات،
- تحديد عداد الجيش بمئة ألف، إضافة إلى منع التجنيد الإلزامي،
- تحديد القوة البحرية الألمانية بست بوارج وستة طرادات

وإثني عشر قارب طوربيد، وعدم السماح لها بامتلاك غواصات أو طائرات حربية، وأن يتم تسليم بقية القطع البحرية الألمانية واقتسامها بين الحلفاء، ولكن القادة الألمان خرقوها وأغرقوها في نهر سكاپا Scapa في الحادي والعشرين من شهر حزيران/ يونيو،

- تدمير تحصينات هوليگولاند Holigoland وفتح قناة كييل Kiel أمام الملاحة الدولية،
- نزع الأسلحة من منطقة راينلاند Rhineland نهائياً ووجود قوات الحلفاء فيها لمدة خمس عشرة سنة (أرادت فرنسا أن تصبح هذه المنطقة دولة مستقلة منفصلة ولكن وِلْسُن رفض).

**ما هي القيود العسكرية الأساسية التي تم فرضها على ألمانيا من خلال معاهدة ڤرساي؟**




التغييرات الإقليمية التي فرضتها معاهدة ڤرساي

## التغييرات الإقليمية

تشمل التغييرات الإقليمية:

- تسليم مستعمرات ما وراء البحار، وكانت بريطانيا وفرنسا واليابان قد استولت عليها أثناء الحرب (وكان بإمكان وِلْسُن أن يحصل على موافقة نظرية لوضع هذه المستعمرات تحت انتداب عصبة الأمم)،
- تقليص مساحة الأرض الألمانية في أوروبا، حيث أُعيدت الألزاس واللورين Alsace-Lorraine إلى فرنسا، وَيوپين مالميدي Eupen - Malmédy إلى بلجيكا، وَشلوزفيگ Schleswig الشمالية إلى الدنمارك، وَالمنطقة الصغيرة هولتشين Hultschin إلى تشيكوسلوڤاكيا، وأعطِيَت پروسيا الغربية وپوسن Posen إلى پولونيا فحصلت بذلك على «ممر» نحو البحر - (برغم أن ذلك يفصل پروسيا الشرقية عن بقية ألمانيا) - وَكذلك أجزاء من سيليسيا Silesia، في حين أصبحت گدانسك Gdansk (دانزيگ Danzig) مدينة حرَّة دولية (تحت رعاية عصبة الأمم)،
- السماح لفرنسا بإدارة إقليم الزار Saar (الهام بسبب الفحم) لمدة خمس عشرة سنة، وهو من الناحية العملية تحت إشراف عصبة الأمم،
- حظر أي اتحاد مع النمسا.

**ما هي التغييرات الإقليمية التي تم فرضها على ألمانيا من خلال معاهدة ڤرساي؟**

## باب ذنب الحرب

إضافة إلى ذلك أُجبِرَت ألمانيا على القبول بالمادة 231 التي تنص على أن ألمانيا وحدها مسؤولة كلياً عن التسبُّب بالحرب العالمية الأولى، وأن باب ذنب الحرب هذا يلزمها بدفع تعويض، ولكن الموافقة على الرقم النهائي (البالغ ستة آلاف وستمئة مليون دولار) لم تتم في نهاية المطاف - بسبب

الاختلافات بين الحلفاء - إلا من قبل لجنة التعويضات الخاصة فقط سنة 1921، إلا أن الحلفاء قاموا قبل ذلك سنة 1919 بحجز جميع العملات الأجنبية والممتلكات الألمانية الموجودة في الخارج ولم تتم إعادتها.

### تأثير المعاهدة

أثارت شروط المعاهدة غضب معظم الألمان وأنحَوا باللائمة على حكومة ڤايمار Weimar الجديدة لقبولها بها. وفي العشرينيات والثلاثينيات كان الحقد على المعاهدة يشكل عاملاً رئيسياً في ظهور القومية المتطرفة وأقصى اليمين، وفي نفس الوقت بدأت الحكومات البريطانية ترى على نحو متزايد أن المعاهدة قاسية، مما يفسر جزئياً سياسة الاسترضاء التي تم اتباعها في الثلاثينيات.

تعويضات الحرب أو التعويض عن الأضرار أو التأمين . فقدت بريطانيا 750،000 قتيل وفرنسا 1،4 مليون، وَخسِرت فرنسا 52،000 مصنع وَ 5،600 كم من خطوطها الحديدية وَ 4،800 كم من طرقها البرية. أراد الرأي العام في كل من بريطانيا وفرنسا أن يجعل ألمانيا تدفع ثمن كل شيء (يجب عصر الليمونة الألمانية حتى البذرة)، غير أن الوفد البريطاني كان أقل قسوة من الفرنسي، وحالت الاختلافات بين الحلفاء دون أي اتفاق على رقم نهائي في حزيران/يونيو 1919. وبدلاً من ذلك تم تشكيل لجنة تعويضات حرب خاصة لاتخاذ القرار ولكن الاتفاق على المجموع لم يتم إلا في سنة 1921

كانت المعاهدة من الناحية العملية تطبَّق بروح من اللين، إذ كان يجب على الألمان أن ينزعوا الأسلحة مثلاً تحت إشراف لجان المراقبة التابعة للحلفاء، التي كانت في كثير من الأحيان طوال عشرينيات القرن العشرين تشير إلى أن ألمانيا لاتلتزم بذلك، وقد تم التهرب من القيود المفروضة على القوات المسلحة الألمانية فيما بعد بموجب اتفاقيات عسكرية مع روسيا السوڤييتية، أضف إلى ذلك أن قواد الجيش الألماني احتفظوا بمناصبهم، وبذلك أمَّنوا بقاء الجيش قوة ضاربة في جمهورية ڤايمار Weimar الفتية.

كذلك فإن ألمانيا تُرِكَت سليمة إلى حدٍّ كبير وبلغ عدد سكانها حوالي ضعفي سكان فرنسا، وذلك على الرغم من أن المعاهدة أدَّت بألمانيا إلى فقدان حوالي 13٪ من قدرتها الإنتاجية الاقتصادية وحوالي 10٪ من عدد سكانها.

وهناك حقيقة هامة أيضاً وهي أن ألمانيا لم تتعرض




**صورة ساخرة تعود إلى سنة 1919 وتتكهن بأن تؤدي شروط معاهدة فرساي إلى حرب عالمية أخرى. تبين الصورة ولسُن ولويد جورج كليمنصو وأورلاندو (الإيطالي) ينظرون إلى طفل يبكي. يتنبأ الرسام الساخر باندلاع الحرب القادمة سنة 1940.**

للغزو، أما الدوائر (الأقاليم) الفرنسية الأكثر غنىً فعانت من التمزق بسبب القتال. وعندما ندرس أعباء تعويضات الحرب في الفصل الثالث نجد أن الرقم «الأخير» قد خفِّضَ وأن الدفعات قد جُدوِلت على مدة أطول خلال عشرينيات القرن العشرين لدرجة تمكنت معها ألمانيا في الثلاثينيات من تمويل تسلح كبير المدى. وفوق كل ذلك فإن قوة الاقتصاد الألماني الأساسية لم تضعف ضعفاً خطيراً بسبب المعاهدة، وَسرعان ما استعادت ألمانيا موقعها كصاحبة أنجح اقتصاد أوروبي. وما أن جاءت سنة 1925 إلا وكان إنتاج الفولاذ الألماني قد زاد عن الإنتاج البريطاني بمقدار الضعفين.

عند مقارنة معاهدة ڤرساي بغيرها من معاهدات السلام المُبرمة في سنتي 1919 ـ 1920، ولا سيَّما معاهدتي سان جِرمان St Germain وَتريانون Trianon اللتين أُبرمتا مع النمسا وهنگاريا على التوالي، نجد أنها تبدو ليّنة تماماً، ومع ذلك فإن بريطانيا بدأت منذ البداية تقريباً تحبِّذ مراجعة لبعض من مبادئها، وذلك مع تأييد لويد جورج Lloyd George لبعض الاعتراضات الألمانية حتى قبل التوقيع على المعاهدة في نهاية المطاف، ولم تكن الحكومة البريطانية تريد على وجه الخصوص منع انتعاش شريك تجاري هام لما بعد الحرب أو إضعاف قدرة ألمانيا على «منع انتشار الإيديولوجية المعادية» الشيوعية.

## المصادر التاريخية

**1 ـ إيرزبيرگر زعيم زمرة الوزراء الألمان المؤيدين لتوقيع المعاهدة، متحدِّثاً في اجتماع لمجلس الوزراء في حزيران/ يونيو سنة 1919:**

ليس هناك من عيب إذا قمنا بالتوقيع تحت الإكراه على شرط أن نعلِن أنا نوقِّع بالإكراه. لنفترض أن شخصاً ربط ذراعيّ وأشهر مسدساً محشواً أمام صدري وطلب أن أوقِّع على ورقة تجبرني على الصعود إلى القمر خلال ثمان وأربعين ساعة، فإني كرجل مفكِّر سأقوم بالتوقيع إنقاذاً لحياتي، ولكني في نفس الوقت سأعلن على الملأ وببساطة أن الطلب لايمكن أن يتحقق. الوضع الأخلاقي الذي عرضته [طلب التفاهم المتبادل على توقيع] المعاهدة هو عين هذا المثال تماماً.

ك. إيبشتاين ماثياس، إيرزبيرگر،
ورطة الديمقراطية الألمانية، پرينستون، 1957، ص 138

**2 ـ وُجهة نظر أحد أفراد الوفد الأمريكي في مؤتمر معاهدة ڤرساي:**

إن ضخامة تعويضات الحرب المطلوبة من ألمانيا بموجب المعاهدة. . . تثقل كاهل الأموال المتوفرة لديها، ولذلك حصل انهيار كبير في مجمل نظام البضائع والخدمات والاستثمارات الذي سبق الحرب. . . إن بنود تعويضات الحرب ساهمت إلى حدٍّ كبير في تشكيل نفسية الألمان التي غيَّرَت الوجه السياسي لأنحاء كثيرة من العالم.

ج. ف. دالِس، «إلى الأمام» في كتاب «پ. بورنيت»
تعويضات الحرب في مؤتمر باريس للسلام، نيويورك، 1940

# 2 عُصبة الأمم 1919 ـ 1929

**أسئلة تركيزية**

- ما هي نقاط الضعف المبدئية في عصبة الأمم؟
- ما هو مدى نجاح عصبة الأمم في حل النزاعات خلال فترة 1919 ـ 1929؟

**تواريخ هامة**

1919/ 20 المواد الست والعشرون من اتفاقيات السلام تنشئ ميثاق عصبة الأمم.

1920 كانون الثاني/ يناير: اجتماع عصبة الأمم، ومقرها في جنيف Geneva، يمنع يوگوسلاڤيا من غزو ألبانيا.

أيلول/ سبتمبر: بداية الحرب بين تركيا واليونان

1920/ 21 بداية النزاع بين فنلندا والسويد على جزيرة ألاند Aland، وبين پولونيا وليتوانيا على ڤيلنا Vilna، الحرب الروسية البولونية.

1921 آذار/ مارس: النزاع بين ألمانيا وپولونيا على سيليسيا العليا Upper Silesia

1922 الأزمة المالية النمساوية

كانون الأول/ ديسمبر: انتهاء الحرب بين تركيا واليونان

1923 كانون الثاني/ يناير: غزو منطقة الرور Ruhr من قبل فرنسا وبلجيكا

آب/ أغسطس: أزمة كورفو Corfu بين إيطاليا واليونان، فشل مسَوَّدة معاهدة المساعدة المتبادلة، النزاع على ميميل Memel.

1924 أيلول/ سبتمبر: تنظيم پروتوكول جنيف Geneva Protocol

1924/ 25 النزاع على الموصل Mosul بين العراق وتركيا

1925 تشرين الأول/ أكتوبر: رفض پروتوكول جنيف، الحرب بين اليونان وبلغاريا

1926 أيلول/ سبتمبر: السماح لألمانيا بالانضمام إلى عصبة الأمم

## نظرة شاملة

العقوبات هي أعمال يتم اتخاذها لممارسة ضغط على بلد (أو فرد) لإجباره على القيام بفعل ما أو الامتناع عنه، والعقوبات الاقتصادية مثلاً قد تشمل حظراً تجارياً أو مقاطعة تجارية، وبخاصة للمنتجات الحيوية كالسلاح والفحم.

طَرَحَ الرئيس وِلْسُن Wilson الحاجة إلى عصبة الأمم قبل البدء بمفاوضات السلام سنة 1919، وكان يأمل بإمكانية المحافظة على السلام العالمي من خلال الأمن الجماعي وَعمل الدول الأعضاء في عصبة الأمم معاً في منع بلد من الهجوم على بلد آخر، وَذلك من خلال تطبيق الدول الأعضاء عقوبات اقتصادية، أو عسكرية عند الضرورة. غير أنه، ونظراً لأن الحزب الجمهوري (بفضل سياسة عدم الاكتراث بالتطورات الدبلوماسية الأوروپية) فاز بانتخابات سنة 1918 الفصلية، لم تنضم الولايات المتحدة الأمريكية إلى عصبة الأمم أبداً، كذلك فلم يُسمَح لألمانيا بالانضمام إليها أيضاً ولم تتم دعوة روسيا الشيوعية للانضمام، ونتيجة لذلك كانت بريطانيا وفرنسا العضوين الرئيسين في عصبة الأمم، مما جعلها تبدو «نادياً للمنتصرين» على البلدان المهزومة.

إلا أن بريطانيا وفرنسا لم توافقا دائماً على اتخاذ أي عمل، ولا بُدَّ أن تحظى قرارات مجلس عصبة الأمم

بالإجماع. يمكن لأي عضو أن يطرَح مشكلات أمام الجمعية العامة، ولكنها لا تتمتع إلا بقليل من السلطة الحقيقية، وكان على عصبة الأمم، إلى جانب منع النزاعات أن تقوم بالأعمال الإنسانية والتعامل مع اللاجئين والصحة وظروف العمل.

حققت عصبة الأمم بعض النجاح حينما نشبت النزاعات بين الدول الضعيفة نسبياً بين سنتي 1919 وَ 1929، ولكن نجاحها تدنى كثيراً عندما اصطدمت مصالح دولة قوية مع الأضعف منها.

## ما هي نقاط الضعف المبدئية في عصبة الأمم؟

من هم الخمسة الكبار؟

كان الغرض من عصبة الأمم هو أن تكون أول منظمة عالمية لحفظ السلام تُصمَّم لضمان عدم وقوع نزاع يشبه الحرب العالمية الأولى مرة ثانية. غير أن عصبة الأمم لم تكن مجرد ردٍّ على الحرب العالمية الأولى، فبَعد حروب ناپليون عقدت دول القرن التاسع عشر الأوروپية الأقوى مؤتمرات لمحاولة تسوية النزاعات بين الدول الأصغر، غير أن آلية الاستمرار بذلك على أساس نظامي لم تكن قد أنشِئت بعدُ. وفي بداية القرن العشرين بدأت بضع دول (مثل روسيا) تدعو إلى نزع الأسلحة في الوقت الذي ظهرت فيه الحاجة أيضاً إلى تعاون دولي أكبر بسبب التطورات الفنية والعلمية (مثل البَرق والشحن).

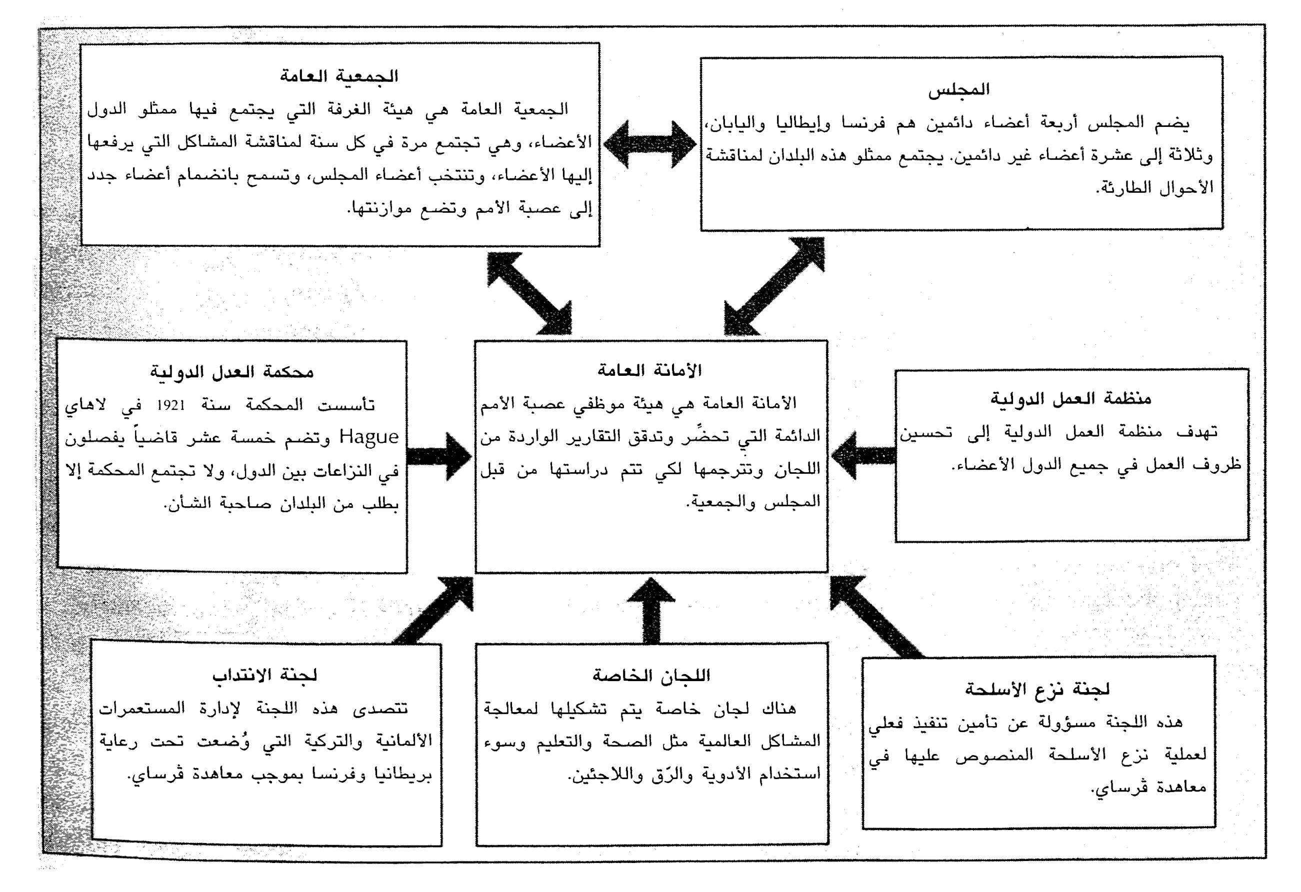
كان وِلسُن على اقتناع أن أسرار الدپلوماسية الأوروپية عاملٌ رئيسي أدَّى إلى وقوع الحرب العالمية الأولى (انظر الفصل الأول)، وبالتالي فإن مبادئه الأربعة عشر قد تضمنت دعوة لتأسيس «جمعية عامة للأمم» من أجل ضمان «الاستقلال السياسي» وَ «وِحدة الأراضي» لجميع الدول، وكان يَعتقد أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تستخدم قوتها الاقتصادية

دول الكومَنويلث هي المستعمرات البريطانية السابقة في أوستراليا وكندا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا والتي أعطِيت حكماً ذاتياً داخلياً منذ سنة 1910. غير أن بريطانيا ظلّت مسؤولة عن السياسة الخارجية والدفاع، وكان الملك البريطاني هو رأس الدولة.

البريطاني dominions، وفرنسا واليابان) أن تتقدم بتقارير سنوية إلى عصبة الأمم. كذلك أنشأت عصبة الأمم لجاناً خاصة لإدارة مناطق الاتفاقيات الخاصة مثل دانزيگ Danzig والزار Saar (انظر الخريطة على الصفحة 23).

**ما هي الهيئات الرئيسية التابعة لعصبة الأمم؟**

وأخيراً فإن عصبة الأمم أنشأت هيئات مختلفة ـ من أجل القيام بدورها الاقتصادي والاجتماعي ـ مثل منظمة العمل الدولية (لترسيخ ظروف العمل العادلة والإنسانية)، ومحكمة العدل الدولية الدائمة ومقرها في لاهاي Hague بهولندا، وظيفتها تسوية النزاعات القانونية فيما بين الدول. كما أنشأت هيئات أخرى للقضاء على الرِّق وتجارة المخدرات والأسلحة ومنع ومراقبة انتشار الأمراض وصيانة حرية التجارة والاتصالات.




**هيئات عصبة الأمم League of Nations ووظائفها الرئيسية**

بالرغم من أن أعضاء المجلس الذين تنتخبهم الجمعية قد ازدادوا إلى ستة سنة 1926 ثم إلى تسعة سنة 1929، إلا أن المجلس كان نادياً أوروبياً، وكان بالضرورة «نادياً للمنتصرين» وذلك بالرغم من السماح بانضمام ألمانيا كأحد أعضائه الدائمين سنة 1926، وذلك بالنظر لعدم السماح لألمانيا وحلفائها السابقين حتى ذلك الحين بالانضمام إلى عصبة الأمم. وهذا الضعف المبكر ترافق مع حقيقة هي أن الخوف من الشيوعية يعني أن روسيا الشيوعية غير مسموح لها بالانضمام (وفي الواقع فإن الحكومة الروسية أدانت عصبة الأمم باعتبارها نادياً رأسمالياً تسيطر عليه القوى الرأسمالية). وكان رفض الولايات المتحدة الأمريكية الانضمام إلى عصبة الأمم (انظر الفصل الأول) أمراً على غاية من الأهمية. وهكذا لم تكن ثلاث من القوى العالمية العظمى منذ البداية أعضاء في عصبة الأمم.

**أي من الدول المهمة لم تكن من الأعضاء المؤسسين في عصبة الأمم؟**

## مشاكل تطبيقية

اعتقد وِلْسُن Wilson أن هدف عصبة الأمم الرئيسي هو ضمان «وِحدة أراضي جميع الدول الأعضاء واستقلالها السياسي القائم» ضد العدوان الخارجي، وأن تحقيق ذلك ممكن عن طريق عمل جميع الدول الأعضاء الجماعي (المادة العاشرة). وهذا يعني من الناحية العملية صعوبة التعديل السلمي للحدود الجديدة التي رسمتها معاهدات 1919 ـ 1920، إذ حاولت عدة دول (ومنها بريطانيا) جعل وِلْسُن يتخلى عن هذه المادة لأنها لم تكن ترغب في أن تصبح «شرطة العالم»، ولكنها لم تفلح.

كذلك ثبت أن المادة العاشرة، التي تتصدى لنزع الأسلحة، مثيرة للنزاع بشكل كبير، ومع ذلك فإن إدراجها

كشف عن عدد الدول التي تعتقد أن التسلح قبل سنة 1914 قد أوجد الفوضى الأمنية في أوروپا وأنه بذلك شكَّل عاملاً رئيسياً في اندلاع الحرب العالمية الأولى. كذلك أثارت المادة الثامنة نزاعاً جزئياً لأن حقبة العشرينيات لم تكن مستقرة، فوجود روسيا الشيوعية وفراغ القوى في وسط وشرق أوروپا يعني أن كثيراً من الدول مثل پولونيا وتشيكوسلوڤاكيا مترددة في نزع أسلحتها. والأمر الأكثر أهمية هو أن فرنسا كانت قلقة للغاية من نزع الأسلحة لأن بريطانيا رفضت مَنح عصبة الأمم أية قوة عسكرية حقيقية تمكنها من إكساب قراراتها الصيغة التنفيذية، كذلك فإن كلاً من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية رفضتا ضمان تقديم الدعم لفرنسا في أي نزاع يحدث مستقبلاً في أوروپا. وارتبطت مخاوف فرنسا أيضاً بحقيقة هي أن ألمانيا تمتلك موارد صناعية أكبر وعدد سكان يبلغ ستة وستين مليوناً مقارنة بالملايين التسعة والثلاثين في فرنسا. وبالرغم من أن بريطانيا كانت راغبة بتخفيض مستوى أسلحتها إلا أن عدم انضمام الولايات المتحدة الأمريكية إلى عصبة الأمم كان يعني أن محادثات نزع الأسلحة سوف تتجاوز في غالب الأحيان عصبة الأمم (انظر الفصل الثالث). وبرغم أن بريطانيا حثت عصبة الأمم على تأسيس مؤتمر لنزع الأسلحة إلا أن اللجنة التحضيرية لنزع الأسلحة لم تشكَّل في جنيف إلا سنة 1926، واندلعت خلافات كبيرة قبل أن تحَلَّ نهائياً سنة 1930.

**لماذا كانت فرنسا شديدة المعارضة لمحاولات عصبة الأمم فرض نزع أسلحة عاماً في أوروپا؟**

كانت إجراءات عصبة الأمم لمنع العدوان تنطوي على نقاط ضعف عملية كثيرة أيضاً، أولاها أن الجمعية العامة لا تستطيع أن تصِرَّ على مناقشة أي مشكلة في حين يستطيع أي عضو من أعضائها أن يضع بين يدي عصبة الأمم أي أمر يهدد بنزاع عسكري وأن يناقش أي «اعتبارات دولية» يمكن أن

تعرِّض السلام العالمي للخطر، والأهم هو أنه في حال نشوب نزاع فإن على الدول الأعضاء أن تعرضه أمام المجلس وتتجنب استخدام القوة مدة ثلاثة أشهر اعتباراً من إصدار عصبة الأمم تقريرها. وفي نفس الوقت تعطى عصبة الأمم فترة ستة أشهر للاستقصاء (عادة من خلال تشكيل لجنة لتقصي الحقائق) تتقدم بتقريرها إلى المجلس، ولا بُدَّ أن يحظى أي قرار يتم التوصل إليه من قبل المجلس بالإجماع، وفي حال عدم التوصل إلى اتفاق بعد ذلك بثلاثة أشهر فإن أطراف النزاع يمكن أن تلجأ إلى القوة. وقد ثبت صعوبة التوصل إلى إجماع حول دور عصبة الأمم بحكم اختلاف وجهتي نظر بريطانيا وفرنسا اللتين تهيمنان على المجلس.

وثانيتها أنه يمكن فرض عقوبات اقتصادية (مثل المقاطعة التجارية وحظر العلاقات المالية مع المعتدي) في حال عدم التزام أحد الأعضاء بالمدة الزمنية التي تفرضها عصبة الأمم. تردَّد كثير من الدول الأعضاء بالالتزام بالمقاطعة التجارية إذا لم تكن الدولة المعنية عضواً في عصبة الأمم (مثل الولايات المتحدة الأمريكية) فكانت تستأنف التجارة. وإذا فشلت العقوبات الاقتصادية أمكن للمجلس أن يوصي بالعقوبات العسكرية من خلال استخدام الجنود الذين توافق الدول الأعضاء على تقديمهم. رغبت فرنسا على وجه الخصوص أن يكون لدى عصبة الأمم وحداتها العسكرية الخاصة لكي تبادر بتدخل عسكري مباشر، لكن بريطانيا ودولاً أخرى عارضت ذلك. إذا رفضت أية دولة ـ من الناحية التطبيقية ـ الالتزام بقواعد عصبة الأمم أو الانضمام إلى مساعي العصبة أو تخلت عنها، فلا يدع ذلك مجالاً كبيراً أمام العصبة لمنع عدوان عسكري.

**لماذا كان من الصعب من الناحية العملية، وفي غالب الأحيان، القيام بعمل ما من قبل مجلس عصبة الأمم؟**

وهناك أخيراً مشكلات محتملة وهي قيام عصبة الأمم

ومؤتمر السفراء ـ (الذي يضم بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان من أجل الإشراف على المعاهدات) ـ في وقت واحد. كان المجلس يجتمع بانتظام وينتهي إلى تضارب في المسؤوليات مع عصبة الأمم.

## ما هو مدى نجاح عصبة الأمم في حل النزاعات من 1919 إلى 1929؟

بدأت عصبة الأمم عملها بصورة رسمية في كانون الثاني/يناير 1920، واستطاعت ـ بالرغم من مختلف المشاكل التي مر بنا ذكرها ـ أن تحقق نجاحات كثيرة:

- استطاعت عصبة الأمم أن تقنع يوگوسلاڤيا في النزاع الذي جرى بينها وبين ألبانيا سنة 1920 بسحب قواتها من ألبانيا.
- عرضت بريطانيا على عصبة الأمم النزاع الذي جرى سنة 1920 بين فنلندا والسويد على جزر ألاند Aland التي تملكها فنلندا رغم أن غالبية سكانها كانوا سويديين، وكان أن أمرت عصبة الأمم فنلندا بإبقاء الجزر منزوعة السلاح.
- نجحت عصبة الأمم سنة 1921 في حل النزاع بين پولونيا وألمانيا حول سيليسيا العليا Upper Silesia، حيث قررت معاهدة ڤرساي أن على شعب هذا الإقليم أن يصوِّت في استفتاء عام على رغبته بالبقاء جزءاً من پولونيا أو ألمانيا، والنتيجة أن الاستفتاء قد توقف وأدى إلى الاضطرابات فقررت عصبة الأمم التدخل وقسَّمت المنطقة بين پولونيا وألمانيا على الرغم من أن رسم الحدود كان معقداً جداً ونالت ألمانيا حصة الأسد.
- قامت عصبة الأمم سنة 1925 بحل النزاع بين العراق

الاستفتاء العام هو استفتاء حول أمر واحد أو مجموعة من الأمور. كان وِلْسُن يؤيد أن يُحسَم حق تقرير المصير (الحكم الذاتي) من خلال الاستفتاء العام. غير أن هذا الأمر قد تم تجاهلَه في الموضوع الألماني برغم من نجاح لويد جورج Lloyd George في إصراره على إجراء الاستفتاء العام بشأن سيليسيا العليا سنة 1921. غير أن الاستفتاء لم يشمل سكان زودِتِنلاند Sudetenland التابعة للإمبراطورية النمساوية الهنگارية الذين كانوا يتحدثون اللغة الألمانية حيث أعطِيَ هذا الإقليم إلى تشيكوسلوڤاكيا.

وَتركيا حول منطقة الموصل الهامة والغنية بالنفط وذلك لصالح العراق (التي كانت حينذاك تحت الانتداب البريطاني).

- استطاعت عصبة الأمم تسوية النزاع بين اليونان وبلگاريا سنة 1925 حيث أمَرت اليونان بسحب قواتها وَدفع تعويضات لبلگاريا لقاء الأضرار التي ألحقتها بها.

كذلك نجحت عصبة الأمم بإدارة منطقتي الزار Saar ودانزيگ Danzig وَتمكنت من مساعدة الاقتصاديْن النمساوي والهنگاري في العشرينيات من خلال تثبيت عُملتيهما، كما ساعدت الأمانة العامة لعصبة الأمم على إنعاش الاقتصاد العالمي من خلال تنظيم مؤتمر حول المكوس والاتفاقات التجارية، وقامت في أواخر العشرينيات بدراسة مقترحات أريستيد بريان Aristide Briand الفرنسي في سبيل تعاون اقتصادي وسياسي أوروپي أوثق. تميَّزت العصبة أيضاً بعملها في المجال الإنساني الذي يمثل إنجازاً هاماً بخصوص اللاجئين وأسرى الحرب (وبخاصة بعد الحرب الروسية ـ البولونية خلال فترة 1920 ـ 1921 والحرب اليونانية التركية في فترة 1920 ـ 1922). وعملت عصبة الأمم الكثير أيضاً للتصدي للأمراض الاستوائية مثل الجُذام والحمى الصفراء والملاريا وانتشار الأمراض السارية، كما أن منظمة العمل الدولية عملت جادة على تحسين حقوق العمال وظروف العمل في مختلف أنحاء العالم.

المكوس هي رسوم تفرضها الحكومة على استيراد البضائع من الأقطار الأخرى من أجل الحدّ من منافستها للمنتجات المحلية ومساعدة شركات بلدها. ترُدُّ البلدان الأخرى في غالب الأحيان بتطبيق تعرفاتها وبذلك تنخفض التجارة العالمية.

إلا أن نجاح عصبة الأمم باعتبارها منظمة لحفظ السلام حتى خلال فترة 1920 ـ 1929 كان محدوداً، حيث ظهر فشلها فيما يلي:

- عندما أُعيد تشكيل ليتوانيا Lithuania كواحدة من دول البلطيق Baltic المستقلة سنة 1919 (التي كانت فيما سبق

جزءاً من روسيا القيصرية) أرادت مدينة ڤيلنا Vilna أن تكون عاصمتها الجديدة كما كانت في الماضي، ولكن پولونيا استولت عليها سنة 1920 لأن معظم سكانها پولونيون. طالبت ليتوانيا عصبة الأمم بالتدخل ولكن پولونيا تجاهلت اقتراحات عصبة الأمم، وفي نهاية المطاف وافق مؤتمر السفراء سنة 1922 على الاحتلال الپولوني.

- لم تقتنع پولونيا بحدودها الشرقية (خط كَرزون Curzon Line) الذي قررته معاهدات 1919 ـ 1920 للسلام، وفي سنة 1920 وبعد مصادمات مسلحة خفيفة اجتازت پولونيا خط كرزون للاستيلاء على روسيا البيضاء White Russia وأوكرانيا Ukraine فابتدأت بذلك الحرب الروسية ـ الپولونية. لم تستطع عصبة الأمم أن تمنع هذه الحرب، إذ كانت پولونيا في الحقيقة تتمتع بدعم بريطانيا وفرنسا اللتين تدخلتا مع الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا واليابان وعدد من الدول الأخرى في الحرب الأهلية في روسيا ضد الحكومة الشيوعية.

- أعطت معاهدة سيڤر Sevres Treaty (1920) معظم الأراضي التركية في أوروپا إلى اليونان، فانقلب الوطنيون الأتراك على سلطانهم بسبب توقيع الاتفاقية، ثم غزت اليونان تركيا من أجل القضاء على الحكومة الوطنية الجديدة التي كانت عازمة على إسقاط معاهدة سيڤر. هزم الجيش التركي اليونانيين ثم هدَّد القوات البريطانية التي كانت تحتل أجزاء من تركيا. تفادى البريطانيون مزيداً من الأعمال الحربية من خلال موافقتهم على وجوب توقيع معاهدة جديدة (لوزان Lausanne 1923). ولم تستطع عصبة الأمم منع أو إيقاف هذه الحرب لأن بريطانيا كانت

وُلِد أريستيد بريان Aristide Briand سنة 1862 وكان سياسياً اشتراكياً راديكالياً شغل منصب رئيس وزراء أو وزير خارجية فرنسا في فترة 1909 ـ 1929عدة مرات، وقد اشتهر بدعوته للتعاون الدولي في سنوات مابين الحربين، كما أيد بشدة انضمام ألمانيا إلى عصبة الأمم سنة 1926 وتقاسم جائزة نوبل للسلام لسنة 1926 مع الألماني غوستاف شتريسيمان Gustav Stresemann لقاء جهوده. وساعد أيضاً على إنجاز معاهدة لوكامو Locamo 1925 وَمعاهدة كيلوگ ـ بريان 1928 Kellog-Briand (انظر الفصل الثالث).

تؤيد اليونان إلى حدٍّ كبير، بينما كانت فرنسا تؤيد تركيا.

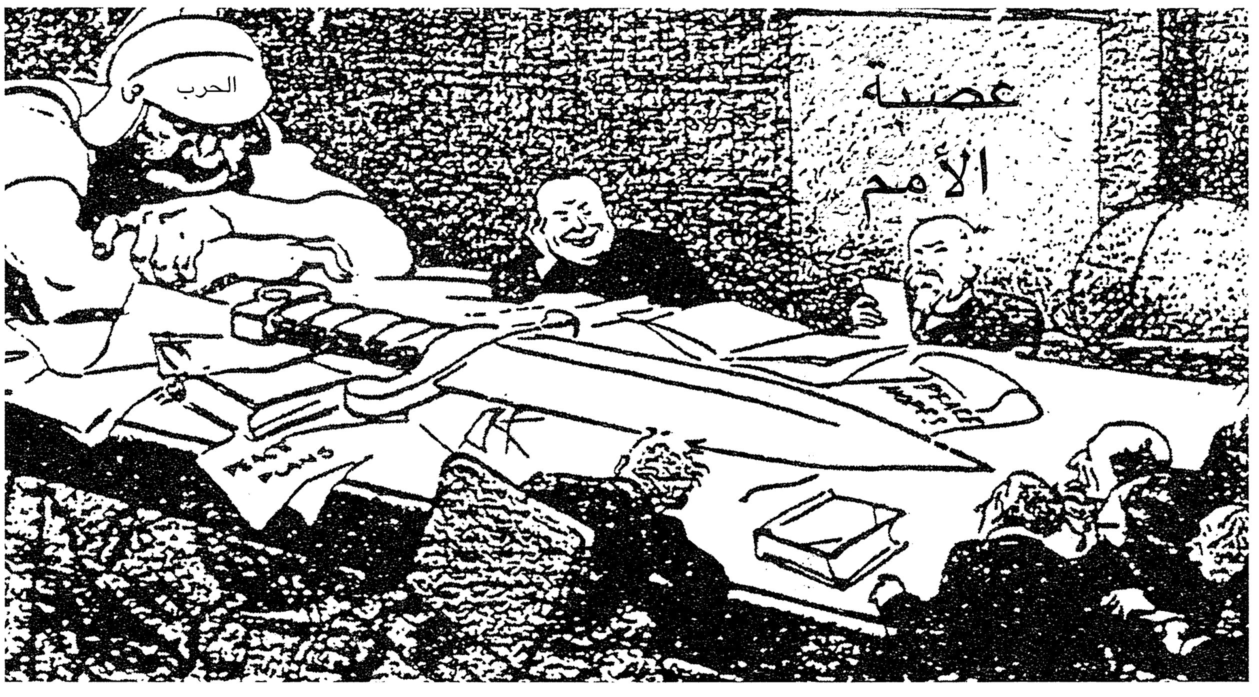
- وُضِع ميناء ميميل Memel (انظر الخريطة على الصفحة 23) وما حوله ـ حيث غالبية السكان ليتوانيون ـ تحت إدارة عصبة الأمم بموجب معاهدة ڤرساي، ولكنها لم تستطع منع ليتوانيا من الاستيلاء على ميميل سنة 1923، وباءت بالفشل محاولات مؤتمر السفراء لحلِّ المشكلة أيضاً، إلا أن ليتوانيا قبلت في نهاية المطاف أن يصبح الميناء «منطقة دولية» شريط إعطائها المنطقة المحيطة به.

- لم تستطع عصبة الأمم منع فرنسا وبلجيكا من غزو منطقة الرور Ruhr سنة 1923 بعد أن عجزت ألمانيا عن دفع القسط الثاني من تعويضات الحرب حتى أن فرنسا في الحقيقة لم تستشِر عصبة الأمم قبل أن تتخذ أي عمل.

- وبعد ذلك لم تنجح عصبة الأمم في فترة لاحقة من نفس السنة في منع أحد أعضائها البارزين الآخرين ـ وهو إيطاليا ـ من غزو جزيرة كورفو Corfu اليونانية بعد أن قُتِل ـ في كمين ـ خمسة إيطاليين (كان مؤتمر السفراء قد أرسلهم للمساعدة في الكشف على نزاع حدودي بين اليونان وألبانيا Albania) طلبت اليونان المساعدة من عصبة الأمم ولكن موسوليني Mussolini تجاهل العصبة وجادل في أن هذا الأمر يعود إلى مؤتمر السفراء، الذي أيَّد إيطاليا في نهاية المطاف وأمَر اليونان بدفع خمسين مليون لير كتعويض، ثم انسحب الجنود الطليان من كورفو Corfu. كشف هذا الحادث بوضوح عن نقاط ضعف خطيرة في قدرة عصبة الأمم على حل النزاعات التي تتعلق بالدول القوية. ولم ترغب فرنسا بإزعاج إيطاليا (التي ساعدت فرنسا في وقت سابق في غزوها لمنطقة الرور) والتي رأت فيها حليفاً محتملاً قوياً ضد ألمانيا،

**لماذا لم تكن فرنسا في صالح عمل قوي ضد إيطاليا بشأن حادثة كورفو Corfu سنة 1923؟**

وبذلك قطعت الطريق على أي عمل يمكن أن تتخذه العصبة. كانت الحكومة البريطانية مترددة في التورط بذلك لأن النصيحة وُجِّهت إليها بأن تطبيق العقوبات الاقتصادية أو البحرية ضد إيطاليا سوف يلحق الضرر بالمصالح البريطانية. وعليه فقد تبيَّن أن كلاً من عملية القرار الإجماعي واستخدام العقوبات لم يكونا متوفرَيْن من الناحية العملية عندما تطلَّب الأمر عملاً جماعياً فعالاً.




صورة ساخرة بريطانية تبرز استخدام القوة من قبل إيطاليا في حادث كورفو corfu سنة 1923. الشخص المبتسم في الوسط هو موسوليني Mussolini

**ما هي النية التي تكمن خلف كل من مسوَّدة معاهدة المساعدة المتبادلة (1923) وبروتوكول جنيف (1924)؟**

- حققت العصبة نجاحاً محدوداً فقط في الإشراف الفعال على سلطات الانتداب التي مُنِحَت لكل من بريطانيا وفرنسا واليابان لإدارة الأراضي الألمانية والتركية السابقة، وبصورة مماثلة لم تتمكن العصبة إلا من فعل القليل في سبيل حماية حقوق الأقليات العرقية في دول وسط وشرق أوروبا. والأهم هو فشل محاولات تقوية قدرة العصبة على ضمان شروط معاهدات 1919 ـ 1920 للسلام، إذ أن بريطانيا قامت بإفشال مشروع معاهدة

للمساعدة المتبادلة تقدمت به فرنسا سنة 1923 بهدف إعطاء العصبة صلاحيات اتخاذ عمل عسكري سريع في حال وقوع عدوان دون وازع. حاولت فرنسا مرة أخرى سنة 1924 من خلال پروتوكول جنيف Geneva Protocol الذي رمى إلى إلزام جميع الدول الأعضاء اتخاذ عمل عسكري جماعي، وَلقِي دعم رئيس الوزراء العمالي الجديد رامسيه ماك دونالد Ramsay MacDonald الذي أُطيح به في وقت لاحق في سنة 1924، وفي آذار/مارس 1925 وقف أوستن تشامبرلين Austen Chamberlain بالنيابة عن المحافظين أمام هذه الخطة أيضاً، مما ترك العصبة عاجزة في الواقع عن حماية وحدة التراب الوطني.

رامسيه ماك دونالد Ramsay MacDonald سياسي عمالي عارض السياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، وأيد عصبة الأمم، وقال في حملة كانون الأول/ديسمبر 1923 الانتخابية أن سياسة حزب العمال الخارجية ستقوم على أساس ميثاق عصبة الأمم. وبعد سقوط حكومة المحافظين ذات الأقلية في كانون الثاني/يناير 1924، أصبح أول رئيس وزراء عمالي لبريطانيا، وعمل وزيراً للخارجية بالوكالة وكان يلقب باسم «ماك صانع السلام».

إلا أن عصبة الأمم ـ وعلى الرغم من هذه المشاكل وهذا الفشل ـ ساعدت على تحقيق مستوى تعاون أكبر مما كان موجوداً قبل سنة 1914 وهذه هي النواحي التي سنبحثها في الفصل الثالث.

## المصادر التاريخية

**1. مارسيل كاشان، سياسي فرنسي، متحدثاً سنة 1920 حول قرار الولايات المتحدة الأمريكية بعدم الانضمام إلى عصبة الأمم:**

إن الهزيمة التي لحقت بالوِلْسُنية wilsonism في الولايات المتحدة تضرب في الصميم وجود عصبة الأمم بحدِّ ذاته. سيبقى مكان أمريكا في جنيف شاغراً، والدولتان المُهيمنتان فرنسا وبريطانيا العظمى منقسمتان تقريباً بشأن كل موضوع يُعرض للمناقشة.

ت. ماك أليڤي، تاريخ العالم الحديث، كامبرِدج، 1996، ص 32.

**2. انتقاد فرنسا من قبل موظف بريطاني وهو جورج سوندرز، سنة 1919:**

خلف كل ذلك تقف الخطة الفرنسية لامتصاص ألمانيا وكل فرد آخر من أجل إقامة رقابة عسكرية وسياسية على عصبة الأمم، فالفرنسيون ينظرون إلى العصبة كمنظمة لاستعادة موقع فرنسا السامي في أوروبا ولمحافظتها على هذا الموقع.

ت. ماك أليڤي، تاريخ العالم الحديث، كامبردج، 1996، ص 32.

# 3 الدپلوماسية الدولية 1919 ـ 1929

**أسئلة تركيزية**

- ما هي التطورات الدپلوماسية الرئيسية في فترة 1919 ـ 1929؟
- ما هي المشكلات التي بقيت معلّقة؟

**تواريخ هامة**

1919 حزيران/ يونيو: إنشاء مؤتمر السفراء

1921/ 22 مؤتمر واشنطن البحري

1922 شباط/ فبراير: معاهدة واشنطن البحرية

آذار/ مارس: مؤتمر جنوا Genoa لنزع الأسلحة

نيسان/ ابريل: معاهدة راپاللو Rapollo

1923 آب/ أغسطس: حادثة كورفو Corfu

1924 كانون الثاني/ يناير: التحالف بين فرنسا وتشيكوسلوڤاكيا

آب/ أغسطس: خطة دوويس Dawes

1925 تشرين الأول/ أكتوبر: معاهدة لاكومو Lacomo

1928 آب/ أغسطس: ميثاق كيلوگ ـ بريان (ميثاق باريس)

1929 حزيران/ يونيو: خطة يونگ Young

## نظرة شاملة

ساعدت عصبة الأمم على تحسين المناقشة والدپلوماسية

الدوليتين على الرغم من أدائها المتخبط في منع أو حلِّ النزاعات في سنوات 1919 ـ 1929 . بَذلت منظمات أو مؤتمرات خارج العصبة جهداً كبيراً، حيث قام مجلس السفراء على وجه الخصوص مرات عديدة بتسوية النزاعات أو فاوض على اتفاقيات في تلك الفترة، وبفضل الجهود المتضافرة التي بذلها هؤلاء جميعاً أمكن رؤية حقبة العشرينيات كزمن تحسنت فيه العلاقات الدولية وزيَّنه عدد من الاتفاقات الدولية مثل معاهدة واشنطن البحرية Washington Naval Treaty (1922) (للحد من الأساطيل البحرية للدول العظمى) وخطط دوويس Dawes ويونغ Young (لمساعدة ألمانيا على دفع تعويضات الحرب وإعادة بناء اقتصادها)، إلا أن النجاح الكبير لم يكن حليف محاولات دپلوماسية أخرى لضمان سلام أوروپا (مثل معاهدة لوكارنو Locarno وميثاق كيلوگ ـ بريان Kellogg-Briand).

## ما هي التطورات الدپلوماسية الرئيسية في فترة 1919 ـ 1929؟

كانت المفاوضات المباشرة والدپلوماسية بين الدول أكثر أهمية على امتداد قسم كبير من هذه الفترة من عمل عصبة الأمم، وكانت إنجازات مؤتمر السفراء على وجه الخصوص كثيرة.

**ما هو الهدف الرئيس لمؤتمر السفراء؟**

تأسس هذا المؤتمر لحل أي نزاع ينشأ عن معاهدات 1919 ـ 1920 للسلام، وضمَّ بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان (الأربعة الكبار) وانعقد في باريس طوال العشرينيات، وكثيراً ما اتخذ قرارات في معزل عن عصبة الأمم، وكان هذا في معظمه بسبب ضعفه (انظر الفصل الثاني). وسرعان ما انحطَّت قيمته في العشرينيات عندما اتضح أن كلاً من إيطاليا واليابان

عازمة على اتباع سياسات توسّعية وذلك في تحدٍّ لعصبة الأمم.

تمكن هذا المؤتمر باعتباره هيئة أصغر من التركيز على مشكلات محددة والتوصل إلى اتفاقيات عملية محدودة على أمور يصعب حلُّها على العصبة، كذلك فإن الدپلوماسية العادية المباشرة بين الدول خلال العشرينيات توصلت ـ مثل مؤتمر السفراء ـ إلى بعض الاتفاقات العملية فيما يلي ملخص لها.

**كيف أثر وجود مؤتمر السفراء على عمل عصبة الأمم؟**

### معاهدة واشنطن البحرية: 1922

يعود الفضل في هذه المعاهدة إلى حد كبير إلى مبادرة الولايات المتحدة الأمريكية التي كان يساورها القلق من التوترات المتزايدة مع اليابان في المحيط الهادي، حيث كان موضوع هذا التوتر أمراً يعود حلّه من الناحية النظرية إلى عصبة الأمم حسب التصميم الذي قامت عليه، إلا أن عدم انضمام الولايات المتحدة إليها جعل من الدپلوماسية المباشرة السبيل الوحيد لبحث الحالة، فعُقدت مؤتمرات سنتي 1921 وَ1922 في واشنطن بين الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان بمشاركة دول أخرى. كانت البنود الرئيسية لهذه الاتفاقية التي تم توقيعها في شباط/فبراير 1922 تسمح للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بامتلاك أساطيل بحرية متساوية أما اليابان فقوَّتها بالمقارنة محدودة على أساس نسبة 5 إلى 5 إلى 3. وافقت كل من فرنسا وإيطاليا فيما بعد على الحد من أساطيلهما البحرية. وَمَرَّة أخرى لم يكن لعصبة الأمم علاقة بهذا القرار.

### خطة دوويس: 1924

عندما فشلت ألمانيا في دفع القسط الثاني من تعويضات

جمهورية ڤايمر Weimer Republic هو الاسم الذي أعطِي للنظام الألماني الجديد للحكومة التي قامت سنة 1919 بعد أن تنازل القيصر عن العرش. تم استعمال اسم «ڤايمر» لأن صياغة دستور ألمانيا الديمقراطي الجديد واعتماده تمّا في المدينة الألمانية الصغيرة ڤايمر. إستمرت ألمانيا الڤايمرية حتى سنة 1933 عندما أقام هتلر الدكتاتورية النازية.

الحرب في كانون الأول/ديسمبر سنة 1922 قامت فرنسا وبلجيكا بغزوِ إقليم الرور Ruhr في كانون الثاني/يناير سنة 1923 ، فردَّت الحكومة الألمانية بالدعوة إلى المقاومة السلبية، وَاستجاب عمال الرور لذلك. بدأ الألمان بعدئذ، مع تدهور الاقتصاد، بطبع المزيد من المال فزاد ذلك من ارتفاع نسبة التضخم كثيراً وَأوْرث مشكلات اقتصادية وسياسية في ألمانيا، حيث أدت هذه المحنة الاقتصادية بالطبقة المتوسطة من الألمان إلى توجيه اللوم إلى جمهورية ڤايمر Weimar Republic على مشكلاتهم وَساهم ذلك كثيراً في تنامي الحركات القومية والحركات السياسية اليمينية المتطرفة وبدأ يؤثر سلباً على الاقتصاد الفرنسي.

**كيف أدت خطة دوويس (1924) إلى تحسين الوضعين الديپلوماسي والاقتصادي في أوروپا؟**

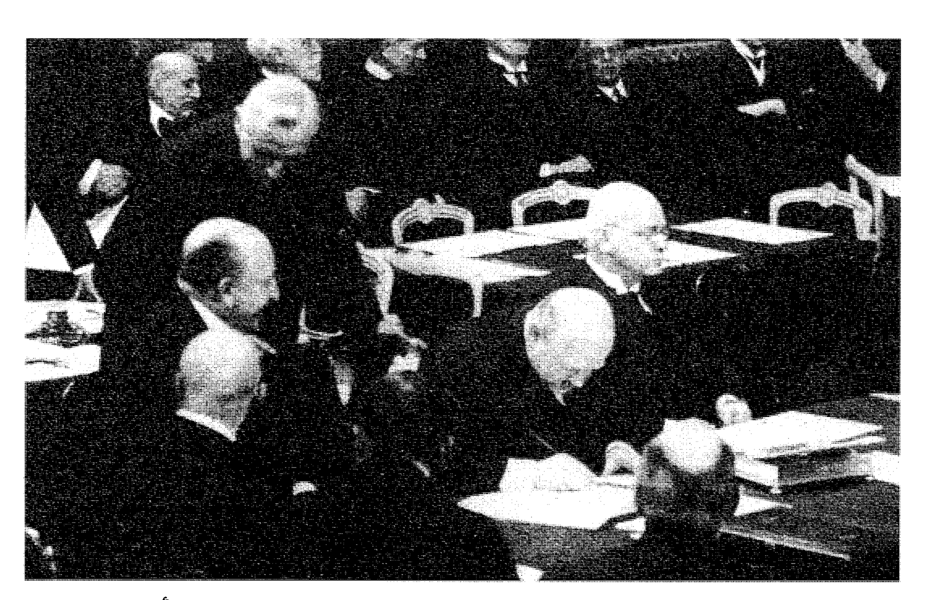
تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لأنها كانت قلِقة بسبب تأثير هذا الوضع على تجارتها الدولية وقوتها الاقتصادية العالمية، حيث خرج أحد المصرَفيين الأمريكيين ـ تشارلز دوويس Charles Dawes بخطةٍ تجميد دفع تعويضات الحرب الألمانية لمدة سنتين وتخفيض ميزان مستوى الدفعات الألمانية ووضْع قروض كبيرة بين يدي الصناعة الألمانية، وبذلك تمكَّنت ألمانيا من استئناف دفع التعويضات إلى فرنسا وبريطانيا، وكان هذا هو السبب الذي أقنعهما بسحب جنودهما، وليس عصبة الأمم. أقرضت الولايات المتحدة الأمريكية ألمانيا بين سنتي 1924 و 1929 حوالي بليوني دولار وبلغت تسديدات التعويضات الألمانية لنفس الفترة حوالي بليون دولار.

## معاهدة لوكارنو: 1925

أدَّت خطة دوويس إلى تحسين العلاقات الديپلوماسية بين فرنسا وألمانيا على الرغم من أن هذا التحسن كان أيضاً نتيجة

لعمل بريان Briand الفرنسي وَگوستاڤ شتريسيمان Gustav Stresemann الألماني وليس عصبة الأمم. اتصل شتريسيمان سنة 1925 ببريطانيا وفرنسا في محاولة منه لتهدئة المخاوف الفرنسية وعرض قبول ألمانيا بحدودها الغربية كما قررتها معاهدة ڤرساي، وفي أيلول/سبتمبر 1925 عُقِد مؤتمر لوكارنو Locarno الذي وعدت فيه كل من ألمانيا وفرنسا وبلجيكا بعدم استخدام القوة من أجل تغيير حدودها المشتركة مع بعضها البعض، كما وعدت ألمانيا أيضاً بقبول نزع سلاح منطقة راينلاند Rhineland، وعندئذ وافقت كل من بريطانيا وإيطاليا ـ بصفتهما ضامنتين ـ على ضمان هذه المعاهدة التي لم تعطِ مع ذلك ضمانات بقبول ألمانيا لحدودها الشرقية. لعبت معاهدة لوكارنو، برغم أن التفاوض عليها تم خارج عصبة الأمم، دوراً كبيراً في السماح لألمانيا بالانضمام إلى العصبة في أيلول/سبتمبر 1926.

وُلِد گوستاف شتريسيمان سنة 1878 وعمل أولاً مستشاراً (رئيس وزراء) ثم وزيراً للخارجية منذ سنة 1923 ولغاية سنة 1929، ونتيجة لذلك أصبح أهم رجل دولة ألماني في جمهورية ڤايمر. عمل مع أريستيد بريان Aristide Briand الفرنسي بتقارب شديد على تحسين العلاقات بين ألمانيا والحلفاء في هذه الفترة. وبرغم اعتداله إلا أنه كان قومياً ويعتقد أن التعاون مع الحلفاء ضروري من أجل تعديل معاهدة ڤرساي بسبب ضعف ألمانيا عسكرياً. كانت أهدافه البعيدة هي إخراج قوات الحلفاء من ألمانيا، وتعديل الحدود الشرقية لألمانيا مع تشيكوسلوڤاكيا وپولونيا مرة ثانية، وإلغاء تعويضات الحرب نهائياً، وأن تصبح النمسا جزءاً من «ألمانيا الكبرى» وحتى استرداد الألزاس واللورين ويوبان ـ ماليمدي. إلا أنه لم يخطط لتحقيق هذه الأهداف عن طريق القوة.



**حفل توقيع معاهدة لوكارنو سنة 1925، حيث يوقعها شتريسيمان بالنيابة عن ألمانيا**

## ميثاق كيلوگ ـ بريان: 1928

اتفقت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، مُمثلَتين على التوالي من قبل وزيري الخارجية ـ كيلوگ Kellogg وَبريان Brand ـ في أعقاب خِفة حدة التوتر سنة 1926، وبعد انضمام ألمانيا إلى عصبة الأمم، على نبذ استخدام القوة لأغراض قومية، وَدَعتا الدول الأخرى لتوقيع الاتفاقية. وفي سنة 1928 وقعت 15 دولة منها بريطانيا وألمانيا على ميثاق كيلوگ ـ بريان. فشلت محاولات ضم هذا الاتفاق إلى ميثاق عصبة الأمم. وكانت هناك نقطة ضعف أخرى في ميثاق كيلوگ ـ بريان وهي أنه لم ينص على تعزيز أهدافه.

## خطة يونگ: 1929

كان من المفروض أن تتكفل خطة دوويس Dawes بحَلِّ مسألة التعويضات الألمانية، غير أن ذلك لم يحدث على الرغم من وعود ألمانيا بالالتزام بجدول الدفعات المعدَّل. تابع شتريسيمان Stresemann الضغط لإعادة التفاوض على التعويضات، فحصل مزيد من التوتر.

تمت الموافقة سنة 1929 على خطة يونگ Young التي رَتبتها الولايات المتحدة الأمريكية وليس عصبة الأمم، وقضت أن تمنح الولايات المتحدة الأمريكية ألمانيا مزيداً من القروض الأكبر حجماً وبتخفيض لابأس به في خطة دفع التعويضات حيث تمتد على السنوات الخمسين القادمة. قبلت ألمانيا بهذا، ووافق الحلفاء مقابل ذلك على إنهاء احتلالهم لمنطقة راينلاند قبل خمس سنوات من الموعد المحدد بموجب معاهدة فرساي.

كان وول ستريت Wall Street وما زال مكان سوق الأوراق المالية الأمريكية. ونظراً لتزايد المضاربات والرعب الذي تلاها تدهورت أسعار الأسهم إلى حد مريع في تشرين الأول/أكتوبر 1929. سبَّب انهيار وول ستريت Wall Street Crash كساداً شديداً في الولايات المتحدة وأدى إلى المطالبة بتسديد القروض التي تم منحها للدول الأخرى فيما سبق. وقد تأثرت ألمانيا بصورة شديدة.

وبعد انهيار وول ستريت Wall Street Crash في تشرين

الأول/أكتوبر 1929 وبدء الكساد الكبير Great Depression تجاهلت الحكومات الألمانية اللاحقة هذا الجدول المعدَّل للتعويضات.

## ما هي المشكلات التي بقيت عالقة؟

برغم أن الدپلوماسية المباشرة حققت نجاحاً أكبر من محاولات عصبة الأمم لحل النزاعات، إلا أن المشكلات الثلاث التالية برزت في العشرينيات:

- حل النزاعات المسلحة التي تشارك بها إحدى القوى العظمى على الأقل،
- محاولة إنجاز نزع الأسلحة،
- أمن الحدود بين ألمانيا والدول الخَلَف في وسط أوروپا وشرقها.

الكساد العظيم the Great Depression هو إشارة إلى المحنة الاقتصادية العالمية التي تميزت بالبطالة الكبيرة وهبوط أسعار العملات والتدهور الصناعي في الإنتاج والمتاجرة والفقر الذي ضرب البلدان الرأسمالية في الثلاثينيات في أعقاب انهيار وول ستريت سنة 1929. كانت روسيا الشيوعية تتمتع بنمو اقتصادي كبير (انظر الفصل السابع).

### النزاعات المسلحة

حصل سنة 1923 حادثا نزاع مسلح، أولهما يتعلق بفرنسا والثاني بإيطاليا، البلدين العضوين المهمين في عصبة الأمم ومؤتمر السفراء، وقد تم حل كلا الحادثين عن طريق الدپلوماسية المباشرة (وليس من قبل العصبة) وكشفا عن مشكلات العصبة الخطيرة وعدم أهميتها المتنامية التي أصبحت أكثر وضوحاً في أوروپا الثلاثينيات التي ضربها الكساد.

### غزو إقليم الرور

أدت الخلافات بين فرنسا وألمانيا على مسألة تعويضات الحرب إلى عقد ثلاثة وعشرين مؤتمر قمة بين ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وذلك بين كانون الثاني/يناير سنة 1920 وكانون الأول/ديسمبر سنة 1922. وفي آذار/مارس 1922 دَعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر دولي في جنوا Genoa في

محاولة لإيجاد حل لهذه المشكلات، فحضرته ألمانيا دونما دور لعصبة الأمم لأنها لم تكن عضواً فيها. حاولت بريطانيا إقناع فرنسا بتليين شروطها الخاصة بتعويضات الحرب، ولكن فرنسا لم تكن مستعدة إلا لتقديم تنازلات طفيفة وذلك مع اشتراط موافقة بريطانيا على أن يحتل الحلفاء أرضاً ألمانية لإرغام ألمانيا في حال الفشل على الخضوع. (في سنتي 1920 و1921 وافقت بريطانيا بتردّد على تأييد الاحتلال الفرنسي لبعض المدن في إقليم الرور Ruhr وهو أهم منطقة صناعية في ألمانيا.) كان هذا المؤتمر فاشلاً واستمرت المشكلات إلى أن غزت فرنسا وبلجيكا إقليم الرور في كانون الثاني/يناير سنة 1923 من أجل حجز التعويضات بصورة عينية.

كان الغزو الفرنسي يهدف إلى تشجيع إمكانية قيام حركة انفصالية في منطقة راينلاند وبالتالي إيجاد دولة مستقلة تماماً عن ألمانيا فيها، وفشِل هذا الهدف ولكن أعمال فرنسا سببت القلق لبريطانيا وأدت إلى توسيع الفجوة بين سياسات هذين البلدين.

**كيف أثر غزو إقليم الرور سنة 1923 على العلاقات بين بريطانيا وفرنسا؟**

ولد بينيتو موسوليني Benito Mussolini سنة 1883، وتخلى بسرعة عن أولى سياسته الاشتراكية خلال الحرب العالمية الأولى. إنتقل إلى الموقع اليميني شديد الوطنية الذي يعارض الاشتراكية والشيوعية معارضة شديدة. خلال فترة 1919 ـ 1921 شكَّل الحزب الفاشي Fascist وبعد أن أصبح رئيساً للوزراء سنة 1922 حوَّل إيطاليا إلى دكتاتورية. إنتهج سياسة خارجية عدوانية توسعية، غزا الحبشة سنة 1935 وألبانيا سنة 1939. وخلال الثلاثينيات تقرَّب كثيراً من ألمانيا النازية وأصبح حليفاً لها في نهاية المطاف. بعد أن غزا الحلفاء إيطاليا ألقي القبض عليه من قبل الأنصار الشيوعيين سنة 1945 وأعدم.

## حادثة كورفو: 1923

لم تكن عصبة الأمم ـ كما أسلفنا ـ قادرة على التصدي لهذا الأمر الذي اتفقت كل من بريطانيا وفرنسا على أن يُعالج من قبل مؤتمر السفراء كما أصر موسوليني Mussolini. ونتيجة لاختلاف مصالحهما استطاع موسوليني أن يمارس ضغطاً على المؤتمر لاستنباط حلٍّ يناسب رغباته.

## نزع الأسلحة

كان نزع الأسلحة أحد أهداف عصبة الأمم الرئيسية

وكان وثيق الصلة بالمشكلات التي نشأت عن إضفاء الصيغة التنفيذية على شروط معاهدات السلام. كان قلق فرنسا عند إجراء محادثات السلام سنة 1919 تجاه الهجمات الألمانية في المستقبل يجعلها تدفع نحو تحويل منطقة راينلاند Rhineland إلى دولة مستقلة، لكن بريطانيا والولايات المتحدة تغلبتا على ذلك من خلال تأييد نزع الأسلحة من هذه المنطقة وتقديم دعم عسكري مضمون تحت إشراف عصبة الأمم إذا تعرضت فرنسا لعدوان دون وازع. ولما كان الشك قد ساور بريطانيا من احتمال عدم تصديق معاهدة ڤرساي من قبل الولايات المتحدة فقد احتوت مسوَّدتها على بند للتملّص إذا حدث ذلك، وبالفعل فإن مجلس الشيوخ الأمريكي رفض التصديق ولذلك لم يكن الدعم العسكري مؤمَّناً إذا شن الألمان هجمات عسكرية في المستقبل، وبالتالي فإن فرنسا ترددت في دراسة أي نزع للأسلحة ذي شأن.

هناك محاولة فاشلة أخرى من أجل التصدي للمخاوف الأمنية بُذِلت في آذار/مارس 1925 عقِب فشل مشروع معاهدة المساعدة المتبادلة سنة 1924 وپروتوكول جنيڤ سنة 1925 حيث كانت المعاهدة والپروتوكول سيوفران للعصبة أداة عسكرية لفرض الالتزام بمعاهدات السلام، واللذين رأت فرنسا فيهما بديلين مقبولين عن التزام عسكري من بريطانيا. لم تنجح اللجنة التحضيرية لنزع الأسلحة التي شكلتها العصبة سنة 1926 في التوصل إلى جدول مُتَّفَق عليه للمناقشة إلا في سنة 1931.

قضت بريطانيا على هاتين المحاولتين اللتين صدرتا عن لجان عصبة الأمم لنزع الأسلحة لأن اهتمامها بإمبراطوريتها كان أعظم شأناً ولم ترَ أن ألمانيا تشكل تهديداً للسلم الأوروپي ولذلك كانت أكثر قلقاً من رفض فرنسا دراسة

ولد أوستن تشامبرلين Austen Chamberlain سنة 1863 وكان أخاً غير شقيق لنيڤيل تشامبرلين Neville Chamberlain. كان سياسياً محافظاً شغل كثيراً من المناصب الحكومية قبل أن يصبح

وزيراً للخارجية بالوكالة بين سنتي 1924 وَ 1929. كان أحد مهندسي معاهدة لوكارنو برغم معارضته لبروتوكول جنيف (1924). تسلَّم جائزة نوبل للسلام لقاء جهوده بالاشتراك مع الأمريكي تشارلز دوويس Charles Dawes، وبعدئذ عُيِّن وزيراً للبحرية سنة 1931.

موضوع نزع الأسلحة والمصالحة وتعديل المعاهدة بوجه عام. تقدم وزير الخارجية البريطانية أوستن تشامبرلين Austen Chamberlain باقتراح إلى مجلس وزرائه يعرض فيه التحالف العسكري على فرنسا، ولكن هذا الاقتراح رُفِض.

## اختلاف الأهداف البريطانية والفرنسية

مع مرور العشرينيات أصبح واضحاً أن لكل من بريطانيا وفرنسا أهدافاً وسياسات مختلفة. كانت بريطانيا مثل فرنسا تواجه منافسة اقتصادية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي تتعاظم قوتها، وكان عليها أن تتصدى للنزعة القومية المتنامية في إمبراطوريتها وبخاصة في المستعمرات الهامة كمصر والهند، وكانت بلدان الكومَنويلث في بدايات المطالبة بمزيد من الاستقلال. ولذلك أرادت بريطانيا استقراراً سياسياً واقتصادياً في أوروبا كي يتم تكريس مواردها المالية والاقتصادية لحماية إمبراطوريتها.

**لماذا كانت الأهداف الديلوماسية البريطانية والفرنسية مختلفة في العشرينيات؟**

اعتقدت الحكومات البريطانية المتعاقبة أن الطريقة المثلى لضمان القبول الألماني بشروط معاهدة ڤرساي الأساس هي الموافقة على تعديل شروطها الأقل أهمية، غير أن فرنسا رأت التغييرات، حتى في أقل حدودها، زيادة لقوة ألمانيا وذلك في غياب أي التزام عسكري بريطاني ـ أمريكي.

## جنوا وَ راپاللو: 1922

تم في آذار/مارس 1922 إحراز بعض النجاح بشأن نزع الأسلحة البحرية خارج أوروبا وذلك بموجب معاهدة واشنطن البحرية. وبين سنتي 1920 وَ 1925 رفضت فرنسا دراسة نزع الأسلحة إلا إذا تلقت دعماً عسكرياً مضموناً من بريطانيا بناء على وعد سابق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا سنة 1919. غير أن معاهدة ـ حازت مسوَّدتها على موافقة كل

من لويد جورج Lloyd George وبريان Briand في مدينة كان Cannes خلال كانون الثاني/يناير سنة 1922 ـ فشلت عندما رفضت بريطانيا تقديم التزامات واضحة قاطعة تجاه المساعدة العسكرية. وكما رأينا فإن مؤتمر جنوا Genoa لسنة 1922 انتهى إلى الفشل.

ما هي أهمية معاهدة راپاللو (1922) بين ألمانيا وروسيا؟

وفي نفس الوقت التقت ألمانيا مع روسيا ووقَّعتا معاهدة راپاللو Rapallo التي تضمنت ـ بالإضافة إلى إقامة علاقات ودّية بينهما ـ بنوداً سرية حول التعاون العسكري. ونتيجة لذلك تمكنت ألمانيا من امتلاك معظم الأسلحة التي كانت محظورة بموجب معاهدة ڤرساي. كذلك أبرم شتريسيمان Stresemann سنة 1926 مع روسيا السوڤييتية معاهدة برلين Berlin التي سمحت لألمانيا ـ مثل معاهدة راپاللو ـ بتطوير أسلحة محظورة وبإعادة التسلح. وقوَّض ذلك موضوع نزع الأسلحة بمجمله، وعصبة الأمم وشروط السلام أيضاً، وكانت إحدى النتائج التي ترتبت على هذه المعاهدة هي زيادة الهواجس البريطانية بشأن الاستقرار في أوروپا، وبذلك قويت رغبتها بتقديم تنازلات لألمانيا، مما جعل فرنسا أكثر تصميماً على الإبقاء على ضعف ألمانيا ورفض الدعوات إلى نزع الأسلحة.

بقيت فرنسا حتى بعد معاهدة لوكارنو Locarno سنة 1925 قلِقة على أمنها ولذلك عارضت أي نزع جدّي للأسلحة، وتضاعفت هذه المخاوف في فترة 1926 ـ 1929 وأثناء الكساد الاقتصادي عندما أشار رجال الدولة الألمان، ومنهم شتريسيمان، إلى رغبتهم بتعديل النواحي الأخرى في معاهدة ڤرساي.

تغيَّر تقييم المؤرخين لهواجس فرنسا الأمنية في

السنوات الأخيرة مع وجود الكثيرين الذين يرونها حيوية تماماً. لم تحظَ فرنسا بأية مساعدة حقيقية لاسترجاع أقاليمها التي مزقتها الحرب، وكذلك ضغطت عليها الولايات المتحدة الأمريكية بشدة أيضاً من أجل سداد ديونها الحربية في السنوات الأولى بعد الحرب عندما كان اقتصادها يعاني من الضعف. إضافة إلى أن فرنسا لم تحظ بمساعدة حقيقية من أجل تعويضات الحرب المستحقة لها، في حين كانت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ترفضان على الدوام اقتراحاتها المتكررة بطلب تعاون عسكري واقتصادي من أجل تقوية المعاهدات.

لم تحْظَ هواجس فرنسا المستمرة بشأن الأمن والتسويات السلمية باستجابة حقيقية في معاهدة لوكارنو سنة 1925 التي عالجت موضوع الحدود الغربية لألمانيا، ولم تكن ثمة معاهدة مشابهة حول حدودها مع الدول الخَلَف.

## الدول الخَلَف

أدى انهيار الإمبراطوريتين الهابسبيرگية Habsburg والعثمانية Ottoman في وسط أوروبا وشرقها إلى التفسخ والفوضى والفراغ السياسي في المنطقة إضافة إلى تأثيره المدمّر على التجارة. وقد ازدادت هذه الحالة تعقيداً بسبب التهديد السياسي الذي فرضه وجود روسيا الشيوعية. ومع إنكار القدرة العسكرية الحقيقية على عصبة الأمم ورفض بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية منح فرنسا الضمانات العسكرية التي شعرت أنها بحاجة إليها، التفتت الحكومات الفرنسية أكثر فأكثر إلى الدبلوماسية المباشرة والأحلاف العسكرية مع البلدان الواقعة على الحدود الألمانية الشرقية.

تدين تشيكوسلوڤاكيا وپولونيا بوجودهما على وجه

الخصوص لهزيمة ألمانيا وتفكك الإمبراطوريتين النمساوية ـ الهنگارية والروسية واحتوائهما على أقليات كبيرة من المواطنين الألمان والنمساويين السابقين. ولم تكن هاتان الدولتان تحبِّذان أية زيادة في قوة ألمانيا العسكرية فضلاً عن قوتها الاقتصادية، وكانتا مثل فرنسا لا تحبِّذان تعديل معاهدات السلام. شكلت تشيكوسلوڤاكيا ورومانيا ويوگوسلاڤيا منذ أوائل سنة 1921 «التفاهم المشترك الصغير» (وهذا كان أيضاً استجابة للعداوة المتزايدة من جانب هنگاريا).

التفاهم المشترك هي الكلمة الفرنسية التي تعني «تفاهماً» أو «اتفاقاً» وينطبق على الاتفاقات الدپلوماسية بين الدول.

**كيف كانت فرنسا تنظر إلى الدول الخَلَف التي تم إنشاؤها حديثاً في وسط أوروپا وشرقها؟**

كانت بريطانيا تحبِّذ ـ خلافاً لفرنسا ـ تعديلات في الشرق، وبخاصة أنها شعرت أن ألمانيا الأقوى ستكون أكثر قدرة على مقاومة انتشار الشيوعية والثورات من دول وسط أوروپا وشرقها الصغيرة المفككة الضعيفة. غير أن فرنسا أحسَّت ـ بعد أن خسرت روسيا كحليف ـ أن عزم الدول الخلَف على المحافظة على الحدود التي أقيمت في فترة سنتي 1919 ـ 1920 سيوفر نوعاً من الرقابة على ألمانيا. ونتيجة لذلك وقَّعت فرنسا على التوالي سلسلة من اتفاقيات المساعدة المتبادلة مع پولونيا سنة 1921، وتشيكوسلوڤاكيا سنة 1924، ورومانيا سنة 1926 ويوگوسلاڤيا سنة 1927.

## الخاتمة

يرى بعض المؤرخين أن اتفاقيات لوكارنو Locarno والدپلوماسية العامة في سنوات 1925 ـ 1929 فشلت في حل مصادر المرارة والتحاسد بين القوى الرئيسة، إذ لم توجد أية اتفاقية حتى بعد سنة 1925 تتعلق بقوة ألمانيا وموقعها والوضع الذي يجب أن يكون عليه دورها في أوروپا.

كان ذلك يعكس جزئياً صورة لحقيقة أن الدمار الذي

ألحقته الحرب العالمية الأولى باقتصاديات بريطانيا وعلى وجه الخصوص باقتصاديات فرنسا زاد عمّا لحق باقتصاديات ألمانيا التي لم تتعرض للغزو، (حيث وجب على بريطانيا أن تبيع حوالي 25٪ من استثماراتها الخارجية، أما هذا الرقم فوصل في فرنسا إلى 50٪). وبالتالي فقد حدثت رِدَّة جزئية إلى دبلوماسية ما قبل الحرب والتي هدفت إلى إيجاد توازن للقوى والمحافظة عليه. وحدث هذا حتى في منتدى عصبة الأمم حيث حاولت الدول منفردة أن تتابع مصالحها القومية وتدافع عنها. وبرغم أن دبلوماسية العشرينيات لم تفلح في التوصل إلى حلّ جميع مشكلات أوروبا ما بعد الحرب إلا أنها ساعدت على التخفيف من خطر نشوب الحرب، غير أن أثر الكساد الاقتصادي وظهور هتلر Hitler والنازيين دفع بأوروبا إلى التردي في حمأة الحرب العالمية الثانية.

## المصادر التاريخية

**1 ـ تعليق من المؤرخ البريطاني ج. جول سنة 1983**

بعثت اتفاقيات لوكارنو Locarno أملاً جديداً في احتمال قيام عصبة الأمم بالدور الذي توقعه لها وِلْسُن Wilson وأن يتم التوصل إلى نظام عالمي جديد في أوروبا، وذلك على الرغم من مرارة سنوات ما بعد الحرب. . . ولربما ظهرت بوارق أمل لمن يحاول النظر إلى المسرح الأوروبي بين سنتي 1925 و 1929 على صورته حينذاك بعيداً عن معرفة ما جرى بعد ذلك.

ب. وولش، تاريخ العالم الحديث، لندن 1996، ص 196.

## 2 ـ كتب گوستاف شتريسيمان، وزير الخارجية الألماني معلقاً على دوافعه في رسالة قُبَيْل مؤتمر لوكارنو في أيلول/ سپتمبر 1925

أرى أن أمام سياسة ألمانيا الخارجية في المستقبل القريب أهدافاً رئيسية ثلاثة: أولها إيجاد حل لمسألة الراين يكون في صالح ألمانيا والسلام الذي لن تتمكن بدونه من استعادة قوتها، وثانيها تأمين الحماية للألمان الذين يرزحون تحت نير الأجنبي والذين يتراوح عددهم بين عشرة إلى عشرين مليوناً، وثالثها تغيير حدودنا الشرقية حيث نسترجع دانزيگ والممر البولوني. أما في المستقبل الأبعد فالهدف هو توحيد النمسا وألمانيا من جديد.

ت. ماك أليڤي، تاريخ العالم الحديث، كامبرِدج، 1996، ص 41.

# 4 تدهور التعاون الدولي: 1929 ـ 1932

**أسئلة تركيزية**

- ◆ ما هي أهمية الكساد الاقتصادي في تدهور التعاون؟
- ◆ ما هو مدى نجاح عصبة الأمم في السنوات 1929 ـ 1932؟

**تواريخ هامة**

| | |
|---|---|
| 1929 | تشرين الأول/أكتوبر: وفاة شتريسيمان Stresemann، وانهيار وول ستريت Wall Street |
| 1931 | أيلول/سبتمبر: اليابان تغزو منشوريا |
| | كانون الأول/ديسمبر: لجنة ليتون Lytton، حلّ مؤتمر السفراء، بريطانيا تقطع الطريق على محاولة عصبة الأمم لحظر القصف بالقنابل |
| 1932 | الحرب بين بوليڤيا والپاراگواي |
| | شباط/فبراير: مؤتمر عصبة الأمم حول نزع الأسلحة |
| | تشرين الثاني/نوڤمبر: فوز روزڤلت Roosevelt في انتخابات الرئاسة الأمريكية، نزاع حدودي بين كولومبيا والپيرو |

**نظرة شاملة**

سرعان ما تحطمت آمال السلام في أوروبا ـ التي

تزايدت من خلال معاهدة كيلوگ ـ بريان Kellogg-Briand سنة 1928 وخطة يونگ Young سنة 1929 ـ بفعل تأثير الكساد الذي ابتدأ بانهيار الاقتصاد الأمريكي في تشرين الأول/أكتوبر 1929 وأثّر بسرعة على معظم البلدان ولكن بدرجات متفاوتة، حيث بدأت بلدان عديدة وبخاصته اليابان وإيطاليا باتباع سياسة خارجية عدوانية كطريقة لِحَل مشكلاتها الاقتصادية، أما البلدان الأخرى فقد مالت إلى تجاهل التطورات الخارجية في الوقت الذي كانت تركِّز فيه على معالجة أوضاعها الاقتصادية الداخلية، وتزايدت نتيجة لذلك عدم فعالية عصبة الأمم وأثبتت عدم قدرتها على ممارسة أي ضغط هادف على البلدان العدوانية.

## ما هي أهمية الكساد الاقتصادي في تدهور التعاون؟

نظام الحماية الصناعية هو الإجراءات التي تتخذها الحكومات لحماية مصنوعاتها ضد منافسة البضائع المستوردة من البلدان الأخرى. تفرض الرسوم الجمركية أو المكوس عادة لجعل البضائع الأجنبية أغلى ثمناً من المنتجات الوطنية. وعندما تتخذ البلدان الأخرى إجراءات مماثلة في هذا الصدد تتأثر الصادرات والتجارة العالمية.

لم يؤدِّ انهيار سوق الأوراق المالية الأمريكية، الذي ابتدأ بانهيار وول ستريت Wall Street في 24 تشرين الأول/أكتوبر 1929، إلى فوضى اقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية فحسب بل إلى بداية أزمة اقتصادية أثرت على العالم بأسره فيما أصبح بعدئذ يُعرَف باسم الكساد (العظيم) فكان تأثيره هائلاً على الدبلوماسية الدولية وكذلك على سياسات البلدان الداخلية، ومالِ كثير من الدول إلى تجاهل التطورات الدبلوماسية في محاولة تصديها لتأثيرات الكساد الاقتصادية، وسرعان ما تحوَّل عدد من الدول المتأثرة من التجارة الحرة إلى نظام الحماية وأصبحت الشؤون الخارجية تحتل المقام الثاني بعد السياسة الداخلية والهموم الاقتصادية على نحو متزايد.

وعلى الرغم من التوصل، مع نهاية العشرينيات على ما يبدو، إلى حلٍّ لمشكلات التجارة الدولية والعُملة التي نتجت

عن الحرب العالمية الأولى، إلا أن الضعف الذي يكمن تحتها بقي صامداً لأن معظم أنشطة العالم الاقتصادية أصبحت تعتمد اعتماداً خطيراً على اقتصاد الولايات المتحدة المهيمِن على العالم.

**ما هو مدى تأثير الكساد الكبير على الدبلوماسية الدولية في الثلاثينيات؟**



صورة التقت سنة 1930 للأطفال الألمان وهم يبحثون في القمامة عن الطعام خلال الأزمة الاقتصادية التي أحدثها انهيار وول ستريت سنة 1929.

وفي الولايات المتحدة انخفض الدخل القومي على الغالب بنسبة خمسين بالمئة تقريباً بين سنتي 1929 و 1932، وفي الوقت ذاته أصبحت السياسة الأمريكية (تجاه أوروبا على الأقل) تتميز بعدم اكتراث فاق ما كانت عليه قبل سنة 1929. أما في الأماكن الأخرى فإن الكساد كان أعظم أثراً ولا سيَّما في ألمانيا التي أعيد بناؤها في معظمه بفعل القروض الأمريكية التي تم ترتيبها وفق خطتي دوويس Dawes وَيونگ Young حيث تلقت ألمانيا بين سنتي 1924 و 1929 قروضاً بلغت تسعة آلاف مليون جنيه استرليني سددت منها خمسة آلاف مليون على شكل تعويضات حربية. وعندما انتهت القروض

تشير كلمة ميتلستاند Mittlestand إلى الطبقات الوسطى في ألمانيا التي تضم الطبقة الوسطى «القديمة» مثل صغار باعة التجزئة والحرفيين والفلاحين الذين يعملون لحسابهم والمتقاعدين، الخ...، والطبقة الوسطى «الجديدة» من أصحاب الياقة البيضاء والعمال غير اليدويين. وقد مال هؤلاء إلى مقارنة جمهورية ڤايمر Weimar على نحو سلبي مع العصر الإمبراطوري الألماني والتحقوا بالنازيين بعد انتهاء الكساد.

انهار الاقتصاد الألماني، إذ انخفض الإنتاج الصناعي الألماني بحلول سنة 1932 بنسبة 60٪ وارتفع عدد العاطلين عن العمل (الذي كان 1,4 مليون سنة 1928) إلى اثني عشر مليوناً (وبلغت نسبة البطالة 33٪). أما المزارعون الألمان فتعرضوا مثل نظرائهم الأمريكيين إلى ضربة شديدة بحلول سنة 1932 بانخفاض دخلهم بنسبة خمسين بالمئة. أثر الكساد بخاصة على الطبقات الوسطى الألمانية ـ ميتلستاند Mittlestand. أما من الناحية السياسية فإن أثر الكساد كان من العوامل الرئيسية التي ساهمت في ظهور النازيين، وكان لهم 12 مقعداً في الرايخستاگ سنة 1928 وارتفع إلى 107 مقاعد في أيلول/سپتمبر 1930 (مما جعلهم ثاني أكبر الأحزاب)، وبالرغم من أن زيادتهم ضُبطت قليلاً في انتخابات سنة 1932 إلا أنه تم تعيين هتلر مستشاراً في كانون الثاني/يناير 1933.

الرايخستاگ Reichstag هو البرلمان الألماني

حاول المستشار برونينگ Brüning سنة 1931 إبعاد الأنظار عن تأثير الكساد على الداخل من خلال التركيز على الشؤون الخارجية فطرح فكرة الاتحاد مع النمسا، ولكن محكمة العدل الدولية والفرنسيين وقفوا في وجه هذا الاتحاد، وبعد ذلك أوقف برونينگ سنة 1932 من جانب واحد تسديد جميع تعويضات الحرب. قبلت بريطانيا وفرنسا بهذا في مؤتمر لوزان Lausanne الدولي في وقت لاحق من سنة 1932 وذلك بالنظر لتأثيرات الكساد. وفي الحقيقة لم تسدد ألمانيا أية تعويضات بعد ذلك أبداً. (تم رفض الطلب الذي وجهته كل من بريطانيا وفرنسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بتخفيض ديونهما الحربية). وقامت حكومة ذات نزعة قومية أكبر برئاسة ڤون پاپن von Papen بزيادة المكوس على البضائع البريطانية بمقدار 300٪ وطلبت سنة 1932 إعادة مستعمرات المانيا السابقة وإقليم الزار Saar.

**ما هي مبادرات السياسة الخارجية التي حاول مستشارا ألمانيا (برونينگ Brüning وپاپن Papen) طرحها بين سنتي 1931 و 1932؟**

تعرضت بريطانيا أيضاً لضربة شديدة بسبب الكساد، إذ انخفض إنتاج الحديد والفولاذ بمقدار 50٪ (وهما مؤشران هامان على القوة الاقتصادية) وانخفضت قيمة الجنيه على نحو كبير أيضاً. فرَضت اتفاقيات أوتاوا Ottawa سنة 1932 نظام الحماية الصناعية في الكومَنويلث والإمبراطورية البريطانيين كما تصدت الحكومات البريطانية المتعاقبة لمعالجة الأزمة من خلال تخفيض الإنفاق الحكومي بما في ذلك الإنفاق على الدفاع. وفي سنة 1932 وضع نيڤيل تشامبرلين Neville Chamberlain بصفته وزيراً للخزانة أدنى تقديرات للتسلح خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1919 و1939. وعموماً كان اهتمام الحكومات البريطانية بعد سنة 1929 بحماية الامبراطورية البريطانية (إذ رأت أن النمو الياباني يمثل تهديداً خطيراً) أكثر من المخاطرة بالتورط في أي صراع ضمن أوروبا.

كذلك تأثرت فرنسا بشدة، رغم أن الشعور بآثار الكساد لم يظهر مبكراً مثلما كانت الحالة في بريطانيا لأن فرنسا كانت أقل اعتماداً على التجارة الدولية. وكانت الصورة في إيطاليا مماثلة.

هناك بلد آخر عانى كثيراً بسبب الكساد العالمي هو اليابان، وبرغم أن صناعتها كانت تخضع للتحديث والتوسيع إلا أنها لم تحقق الاكتفاء الذاتي في الفحم أو الحديد أو النفط أو المطاط. ولذلك قامت اليابان بالسعي على نحو متزايد ـ مثل الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية من قبلها ـ وراء إمبراطورية من أجل تزويد صناعاتها بالمواد الخام. وبحلول سنة 1931 أدى الكساد إلى إغلاق 50٪ من المصانع اليابانية وإصابة مزارعي الأرز اليابانيين بضربة شديدة. انحدرت كثيراً صادرات الحرير ـ وهو المنتج التصديري

الرئيسي ـ فتدنت أسعاره عن ثلث ما كانت عليه سنة 1925. وفي ظل موقع اليابان الجغرافي بدت آسيا المنطقة الطبيعية التي يمكن لليابان أن تتوسع فيها، إلا أن ذلك أوصل اليابان إلى احتمال الصراع مع الدول الأوروبية، ذلك أن لبريطانيا وفرنسا وهولندا مستعمرات آسيوية وأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تحاول توسيع نفوذها في المحيط الهادي.

كانت اليابان أثناء الحرب العالمية الأولى في صف الحلفاء ولكنها أصيبت بخيبة أمل في الغنائم بموجب تسويات 1919 ـ 1920 للسلام. وعندما بدأ الكساد وترسخ هبوط الأسعار أصيبت البضائع اليابانية بنكسة بسبب المكوس وتم حصر الهجرة اليابانية بسبب قوانين الهجرة العنصرية، حيث مُنِعت اليابان على نحو متزايد من الوصول إلى أسواق المواد الأولية وإلى مواردها بصورة كاملة، وهذه التطورات أدت بالقوميين اليابانيين إلى الضغط باتجاه الفتوحات والتوسع.

الزيباتسو zaibatsu هي الشركات الصناعية الكبيرة في اليابان في فترة مابين الحربين، وكان كثير منها على علاقات وثيقة مع ضباط الجيش الذين يرون الفتوحات العسكرية طريقاً لحل المشكلات التي تسبب بها الكساد.

كان الجيش الياباني (القوة الضاربة في اليابان بحلول أواخر العشرينيات) مرتبطاً بالشركات الصناعية الكبرى zaibatsu وكان الإثنان يضغطان نحو سياسة خارجية أكثر عدوانية. تزايدت سيطرة الجيش على حكومات اليابان المدنية أو تجاهُلُه لها وبخاصة بعد سنة 1930 عندما أدى انخفاض الصادرات الحاد الذي نتج عن الكساد إلى أزمة سياسية، أدت بدورها لقيام الزُّمَر العسكرية بممارسة مزيد من النفوذ. انهارت المحاولات السابقة من أجل الديمقراطية البرلمانية وقام المتطرفون القوميون باغتيال القادة السياسيين الأحرار.

**ما هي الأمور المحتملة للنزاعات القائمة بين اليابان وبلدان مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا قبل سنة 1931؟**

## ما هو مدى نجاح عصبة الأمم في السنوات 1929 ـ 1932؟

برغم استمرار عصبة الأمم بتحقيق نجاحات عارضة خلال هذه الفترة إلا أن تأثير الكساد على الدبلوماسية الدولية أدى إلى وضوح متزايد لضعف العصبة، ولم يكن نجاحها الرئيسي على نحو مميز في أوروبا بل في أمريكا اللاتينية حيث تمكنت سنة 1932 من الحيلولة دون تحول نزاع حدودي بين كولومبيا والپيرو Peru إلى حرب. غير أن سنوات 1929 ـ 1932 كانت على العموم فترة فشل إلى حد كبير.

### الأزمة المنشورية: 1931 ـ 1932

كانت منشوريا Manchuria من الناحية الفنية جزءاً من الصين التي لم يكن الوضع السياسي فيها مستقراً حيث اندلعت الحرب الأهلية بين الحزبين القومي الصيني Guomindang والشيوعي الصيني، مما أدى إلى الإضرار بالتجارة والمصالح الاقتصادية اليابانية في منشوريا التي سمحت لليابان بوضع قوة عسكرية صغيرة لحماية مصالحها، فكان أن سيطرت بحلول سنة 1927 على معظم مناجم منشوريا ومصانعها وموانئها، ونشرت للدفاع عنها جيشاً كبيراً في منطقة كوانتُنگ Kwantung في الجنوب. كانت منشوريا حينئذ تحت حكم أحد أمراء الحرب (الحكام العسكريين) الصينيين الضعفاء، ولكن اليابان خشيت من أن تقوم حكومة الصين الوطنية الجديدة التي أقامها تشان كاي تشيك Jiang Jieshi سنة 1928 ببسط سيطرتها على منشوريا.

في الثامن عشر من أيلول/سبتمبر سنة 1931 قام ضباط من جيش كوانتنگ Kwantung الياباني في منشوريا (المتحالف

الگوميندانگ Guomindang هو الحزب القومي الصيني الذي أسسه سُن ياتسن Sun Yatsen وأسقط آخر أباطرة مانشو Manchu من خلال ثورة 1911. أراد سُن أن يوحّد الصين تحت حكومة واحدة لاتكون تحت سيطرة واحد من أمراء الحرب ولا الحكم الأجنبي. وفي سنة 1922 التجأ إلى روسيا السوڤييتية بعد أن رفضت الدول الأوروبية الغربية تقديم المساعدة. كذلك عقد تحالفاً مع الحزب الشيوعي الصيني المؤسَّس حديثاً سنة 1921. عندما توفي سُن سنة 1925 كان على رأس الحزب تشان كاي تشيك Jiang Jieshi الذي أسرع به إلى اليمين وسرعان ما حصل نزاع مع الحزب الشيوعي الصيني.

مع الفعاليات الاقتصادية التي أرادت منذ فترة طويلة أن تسيطر على منشوريا) بتدبير حادثة مُكدن Mukden (شينيانگ Shenyang) لتبرير إرسال جيش احتلال ياباني، حيث ادعى الضباط اليابانيون أن الجنود الصينيين حاولوا نسف سكة حديدية تملكها اليابان بالقرب من مدينة مُكدن أو شينيانگ (والاسم الأخير هو الاسم الصيني الصحيح)، وذلك في الوقت الذي كان هذا الحادث من تدبيرهم بالذات.




محاكمة من قبل جنيف

**صورة ساخرة بريطانية حول غزو منشوريا تصوِّر اليابان كمجرم يتحدى قضاة عصبة الأمم وتقرير ليتون** Lytton

أسرة مَنشو Manchu هي آخر سلالة إمبراطورية حكمت الصين، حيث انقلبت عليها ثورة العاشر المضاعف التي بدأت في العاشر من تشرين الأول/أكتوبر سنة 1911. كان آخر الأباطرة بويي Puyi ولداً صغيراً ولذلك حكم عمه كوصي على العرش، ثم تنازل مع عمه عن العرش في شباط/فبراير 1912.

تشان كاي تشيك Jiang Jieshi المولود سنة 1887 كان من أوائل أعضاء حزب گومیندانگ Guomindang (القومي) وكان صهر سُن Sun. وبعد استيلائه على السلطة سنة 1925 عقب وفاة سُن بدأ مسيرة حملة الشمال سنة 1926 من أجل إعادة السيطرة المركزية على كل الصين. وبحلول سنة 1927 وبعد مناقشات مع شركات الأعمال الأجنبية انقلب على حلفائه الشيوعيين وابتدأت حرب أهلية بين القوميين والشيوعيين واستمرت سِجالاً حتى سنة 1949 حين ربح الشيوعيون الحرب في نهاية الأمر. وبعد ذلك هرب شان Jiang إلى تايوان Taiwan (فورموزا Formosa) حيث أقام بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية حكومة مناهضة للشيوعية. توفي سنة 1975.

وبالرغم من أن الحكومة المدنية في اليابان حاولت سحب الجيش إلا أنه رفض وتابع مسيرته الغازية، وفي نهاية المطاف تم سنة 1932 إطلاق اسم منزوگو Manzhouguo (منشوكو Manchukuo) على منشوريا وتنصيب بويي Puyi آخر أباطرة الصين من سلالة مَنشو Manchu على رأس حكومة صورية.

كانت كل من الصين واليابان عضواً في عصبة الأمم وكان من الواضح أن الغزو الياباني للصين شكّل خرقاً لنظام الأمن الجماعي في العصبة، وكان غزو منشوريا خرقاً لاتفاقية واشنطن البحرية المُبرمة سنة 1922 والتي وعدت اليابان فيها بعدم غزو الصين. وتقدم تشان كاي تشيك Jiang Jieshi بطلب لمجلس العصبة لإيقاف هذا العدوان الياباني.

لجنة ليتون Lytton كانت لجنة تقصي الحقائق التي أرسلتها عصبة الأمم في كانون الأول/ ديسمبر 1931 لتقصي الحقائق عن الغزو الياباني لمنشوريا، وكان يرأسها اللورد البريطاني ليتون.

**ما هو الإجراء الذي اتخذته العصبة تجاه غزو اليابان لمنشوريا؟**

شكّلت العصبة لجنة ليتون Lytton (بناء على اقتراح اليابان) لبحث الوضع وجمع الحقائق، ولم تتقدم هذه اللجنة بتقريرها إلا في تشرين الأول/ أكتوبر سنة 1932 بعد مضي سنة من إحكام اليابان سيطرتها الكاملة على منشوريا، فوجّه التقرير اللوم إلى كل من الصين واليابان ولم يوصِ بعقوبات اقتصادية أو عسكرية، ووافق على أحقية المطالب اليابانية وأشار في نفس الوقت إلى أن اليابان ارتكبت خطأً باستخدام القوة وأن عليها أن تسحب قواتها. ونتيجة لذلك غادرت اليابان سنة 1933 عصبة الأمم. لقد كشفت الأزمة المنشورية بوضوح عن مدى عدم فعالية الأمن الجماعي.

## أسباب عدم فعالية عصبة الأمم

روسيا الشيوعية تشير إلى البلاد بين سنتي 1917 و 1924 وأصبحت بعد ذلك تعرف باسم الاتحاد السوڤييتي Soviet Union أو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية USSR

يرى بعض المتأخرين من المؤرخين أن السبب في عدم قدرة العصبة على حل الأزمة المنشورية يعود إلى توقيتها، فقد وقعت بين سنتي 1931 و 1932 حين كان الكساد في ذروته، وكانت الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية حينئذ أكثر اهتماماً بالمشكلات التي خلفها الكساد. ولربما كانت فعالية العصبة أكبر لو أن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوڤييتي كانتا عضوين، وبخاصة أن لكل منهما مصالح في آسيا. (من المهم أن نلاحظ أن عضوية ألمانيا في العصبة ـ لو كانت قائمة ـ تميل إلى تعقيد عملية صنع القرار من قبل

العصبة لا لشيء إلا لأن دولة أخرى لها علاقة بهذه العملية أيضاً.) كانت الولايات المتحدة الأمريكية ـ التي ترتبط مع اليابان بعلاقات تجارية هامة ـ تحت حكم هوڤر Hoover والجمهوريين الذين كانوا مترددين في التورط بالصراع بين الصين واليابان (بالرغم من خلافاتهم المتنامية مع اليابان) ورفضوا دراسة فكرة العقوبات الاقتصادية (برغم أنهم لم يصرِّحوا أن الولايات المتحدة لن تقبل بأية تغييرات على الأرض تتمخَّض عن العدوان العسكري). ونتيجة لذلك، ولاسيَّما في ظل تأثيرات الكساد واسعة الانتشار، كان معظم أعضاء العصبة يخشون من أن يؤدي فرض حظر تجاري على اليابان إلى خسارة تلك التجارة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

هربيرت هوڤر Herbert Hoover الذي ولد سنة 1874 كان من الجمهوريين وبدأ حياته العملية مهندسَ مناجم وأنهاها رجلَ أعمال يمتلك ملايين الملايين وقادراً على أن يتقاعد في سن الأربعين. كان رئيساً للجمهورية بين سنتي 1929 و 1933 وكان في السلطة عندما وقع الكساد وانهارت سوق الأوراق المالية . أما في الشؤون الخارجية فإن هوڤر (مثل كثيرين من الجمهوريين) كان يميل إلى سياسة عدم الاكتراث ولم يُشرِك الولايات المتحدة الأمريكية في كثير من المؤتمرات الاقتصادية ومؤتمرات نزع الأسلحة، وذلك على الرغم من أن هذا ينطبق على السياسة الأوروپية أكثر مما ينطبق على التطورات الحاصلة في أمريكا اللاتينية والوسطى أو المحيط الهادي.

كان عدوان اليابان في نظر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية USSR تهديداً لأراضيه الواقعة في آسيا وكان يرغب في العمل ضد اليابان برغم أنه كان يعاني من التحول إلى العمل الجماعي الزراعي المفروض من قبل ستالين Stalin (انظر الفصل السابع)، إلا أنه لا توجد دولة أوروپية غربية مستعدة للتعاون مع النظام الشيوعي بأي عمل عسكري والاتحاد السوڤييتي غير مستعد للمخاطرة بأي تدخل من جانب واحد.

أما أعضاء عصبة الأمم المهمّين فقد كانت بينهم انقسامات واضحة، إذ لم تعترض إيطاليا ولا ألمانيا في واقع الحال على الغزو الياباني، وكان موسوليني Mussolini في الحقيقة متشجعاً جداً بسبب غياب عمل فعال من جانب العصبة أثناء الأزمة المنشورية لدرجة بدأ معها منذ سنة 1932 بالتخطيط التفصيلي لفتح الحبشة . أما ألمانيا فكانت تنتظر لترى ما ستفعله العصبة ردّاً على استخدام اليابان للقوة، وذلك

على الرغم من الاستثمارات الهامة في الصين .

بقيت بريطانيا وفرنسا منقسمتين، فبريطانيا لا تريد المخاطرة بنزاع بحري لأن اليابان تتمتع بالتفوق في الشرق الأقصى ـ بموجب معاهدة واشنطن البحرية ـ والمستشارون العسكريون أبلغوا الحكومة البريطانية أن مثل هذا النزاع قد يكون خاسراً ويعرض للخطر مناطق إمبراطورية هامة كالهند وسنگافورة وهونگ كونگ. كذلك فإن لبريطانيا روابط تجارية هامة مع اليابان وتخشى من خسارتها لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بالرغم من القلق من خطط اليابان طويلة الأجل. إلا أن الحكومة بزعامة ماكدونالد MacDonald حظّرت بيع الأسلحة لكلا الجانبين ولكنها تخلت عن ذلك عندما اتضح أن المقاطعة كانت أشد ضرراً للصين من اليابان.

يشير اسم الهند الصينية Indochina إلى المستعمرات الفرنسية ـ ڤييتنام Vietnam وَلاوُس Laos وَكَمبوديا Cambodia التي تم ضمُّها في اتحاد بين سنتي 1887 و 1893. أما البلدان الأخرى في هذه المنطقة من جنوب شرق آسيا فتشمل بورما Burma وتايلاند Thailand.

لم تحظَ الأعمال اليابانية بموافقة فرنسا التي كان لها مستعمراتها الخاصة في الهند الصينية Indochina (حيث بدأ هو شي مينه Ho Chi Minh عصياناً مسلحاً شيوعياً وطنياً في سبيل الإستقلال، انظر الفصل 18)، ولم تكن فرنسا في هذه المرحلة تعطي التهديد الألماني مزيداً من الاهتمام (ففي سنة 1930 بدأ الفرنسيون بناء تحصينات عرفت باسم خط ماجينو Maginot Line) ولذلك أرادت أن تتجنب أي نزاع مع اليابان. وبالرغم من أن فرنسا كانت تدين العدوان الياباني على رؤوس الأشهاد إلا أنها أرسلت رسالة سرية إلى اليابان تتعاطف فيها مع «الصعوبات» التي تمر بها.

خط ماجينو Maginot Line هو سلسلة من التحصينات التي بُنِيَت على طول الحدود الشمالية الغربية مع ألمانيا بين سنتي 1929 و 1931، ولكنه لايشمل حدود فرنسا مع بلجيكا التي دخلت منها قوات الغزو الألمانية بعد ذلك في سنة 1940.

ومع أن الأزمة الخاصة بمنشوريا أدَّت إلى استمرار حالة عدم الاستقرار في مناطق من آسيا والمحيط الهادي، إلا أن بعض المؤرخين اليوم يعتبرون أن ذلك لا يشكِّل بالضرورة أهمية للتطورات اللاحقة في أوروپا.

## مؤتمر نزع الأسلحة العالمي سنة 1932

هذا المؤتمر، الذي نظمته عصبة الأمم وحضرته 61 دولة وخمس دول من غير الأعضاء منها الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، هو محاولة للاتفاق على الحدّ من أسلحة القوات البرية والبحرية والجوية. حاولت فرنسا طرح فكرة أن يكون للعصبة جيشها الخاص ولكنها لم تفلح، وحصل اقتراح بريطاني بتحديد الأسلحة الهجومية كالدبابات والقنابل والغواصات والأسلحة الكيميائية على أغلبية قدرها 41 صوتاً ولكن ألمانيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية رفضا حظْر تلك الأسلحة.

كيف سمحت معاهدتا راپاللو وَبرلين لألمانيا أن تتفادى الحظر العسكري الذي فرضته معاهدة ڤرساي؟

إلا أن الأمر الهام الفوري هو إصرار ألمانيا على أن يُنزَع سلاح الدول كافة بحيث يصل إلى المستوى المفروض على ألمانيا بموجب معاهدة ڤرساي أو أن يُسمح لألمانيا بإعادة التسلح ليرتفع وصولاً إلى مستويات الدول الرئيسية الأخرى. لم تلتزم ألمانيا بقيود معاهدة ڤرساي لنزع الأسلحة وباشرت بإعادة التسلح الجزئي من خلال معاهدات راپاللو Rapallo وبرلين Berlin مع روسيا السوڤييتية. وخرج الوفد الألماني من المؤتمر قائلاً إنه لن يعود حتى يُمنَح «مساواة في المعاملة».

ماذا كان يقصد الوفد الألماني إلى مؤتمر نزع الأسلحة العالمي بعبارة «مساواة في المعاملة»

## حرب شاكو بين سنتي 1932 و 1935

لم تتمكن عصبة الأمم أيضاً من منع أو حل التوترات الحدودية التي طال أمدها بين بوليڤيا والپاراگواي حول منطقة شاكو Chaco الحدودية إذ نشبت حرب واسعة النطاق سنة 1932 وامتدت حتى سنة 1935 حين عجز كل من الجانبين عن متابعتها. إن فشل عصبة الأمم في التعامل مع هذا الأمر الذي يخص دولتين صغيرتين زاد في تنامي عدم فعاليتها.

كيف كشفت حرب شاكو Chaco بين بوليڤيا والپاراگواي عن خطورة نقاط ضعف عصبة الأمم في منتصف الثلاثينيات؟

**1 ـ نص مقتبَس من مقالة في صحيفة مانشيستر گارديان في كانون الأول/ ديسمبر سنة 1931 تناقش فشل عصبة الأمم في التعامل مع غزو اليابان لمنشوريا**

يمكن بوضوح أن يمر تجاهل ميثاق عصبة الأمم دون عقوبة، إذ تجاهلته اليابان من خلال غزوها لمنشوريا، وتجاهلته الدول الأعضاء في مجلس العصبة من خلال رفض الإصرار على سحب الجنود اليابانيين. لقد أخفق الميثاق في إنقاذ الصين من العدوان كما أُخفقت على نحو كامل معاهدة موقَّعة ومصادق عليها في إنقاذ بلجيكا من العدوان الألماني سنة 1914. وكم هو كبير عارٍ على الدول العظمى ـ على الرغم من إيماءاتها ـ ألا تتقدم حتى باحتجاج ضد هذا الأمر، ناهيك عن مقاومته.

ت. ماك أليڤي، تاريخ العالم الحديث، كامبرِدج 1996، ص 53.

**2 ـ ڤون پاپن في حديث له عن تأثير انهيار وول ستريت على ألمانيا:**

المشكلة الألمانية هي المشكلة المركزية لجميع مصاعب العالم. . . البطالة ـ وهي المشكلة الأكثر انتشاراً في ألمانيا منها في أي قطر آخر، وتطال 20 إلى 25٪ من عدد السكان ـ هي عبء على صناديق الأموال العامة.

الأمر المُهلِك هو أن عدداً متنامياً من الشباب لايمتلك إمكانية إيجاد عمل وكسب قوته. اليأس والتطرف السياسي للشباب هما النتيجة الطبيعية لما آلت إليه الأمور.

س. پولارد وَ سي . هولمز، وثائق التاريخ الأوروبي: نهاية أوروپا القديمة، المجلد الثالث، لندن 1973، ص 329 ـ 331

# 5 الطريق إلى الحرب: 1933 ـ 1939

**أسئلة تركيزية**

- ما هو مدى تأثير عصبة الأمم في سنوات 1933 ـ 1937؟
- ما هي سياسة الاسترضاء المتَّبَعة؟
- هل كان هتلر يخطط للحرب العالمية الثانية؟

**تواريخ هامة**

1933 كانون الثاني/ يناير: هتلر يصبح مستشاراً لألمانيا

شباط/ فبراير: خروج اليابان من عصبة الأمم

تشرين الأول/ أكتوبر: أمريكا تعترف دبلوماسياً باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، خروج ألمانيا من مؤتمر نزع الأسلحة العالمي وعصبة الأمم

تشرين الثاني/ نوفمبر: ألمانيا تباشر بعملية إعادة التسلح

1934 كانون الثاني/ يناير: مؤتمر نزع الأسلحة ينتهي بالفشل، ألمانيا وبولونيا توقعان معاهدة عدم اعتداء

تموز/ يوليو: هتلر يحاول إقامة اتحاد مع النمسا

أيلول/ سبتمبر: اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ينضم إلى عصبة الأمم

1935 آذار/ مارس: إقليم الزارلاند Saarland يصوِّت على العودة إلى ألمانيا، هتلر يعيد تفعيل التجنيد الإجباري

نيسان/ ابريل: جبهة استريسا Stresa بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا

حزيران/ يونيو: معاهدة بريطانية ـ ألمانية بحرية

تشرين الأول/ أكتوبر: إيطاليا تغزو الحبشة

كانون الأول/ ديسمبر: ميثاق هور ـ لاڤال

1936 آذار/ مارس: هتلر Hitler يأمر بإعادة احتلال راينلاند Rhineland

آب/ أغسطس: هتلر وموسوليني Mussolini يدعمان فرانكو Franco عند بداية الحرب الأهلية الإسپانية، خطة هتلر لحرب السنوات الأربع

تشرين الأول/ أكتوبر: محور روما ـ برلين

تشرين الثاني/ نوڤمبر: ميثاق مقاومة الحزب الشيوعي الدولي Comintern بين ألمانيا واليابان

1937 أيار/ مايو: نيڤيل تشامبرلين Neville Chamberlain يصبح رئيس وزراء بريطانيا

تموز/ يوليو: اليابان تهاجم الصين

تشرين الأول/ أكتوبر: إيطاليا توقع على ميثاق مقاومة الحزب الشيوعي الدولي Comintern (محور روما ـ برلين ـ طوكيو)

تشرين الثاني/ نوڤمبر: مذكرة هوسباخ Hossbach

كانون الأول/ ديسمبر: خروج إيطاليا من عصبة الأمم

1938 آذار/ مارس: الاتحاد بين ألمانيا والنمسا

أيلول/ سپتمبر: أزمة زوديتن Sudeten ومؤتمر ميونيخ Munich

1939 آذار/ مارس: هتلر يغزو بقية تشيكوسلوڤاكيا، ليتوانيا تعطي ألمانيا إقليم ميميل Memel، بريطانيا وفرنسا ترفضان عرض الاتحاد السوڤييتي لمعاهدة مقاومة النازية

أيار/ مايو: ميثاق الفولاذ Steel بين ألمانيا وإيطاليا، رفض عرض ثانٍ من الاتحاد السوڤييتي لميثاق مقاومة النازية

آب/ أغسطس: ميثاق عدم اعتداء نازي ـ سوڤييتي (مولوتوف ـ ريبينتروپ Molotov-Ribbentrop).

أيلول/ سپتمبر: غزو پولونيا

## نظرة شاملة

تبين أن عصبة الأمم أصبحت على نحو متزايد لا حول لها ولا شأن وذلك من خلال سلسلة من الأزمات التي وقعت اعتباراً من سنة 1934 وما بعده، ولاسيَّما غزو الحبشة Abyssinia، وَالحرب الأهلية الإسپانية، وانتهاكات معاهدة ڤرساي المتعدِّدة من قِبَل هتلر Hitler. وفي نفس الوقت كانت الدول الأوروپية الرئيسة (بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوڤييتي) تتبع سياسات خارجية متباينة الأهداف على نحو كبير، إضافة إلى اتباع بريطانيا لسياسة الاسترضاء. لكن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية كانت مختلفة، فبعض اعتداءات دول المحور تُدان وبعض المظالم الألمانية المشروعة يُعترَف بها أيضاً، غير أن هدف هذه السياسة الرئيسي هو اجتناب التورّط في أية حرب أوروپية جديدة، وفي هذا السبيل تم في الثلاثينيات إقرار كثير من قوانين الحياد. خلال سبع سنوات من تعيين هتلر مستشاراً في كانون الثاني/ يناير 1933 تورَّطت

ولِد أدولف هتلر Adolf Hitler سنة 1889 في النمسا وبعد الحرب العالمية الأولى تسلَّم حزب العمال الألماني German Workers Party الصغير في ميونيخ Munch وجعله حزب العمال الألماني القومي الاشتراكي (نازداپ NASDAP أو اختصاراً الحزب النازي). فشلت محاولة الاستيلاء على السلطة سنة 1923 (بير ـ هول بوتش the Beer-Hall Putsch) وتم سجنه لفترة قصيرة. وأثناء وجوده في السجن وضع منطلقاته العنصرية والقومية المتطرفة بكتاب كفاحي Mein Kampf وعندما أطلق سراحه سنة 1924 قرر استخدام الطرق الپرلمانية للوصول إلى السلطة. أبلى النازيون بلاء سيئاً في الانتخابات، ولكنهم سرعان ما أصبحوا بعد أن ضرب الكساد ألمانيا أكبر حزب منفرد في الرايخستاگ Reichstag (الپرلمان) الألماني. وبعد أن استدعي ليكون مستشاراً في كانون الثاني/يناير 1933 قام بالقضاء على ديمقراطية ألمانيا القايمرية Weimer خلال

أوروبا والعالم بحرب كبيرة أخرى، فمنذ سنة 1938 ـ حينما أخفق القرار الخاص بالأزمة التشيكوسلوفاكية في تلبية متطلبات هتلر المتنامية ـ أصبح من الواضح أن الأزمة الثانية ستكون حول پولونيا، وكان أن غزت ألمانيا پولونيا في أيلول/سپتمبر 1939 وبذلك بدأت الحرب العالمية الثانية (برغم أن هذه الحرب لم تصبح من الناحية التقنية عالمية أو شاملة العالم إلا في النصف الثاني من سنة 1941 حين غزت ألمانيا الاتحاد السوڤييتي وهاجمت اليابان قاعدة پيرل هاربَر Pearl Harbour البحرية الأمريكية).

سنة ونيِّف وأنشأ الرايخ Reich الثالث (وهي دكتاتورية نازية مقرر لها أن تستمر ألف سنة). أطلق العنان لبرامج معادية للسامية ضد اليهود في ألمانيا (وبعدئذ في البلدان التي تم احتلالها) وذلك بالإضافة إلى إطلاق برامج إعادة التسلح والتجنيد الإجباري واتباع سياسة خارجية عدوانية.

## ما هو مدى تأثير عصبة الأمم في سنوات 1933 ـ 1937؟

### أهمية هتلر

مما لاشك فيه أن ظهور هتلر والنازيين أثّر كثيراً على الشؤون الدولية خلال هذه الفترة. كان هتلر مهتماً حتى سنة 1934 بترسيخ الهيمنة الداخلية، وبدأ بسرعة في أعقاب ذلك باتباع سياسة خارجية أكثر عدوانية، مما أدى من حيث المبدأ إلى إخراج ألمانيا من دائرة مؤتمر نزع الأسلحة وعصبة الأمم. كانت سياساته في البداية حذِرة بالضرورة ولم تكن أهدافه أوسع مما كان يصرح بها السابقون من رجال الدولة الألمان بمن فيهم گوستاڤ شتريسيمان Gustav Stresemann.

في مؤتمر نزع الأسلحة الذي انعقد في تشرين الأول/ أكتوبر 1933 شدَّد هتلر على رغبة ألمانيا بالسلام واقترح أن تنزع جميع الدول أسلحتها وصولاً إلى المستوى الألماني أو يُسمح لألمانيا بالتسلح وصولاً إلى مستوى الدول الأخرى. حثَّ رئيس وزراء بريطانيا ماكدونالد MacDonald فرنسا على الموافقة، ولكن الفرنسيين أصرّوا على وجوب أن يضمن الألمان احترام الحدود التي اشترطتها معاهدة ڤرساي لمدة

الاسترضاء إشارة إلى سياسة تشامبرلين Chamberlain في تجنب الحرب من خلال التفاوض على تعديلات لمعاهدة ڤرساي وفق الرغبات الألمانية. وقد استمر هذا المنهج حتى بعد عدة أعمال عدوانية ألمانية.

كانت ألمانيا وحلفاؤها في الحرب العالمية الثانية يُعرَفون باسم دول المحور Axis Powers.

أربع سنوات أخرى قادمة، لكن هتلر اشتكى من أن معاملة ألمانيا لم تكن على قدم المساواة وانسحب من المؤتمر وبعد ذلك من عصبة الأمم.




صورة ساخرة بريطانية تعلق على مؤتمر نزع الأسلحة الدولي الذي انتهى بالفشل سنة 1934

**لماذا وقَّع هتلر معاهدة عدم اعتداء مع پولونيا سنة 1934؟**

وقَّع هتلر Hitler سنة 1934 معاهدة عدم اعتداء مع پولونيا مَنعت مزيداً من الروابط الپولونية الأمْتن مع فرنسا ووضعت پولونيا تحت مزيد من التأثير الألماني بالإضافة إلى أنها خفَّفت من القلق الأوروپي تجاه نوايا ألمانيا. رحبت بريطانيا بهذه التطورات ولكن فرنسا بقيت على شكوكها وشعرت أن عليها ضمان أمنها بمعزل عن بريطانيا.

وبالرغم من أن خروج ألمانيا من عصبة الأمم شكَّل نكسة للعصبة وللعلاقات الدولية عامة، إلا أن عضواً جديداً هو الاتحاد السوڤييتي Soviet Union انضم إليها سنة 1934، وهو الذي بدأ يخاف من نوايا ألمانيا النازية بعد أن تزايد

ليلة السكاكين الطويلة Night of the Long Knives حدثت ليلة 29/ 30 حزيران/يونيو 1934 عندما أمر هتلر جهاز الشرطة العسكرية السرية بالقبض على قادة الشرطة السرية المدنية الرئيسين وإعدامهم. لقد أرادوا أن تصبح الشرطة السرية المدنية جيش ألمانيا الجديد وكذلك أن تبدأ الحكومة النازية «ثورة ثانية» ضد شركات الأعمال الكبيرة. وبعد هذه الحادثة وموت الرئيس هيندنبيرگ Hindenburg

وافق الجيش على أن يؤدي قسَم الولاء لهتلر الذي وعد مقابل ذلك بقوة عسكرية كبيرة من خلال إعادة التسلح والتجنيد الإجباري.

انزعاجه من صعود هتلر إلى السلطة.

كان أول عمل عدواني لسياسة هتلر الخارجية هو محاولة تحقيق اتحاد مع النمسا سنة 1934 من خلال تقديم الدعم لمحاولة انقلابية قام بها النازيون النمساويون، إلا أنها أُحبِطت، ليس من قبل العصبة، بل من قبل إيطاليا بدعم من بريطانيا وفرنسا. تنازل هتلر عن هذا الأمر لأن الجيش الألماني في هذه المرحلة لم يكن مستعداً لنزاع عسكري جدّي. وبعد ليلة السكاكين الطويلة Night of the Long Knives في حزيران/ يونيو 1934 التي ضمِنت القوة النازية داخل ألمانيا، تزايد تركيز هتلر على السياسة الخارجية. في كانون الثاني/يناير 1935 صوَّتت منطقة الزار Saar الهامة للعودة إلى ألمانيا، وفي آذار/ مارس أعلن هتلر أن ألمانيا لم تعد ملتزمة بالشروط العسكرية لمعاهدة ڤرساي وبدأ بعملية إعادة التسلح، وشمل ذلك التوسع في البحرية وإعادة فرض التجنيد الإجباري. كان الجيش الألماني، الذي بلغ عدد أفراده 000، 400 جندي، قوياً ومتجاوزاً للحد المفروض في معاهدة ڤرساي والبالغ 000، 100 جندي، وهنا أعلن هتلر أنه ينوي زيادة عدده إلى 000، 550 جندي.

**ما هو تأثير ليلة السكاكين الطويلة التي حدثت في حزيران/يونيو 1934على مسيرة السياسة النازية الخارجية المقبلة؟**

شكَّلت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا بعدئذ جبهة استريسا Stresa Front في نيسان/ اپريل 1935 بقصد معارضة مزيد من الأعمال الألمانية التي قد تعرِّض الاستقلال النمساوي أو السلام عامة للخطر. ومن المهم أن هذا التشكيل قد تم بمعزل عن عصبة الأمم التي لم تتخذ أي عمل ضد انتهاكات ألمانيا الواضحة لمعاهدات السلام.

اتخذ هتلر خطوات لإضعاف جبهة استريسا، وألقى خطباً تبيِّن كيف أن ألمانيا كانت تريد السلام في وقت واحد

مع إعادة التسلح، وزاد ذلك من اتساع الهوَّة بين السياسات البريطانية والفرنسية، حيث أحدثت هذه التصريحات وقعاً في نفس بريطانيا في حين بقيت فرنسا غير مقتنعة بها. ونتيجة لذلك تفاوضت فرنسا مع الاتحاد السوڤييتي على ميثاق مساعدة متبادلة يتضمن وعداً مشتركاً بحماية تشيكوسلوڤاكيا من الغزو الألماني.

**لماذا وقعت بريطانيا الاتفاقية البحرية البريطانية ـ الألمانية سنة 1935؟**

لم توافق بريطانيا على هذه الروابط مع روسيا السوڤييتية وقامت في حزيران/يونيو 1935 بتوقيع المعاهدة البحرية البريطانية ـ الألمانية في محاولة للحدّ من التوسع البحري الذي خطط له هتلر، وتمت الموافقة على إمكانية أن تتوسع البحرية الألمانية إلى نسبة 35 ٪ من حجم البحرية البريطانية وأن تمتلك غواصات. أثار هذا الاعتراف بحق ألمانيا في تجاهل معاهدة ڤرساي غضب كلٍ من فرنسا وإيطاليا وبذلك أضعف جبهة استريسا التي تشكلت حديثاً.

**ما هو تأثير هذه المعاهدة على جبهة استريسا؟**

## غزو الحبشة

في تشرين الأول/أكتوبر 1935 ومع الضعف الذي لحِق بالسياسة الخارجية الحليفة بفعل المعاهدة البحرية البريطانية ـ الألمانية، غزت إيطاليا الحبشة Abyssinia (التي تعرف اليوم باسم إثيوپيا Ethiopia)، وكان ذلك أول عمل عدواني خطير تقوم به دولة أوروپية رئيسية منذ سنة 1920.

فرضت عصبة الأمم عقوبات اقتصادية على إيطاليا، ولكن النفط لم يندرج ضمن البضائع المحظورة، مما سمح باستمرار مروره إلى القوات الإيطالية الغازية عبر قناة السويس التي تمتلكها كل من بريطانيا وفرنسا وبذلك تمكنت إيطاليا من متابعة غزوها. إضافة إلى ذلك استمر عدد من الدول غير الأعضاء في العصبة بالمتاجرة مع إيطاليا. تردَّدت فرنسا بخاصة

في إثارة جدل مع موسوليني Mussolini لرغبتها بالمحافظة على جبهة استريسا من أجل مقاومة التهديدات الألمانية للنمسا في المستقبل. هذا العمل أظهر مرة أخرى ضعف العصبة وجعلها لا علاقة لها في حل الأزمات الخطيرة.

## ميثاق هور ـ لاڤال

ما هي أهمية معاهدة هور ـ لاڤال في أزمة الحبشة؟

ظهرت نتيجة التردد الفرنسي في اتخاذ عمل جدّي ضد إيطاليا في ميثاق هور ـ لاڤال Hoare - Laval Pact السري الذي منح إيطاليا كل الحبشة، غير أن مضمونه تسرَّب إلى الصحافة فثارت ضجة هائلة أجبَرت هور Hoare على الاستقالة وأدت إلى التخلي عنه. وبدلاً من ذلك بدأت عصبة الأمم بدعم من بريطانيا وفرنسا باتخاذ سلوك صارم تجاه إيطاليا حيث قررت في آذار/مارس 1936 حظر بيع النفط إليها، ولكنه لم يطبَّق على نحو كامل إلا في أيار/مايو 1936 حين كان الفتح الإيطالي قد اكتمل. غير أن ردة الفعل البريطانية والفرنسية نجحت في تهميش موسوليني Mussolini (وبذلك تم القضاء على جبهة استريسا) وفي إضعاف الثقة بعصبة الأمم التي أنهت العقوبات ضد إيطاليا في تموز/يوليو، برغم أنه كان من المفروض أن تتخذ عملاً لمنع نجاح مثل هذا العدوان.

## السياسة الخارجية الإيطالية

كانت هواجس موسوليني في أوروپا تدور حول طموحات هتلر في شرق أوروپا والنتائج المُحتملة على الحدود النمساوية ـ الإيطالية، ولذلك أرسلت إيطاليا جنودها إلى الحدود النمساوية عندما هدّد هتلر بالاستيلاء على النمسا سنة 1934.

وعلى الرغم من تحالف بريطانيا وفرنسا في الثلاثينيات،

فإن عجز كل منهما عن الموافقة على غزو موسوليني للحبشة أدى به إلى الابتعاد عن الحلفاء والتقرب من هتلر، فكان أن أبلغ هتلر في أوائل كانون الثاني/يناير 1936 أنه لم يعد يعارض إخضاع النمسا لسيطرة ألمانيا ملمِّحاً إلى أنه لن يتحرك لمنع أي عمل بقصد إعادة احتلال راينلاند Rhineland، وبعد ذلك قام في 6 آذار/مارس 1936 بسحب إيطاليا من عصبة الأمم وبدأ بالتقرب إلى ألمانيا النازية. وفي تشرين الأول/أكتوبر 1936 شكَّل هتلر وموسوليني محور روما ـ برلين مما جعل ابتعاد إيطاليا عن بريطانيا وفرنسا واضحاً تماماً للعيان، وَأجبر بريطانيا وفرنسا على الاعتماد على بعضهما البعض بعد خسارة إيطاليا كحليف.

## راينلاند

**ما هي أهمية إعادة احتلال راينلاند من قبل ألمانيا في آذار/مارس سنة 1936؟**

الجبهة الشعبية Popular Front هي ائتلاف الاشتراكيين الذين فازوا بالانتخابات في اسپانيا سنة 1936. تم استخدام هذا التعبير فيما بعد لوصف التحالف أو الائتلاف المضاد للفاشية، والذي يضم الشيوعيين في العادة.

في السابع من آذار/مارس سنة 1936 أمر هتلر الجنود الألمان بدخول منطقة راينلاند Rhineland التي كان يجب أن تبقى منزوعة السلاح حسب معاهدة ڤرساي . وبعد انهيار جبهة ستريسا Stresa أصبحت بريطانيا وفرنسا وحدهما ومع ذلك فقد استمرتا في اتباع سياسات خارجية مختلفة تماماً. كان إيدن Eden، وزير الخارجية البريطاني، مستعداً لِ «استرضاء» ما كان يبدو مظالم ألمانية.

شعرت فرنسا بالعزلة على الرغم من وعد بريطاني بتأييدها في حال وقوع هجوم ألماني دون وازع، وقد تزايد ذلك بسبب تجاهل الولايات المتحدة الأمريكية لطلب فرنسا إلى الرئيس روزڤلت Roosevelt أن يدين هذا العمل الألماني، وعليه فقد شعرت بعدم قدرتها على معارضة إعادة الاحتلال، وهذا ـ كما نعلم اليوم ـ على الرغم من أن القيادة العليا الألمانية ضَمِنت موافقة هتلر على الانسحاب في حال اتخاذ

فرنسا موقفاً تجاه هذا الأمر لأن الجيش الألماني لم يكن في موقف يمكنه من التصدي لأية معارضة مسلحة.

أما فيما يتعلق بعصبة الأمم فإنها لم تحرك ساكناً أبداً واتضح عدم وجود أي شأن لها في أية أحداث دولية أو حتى أوروبية، فعندما اندلعت حرب أهلية في إسپانيا في تشرين الأول/أكتوبر سنة 1936 تبينت مرة أخرى عدم فعالية العصبة. وعلى الرغم من المساعدة العسكرية الألمانية والإيطالية التي تم تقديمها إلى فرانكو Franco ضد حكومة الجبهة الشعبية المنتخَبة Popular Front فإن بريطانيا وفرنسا ردَّتَا بتشكيل لجنة غير فعالة وغير متدخلة. وفي الشهر التالي وقَّع هتلر مع اليابان ميثاقاً مضاداً للحزب الشيوعي الدولي Anti-Comintern Pact بهدف التصدي للاتحاد السوڤييتي.

وقَّعت ألمانيا واليابان معاهدة مضادة للحزب الشيوعي الدولي الثالث Anti-Comintern Pact سنة 1936 ضد الاتحاد السوڤييتي، وانضمت إليها إيطاليا في وقت لاحق سنة 1937. «الكومينتيرن هي اختصار للدولي الشيوعي Communist International الذي أسَّسه البلشڤيون Bolsheviks سنة 1919 من أجل المساعدة على انتشار الثورة الاشتراكية في أرجاء أوروپا.

## اليابان

وفي نفس الوقت كانت اليابان تُنفق إنفاقاً كبيراً على تسليحها حيث وصل إلى 47٪ من الناتج القومي المحلي بحلول سنة 1936 بعد أن كان 31٪ سنة 1931. ومع بداية هيمنة العسكر على اليابان بدأت منطقة المحيط الهادي الآسيوية تصبح «منطقة نفوذ» اليابان الطبيعية التي يحق لها التوسع فيها. وفي سنة 1936 تم إضفاء الصفة الرسمية على هذا الحق من خلال بيان عن سياسة الحكومة (المعروف باسم «منطلقات السياسة القومية المستقبلية») التي أوضحت أن المصالح اليابانية في جنوب شرق آسيا سوف توالي توسعها في المستقبل المباشر.

**ما هي النتائج الرئيسية لسياسة «المنطلقات» اليابانية كما طَرِحت سنة 1936؟**

رفضت اليابان بعدئذ تجديد معاهدة واشنطن البحرية Washington Naval Treaty (1922) ومعاهدة لندن الحديثة Treaty of London (1930) والتي اتفقت بموجبها كل من

بريطانيا واليابان وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية على وضع حدود لعدد الغواصات وأن تتخلص من بعض السفن الحربية. وفي تموز/يوليو 1937 بدأت اليابان غزوها للصين في تحدٍّ واضح لعصبة الأمم ومسايرة لسياسة «المنطلقات». طلبت الصين المساعدة بوصفها عضواً في عصبة الأمم فردَّت بالدعوة إلى مؤتمر دولي. وعلى الرغم من أن بريطانيا وفرنسا قدمتا للصين بالفعل بعض المساعدات المادية إلا أنهما لم تقدما مساعدة عسكرية.

## لماذا تم اتباع سياسة الاسترضاء؟

أصبح من الواضح بحلول سنة 1937 أن عصبة الأمم كانت من الناحية العملية إلى زوال، وذلك مع استمرار الحرب في الصين والحرب الأهلية في إسبانيا وتزايد التهديدات من ألمانيا وإيطاليا. أصبح نيڤيل تشامبرلين Neville Chamberlain في هذا الوقت العصيب من تدهور التعاون الدولي رئيساً لوزراء بريطانيا، وكان يحدوه الأمل في إمكانية الوصول بالعلاقات الدولية إلى التهدئة وإحلال سلام دائم عن طريق سياسة الاسترضاء.

وُجِّهت انتقادات بقِصَر النظر لهذه السياسة طوال سنوات، إذ اعتقد كثيرون أنها شجّعت هتلر على التمادي في سياساته العدوانية وكانت بذلك عنصراً هاماً ساهم في اندلاع الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك فإن عدداً من المعاصرين رأوا فيها السياسة العملية الوحيدة من أجل تفادي وقوع حرب أخرى، على الرغم من أن البعض مثل تشرشل Churchill أيدوا السياسة البديلة في تشكيل تحالف كبير مضاد للفاشية.

كان الاتحاد السوڤييتي هو الدولة الأوروبية الوحيدة القادرة على مقاومة ألمانيا النازية، ولكن الكثيرين من الساسة

نيڤيل تشامبرلين Neville Chamberlain المولود سنة 1868 سياسي محافظ خدم وزيراً للخزانة (1923 ـ 1924) ووزيراً للصحة (1924 ـ 1929)، وأصبح رئيساً للوزراء سنة 1937، وهو السياسي البريطاني الأكثر ارتباطاً بسياسة الاسترضاء، وهو يعتقد أن طلبات هتلر معقولة، ورفض في البداية أية فكرة للتحالف مع الاتحاد السوڤييتي، لكن عدوان هتلر المستمر جعله يقتنع بالبدء بإعادة التسلح، وأعلن الحرب على ألمانيا بعد غزوها پولونيا. النجاحات الأولى التي أحرزتها «دول المحور» في أيلول/سپتمبر سنة 1939 أدت إلى انتقادات كثيرة، واستقال تشامبرلين في أيار/مايو سنة 1940 (عقب الفشل البريطاني في منع ألمانيا من بسط نفوذها على النرويج Norway).

الغربيين رفضوا روسيا الستالينية كحليف مُحتمل لأنها كانت من ناحية تعاني من شقاء التطهير الكبير great purges الذي أثر تأثيراً خطيراً على الجيش الأحمر (انظر الفصل الثامن)، ولأنها من الناحية الأخرى أعلنت التزامها بالشيوعية وبالثورة العالمية. لم يكن تشامبرلين الوحيد الذي كان مناوئاً للشيوعية إلى أقصى الدرجات.

كان الحل البديل لإنعاش الأمن الجماعي لعصبة الأمم يبدو غير واقعي على نحو تام في ظل عدم انضمام اليابان إلى العصبة وفشل العصبة أيضاً في العمل بفعالية منذ سنة 1929. وبحلول سنة 1937 كانت العصبة قد ضعُفت وفقدت ثقة الناس بها إلى أقصى درجة.

رأى كثير من الساسة البريطانيين في فرنسا الحليف الممكن الوحيد، ومع ذلك لم يكن هذا مجدياً جداً، فقد انهارت جبهة استريسا Stresa Front وتجاهلت ألمانيا معاهدتي ڤرساي Versailles وَلوكارنو Locarno علناً، وبدا احتمال الظهور السريع لدولة مؤيدة للمحور في إسپانيا عند حدود فرنسا الجنوبية بسبب المساعدة الألمانية والإيطالية.

والأهم من ذلك أن المستشارين العسكريين أبلغوا تشامبرلين Chamberlain سنة 1937 أن القوات المسلحة البريطانية عاجزة عن تقديم دعم عسكري لفرنسا أو حتى الدفاع عن المدن البريطانية ضد الغارات الجوية، وأنه أُبْلِغ إضافة إلى ذلك أن سلاح البحرية البريطانية لا يستطيع حماية المستعمرات البريطانية الموجودة في الشرق الأقصى على نحو فعال وذلك بالنظر إلى قوة اليابان العسكرية المتنامية. كذلك فإن أغلبية المواطنين البريطانيين كانوا يعارضون إعادة تسلّح بريطانيا وكثير منهم يعتقدون بشرعية إجراء تعديل لمعاهدات

السلام، والذين عاشوا ويلات الحرب العالمية الأولى مثل تشامبرلين لم يكونوا راغبين بالمخاطرة بحرب أخرى.

وبالتالي أيّد معظم وزراء الحكومة البريطانية سياسة تشامبرلين في الاسترضاء والتي كانت تهدف إلى تجنُّب الحرب عبْر التفاوض على تعديل مقبولٍ لدى الطرفين لمعاهدة ڤرساي. في تشرين الثاني/نوڤمبر 1937 أُرْسِل اللورد هاليفاكس Lord Halifax إلى ألمانيا للاجتماع مع الرسميين النازيين وإبلاغهم أن بريطانيا ستؤيد المطالب الألمانية المشروعة في أوروبا شرط التفاوض عليها سلمياً، لكن إيدن Eden، وزير الخارجية، عارض ذلك واستقال فيما بعد.

**الاتحاد مع النمسا: آذار/مارس سنة 1938**

على الرغم من فشل محاولة الاتحاد مع النمسا سنة 1934 فقد ظلَّ واحداً من أهداف هتلر، إذ أقنع الحكومة النمساوية في تموز/يوليو 1936 بقبول الإشراف الألماني على سياستها الخارجية مقابل وعود ألمانية بضمان سيادة النمسا. وفي شباط/فبراير 1938 استدعى رئيسَ وزراء النمسا شوشنيگ Schuschnigg وأرغمه بالقوة على قبول إدخال اثنين من النازيين النمساويين في مجلس وزرائه وعلى إعطاء الحزب النازي النمساوي كامل الحرية في النمسا (برغم أن الشرطة النمساوية ضبَطت في كانون الثاني/يناير سنة 1938 دليلاً على خطط الحزب للاستيلاء على السلطة).

إلا أن شوشنيگ قرر، عندما عاد إلى النمسا، الدعوة إلى استفتاء على الاستقلال النمساوي، وعندما بدا الناخبون على وشك رفض الاتحاد مع ألمانيا قام هتلر بإجباره على الاستقالة. تسلمت السلطة حكومة جديدة هيمن عليها النازيون بزعامة زعيم الحزب النازي النمساوي سيس ـ إنكارت -Seyss

Inquart، ثم طلبت هذه الحكومة دخول الجنود الألمان إلى النمسا للتصدي للاضطراب الذي تسبب به النازيون النمساويون .

دخل الجنود الألمان إلى النمسا في 12 آذار/مارس 1938 وتم بذلك الاتحاد بين ألمانيا والنمسا على نحو نهائي في ظل انتهاك واضح لمعاهدة ڤرساي. نددت فرنسا بعد ذلك بهذا العمل ولكنها لم تهدد بأي ردٍّ عسكري. ولم تتخلَّ بريطانيا عن سياستها في الاسترضاء، إذ قام السفير البريطاني في برلين بإبلاغ تشامبرلين أن شوشنيگ كان يتحمل الكثير من اللوم لأنه دعا إلى استفتاء «استفزازي».

## أزمة تشيكوسلوڤاكيا

قويت قدرة الحكومة الألمانية بفعل الاتحاد الألماني النمساوي ـ بالإضافة إلى انتهاك معاهدة ڤرساي ـ على تهديد تشيكوسلوڤاكيا، وهي الدولة الديمقراطية الوحيدة التي بقيت في وسط أوروبا بحلول سنة 1938 وكانت تتمتع بقاعدة صناعية هامة وقوة مسلحة صغيرة وحديثة ودفاعات حدودية قوية.

كان رئيس الوزراء إدوارد بينيش Edvard Benes مؤيداً نشِطاً لعصبة الأمم ولتعزيز معاهدات السلام، غير أن تشيكوسلوڤاكيا كانت تواجه مشكلات مع المتحدثين بالألمانية الذين بلغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف المليون، وكانوا يسكنون في زوديتنلاند Sudetenland على امتداد حدودها مع النمسا، ولم يكن هؤلاء المواطنون السابقون للامبراطورية الألمانية ـ النمساوية سعداء بوضعهم في دولة تشيكوسلوڤاكيا الجديدة، فكان معظمهم يدعمون حزب زوديتن Sudeten الألماني المؤيد للنازية الذي كانت تموله ألمانيا النازية منذ سنة 1933.

كانت زوديتنلاند Sudetenland جزءاً من الامبراطورية النمساوية الهنگارية القديمة وتم إعطاؤها لدولة تشيكوسلوڤاكيا التي أنشئت حديثاً سنة 1919، وكانت تحتوي عدداً كبيراً من المتحدثين بالألمانية الذين بدؤوا يطالبون بحقهم في أن يصبحوا جزءاً من ألمانيا وبخاصة بعد قيام الاتحاد بين ألمانيا والنمسا في آذار/مارس 1938.

في أيار/مايو 1938 ادَّعت الحكومة التشيكوسلوڤاكية أن هتلر كان يخطط للغزو بتأييد من أقلية الألمان الزوديتنيين «المقهورة». أنكر هتلر ذلك وأرسل تشامبرلين اللورد رنسيمان Runciman للتوسط بين الحكومة التشيكوسلوڤاكية والألمان الزوديتنيين. وتوصل رنسيمان إلى أن هؤلاء الألمان أقلية مقهورة وأنه يجب السماح لهم أن يصبحوا جزءاً من ألمانيا. استمرت الحالة بالتدهور نحو حرب محتملة، وفي أيلول/سپتمبر 1938 قرر تشامبرلين أن يتفاوض مع هتلر شخصياً، فتقابل الرجلان في 15 أيلول/ سپتمبر 1938 في بيرشتيسگادن Berchtesgaden، وفي 22 أيلول/سپتمبر في باد گودسبيرگ Bad Godsberg، وفي كلا الاجتماعين زاد هتلر من طلباته.

وعلى الرغم من عدم مشاركة الفرنسيين فإن كلاً من بريطانيا وفرنسا أبلغتا الحكومة التشيكوسلوڤاكية أن عليها أن تسلم زوديتنلاند إلى ألمانيا وإلا فإنها ستخوض الحرب وحدها، كذلك فلم يؤخذ رأي الاتحاد السوڤييتي الذي وقَّع معاهدة مع فرنسا لحماية تشيكوسلوڤاكيا.

## ميونيخ Munich

قابل تشامبرلين هتلر مرة ثالثة في مدينة ميونيخ في 29 أيلول/سپتمبر، واتفقت في هذا الاجتماع كل من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا على وجوب أن تسلَّم زوديتنلاند Sudetenland إلى ألمانيا على أساس أن هؤلاء المتحدثين بالألمانية لم يتمتعوا بحق تقرير المصير سنة 1919. ومرة أخرى لم تتم استشارة تشيكوسلوڤاكيا ولا الاتحاد السوڤييتي.

في العاشر من تشرين الأول/أكتوبر أصبحت زوديتنلاند جزءاً من ألمانيا دون طلقة واحدة، فحصل هتلر على جزء من

ليلة الزجاج المكسَّر Kristallnacht حدثت في تشرين الثاني/نوڤمبر 1938. فبعد اغتيال دپلوماسي ألماني في باريس على يد شاب يهودي قام النازيون (الذين كانوا قد بدؤوا بمضايقة واضطهاد اليهود الألمان) باستخدام الشرطة المدنية السرية والشرطة العسكرية السرية لتدمير المحلات اليهودية وذلك في أعمال شغب منظمة، وقتِل 91 يهودياً وأرسل عشرون ألفاً إلى معسكرات الاعتقال

وأحرِقت المئات من محلات البيع التي يمتلكها اليهود. وبعد ذلك أمرت الحكومة النازية اليهود بدفع تعويضات هائلة. هذه الواقعة هزَّت الكثيرين في ألمانيا وفي بقية أنحاء أوروبا.

تشيكوسلوفاكيا يحتوي على دفاعات حدودية وعلى مصانع سكودا Skoda للأسلحة، وبالمقابل أطلق وعوداً غامضة بترك بقية تشيكوسلوفاكيا وشأنها، ووقع وثيقة مع تشامبرلين تنص على أن ألمانيا وبريطانيا لن تدخلا أبداً في حرب ضد بعضهما البعض، وهو التعهد المشهور «بالسلام في زماننا».

غير أن الكثيرين ظنوا في ذلك الحين أن سياسة تشامبرلين في الاسترضاء قد أدت بصورة سلمية إلى تعديل




صورة ساخرة سوڤييتية حول اتفاق ميونيخ (1938). كتب على اللافتة «أوروبا الغربية» و«اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية» ـ تم تصوير بريطانيا وفرنسا كشرطيين يقومان بتوجيه النازيين إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية.

اتفاقيات 1919 ـ 1920 للسلام الظالمة حيث تم ترشيح تشامبرلين لجائزة نوبل للسلام لسنة 1938.

**لماذا كانت زوديتنلاند تعتبر على هذه الدرجة الكبيرة من الأهمية؟**

إلا أن العنف اليهودي في الحادثة المشهورة باسم ليلة الزجاج المكسَّر Kristallnacht وكذلك التقارير الاستخباراتية التي كشفت عن احتمال غزو هولندا Netherlands أضيفا بحلول تشرين الثاني/نوڤمبر سنة 1938 إلى القلق المتزايد من

ولد إيدوار دالادييه Edouard Daladier سنة 1884 وكان راديكالياً خدم كرئيس لوزراء فرنسا بين سنتي 1938 و 1940، ووقع أيضاً معاهدة ميونيخ Munich Treaty سنة 1938 وأعلن الحرب على ألمانيا في أيلول/ سپتمبر سنة 1939. اعتقلته حكومة ڤيشي Vichy في فرنسا (التي حكمت بإذن من ألمانيا جزءاً من البلاد عقب هزيمة فرنسا سنة 1940) وأبعدته إلى ألمانيا حيث ظل سجيناً حتى نهاية الحرب في أوروپا سنة 1945.

نوايا هتلر الحقيقية، وبالتالي فإن بريطانيا وعدت في شباط/ فبراير 1939 بدعم فرنسا وبدأت بتشكيل طليعة قوة عسكرية لتقديم هذا الدعم وبدأت المناقشات بين القادة العسكريين البريطانيين والفرنسيين.

## غزو تشيكوسلوڤاكيا

تركزت في نفس الوقت سياسة هتلر الخارجية حينذاك على تدمير بقية تشيكوسلوڤاكيا، ودُفِع السلوڤاكيون Slovaks دفعاً إلى إعلان استقلالهم، وتم تشجيع پولونيا وهنگاريا على تقديم مطالبهما الإقليمية. وأخيراً غزت ألمانيا النازية تشيكوسلوڤاكيا في 15 آذار/ مارس 1939. وبرغم أن دالادييه Daladier لم يضع فرنسا على شفير الحرب إلا أن بريطانيا وفرنسا لم تتخذا أي عمل. التفت هتلر بعدئذ إلى ميناء ميميل Memel الليتواني حيث كان السكان الألمان يطالِبون بإعادتهم إلى ألمانيا. وكانت نتيجة هذه الحرب أن أصبح ميناء ميميل منطقة حرة بالفعل تحت السيطرة النازية.

## پولونيا

بُعَيْدَ مؤتمر ميونيخ Munich بدأت ألمانيا بالمطالبة بإعادة دانزيگ Danzig (التي تديرها عصبة الأمم باعتبارها مدينة عالمية حرَّة) وكذلك ببناء طريق وسكة حديد عبر الممر الپولوني إلى شرقي پروسيا East Prussia. وبعد الاستيلاء على تشيكوسلوڤاكيا وميميل أصبح من الواضح لكثير من الناس أن پولونيا هي هدف هتلر التالي. وبحلول نهاية آذار/ مارس أدخلت كل من بريطانيا وفرنسا تغييراً مهماً على سياستيهما وضمنتا حماية استقلال پولونيا، وأُعطيت وعود مماثلة لليونان بعد أن غزت إيطاليا ألبانيا في نيسان/ ابريل 1939.

لم يكن هتلر مقتنعاً أن هذه الوعود سوف تُنَفَّذ حتى بعد أن حركت الولايات المتحدة أسطولاً حربياً من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي (مما سمح للأساطيل البريطانية والفرنسية بالتحرك إلى بحر الشمال) أو عندما أعلنت بريطانيا التجنيد الإجباري لجميع الرجال الذين تراوحت أعمارهم بين العشرين والحادية والعشرين.

## ميثاق عدم الاعتداء النازي السوفييتي

عرض الاتحاد السوفييتي حيناً من الزمن على بريطانيا تحالفاً ضد النازيين ولكن تشامبرلين Chamberlain المعادي القوي للشيوعيين عارض هذه الفكرة لأنها من ناحية قد تثير ألمانيا ولأن پولونيا تعارض مثل هذا الاتفاق أيضاً. إلا أن تأييداً شعبياً قوياً لمثل هذا التحالف حصل بحلول منتصف سنة 1939 في كل من بريطانيا وفرنسا، فوافق تشامبرلين متردداً على التفاوض ولكن على مستوى منخفض، وقد أُبعِد إيدن Eden عن المفاوضات الأولية، وهو الذي كان قد عرض أن يديرها.

الحرب الزائفة هي الفترة بين أيلول/سبتمبر 1939 ونيسان/أبريل 1940 حين لم يحدث قتال في أوروبا الغربية. ولم يبدأ القتال إلا حينما احتلت ألمانيا الدنمارك Denmark وباشرت بغزو النروج Norway.

غير أن الشكوك ساورت ستالين Stalin منذ مؤتمر ميونيخ بأن بريطانيا وفرنسا كانتا مستعدتين للقبول بغزوات ألمانية للشرق. كانت استجابات بريطانيا البطيئة لهذه المفاوضات ذات المستوى المتدني في صيف سنة 1939 تبدو مؤكدة لمخاوفه، ولذلك بدأ ستالين يستجيب للطلبات الألمانية بالتفاوض على معاهدة عدم اعتداء.

اعتقد هتلر ـ الذي كان قد حدد موعداً لغزو پولونيا ـ أن مثل هذا الميثاق ضروري بسبب قدرة الاتحاد السوفييتي العسكرية، ورأى أن بريطانيا وفرنسا لن تفيا بتعهداتهما لپولونيا دون الحليف السوفييتي. أما ستالين فرأى أن هذا الميثاق في

ظل عدم وجود تحالف أكيد مع بريطانيا وفرنسا يعطي الاتحاد السوڤييتي مزيداً من الوقت لتحضير دفاعاته ضد غزو ألماني. وهكذا تم في 23 آب/أغسطس 1939 إبرام ميثاق مولوتوف ـ ريبنتروب Molotov-Ribbentrop لعدم الاعتداء.

في التاسع والعشرين من آب/أغسطس «عرض» هتلر على پولونيا تجزئتها سلمياً من خلال المفاوضات التي تسمح بتقسيم البلاد من أجل منع حرب ألمانية، وإلا فالحرب. وفي أعقاب رفض پولونيا ذلك غزتها ألمانيا في الأول من أيلول/سپتمبر، وبعد يومين أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا، على الرغم من أنه خلال الحرب الزائفة لم يكن ثمة نزاع إلا بين ألمانيا وپولونيا.

## السياسة الخارجية السوڤييتية

يبدو أن نقطة الانعطاف الحاسمة في الميثاق النازي ـ السوڤييتي كانت مؤتمر ميونيخ حيث كان ليتڤينوڤ Litvinov المفوض السوڤييتي للشؤون الخارجية ـ حتى وقت المؤتمر ـ يعتقد بإمكانية إقناع بريطانيا وفرنسا بالدفاع عن الأمن الجماعي من خلال الانضمام إلى الاتحاد السوڤييتي. غير أن ستالين اعتبر أيضاً أن الطريقة الأخرى لتأجيل الحرب مع ألمانيا ربما تكون على الأقل في توقيع اتفاق مع هتلر. وعندما حلَّ مولوتوف Molotov محلَّ ليتڤينوڤ Litvinov في أيار/مايو 1939 كانت لديه تعليمات باتباع سياسة دپلوماسية جديدة.

الميثاق النازي ـ السوڤييتي هو من الناحية الرسمية معاهدة عدم اعتداء لمدة عشرين سنة بين ألمانيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. إلا أنها تضمنت بنوداً سرية تقسِّم پولونيا وأجزاء كبيرة من أوروپا الشرقية بين الدولتين، فكانت ألمانيا ستأخذ غربي پولونيا في حين يأخذ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية شرقي پولونيا وجمهوريات البلطيق الثلاث وقسماً من رومانيا والتي كانت جميعها مملوكة من قبل روسيا القيصرية.

تشير الدلائل التي نُشِرت منذ انهيار الاتحاد السوڤييتي سنة 1991 إلى أن التحالف العسكري مع بريطانيا وفرنسا كان الخيار المفضَّل لدى ستالين، ولكن المؤرخين يظلون منقسمين تجاه الأهداف والدوافع الحقيقية للسياسة السوڤييتية الخارجية في الثلاثينيات. فابتداء بكتاب أ. ج. پ. تايلر A.J.P. Taylor

**ما هي النقاط الأساسية لمعاهدة عدم الاعتداء النازية السوڤييتية؟**

أصول الحرب العالمية الثانية The Origins of the Second World War، طرح كثيرون أن سياسة ستالين كما اتبعها ليتڤينوف Litvinov صادقة، وفي الصف المغاير وقف أولئك المؤرخون الذين طرحوا أن تقرُّب ستالين من الغرب كان ستاراً تابع خلفه الاتحاد السوڤييتي سياسته الرئيسة في الاحتفاظ بالروابط الوثيقة التي قامت في العشرينيات مع ألمانيا على أساس معاهدة راپاللو Rapallo. ويعتقد المؤرخون الألمان أن المفاوضات مع الغرب كانت مجرَّد خدع للضغط على ألمانيا النازية من أجل التوقيع على اتفاقية مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. إلا أن مجموعة ثالثة من المؤرخين أكدوا على أهمية «السياسة الداخلية» في فهم الخيوط المختلفة للسياسة الخارجية التي اتبعها ستالين بين سنة 1933 و 1939، وأشاروا إلى وجود اختلافات حقيقية في السياسة بين ليتڤينوف المؤيد للغرب (كانت زوجته بريطانية) وَمولوتوف Molotov الذي وضع إيمانه في قوة الاتحاد السوڤييتي المستقلة. والحقيقة أن ستالين كان يراوح بين هذين الخيارين.

## الحرب في المنطقة الآسيوية من المحيط الهادي

شهِدَت الحرب العالمية الثانية نزاعاً مريراً طال أمده في المنطقة الآسيوية من المحيط الهادي، حيث تورطت اليابان في النزاع مع الصين منذ سنة 1931، وبخاصة منذ سنة 1937. كان هجوم اليابان على قاعدة پيرل هاربَر Pearl Harbour البحرية الأمريكية في كانون الأول/ديسمبر 1941 هو الذي جرَّ الولايات المتحدة الأمريكية إلى ما أصبح في ذلك الحين حرباً حقيقية في طول العالم وعرضه. إن الدوافع الكامنة وراء السياسات الخارجية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان هي من الأهمية بمكان وموضع للنقاش التاريخي.

في محكمة طوكيو Tokyo الحربية التي انعقدت في نهاية الحرب العالمية الثانية تم توجيه اللوم للقادة اليابانيين على التخطيط لحملة توسعية مقصودة من خلال الحرب وللهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية دون وازع. إلا أنه ومنذ ذلك الحين أثار المؤرخون الذين يراجعون الأحداث التاريخية بعد وقوعها كثيراً من الأسئلة عن دور الولايات المتحدة الأمريكية في المساهمة بالمعركة في المنطقة. ويطرح هؤلاء المؤرخون عدم وجود خطة حقيقية لدى اليابان في الثلاثينيات للتوسع العسكري في المنطقة وأن هجومها على الصين كان استجابة للمخاوف من أنَ حكومة الصين الوطنية ـ في سياق الكساد ـ كانت تهدد استثمارات يابانية هامة هناك. يُنظَر إلى التكاليف العالية لهذه الحرب إذن كعامل قاد اليابان للبحث عن التوسع في جنوب شرق آسيا من أجل الحصول على الإمدادات الحيوية من النفط والمواد الأولية الأخرى. كانت اليابان ترى ـ من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين ـ إمكانية التوسع في المنطقة دون إثارة حرب مع الولايات المتحدة الأمريكية. وكل هذا يشير إلى أن سياسة اليابان الخارجية كانت أكثر انتهازية مما كان مخططاً لها من قبل.

يرى هؤلاء المؤرخون أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد بريئة براءة كاملة من نشوب هذا النزاع، فقد اتبعت أيام حكم روزڤلت Roosevelt سياسة عدم اكتراث وحياد تجاه كلٍّ من أوروبا وآسيا في الثلاثينيات وذلك على الرغم من تزايد المؤشرات على التوتر والأزمة، وأنها لم تقرر المشاركة إلا بعد أن حققت ألمانيا النازية نجاحاتها الأولى في أوروبا، ومع ذلك، وخلال الثلاثينيات كانت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان تسير من سيء إلى أسوأ، حتى أن بعض المؤرخين طرحوا أن روزڤلت ـ من أجل تبرير تدخل

الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية ـ أثار اليابان على نحو مقصود عن طريق تجميد الاستثمارات اليابانية في الولايات المتحدة الأمريكية وفرض حظر نفطي، مما أدى إلى نتائج خطيرة على الحملة العسكرية اليابانية في الصين. من الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا قررتا وجوب اتخاذ إجراءات صارمة لإيقاف الخطط اليابانية التوسعية في المنطقة وأن النصائح وُجِّهت إليهما من قبل خبرائهما العسكريين المعنيين بأن اليابان لن تستعصي على الهزيمة.

## هل كان هتلر يخطط للحرب العالمية الثانية؟

إحدى الفرضيات التي تكمن وراء محاكمات نورمبيرگ Nuremberg Trials التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية هي أن هتلر خطط على نحو مدروس لهذه الحرب حتى قبل أن يتسلم السلطة (إذ أن تعليقاته على السياسة الخارجية في كتاب كفاحي Mein Kampf الذي كتبه سنة 1924 تبدو مؤيدة لهذه النظرية). وربما ساد الاعتقاد أنه اتبع بعد سنة 1933 خطة رئيسية سار عليها بإصرار إلى أن وصل إلى بداية الحرب فيما بعد. يشارك كثير من المؤرخين من حيث المبدأ هذه النظرة مشيرين إلى الكيفية التي بدأ بها هتلر ـ في فترة مبكرة تعود إلى سنة 1934 ـ محاولات إثارة النعرات بين پولونيا وفرنسا، وبين إيطاليا وشريكتيها في جبهة استريسا Stresa بريطانيا وفرنسا.

محاكمات نورمبيرگ هي محاكم حاولت إلقاء القبض على كبار النازيين من أجل جرائم الحرب والذين انتحر معظمهم قبل صدور الحكم عليهم أو بعده. وكثيرون منهم لم يتم إلقاء القبض غليهم.

ويحظى هذا الاعتقاد بالمصداقية من خلال دليل خطة هتلر سنة 1936 لحرب السنوات الأربع، والتي كان القصد منها زيادة الاكتفاء الذاتي لألمانيا ولاسيَّما في المنتجات المتصلة بالحرب.

والعسكرية العالمية الجديدة في سبيل تكوين «نظام عالمي جديد» سوف «يجعل العالم آمناً من أجل الديمقراطية». غير أن خططه نتجت جزئياً عن القلق الناجم عن الثورة البلشفية Bolshevik في روسيا.

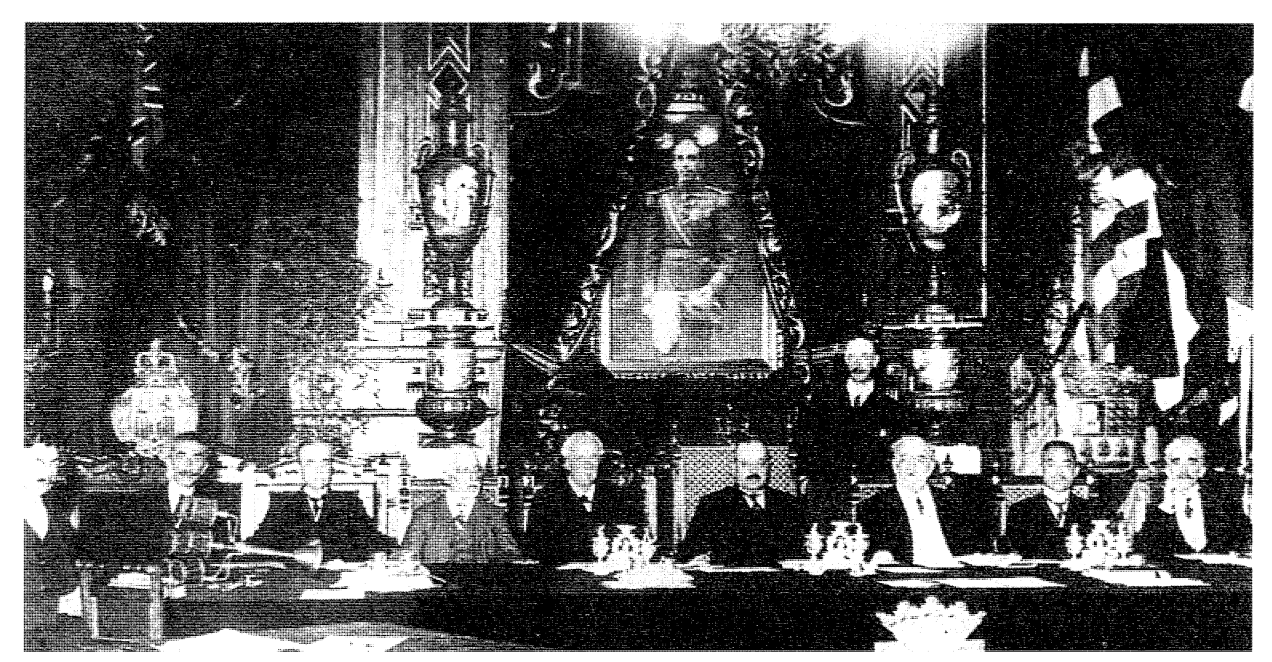
## الميثاق والتنظيم والعضوية

أُنشئت لجنة في كانون الثاني/يناير سنة 1919 لصياغة مسوَّدة لدستور عصبة الأمم ضمت أربع عشرة دولة هي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان (الخمس الكبار) لكل منها مندوبان، ومندوب واحد لكل من الدول الأخرى التسع الأصغر، وعلى الرغم من اتفاق الجميع على أن منع الحروب المقبلة يجب أن يكون هدف عصبة الأمم الرئيسي، إلا أنه اختُلِف على طريقة تحقيق ذلك، غير أن الاتفاق جرى بحلول شباط/فبراير 1919 على تأسيس هيئة دولية جديدة وأصبحت المواد (أو البنود) الست والعشرون الأولى في جميع معاهدات السلام التي تم توقيعها في فترة 1919 ـ 1920 دستوراً (أو ميثاقاً لها).

وافقت اللجنة على أن تكون عصبة الأمم مؤتمراً دولياً دائماً متعدد الوظائف وأهمها:

- ضمان أراضي كل دولة من خلال الأمن الجماعي،
- منع النزاعات،
- تسوية النزاعات بسلام،
- العمل كوكالة لنزع التسلح.

. يبيِّن الشكل جهاز عصبة الأمم الإداري المتخذ مقراً له بمدينة جنيف Geneva في سويسرا المحايدة. تجتمع الجمعية العامة مرة في السنة وتحضرها جميع الدول الأعضاء ويكون لكل منها صوت واحد. ويجب على كل دولة عضو على نزاع



صورة الاجتماع الأول لمجلس عصبة الأمم، آب/أغسطس 1920.

مع أخرى أن ترفع الأمر إلى الجمعية بدلاً من اللجوء إلى العنف. تكوَّن الأعضاء المؤسسون من اثنتين وثلاثين دولة متحالفة وثلاث عشرة دولة محايدة ولكل منها مصالحها القومية الخاصة.

عندما كان يتعذَّر على الجمعية العامة منع اندلاع النزاع فإن هيئة مصغَّرة تُدعى المجلس تعمل على اتخاذ عمل ما لتنفيذ الأمن الجماعي ابتداء بفرض عقوبات اقتصادية على الدول المعتدية، وهذا المجلس يضم أربعة أعضاء دائمين (هم بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان ـ الأربعة الكبار) بالإضافة إلى أربع دول أصغر تنتخبها الجمعية لفترات.

**ماذا حصل للمستعمرات السابقة وأقاليم الدول المهزومة المركزية بعد سنة 1918؟**

تقوم أمانة السر ـ التي تعمل كإدارة مدنية للعصبة ـ على أداء العمل الروتيني وأعمال أمانة السر.

أُنشئ نظام انتداب (الدول المشرِفَة) من أجل إدارة الأراضي السابقة للدول المركزية المهزومة، والتي يجب إدارة شؤونها من قبل أعضاء عصبة الأمم وفق شروط مُتفَق عليها ويجب على هذه الدول (وهي غالباً بريطانيا، وَالكومنويلث

## مذكرة هوسباخ (1937)

لعل مذكرة هوسباخ Hossbach تتمتع بأهمية أكثر من خطة حرب السنوات الأربع. في الخامس من تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1937 استدعى هتلر وزير الخارجية ووزير الحربية والقادة العسكريين البارزين الآخرين إلى اجتماع، وأمرهم بإعداد ألمانيا لفتوحات الشرق (حيث تكتمل بحلول فترة 1943 ـ 1945)، وكانت ألمانيا في هذا الوقت متفوقة من الناحية العسكرية على بريطانيا المتخلفة عن مستويات ألمانيا وخصوصاً في مجال القوى الجوية برغم أن بريطانيا كانت قد باشرت بإعادة التسلح. تضمنت مذكرة هوسباخ أيضاً خططاً للاستيلاء على النمسا وتشيكوسلوفاكيا حتى ولو أدى ذلك إلى إثارة حرب مع بريطانيا وفرنسا. وبعدئذ في تشرين الثاني/ نوفمبر صُرف من الخدمة وزيرُ الاقتصاد شاخت Schacht الذي كان يعارض إعادة التسلح السريع، وفي كانون الثاني/ يناير 1938 صُرف أيضاً وزير الحرب المعتدل فان بلومبيرگ van Blomberg وتولى هتلر هذا المنصب بنفسه ووضع في المناصب القيادية الأخرى نازيين مؤمنين. وبعد ذلك حلَّ نازي قيادي آخر هو فون ريبينتروپ von Ribbentrop محل فون نويراث von Neurath كوزير للخارجية.

مذكرة هوسباخ إشارة إلى ملاحظات العقيد هوسباخ بعد الاجتماع الذي دعا إليه هتلر في الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1937 وضمَّ قادة سياسيين وعسكريين. وحسب هذه الملاحظات فإن هتلر لخَّص خططه من أجل «فتح في الشرق» والتي تطلب الاستيلاء على النمسا وتشيكوسلوفاكيا حتى ولو أدى ذلك إلى إثارة حرب مع بريطانيا وفرنسا. إلا أن هوسباخ لم يدوِّن هذه الملاحظات أثناء الاجتماع بل بعده بخمسة أيام ومن ذاكرته. وبرغم أن هذه المذكرة لم تكن أبداً وثيقة رسمية إلا أن معظم المؤرخين يعتمدونها.

إن التمعّن في أزمات معينة يميل إلى التأكيد على أن هتلر قد خطط للحرب، فخلال الأزمة التشيكوسلوفاكية سنة 1938 مثلاً حدد هتلر تاريخاً لغزو تشيكوسلوفاكيا (1 تشرين الأول/ أكتوبر) وذلك في وقت مبكر يعود إلى أيار/ مايو 1938. وكذلك عندما تم غزو تشيكوسلوفاكيا بكاملها وأخذت ميميل Memel من ليتوانيا Lithuania حدد هتلر الأول من أيلول/ سپتمبر 1939 تاريخاً لغزو پولونيا وذلك قبل أن يضمن ميثاق

عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفييتي.

تم توجيه أول انتقاد شديد لهذه النظرة المتزمتة (المدرسة التي تهتم بالمقاصد Intentionalist School) من قبل المؤرخ أ. ج. پ. تايلر A.J.P. Taylor أصول الحرب العالمية الثانية The Origins of the Second World War المنشور سنة 1961، والذي أثار جدلاً تاريخياً ساخناً لأن تايلر ادعى أن هتلر لم يتبع خطة رئيسية للحرب موضوعة مُسبقاً وتساءل عن مصداقية مذكرة هوسباخ Hossbach Menorandum كدليل تاريخي. وطرح بدلاً من ذلك أن سياسة هتلر الخارجية مرتجَلة وقائمة بالضرورة على مجرد اغتنام الفرص عند ظهورها. كذلك أكد على أن رغبة هتلر بالانقلاب على معاهدة ڤرساي واسترداد عظمة ألمانيا أيضاً هي هدف «يتشارك فيه جميع السياسيين الألمان وجميع الديمقراطيين الذين أنهوا الحرب سنة 1918 بمثل مايشارك فيه شتريسيمان». ادعى تايلر أن إعادة التسلح الألماني بعد سنة 1936 لم يكن كبيراً كما ادعاه هتلر حيث لم تكن قوات ألمانيا المسلحة قوية في سنة 1939 بما يكفي لاستدامة حرب عالمية أو حتى أوروبية.

**لماذا ينازع بعض المؤرخين حول مدى الثقة بمذكرة هوسباخ؟**

ومنذ ذلك الحين يستمر الجدل وينقسم المؤرخون إلى معسكرين، الأول، ويطرح فيه المؤرخون المتزمتون المهتمون بالمقاصد أن سياسة هتلر التوسعية هي نتيجة تصور مسبق أكثر من انتهاز فرص، أما المدرسة الأخرى وفيها المؤرخون المنتهزون للفرص الذين يراجعون الأحداث التاريخية بعد وقوعها فيعتبرون أن سياسات هتلر هي استجابة للمشكلات الداخلية والفرص الخارجية وليست جزءاً من خطة موضوعة مسبقاً.

## الاستمرارية أم اللااستمرارية

كذلك ينقسم المؤرخون حول ما إذا كانت السياسة

الألمانية الخارجية بعد سنة 1933 هي مجرّد استمرار أكثر عدوانية لسياسات توسع سابقة أم أنها انقطاع واضح نتج عن أولويات هتلر الشخصية. يؤكد كثير من المؤرخين على إمكانية النظر إلى استمرارية السياسة ـ حتى مع إمكانية النظر في إضافة المعاداة للسامية وسياسة إفناء الأقليات العرقية ـ كظاهرة لتحيّز هتلر الشخصي وأصوله النمساوية (وليس الألمانية).

## المصادر التاريخية

### 1 ـ أفكار هتلر عن السياسة الخارجية كما وردت في كتابه: كفاحي Mein Kampf

نحن نتابع من حيث توقفنا قبل ستمئة سنة، ونوقِف التحرك الألماني اللانهائي نحو الجنوب والغرب، ونرنو ببصرنا نحو أرض الشرق. وبعد فترة طويلة نبتعد عن سياسة ما قبل الحرب الاستعمارية والتجارية وننتقل إلى سياسة أرض المستقبل، وإذا تحدثنا عن الأرض في أوروبا المعاصرة فباستطاعتنا من حيث الأساس ألا يكون في ذهننا سوى روسيا ودوَلِها الحدودية الذليلة.

أ. هتلر، كفاحي، ترجمة ر. مانهايم، لندن، 1969، ص 597 ـ 598

### 2 ـ مقطع من البيان الصادر بتاريخ 22 تشرين الثاني/نوڤمبر 1945 قبل محاكمات نورمبيرگ لجرائم الحرب عن فرانز هادلر رئيس هيئة أركان الجيش الألماني، 1938 ـ 1942

وإضافة إلى ذلك فإني أعلن وأؤكد أن هتلر استدعى رؤساء هيئات أركان القوات المسلحة الثلاثة وكبار القادة أيضاً ـ في آذار/مارس 1941 قبل البدء بحملة روسيا التي وقعت في

حزيران/يونيو من ذلك العام ـ إلى اجتماع. . . قال فيه ما يلي: «الحرب ضد روسيا ستكون من النوع الذي لا يمكن القيام به وفق أسلوب الفرسان. هذا الصراع هو صراع الإيديولوجيات والاختلافات العرقية ويجب أن يتم بقسوة لا رحمة فيها ولا هوادة ولم يسبق لها مثيل».

ف. ماكدونو، أصول الحربين العالميتين الأولى والثانية، كامبرِدج، 1997، ص 87

# الاتحاد السوفييتي
# 1953 - 1924



# 6 ظهور ستالين 1924 - 1929

**أسئلة تركيزية**

- ◆ لماذا حصل صراع على السلطة؟
- ◆ ما هي المراحل الرئيسية للصراع على السلطة؟
- ◆ لماذا ظهر ستالين قائداً؟

**تواريخ هامة**

1921 آذار/مارس: المؤتمر العام العاشر للحزب، ثورة كرونشتات Kronstadt، السياسة الاقتصادية الجديدة

1922 نيسان/ابريل: ستالين Stalin يصبح أميناً عاماً للحزب الشيوعي

أيار/مايو: لينين Lenin يتعرض للأزمة القلبية الأولى

كانون الأول/ديسمبر: لينين يعرض على تروتسكي Trotsky جبهة مشتركة للديمقراطية، لينين يتعرض للأزمة القلبية الثانية، وصيَّة لينين، تشكيل ثالوث ضد تروتسكي

1923 كانون الثاني/يناير: تعقيب لينين يوصي بطرد ستالين

شباط/فبراير: الثالوث يبدأ حملة ضد تروتسكي

آذار/مارس: لينين يتعرض للأزمة القلبية الثالثة

تشرين الأول/أكتوبر: بيان الستة والأربعين

1924 كانون الثاني/يناير: وفاة لينين، المؤتمر الثالث عشر

| | |
|---|---|
| | للحزب يدين نظرات توتسكي والستة والأربعين |
| | أيار/مايو: اللجنة المركزية تحتفظ بسريّة وصية لينين وتقرِّر عدم إقصاء ستالين، المؤتمر العام الثالث عشر يؤكد إدانة تروتسكي |
| | حزيران/يونيو: المؤتمر العام للحزب الشيوعي الدولي الثالث يصوت أيضاً ضد تروتسكي |
| | تشرين الثاني/نوڤمبر: دروس تشرين الأول/أكتوبر لتروتسكي |
| 1925 | كانون الثاني/يناير: إقصاء تروتسكي عن منصب مفوض الحربية، زينوڤييف وَ كامينيف يفشلان في إقناع ستالين بأن يحل محل تروتسكي |
| | نيسان/ابريل: الحزب يناقش تحقيق الاشتراكية في بلد واحد مقابل الثورة الدائمة |
| | أيار/مايو: تعيين تروتسكي في المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني، بدء معارضة لينينگراد Leningrad |
| | تشرين الأول/أكتوبر: سوكولنيكوف Sokolnikov وَ كروپسكايا Krupskaya ينضمّان إلى زينوڤييف وَ كامينيف |
| | كانون الأول/ديسمبر: المؤتمر العام الرابع عشر للحزب |
| 1926 | نيسان/ابريل: تروتسكي وَزينوڤييف وَكامينيف يعقدون مباحثات في سبيل المعارضة المشتركة |
| | تموز/يوليو: الإعلان رسمياً عن المعارضة المتحدة، إقصاء زينوڤييف من الشعبة السياسية Politburo |
| 1927 | تشرين الأول/أكتوبر: ستالين يقنع اللجنة المركزية بطرد تروتسكي وَزينوڤييف |

تشرين الثاني/ نوڤمبر: طرد تروتسكي وَزينوڤييف من الحزب الشيوعي وطرد كامينيڤ من اللجنة المركزية

كانون الأول/ ديسمبر: مؤتمر الحزب الخامس عشر، زينوڤييف وَكامينيڤ يُنهيان المعارضة المتحدة

1928 كانون الثاني/ يناير: إبعاد تروتسكي إلى مدينة ألما آتا Alma Ata في تركستان Turkstan

تموز/ يوليو: صِدام بين ستالين وَبُخارين Bukharin حول التحوُّل إلى المزارع الجماعية

آب/ أغسطس: بوخارين يحاول تشكيل تحالف مع تروتسكي

1929 كانون الثاني/ يناير: إبعاد تروتسكي إلى القسطنطينية Constantinople

نيسان/ ابريل: تنحية بُخارين عن وظيفة مُحَرِّر في صحيفة البراڤدا Pravda

تشرين الثاني/ نوڤمبر: إقصاء بُخارين عن الشعبة السياسية Politburo

## نظرة شاملة

تعرض لينين Lenin زعيم الحزب الشيوعي وَرئيس وزراء روسيا قبل سنتين من وفاته سنة 1924 إلى سلسلة من الأزمات القلبية التي تزايد خطرها، فبرزت إلى الواجهة الأمور التي كانت سائدة بين الزعماء الشيوعيين الآخرين قبل سنة 1922 من اختلافات سياسية وحسد شخصي، وكان الشيوعيون تروتسكي Trotsky وَزينوڤييف Zinoviev وَكامينيڤ Kamenev يقفون على سلَّم الأهمية بعد لينين.

وُلِد ڤلاديمير لينين Vladimir Lenin سنة 1870، واسمه الحقيقي هو ڤلاديمير إيلييش أوليانوڤ Vladimir Ilyich Ulyanov. انضم سنة 1898 إلى حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي RSDLP، وأثناء مؤتمر الحزب العام الثاني سنة 1903 طرح حزباً صغيراً يتألف من ثوريين ملتزمين ويتميز برقابة مركزية صارمة بعد المناقشة الديمقراطية (مركزية ديمقراطية). أدى هذا الطرح إلى

انشقاق، فأصبحت زمرة لينين تعرَف باسم البُلشڤيين Bolsheviks (التي تعني الأغلبية) نظراً لأنهم فازوا بالأغلبية في المؤتمر العام، على الرغم من وجود عدد أكبر من المينشِڤيين Mensheviks (التي تعني الأقلية) في الحزب عامة. بقي لينين في المنفى حتى نيسان/أپريل 1917، وعاد بعد ثورة آذار/مارس. سرعان ما بدأ يحث البُلشڤيين لتنظيم ثورة ثانية. عمل رئيساً للوزراء في الفترة من 1917 إلى 1924. تزوج من بلشڤية ثورية أخرى هي ناديجدا كروپسكايا Nadezhda Krupskaya.

ساور القلق لينين بسبب هذه التطورات فكتب في كانون الأول/ديسمبر 1922 وصية تلخص نقاط القوة والضعف لدى القادة الرئيسين وحذَّر من مخاطر الانقسام. كان قلقاً بسبب أنشطة ستالين Stalin بوصفه مفوضاً لشؤون القوميات وأميناً عاماً للحزب الشيوعي، ولذلك كتب في كانون الثاني/يناير سنة 1923 تعقيباً لاحقاً في أسفل الوصية يوصي بإقصاء ستالين، وحاول في الوقت ذاته إقناع تروتسكي Trotsky أن يتخذ الخطوات الضرورية لدَحْر ستالين.

غير أن منافسَيْ تروتسكي الرئيسين - زينوڤييف وَكامينيف - شكّلا تحالفاً مع ستالين (عُرِف باسم الثالوث) لمنع تروتسكي من خلافة لينين، ثم بدأ الثالوث حملة ضد التروتسكية. كان ستالين بحكم موقعه كأمين عام قادراً على مراقبة الاجتماعات والانتخابات إلى المؤتمرات العامة والمؤتمرات الإقليمية، وسرعان ما عُزل تروتسكي.

التفت ستالين بعد هزيمة تروتسكي إلى زينوڤييف وَكامينيف بدعم من بُخارين Bukharin واليمين. ردّ زينوڤييف وَكامينيف بالاتحاد مع تروتسكي ولكن ستالين تمكن من إلحاق الهزيمة بالمعارضة المتحدة.

التفت ستالين سنة 1928 إلى بُخارين وتمكن بحلول سنة 1929 من هزيمته وهزيمة اليمين في الحزب، ثم نُفِيَ تروتسكي - منافسه الرئيس - من الاتحاد السوڤييتي، فتفرَّد ستالين لوحده بحكم الحزب الشيوعي.

## لماذا حصل صراع على السلطة؟

### المشكلات السياسية والاقتصادية بين سنتي 1921 وَ 1924

بعد الثورة البلشڤية في تشرين الثاني/نوڤمبر 1917

خاضت روسيا حرباً أهلية بين الحُمر (الشيوعيين) والبيض (غير الشيوعيين)، وتعقَّد أمرها فيما بعد بسبب تدخل أربعة عشر جيشاً أجنبياً لدعم البيض. وبرغم فوز الحمر في نهاية المطاف سنة 1921 إلا أن الحرب الأهلية تركت اختلافات سياسية حادة بين البلشفيين القادة.

كانت أهم هذه الاختلافات تتعلق بالسياسة الاقتصادية؛ إذ تبنت الحرب الأهلية سياسة عُرِفت باسم الشيوعية الحربية war communism كإجراء طوارئ، لكن ربْط الضرر الحاصل أثناء الحرب الأهلية مع ثورة كرونشتات Kronstadt Rising أدَّت بلينين إلى أن يقنع الحزب بتبني سياسة اقتصادية جديدة في المؤتمر العام العاشر للحزب الذي انعقد في آذار/مارس 1921.

لم تؤدِّ السياسة الاقتصادية الجديدة إلى القضاء على الشيوعية الحربية فحسب بل خطت قليلاً إلى الوراء نحو الرأسمالية، إذ أعيدت الشركات الصغيرة وشركات تجارة التجزئة إلى الرقابة الخاصة وسُمِح للفلاحين ببيع جزء من فائض إنتاجهم بغرض الربح، لكن تأميم المصارف والصناعات الرئيسية بقي على حاله، فكان أن ظهر بسرعة - مع بداية التحسن في الاقتصاد - رجال أعمال أثرياء (عُرِفوا برجال السياسة الاقتصادية الجديدة) وفلاحون أغنياء (عُرِفوا باسم كولاك kulaks)، مما أغضب وأزعج كثيراً من الشيوعيين، وأطلقت المعارضة العمالية على هذه السياسة اسم الاستغلال الجديد لطبقة البروليتاريا proletariat.

## الحظر الذي فُرِض سنة 1921

دفع تضافر ثورة الكرونشتات Kronstadt (التي كشفت عن عزلة البلشفيين المتزايدة) مع الاقتراحات الخاصة بالسياسة

وُلِد ليون تروتسكي Leon Trotsky سنة 1879، واسمه الحقيقي ليون برونشتاين Bronstein انضم سنة 1899 إلى حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي، وفي مؤتمره العام الثاني سنة 1903 دعم المينشِفيين ضد لينين، إلا أنه انشق عنهم سنة 1904. في أيار/مايو 1917 عاد إلى روسيا وانضم إلى البُلشفيين في شهر آب/أغسطس لأنه كوَّن هو ولينين في ذلك الحين تطلّعات متشابهة جداً. كان المنظِّم الرئيسي لثورة تشرين الثاني/نوفمبر وشكَّل بعد ذلك الجيش الأحمر وقاده أثناء الحرب الأهلية.

أُطلِق اسم الشيوعية الحربية war communism على إجراءات الطوارئ التي اتخذتها الحكومة البلشفية في بداية الحرب الأهلية. طُلِبت الحبوب من الفلاحين من أجل تأمين المؤن الكافية للجيش الأحمر والمراكز الصناعية، وتم فرض الحظر على كل التجارة الخاصة، وتم تأميم جميع المصانع

الاقتصادية الجديدة، التي تسببت بالخلاف والشقاق، بلينين في المؤتمر العام العاشر إلى فرض حظر على النزاعات الحزبية ضمن الحزب الشيوعي وكذلك على أحزاب المعارضة في مجالس السوڤييت.

والمناجم والمصارف وسُمِح بأن يفقد المال قيمته. وقد حلت السياسة الاقتصادية الجديدة محل الشيوعية الحربية سنة 1921

كانت الاختلافات الكبيرة إلى ذلك التاريخ (وحتى أثناء الحرب الأهلية) طبيعية ضمن الحزب الشيوعي وتابعت أحزاب كثيرة (مثل حزب المينشِڤيين Mensheviks وَالثوريين الاجتماعيين (Social Revolutionaries) عملها ضمن مجالس السوڤييت بالرغم من القيود المؤقتة. وعارض عدد من الشيوعيين هذا الحظر ولكن لينين صرَّح بعدئذ أنه إجراءٌ مؤقت بهدف معالجة الأزمة السياسية والاقتصادية الحادّة، وأنه ليس حظراً على المعارضة ضمن الحزب أو على المخالفة بوجه عام.

وقعت ثورة كرونشتات Kronstadt Rising في آذار/مارس 1921 عندما نظَّم البحارة والعمال في قاعدة كرونشتات البحرية عصياناً ضد الشيوعية الحربية والقيود السياسية التي فرضها البلشڤيون أثناء الحرب الأهلية. تم سحق هذه الثورة ووقعت خسائر كبيرة في الأرواح لدى الجانبين.

## مرض لينين

في أيار/مايو 1922 تعرض لينين لأول نوبة من الأزمات القلبية التي قيَّدت على نحو متزايد قدرته على المشاركة السياسية الفعالة. استمر الجدل بخصوص السياسة الاقتصادية وظهرت في الوقت ذاته اختلافات سياسية هامة حول الديمقراطية السياسية الداخلية وَالسياسة تجاه القوميات التي تشكل الاتحاد الفيدرالي الروسي والموقف الذي يجب اتخاذه من أجل المُضي في الثورة العالمية.

مجالس السوڤييت هي مجالس العمال، وكانت تعمل في الأصل كلجان للإضراب، وتضم جميع العمال بعيداً عن السياسة. انتشرت هذه المجالس في جميع أنحاء روسيا سنة 1917 وكان كل مجلس مدينة أو مجلس ريفي يرسل مفوضين عنه إلى مؤتمر مجالس السوڤييت في عموم روسيا. وبعد سنة 1917 أصبحت هذه المجالس تشكل السلطة السياسية الرئيسة وهي تهيمن من الناحية النظرية على الحكومة.

## المناضلون في سبيل الخلافة

أصبح الجدل الاقتصادي والسياسي مرتبطاً بالتنافس الشخصي فيما بين القياديين الشيوعيين الذين بدؤوا بدراسة ما يمكن أن يحدث إذا مات لينين. أهم الشيوعيين بعد لينين هم

لماذا كانت ثورة كرونشتات على هذه الدرجة من الأهمية في التطورات السياسية اللاحقة في الاتحاد السوڤييتي؟

أعضاء الشعبة السياسية Politburo الآخرون: تروتسكي Trotsky وَزينوڤييف Zinoviev، وَكامينيف Kamenev، وَبُخارين Bukharin، وَريكوف Rykov، وَستالين Stalin، وَتومسكي Tomsky. كان تروتسكي على ما يظهر الأوفر حظاً في خلافة لينين، فهو المنظم الرئيسي لثورة تشرين الثاني/نوڤمبر وباني الجيش الأحمر وهازم البيض ومفوض الحربية.



**ما هي أهمية حظر سنة 1921 على النزاعات الحزبية؟**

وُلِد بُخارين Bukharin سنة 1888 وانضم إلى البلشڤيين بداية في الجناح اليساري للحزب. ومنذ سنة 1924 أصبح ينتقل على نحو متزايد إلى اليمين، وكان المدافع الرئيسي عن السياسة الاقتصادية الجديدة حتى سنة 1928 عندما انهزم أمام ستالين. بعد أن سُمِح له بالعودة إلى صفوف الحزب في الثلاثينيات ساعد بكتابة مسودة الدستور سنة 1936. وقد أُعدِم سنة 1938.

ويأتي بعد تروتسكي زينوڤييف وَكامينيف، الزعيمان السياسيان القويّان (المتحدران من پيتروگراد Petrograde وموسكو على التوالي) والمرتبطان مدة طويلة مع لينين، لكن نقطة ضعفهما أنهما عارضا ثورة تشرين الثاني/نوڤمبر في البداية وقاما بتسريب أوائل الخطط إلى صحافة المعارضة. كان بُخارين أيضاً قائداً ثورياً مشهوراً ومعروفاً، أما ستالين فلم

يكن مشهوراً ومن غير المحتمل بروزه كزعيم رئيسي، إلا أنه عُيِّن مفوضاً للقوميات بعد الثورة - في نيسان/ ابريل 1922 - ثم أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوڤييتي حيث كان تعيين وعزل الموظفين الشيوعيين إحدى مهامه.

كرِهَ كثير من هؤلاء الزعماء الشيوعيين بروز تروتسكي السريع إلى قمة الحزب لأنهم من ناحية كانوا من مؤيدي لينين سنة 1903 عندما انقسم حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي Russia's Social Democratic Labour Party (RSDLP) إلى زمرتين بلشڤية Bolshevik ومينشڤية Menshevik، في حين انحاز تروتسكي إلى المينشڤيين من 1903 إلى 1904، ثم شكَّل مجموعة مستقلة تألفت على نحو رئيسي من المفكرين ثم انضم إلى البلشڤيين في آب/ أغسطس 1917. ظنَّ زينوڤييڤ وَكامينيڤ على وجه الخصوص أنهما يجب أن يتسلما السلطة من لينين، فالتجأ في كانون الأول/ ديسمبر 1922 إلى ستالين لطلب المساعدة (من خلال رقابته على التعيين والتنظيم الحزبيين) من أجل الحيلولة دون حصول تروتسكي على تأييد الأغلبية.

المفوَّض هو الاسم الذي تم اختياره من قبل تروتسكي فور انتهاء ثورة تشرين الثاني/نوڤمبر ليحل محل كلمة الوزير، مثال: مفوض الحربية.

## وصية لينين

**ما هو الموقف المهم الذي اتخذه ستالين سنة 1922؟ كيف ساعده هذا الأمر ليصبح حاكم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية**

وعلى الرغم من أن الأزمات القلبية التي أصابت لينين حَجَبَته عن العمل السياسي حجباً فعالاً إلا أن معرفته بهذه الضغوط السياسية والشخصية جعلت قلَقه يتنامى، فاقترح على تروتسكي وجوب تشكيل كتلة مشتركة من أجل الديمقراطية تقف في وجه علامات البيروقراطية المتزايدة في الحزب والدولة.

حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي RSDLP هو حزب ماركسي تأسس سنة 1898، وانقسم إلى زمرتين تطورتا بحلول سنة 1912 إلى حزبين مستقلين: البلشڤيين Bolsheviks (بزعامة لينين) والمنشِڤيين. غيَّر الحزب البلشڤي اسمه سنة 1918 إلى الحزب الشيوعي.

لكن أزمته القلبية الثانية التي تعرَّض لها في نهاية كانون الأول/ ديسمبر حالت دون ذلك. لقد أهمَّته الأمور التي قد

تحدث بعد موته فأملى في كانون الأول/ ديسمبر 1922 أفكاره المبدئية فيما رأى أنها وصيته الأخيرة والتي وضعت الخطوط العريضة لنواحي القوة والضعف لدى جميع الأعضاء القياديين في الحزب الشيوعي Communist Party، وقد أدى به قلَقه المتزايد من قوة ستالين إلى أن أضاف في كانون الثاني/ يناير 1923 إلى أسفل وصيته تعقيباً لاحقاً يوصي بإزاحة ستالين. كان لينين منذ ذلك الوقت وحتى وفاته يلحّ في مناسبات عديدة على تروتسكي لِيَشن حملة ضد البيروقراطية واستعادة الديمقراطية الحزبية والسوفييتية.

**لماذا كتب لينين التعقيب تحت وصيته سنة 1923؟**

## ما هي المراحل الأساسية للصراع على السلطة؟

### الحملة المبكرة ضد تروتسكي

بحلول شهر شباط/ فبراير 1923 كان التحالف بين ستالين وزينوڤييف وكامينيف قد انتهى وقرَّر أعضاء الثالوث فتح ملفات الحزب الأولى أمام أعضاء اللجنة المركزية لأن ذلك يضع بين أيديهم الرسائل التي عبَّر فيها لينين عن نقاط اختلافه الأولى مع تروتسكي قبل أن تتضافر جهودهما في شهر آب/ أغسطس 1917. وسرعان ما سرَت حملة من اللمَزات بأن تروتسكي ليس له ماضٍ بلشفي وأن اختلافاته السابقة مع لينين وَطموحاته كانت نقاط ضعف.

الثالوث Triumvir كلمة لاتينية تعبر عن الحاكم الذي يعمل مع حاكمَين آخرين.

اللجنة المركزية Central Committee – من الناحية النظرية – هي الهيئة التي تحكم الحزب الشيوعي في الفترات الواقعة بين مؤتمرات الحزب العامة وكان ينتخبها أعضاء المؤتمر العام، ثم تنتخب الشعبة السياسية Politburo

بدا في آذار/ مارس 1923 أن ستالين يواجه مشكلة خطيرة بسبب وقاحته مع كرُپسكايا Krupskaya زوجة لينين وأدى ذلك بلينين إلى أن يرسل إليه رسالة قاسية. كان كامينيڤ Kamenev على علم بذلك وبأن لدى لينين النيَّة لتحطيم ستالين سياسياً، لكن لينين تعرض حينذاك لأزمة قلبية ثالثة تركته مشلولاً وعاجزاً عن الكلام معظم الوقت إلى أن توفي في كانون الثاني/ يناير 1924.

## المؤتمر العام الثاني عشر - نيسان/ابريل 1923

المؤتمر العام للحزب من الناحية النظرية هو أعلى هيئة لصنع القرار في الحزب الشيوعي، وتضم منتدبين منتخبين من قبل فروع الحزب الإقليمية.

افتتح هذا المؤتمر العام بالتحيات المعتادة من أعضاء الخلايا الحزبية (الفروع) الذين أثنوا على لينين وتروتسكي وأثنى بعضهم على زينوفييڤ وَكامينيڤ أيضاً، لكن أحداً لم يكد يذكر ستالين. أما عن خليفة لينين فقد كان ذلك واضحاً من خلال المراتب والتسلسل الحزبي، لكن غياب لينين أمكن الثالوث من عزل تروتسكي، فأعاد المؤتمر انتخاب ستالين أميناً عاماً وانتخب لجنة مركزية موسَّعة، كان ثلاثة فقط من أعضائها الأربعين من مؤيدي تروتسكي.

تم تشكيل لجنة مراقبة جديدة من أجل تدقيق صفات أعضاء الحزب وطرد الأشخاص النفعيين وغير الناضجين سياسياً والموظفين الفاسدين. وأشرف ستالين بحكم منصبه كأمين عام على أعمال هذه اللجنة فبدأ بإحلال مؤيدي الثالوث والذين يؤيدوه على وجه الخصوص محل مؤيدي تروتسكي، وما أن حلت نهاية سنة 1923 إلا وكان ستالين قد توصل إلى سيطرة تكفي للتحكم بآلة الحزب على المستوى المحلي من أجل ضمان انتخاب معظم مرشحيه ليكونوا منتدبين إلى المؤتمرات العامة المقبلة.

### بيان الستة والأربعين

اندلعت موجة من الإضرابات غير الرسمية في موسكو وَپيتروگراد Petrograd في شهري تموز/يوليو وآب/أغسطس 1923، وَسرعان ما وجَّه الثالوث اللوم للمعارضة العمالية (وهي زمرة يسارية في الحزب الشيوعي) ودَعا إلى طرد جميع الحزبيين الذين نقضوا حظر سنة 1921 الخاص بالنزاعات الحزبية.

في تشرين الأول/أكتوبر أصدر ستة وأربعون من أعضاء الحزب الشيوعي بياناً انتقدوا فيه القيادة على السياسة الاقتصادية وغياب الديمقراطية الكاملة من الحزب. وبرغم أن تروتسكي لم يكن مشتركاً بنفسه في هذا البيان إلا أن كثيراً من مؤيديه كانوا بين الستة والأربعين كما كان منهم أعضاء من المعارضة العمالية ومن ديمقراطيي الوسط (وهي زمرة يسارية أخرى من الحزب الشيوعي). أصيب أفراد الثالوث بالصدمة بسبب مدى المعارضة ورفضوا طباعة البيان أو الدعوة إلى مؤتمر إقليمي، وقاموا بدلاً من ذلك بإقناع اللجنة المركزية بتوجيه تعنيف رسمي إلى تروتسكي والستة والأربعين على فعلتهم وتهديدهم بالطرد ما لم يطووا البيان.

**من هي المعارضة العمالية ومن هم ديمقراطيو الوسط؟**

## المعارضة اليسارية

عند هذا الحد انضم تروتسكي إلى الستة والأربعين لتشكيل ما عُرِف فيما بعد باسم المعارضة اليسارية Left Opposition، فبدأ ستالين باستخدام قوته لخنق الانتقاد وعزل المعارضة اليسارية استعداداً للمؤتمر القطري الثالث عشر للحزب والذي سيناقش جميع هذه الأمور الاقتصادية والسياسية. وبرغم التأييد الحزبي الكبير لوجهات نظر تروتسكي إلا أن أمناء السر (الذين كانوا من مرشَّحي ستالين) ضيَّعوا معظم القرارات التي تؤيد موقف تروتسكي.

في غياب مكتب سياسي، كانت الشعبة السياسية Politburo هيئة الحزب الشيوعي المسؤولة عن اتخاذ القرارات السياسية التي يمكن أن تعرض فيما بعد على اللجنة المركزية والمؤتمر العام للحزب لاعتمادها أو رفضها. وسرعان ما أصبحت هذه المجموعة الصغيرة هي المهيمنة عملياً على الهيئتين الأخريين.

كذلك استخدم ستالين قوته المتنامية على آلة الحزب ـ والحقيقة هي أن التحضيرات للمؤتمر الإقليمي كانت بين يدي مرشحيه ـ وذلك من أجل إقصاء أكبر عدد ممكن من مؤيدي المعارضة اليسارية من خلال عملية الانتخاب غير المباشر للمندوبين في هذا المؤتمر. (تقوم المؤتمرات الحزبية الصغيرة المحلية بتحديد المندوبين الذين يجب أن يذهبوا إلى

المؤتمر القطري القومي للحزب من بين المندوبين المنتخبين من قبل الفروع الأصغر).

لم يتمكن تروتسكي من حضور المؤتمر القطري بسبب مرضه، وتم شجْب وجهات نظره وكذلك وجهات نظر الستة والأربعين باعتبارها انحرافاً بورجوازياً صغيراً عن اللينينية Leninism واتُّهِم بعدم الولاء للشعبة السياسية Politburo والحرس القديم (زعماء الحزب). لم يؤيد تروتسكي سوى ثلاثة مندوبين. كذلك صوَّت المؤتمر القطري على ضرورة محافظة الحرس القديم على سيطرتهم لأن عدد أعضاء الحزب قد وصل إلى أربعمئة ألف ليسوا جميعاً شيوعيين صادقين.

### المؤتمر العام الثالث عشر للحزب - أيار/مايو 1924

في هذا الوقت تلقى تروتسكي - وهو متوجه إلى مصح على البحر الأسود بناء على نصيحة أطبائه ـ برقية من ستالين يبلغه فيها بموت لينين، وعندما تحدث عن العودة أخبره ستالين بمتابعة رحلته لأنه لن يتمكن من الوصول في وقت الجنازة، وأن شفاءه من مرضه هو الأهم الآن. أعطاه ستالين متعمداً تاريخاً غير صحيح، وأثناء جنازة لينين قدم أعضاء الثالوث أنفسهم خلفاء له وأثاروا الشكوك حول غياب تروتسكي. وفي نفس الوقت كان مزيد من المعارضين يُفصلون من مناصب المسؤولية أو تُخفض درجاتهم.

قبل أن يجتمع المؤتمر العام، كشفت أرملة لينين عن وصيته أمام اللجنة المركزية وكبار المندوبين إلى المؤتمر، وكانت التوصية الواضحة التي تضمنتها بخصوص إقصاء ستالين تبدو ضماناً لمنعه من خلافة لينين كزعيم للحزب الشيوعي، لكن إنقاذه جاء على يد زينوڤييف Zinoviev، وَكامينيڤ Kamenev اللذين ظناه في موقف ضعف خطير

وُلَد گريگوري زينوڤييڤ Grigori Zinoviev سنة 1883 وانضم إلى البلشڤيين وعمل على نحو وثيق مع لينين أثناء وجوده في منفاه بين سنتي 1908 وَ 1917، وأصبح الزعيم القوي للحزب في مدينة پيتروگراد Petrograd (لينينگراد Leningrad) ورئيساً للحزب الشيوعي الدولي. أُعدم سنة 1936.

ولِد ليو كَامينيڤ Leo Kamenev سنة 1883 وانضم إلى البلشڤيين وانتخِب سنة 1917 في الشعبة السياسية Politburo لديهم. عارض مثل زينوڤييڤ دعوة لينين لثورة ثانية في تشرين الثاني/ نوڤمبر. أصبح زعيماً لمنظمة الحزب في موسكو. أعدِم سنة 1936.

وطرحا أنه غيَّر من سياساته وأن الحزب بحاجة إلى التماسك معاً. لم يقل تروتسكي ـ الذي كان قد عاد لتوّه من مصحّه ـ شيئاً، لكن اللجنة المركزية قررت ـ بالرغم من احتجاجات كرُپسكايا Krupskaya ـ عدم إقصاء ستالين من منصب الأمين العام وألا تنشر وصية لينين (حيث بقي وجودها سراً في اتحاد الجمهوريات السوڤييتية الاشتراكية حتى سنة 1956) .

صوَّت المؤتمر العام على قبول إدانة تروتسكي التي أقرها المؤتمر القطري السابق، ورضخ تروتسكي لحكم الحزب. وبدأ الثالوث أيضاً ـ مستخدماً منصب زينوڤييڤ كزعيم للحزب الشيوعي الدولي - بالتأثير على الحزب لدعم الانتقادات الموجهة إلى تروتسكي. وفي هذا الوقت تسارع انحراف الحزب الشيوعي الروسي نحو اليمين لأن الآمال خابت بوقوع ثورة في ألمانيا وپولونيا وبلگاريا.

الكومينتيرن Comintern هو الحزب الشيوعي الدولي (أو الدولي الثالث) الذي تأسس سنة 1919 والذي تنتمي إليه جميع الأحزاب الشيوعية، وقد تأسس لمساعدة الثورات في البلدان الأخرى.

وفي حزيران/ يونيو 1924 ثبَّت المؤتمر العام الخامس للحزب الشيوعي الدولي إدانة تروتسكي الذي لم يُنتخَب مرة ثانية لعضوية كاملة في لجنته التنفيذية بل انتُخِب ستالين بديلاً عنه. ثم وجَّه ستالين تهديداً لتروتسكي بالطرد إذا شارك في أي جدل سياسي آخر، وتم إلحاق الهزيمة بمعارضته اليسارية. وبذلك انتهت المرحلة التي تبيَّن فيما بعد أنها أولى مراحل الصراع على السلطة.

## تحقيق الاشتراكية في بلد واحد

استمرت المرحلة الثانية من الصراع على السلطة من سنة 1924 إلى سنة 1926 وكانت هادئة إلى حدٍّ ما، فبعد انتهاء المؤتمر العام الثالث عشر بدأ الثالوث حملة ضد التروتسكية (التي قيل إنها تعارض اللينينية) وقدَّم تاريخ رسمي مشوَّه للثورة وللحرب الأهلية.

في البداية التزم تروتسكي جانب الصمت ولكن نزاعاً جديداً انطلقت شرارته في تشرين الثاني/نوفمبر 1924 عندما نُشِرَت خطبه وكتاباته التي تعود إلى سنة 1917 وفي مقدمتها دروس تشرين الأول/أكتوبر الجديدة، وهذه التقدمة فجَّرت خرافة كونه مينشفياً Menshevik من سنة 1903 وحتى سنة 1917 وبيَّنت عن معارضته لهم منذ سنة 1904، ومدى التقارب بين آرائه وآراء لينين، وكيف أن زينوفييف وكامينيف عارضا لينين في كثير من الأمور المهمة. والوحيد الذي لم يظهَر مذنباً بأية إساءة تجاه لينين هو ستالين، بل على العكس فإن تروتسكي قوّى من موقف ستالين. أدى هذا الأمر بالثالوث إلى شن هجوم معاكس وطرح ـ مرة أخرى - كل خلافات تروتسكي مع لينين قبل سنة 1917 وبعدها، وشن هجوماً على نظريته في الثورة الدائمة (التي طوَّرها تروتسكي سنة 1906 عن ماركس والتي كان يشاركه فيها سنة 1917 معظم البلشفيين).

ماذا كان ستالين يعني بـ اشتراكية في بلد واحد؟

في خريف سنة 1924 كشف ستالين لأول مرة عن البديل الذي يراه عن الثورة الدائمة: تحقيق الاشتراكية في بلد واحد. وهذا أدى إلى تقوية الحاجة إلى السلام والاستقرار، وصرّح أيضاً أن الدولة السوفييتية الجديدة بالرغم من تخلفها وعزلتها يمكن أن تبني الاشتراكية وحدها. يرفض هذا البديل دعوة تروتسكي المستمرة للثورة العالمية ويحظى بتأييد بُخارين Bukharin الذي أكمل خلال فترة 1924 ـ 1925 تحوله إلى الجناح اليميني للحزب الشيوعي. وهكذا طرح ستالين (بالنيابة عن الوسط) وبُخارين (بالنيابة عن اليمين) أن من الأهم المحافظة على التحالف (المعروف باسم سميتشكا smychka) مع الفلاحين الذين يشكلون سبعين بالمئة من السكان، واتهما تروتسكي أيضاً بنقص الإيمان بروسيا وبشعبها.

ما هو تحالف سميتشكا؟

في كانون الثاني/يناير 1925 استخدم أعضاء الثالوث سيطرتهم على هيئات الحزب والدولة من أجل تجريد تروتسكي من قاعدة سياسية هامة هي منصبه كمفوض الحرب. وأُنذِر بعدئذ بأن أية مخالفة جديدة ستؤدي إلى طرده من الشعبة السياسية Politburo واللجنة المركزية. وتخلى تروتسكي الذي سبق له أن حلَّ معارضته اليسارية عملياً (برغم استمرار المناقشات غير الرسمية مع قادة المعارضة الآخرين مثل رادِك Radek وبياتاكوف Pyatakov وبريوبراجينسكي Preobrazhensky) عن مناصبه دون قتال.

سميتشكا Smychka تشير إلى التحالف السياسي والاقتصادي بين عمال الصناعة والفلاحين، وهذه الصلة بين المدينة والريف كانت أساس السياسة الاقتصادية الجديدة وكان يُنظَر إليها على أنها صالحة لإبقاء الفلاحين سعداء، مع كونهم يشكلون غالبية السكان.

أُسنِد إلى تروتسكي في أيار/مايو منصب اقتصادي جديد في المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني (ڤيسينخا Vesenkha)، وسرعان ما بدأ يتبين التهديد الموجه من قبل الرأسمالية الأمريكية فطرح مزيداً من التخطيط الاشتراكي في سبيل تقوية السياسة الاقتصادية الجديدة وأن يتبنى الحزب الشيوعي الدولي Comintern خطأً أكثر ثورية. ومرة أخرى نظر إليه الآخرون على أنه يثير الخلاف.

## الإنقسامات ضمن الثالوث

ترافقت هذه الاختلافات مع عدد من التطورات، فبحلول سنة 1925 أصبح كثير من الشيوعيين يدركون أن طريق العودة إلى الثورة الدائمة غير مزروع بالورود برغم النجاح الذي حققته السياسة الاقتصادية الجديدة، إذ اتضح أيضاً أن الفلاحين بدؤوا يقاومون محاولات النظام السوڤييتي في المركزية، ففي بعض المناطق قُتِل بعض الموظفين السوڤييت. أضف إلى ذلك أن الكثيرين ذاقوا متعة السلام النسبي وازدهار السياسة الاقتصادية الجديدة، وتملكتهم الخشية من أن يُهَدَّد السلام في الداخل والخارج بفعل طروحات تروتسكي ونظريته

في الثورة الدائمة. وهنا بدا أن ستالين وبُخارين يعرضان مستقبلاً أكثر إغراءً.

في البداية لم تكن المناقشات تجري بين ستالين وتروتسكي بل بين بُخارين وپريوبراجينسكي Preobrazhensky. غير أن عدم الارتياح الذي ساد بين الفلاحين سرعان ما أوصل إلى خلاف خطير أدى إلى انشقاق بين الثالوث وبين خط آخر في الحزب الشيوعي. وبحلول سنة 1925 كان الحزب قد انفصل إلى يمين، وَوسط، وَيسار مؤلف من زينوڤييف وكامينيف مع پريوبراجينسكي حاولوا منذ وقت يعود إلى أوائل كانون الثاني/ يناير أن يزحزحوا ستالين عن منصب الأمين العام من خلال اقتراح بأن يحل محل تروتسكي كمفوض للحرب. وبحلول نيسان/ اپريل كان زينوڤييف وكامينيف يعارضان نظرية تحقيق الاشتراكية في بلد واحد باعتبارها تعاكس اللينينية. أما اليمين المؤلف من بُخارين وَريكوف وَتومسكي فكان يدعم ستالين وَالوسط (الذي يضم مولوتوف Molotov وَكاگانوڤيتش Kaganovich وَأندرييڤ Andreev) وَنظرية تحقيق الاشتراكية في بلد واحد أيضاً.

## معارضة لينينگراد

في صيف سنة 1925 ظهرت الاختلافات بين الثالوث إلى العلن عندما هاجم مؤيدو زينوڤييف في لينينگراد Leningrad (نظراً لأن اسم بتروگراد Petrograd قد تغير سنة 1924) الهيمنة المتزايدة لآراء بُخارين اليمينية. وفي أيلول/ سپتمبر بدأ زينوڤييف وكامينيف بالإفصاح عن قلقهما من التطورات في الحزب ودعيا إلى تجديد النضال من أجل المساواة وإنعاش الدولية اللينينية Leninist internationalism. وكان ذلك هجوماً مباشراً على نظرية تحقيق الاشتراكية في بلد

واحد التي كانت تعتبر مناقضة للماركسية المتزمتة التي تقول إن ذلك يمكن أن يُنجَز بعد الثورة العالمية. وفي تشرين الأول/ أكتوبر وأثناء اجتماع اللجنة المركزية ـ الذي كان يُجري التحضيرات للمؤتمر العام الرابع عشر للحزب ـ انضمت كرُپسكايا Krupskaya وَسوكولنيكوڤ Sokolnikov إلى زينوڤييڤ وكامينيڤ في تقديم بيان مشترك دعوا فيه إلى نقاش حر لجميع هذه الأمور. تمكّن ستالين بدعم من اليمين من هزيمة هذه الدعوة وكان أن أُنذِر اليسار بعدم توجيه انتقادات علنية للسياسة الرسمية.

بدأ ستالين بعدئذ بتنحية مؤيدي كامينيڤ عن مناصبهم في الحزب في موسكو غير أنه لم يفلح كثيراً في الحزب في لينينگراد حيث كان زينوڤييڤ قوياً. إلتزَم تروتسكي الصمت طوال هذه الفترة حتى لايُتهَم بالشقاق الحزبي. وقد وافق في الحقيقة خلال شهر أيلول/ سپتمبر حتى على إنكار وجود وصية لينين. وفي هذا الوقت كان زينوڤييڤ وكامينيڤ يؤيدان آراء كثيرة الشبه بآراء المعارضة اليسارية في فترة 1923 - 1924. كذلك فإن زينوڤييڤ كان في موقع قوي، حيث كان ـ بالإضافة إلى سيطرته على الحزب في لينينگراد - رئيساً للحزب الشيوعي الدولي أيضاً ويحظى بدعم كرُپسكايا.

اجتمع المؤتمر العام في كانون الأول/ ديسمبر 1925 وحصل جدال شرِس بين مختلف المجموعات. لكن تروتسكي ظل صامتاً حتى عندما أشار زينوڤييڤ إلى وصية لينين وتحذيره من سوء استخدام ستالين للسلطة وكذلك عندما عبَّرت كرُپسكايا عن معارضتها للحملة ضد التروتسكية. غير أن ستالين ظل قادراً على تأمين تأييد أغلبية الحاضرين له ولبخارين، ماعدا نكسة بشأن ممثلي لينينگراد. ألحِقت الهزيمة بزينوڤييڤ ومؤيديه بأغلبية 559 صوتاً مقابل 65، ثم انتخَب

المؤتمر العام بعدئذ لجنة مركزية جديدة فيها أغلبية ستالينية - بخارينية، وكذلك شعبة سياسية Politburo ضمت أيضاً أغلبية من الوسط واليمين. أنزلت اللجنة المركزية أيضاً مرتبة كامينيڤ إلى عضو مرشح (تحت المراقبة) كما تمت ترقية ثلاثة من مؤيدي ستالين من مرشح إلى عضو كامل العضوية.

وعلى الرغم من هذه الهزيمة تابع زينوڤييف حملته في لينينگراد. وعندما اقترحت اللجنة المركزية إجراءات تأديبية بحقه عارضها تروتسكي، ونتيجة لذلك بدأ ستالين حملة ضده اتهم فيها زينوڤييف بالتروتسكية، وفي أوائل سنة 1926 أُجبر زينوڤييف على تسليم قيادة الحزب في لينينگراد إلى أحد مؤيدي ستالين ـ كيروڤ - Kirov وتمت إزاحة أتباع زينوڤييف من مناصبهم.

## المعارضة المتحدة

**لماذا انضمت معارضة لينينغراد إلى معارضة تروتسكي اليسارية سنة 1926؟**

لم يوحِّد تروتسكي حتى هذا الوقت قوته مع زينوڤييف وَكامينيڤ، وفي نيسان/ ابريل 1926 عرض عليهما التأييد في نهاية المطاف. وفي محادثات سرية كشفا النقاب عن كيفية اصطناعهما الحملة المضادة للتروتسكية وعن مخاوفهما تجاه طرق ستالين وسياساته. قام تروتسكي وَزينوڤييف وَكامينيڤ، يؤيدهم بعض الأعضاء البارزين في الحزب، بتشكيل المعارضة المتحدة (من اليسار)، وهنا بدأت المرحلة الثانية من الصراع على السلطة.

شَنَّ ستالين في حزيران/ يونيو هجوماً على تروتسكي منتقداً أفكاره، فكتب تروتسكي بدوره إلى الشعبة السياسية Politburo محذراً من احتمال الحكم الأوتقراطي إذا لم يتم إصلاح الحزب، ودار صراع حاسم في الأشهر الثمانية عشر التالية.

أعلنت المعارضة المتحدة رسمياً عن وجودها في حزيران/يونيو 1926 ووصفت موقفها بأنه بلشفي يساري، وراحت تنافح في سبيل ديمقراطية حزبية أكبر وَتخطيط صناعي أكثر وَتحرّك نحو التحوُّل إلى مزارع جماعية (غير إلزامي) وَفوق كل هذا وذاك رفض نظرية تحقيق الاشتراكية في بلد واحد باعتبارها لاتتماشى مع الماركسية ـ اللينينية. وبدلاً من ذلك دَعت إلى سياسة أكثر ثورية يجري تطبيقها من قبَل الحزب الشيوعي الدولي Comintern. انضمت بقايا المعارضة العمالية إلى المعارضين فكان عدد المؤيدين ستة آلاف فقط من أصل مجموع أعضاء الحزب السبعمئة والخمسين ألفاً (برغم أن حوالي عشرين ألفاً كانوا منخرطين فعلياً في هذا الصراع داخل الحزب). غير أن حملتهم بدأت في الصيف تتداعى لأن سيطرة ستالين على الحزب أمكنته من حظر الاجتماعات وتنحية المعارضين.

بعد ذلك اتهم ستالين المعارضة بمخالفة حظر سنة 1921 حول النزاعات الحزبية وهاجم زينوڤييف الذي مازال رئيساً للحزب الشيوعي الدولي، وصوَّتت اللجنة المركزية على تنحيته من الشعبة السياسية Politburo. ولما كان كامينيف عضواً لا يتمتع بحق التصويت منذ المؤتمر العام الرابع عشر للحزب فإن تروتسكي هو الوحيد الذي ظل يعارض ستالين فيها. قررت المعارضة المتحدة عندئذ الاستغاثة بالمراتب الحزبية ولكن سيطرة ستالين على الآلة الحزبية مرة أخرى ولجوءه إلى الفخر الوطني (حيث اتهم تروتسكي بالاعتقاد أن الروس غير قادرين على بناء الاشتراكية) جعلت النجاح ضئيلاً جداً. وفي نفس الوقت خشي زينوڤييف وكامينيف (أكثر من زينوڤييف) من دعوات بعض المعارضين بالإعلان عن أنفسهم كحزب مستقل. أدت هذه النظرات الأكثر راديكالية وعزلتهما

المتزايدة بزينوڤييف وَكامينيف إلى الخوف من الطرد من الحزب الوحيد القانوني وجعلتهما يبدآن بالابتعاد عن تروتسكي. وفي تشرين الأول/أكتوبر 1926 وافق تروتسكي ـ في سبيل الإبقاء على تماسك المعارضة المتحدة ـ على وجوب عرض هدنة على الشعبة السياسية Politburo فقبِل ستالين ومؤيدوه بذلك.

إلا أنه ـ وأثناء التخطيط للمؤتمر القطري الخامس عشر للحزب - نشر أحد مؤيدي تروتسكي النص الكامل لوصية لينين في جريدة نيويورك تايمز New York Times فثارت ثائرة الشعبة السياسية Politburo وأنهت الهدنة وتم طرد تروتسكي منها على إثر اجتماع اللجنة المركزية وأزاحت زينوڤييف من منصبه كرئيس للحزب الشيوعي الدولي. وخلال هذا المؤتمر ذاته بقي قادة المعارضة صامتين إلى أن اضطرتهم هجمات ستالين وبُخارين إلى الدفاع عن وجهات نظرهم. وبرغم أن تروتسكي وكامينيف بقيا ثابتين على مواقفهما، لكن زينوڤييف حاول الارتداد. وأكد المؤتمر على طرد قادة المعارضة الثلاثة من الشعبة السياسية Politburo وهددهم بمزيد إذا فتحوا النقاش مرة أخرى. أدى العزل الواضح بكرُپسكايا (التي خشيت من خطر انشقاق الحزب الشيوعي) وكذلك ببقية قادة المعارضة العمالية إلى الابتعاد وإحلال السلام مع ستالين.

### دحْر المعارضة المتحدة

استمرت الصحف في هجماتها على المعارضة المتحدة، وخسِر أعضاؤها الصغار وظائفهم. وبرغم أن زينوڤييف وكامينيف قرّرا التزام الهدوء إلا أن تروتسكي عزم على متابعة القتال.

في نيسان/ابريل 1927 اشتعل الخلاف مرة أخرى على سياسة القيادة تجاه الأحداث في الصين بعد مذبحة الشيوعيين

الصينيين على يد تشان كاي تشيك Jiang Jieshi. وفي نهاية أيار/مايو استطاع تروتسكي فرْض نقاش على هذا الأمر في لجنة الحزب الشيوعي الدولي التنفيذية. تمكن ستالين من التملص من خلال توجيه تهمة الشقاق الحزبي للشيوعيين البارزين الأربعة والثمانين (باستثناء تروتسكي) الذين كتبوا مسوَّدة استئناف حظيت بما يزيد عن ثلاثمئة توقيع آخر. ونتيجة لذلك استمر تخفيض مراتب المعارضين، وتم إرسالهم إلى مناطق نائية من الاتحاد السوڤييتي أو طردهم من وظائفهم. وفي حزيران/يونيو طلب ستالين من اللجنة المركزية ولجنة المراقبة أن تطردا تروتسكي وزينوڤييف من اللجنة المركزية لأنه لم يردْهما أن يتحدثا في المؤتمر العام الخامس عشر للحزب المقرر انعقاده في تشرين الثاني/نوڤمبر 1927. لم يكن ستالين في البداية قادراً على إقناع اللجنة المركزية بذلك فأجل المؤتمر إلى أن كان له أخيراً ما أراد.

وفي نفس الوقت أعدت المعارضة منبرها (برنامج السياسة) ظناً منها أن المؤتمر العام سيناقشه وقامت بطبعه بنفسها برغم رفض اللجنة المركزية أن تنشرَه، وبدأت تجمع التواقيع من الموافقين على مقترحاتها. وفي النهاية، وبسبب الهجمات والأفعال الأخرى، لم تتمكن من جمع سوى ستة آلاف توقيع بدلاً من العشرين إلى ثلاثين ألف توقيع التي كانت تتوقعها.

أُحبطت محاولات المعارضة لمخاطبة الجماهير في احتفالات الذكرى العاشرة لثورة تشرين الثاني/نوڤمبر November Revolution على أيدي مؤيدي ستالين والشرطة، حيث اعتُبِرت هذه الأعمال هجوماً على القيادة وشكلت بذلك انتهاكاً للقواعد الخاصة بالشقاق الحزبي. وطالب ستالين بعدئذ بطرد تروتسكي وزينوڤييف من الحزب وتمت الموافقة على

ثورة تشرين الثاني/نوڤمبر هي الثورة الثانية في روسيا سنة 1917 (فالثورة الأولى وقعت في آذار/مارس وأدت إلى تنازل القيصر عن العرش وإلى أن تصبح روسيا جمهورية). قام تروتسكي

بالتخطيط لثورة تشرين الثاني/ نوفمبر التي دفع بها لينين ونفذها الحرس الأحمر البلشفي (الميليشيا) ومؤيدوهم. وبعد إسقاطِ الحكومة المؤقتة غير المنتخَبة تم تسليم السلطة إلى مؤتمر السوفييت العام لعموم الروس.

ذلك في الرابع عشر من تشرين الأول/أكتوبر، وفي نفس الوقت طُرد كامينيف وراكوفسكي Rakovsky من اللجنة المركزية، كما طرد المئات أيضاً من المعارضين الأصغر.

وعندما التأم المؤتمر العام أخيراً في كانون الأول/ ديسمبر 1927 أصدرت المعارضة المتحدة بياناً وقعه 121 من أعضائها القياديين يطالب بإلغاء جميع قرارات الطرد، ولكن ذلك رُفض رفضاً كبيراً، وفي ذلك الوقت بدأ تروتسكي يعتقد بضرورة تشكيل حزب جديد، لكن هذا آلم زينوفييف وكامينيف اللذين تشجعا من خلال إشارات على أن ستالين يوشك أن يتخلى عن السياسة الاقتصادية الجديدة لصالح برنامج جماعي صناعي وزراعي، ولهذا أعلن كامينيف أثناء المؤتمر العام أنه وزينوفييف سيستسلمان ولن يقدما مزيداً من الانتقادات وذلك من أجل إيقاف قرارات الطرد ومنع تشكيل حزب ثان. غير أن مؤيدي تروتسكي لن يكون لهم علاقة بهذا الأمر، ونتيجة لذلك فقد انتهت المعارضة المتحدة في العاشر من كانون الأول/ ديسمبر 1927.

وفور انتهاء المؤتمر طُرِد ألف وخمسمئة معارض آخر، وقام ألفان وخمسمئة بالتوقيع على بيانات بالاعتراف العلني بخطئهم، وفي الثامن عشر من كانون الأول/ ديسمبر وأمام المؤتمر العام أعلن زينوفييف وكامينيف أن أفكارهما كانت خاطئة وأنها ضد اللينينية، لكن ستالين رفض إعادة دخولهما - بالرغم من رغبة بُخارين بذلك - حتى يقضيا فترة اختبار لاتقل عن ستة أشهر.

كان ستالين في نفس الوقت يخطط لنفي تروتسكي مع مؤيديه غير التائبين. وباءت المحاولات الأولى لجعلهم يقبلون بوظائف صغيرة في أماكن نائية بالفشل في كانون الثاني/ يناير

1928، وبدلاً من ذلك تم نفي تروتسكي بالقوة إلى مدينة ألما آتا Alma Ata في تركستان Turkstan بالقرب من الحدود الصينية. كذلك تقرر ألا تقوم دور النشر الحكومية بطبع أعماله بعد الآن، أما المؤلفات الموجودة فقد سُحِبت من محلات بيع الكتب والمكتبات. كذلك نُفِي المعارضون الآخرون إلى أماكن أخرى وذلك في محاولة لعزلهم ولمنعهم من الاتصال ببعضهم البعض، ولكن هذا لم يكن ناجحاً جداً.

## دحْر اليمين

لماذا سقط ستالين وبُخارين في أواخر العشرينيات

بدأت المرحلة الأخيرة من الصراع على السلطة بعد ذلك فوراً. في وقت يعود إلى خريف سنة 1927 كانت هناك أزمة تتخمَّر في روسيا الزراعية، إذ كان الخبز غير متوفر وأسعار الطعام عالية في جميع أرجاء روسيا على الرغم من ثلاثة مواسم جيدة لأن الفلاحين رفضوا بيع محاصيلهم بالأسعار التي حددتها الدولة حيث ظنوا أن الأسعار المعروضة منخفضة جداً وأنه لا تتوفر أيضاً عُدَد أو بضائع صناعية حتى ينفقوا أموالهم عليها. حصلت اضطرابات في كثير من الأماكن وقامت الدولة بجمع الحبوب بالقوة. بدأ مثل هذه الحوادث وقرار ستالين باتباع منهج يساري فيما يتعلق بالصناعة والزراعة يسبب شرخاً بين أتباع بُخارين (الذين يريدون تقديم تنازلات للفلاحين) وأتباع ستالين (الذين يفضلون مزيداً من الطرق المفروضة بالقوة). وفي السادس من كانون الثاني/يناير سنة 1928 أصدرت الشعبة السياسية Politburo تعليمات سرية للمنظمات الحزبية بأن تكون صارمة مع الذين يعيقون عمليات جمع الحبوب وبدأت صحيفة براڤدا Pravda تنشر مقالات تهاجم الفلاحين الأغنياء (kulaks).

صحيفة الحزب البلشڤي / الشيوعي - البراڤدا - Pravda (التي تعني باللغة الروسية: الحقيقة) أشرف على تحريرها ستالين أولاً ثم بُخارين.

في نيسان/ابريل بدأت اللجنة المركزية باستخدام طروحات المعارضة اليسارية ضد الفلاحين الأغنياء (وبوصفهم رأسماليين فهم أعداء دولة العمال الاشتراكية) وفرضت إجراءات طوارئ مثل فرض قروض إلزامية على هؤلاء الفلاحين الأغنياء (مما يجبرهم على الإنتاج وبيع الطعام الزائد من أجل سداد هذه القروض) وكذلك مصادرة الحبوب. وقد أزيح عن السلطة كل من يُظهِر اللين مع هؤلاء الفلاحين الأغنياء (وأكثر هؤلاء من أتباع بخارين)، وقد عزز هذا التصرف من مركز ستالين بالطبع .

دخل في البداية السرور على مؤيدي تروتسكي حين رأوا تبني بعض سياساتهم وأن من المتوقع أن يُعادوا إلى الحزب، حتى أن بعضهم ظنوا أنهم كانوا مخطئين بشأن ستالين وأن عليهم أن يشدوا من أزره ضد أتباع بُخارين واليمين والقوى التي تعيد الرأسمالية إلى الظهور. كما أن تروتسكي نفسه اعتقد أنه يجب تشجيع ستالين والوسط على قطع العلاقات مع اليمين. وفي الحقيقة ومنذ أوائل سنة 1927 رأى تروتسكي أن زمرة بُخارين (التي تضم ريكوف Rykov وَتومسكي Tomsky) تشكل خطراً على مكاسب ثورة تشرين الثاني/نوڤمبر أكثر من زمرة ستالين لأنها أكبر عدداً واتجاهاتها اليمينية أكثر.

غير أن ستالين كان عازماً على الاستغناء عن تروتسكي أو زينوڤييف رغم محاولته كسب مؤيديهما. وبحلول شهر أيار/مايو 1928 اتضح أنه كان يخطط لثورة ثانية وأن مؤيدي تروتسكي بدأوا ينقسمون إلى أشخاص يمكن استمالتهم وأشخاص لا يمكن استمالتهم. وعلى وجه الخصوص فإن پريوبراجينسكي Preobrazhensky ورادِك Radek وَپياتاكوڤ Pyatakov طالبوا بعرض تأييد على ستالين، غير أن تروتسكي

جادل في أن الخطوة الأولى يجب أن تأتي من جانب ستالين عندما يكون في الحقيقة بحاجة إلى مساعدتهم. ومع ذلك فإن زينوڤييف وَكامينيف (وحوالي ثلاثة آلاف من المعارضين الآخرين) نجحوا في تقديم طلبات لإعادتهم إلى ما كانوا عليه في الحزب.

ساءت أزمة الطعام في تموز/يوليو، وقد بدا بصورة مؤقتة أن زمرة بُخارين كان لها اليد الطولى عندما فازت بصورة مفاجئة بالتصويت في اللجنة المركزية من أجل إيقاف إجراءات الطوارئ وعندما تم الإعلان عن زيادة في ثمن الخبز قدرها عشرون بالمئة. غير أن هذه الانقسامات ظهرت مرة أخرى في المؤتمر العام السادس للحزب الشيوعي الدولي في وقت لاحق من الشهر. جدَّد ستالين منحاه اليساري بحلول شهر آب/أغسطس (بعد أن أمَّن الأغلبية في الشعبة السياسية Politburo) وتم تثبيت انتهاكات بُخارين، فالتجأت كلتا الزمرتان إلى المعارضين اليساريين المهزومين بطلب التأييد.

في مسعى للتوسط أرسل بُخارين كامينيف كرسول إلى تروتسكي قائلاً إنه يخشى من أن يكون ستالين جنكيز خان Genghis Khan جديداً وأنه سوف يشنقنا. طرح بُخارين أن الأمر الرئيسي ليس السياسة الاقتصادية بل حرية الحزب والدولة، مدعياً أن ستالين كان يحضِّر لتشكيل دولة بوليسية والاستيلاء على كامل السلطة. غير أن ستالين رفض أي اتصال مباشر مع المعارضة اليسارية برغم أنه ألمح إلى إمكانية التحالف.

بحلول أيلول/سيتمبر 1928 تملَّك تروتسكي الرعب من تزايد استخدام العنف من قبل ستالين ضد الفلاحين وكانت تجذبه فكرة تشكيل تحالف مع بُخارين في سبيل استعادة لُحمَة الحزب الكاملة والديمقراطية السوڤييتية. إلا أن مؤيدي

الزعيمين كانوا على غاية من التردد في التعاون مع الأعداء السابقين، فاليسار على وجه الخصوص عارض تحالفاً مع اليمين فقط عندما ظهر أن ستالين على وشك أن ينفذ بعضاً من سياسات اليمين الاقتصادية. وبالنتيجة فإن ستالين استطاع أن يهزم اليمين دون مساعدة شكلية من اليسار، ذلك أن بُخارين واليمين ـ الذين يتملكهم الرعب الآن ـ قد استسلموا، أما اليسار فبقي مفكك الأوصال. وبرغم ذلك فلم يكن ستالين بحاجة إلى استذكار المعارضة اليسارية المنفية، بل تدبر أمر هزيمة كلا الزمرتين من خلال اعتماده على مؤيديه فقط.

قدَّر ستالين، بناء على تقارير جهاز أمن الدولة السياسي GPU، أن خططه من أجل الزراعة والصناعة يمكن، من حيث المبدأ، أن توجِد ظروفاً لنمو المعارضة. بدأ تأييد تروتسكي يتنامى في بعض خلايا الحزب عندما تبنى ستالين بعض أفكاره. وهنا قرر ستالين أن طرد تروتسكي نهائياً من الاتحاد السوڤييتي أمر ضروري، فهو يخشى من تشكيل تحالف يساري يميني في المستقبل من ناحية، ومن الناحية الأخرى مخافة أن يكون البعض من زمرته مازالوا يتعاطفون مع المعارضة.

GPU (جهاز أمن الدولة السياسي) هو الشرطة السرية من 1922 إلى 1923 (كان جهاز الشيكا Cheka هو الشرطة السرية من 1917 وحتى 1922، وكان جهاز OGPU هو جهاز الشرطة السرية من 1923 وحتى 1934)

وفي 16 كانون الأول/ديسمبر 1928 تم توجيه إنذار إلى تروتسكي بإيقاف جميع الأنشطة المعادية للثورة، وعندما رفض صوتت الشعبة السياسية Politburo على طرده من روسيا، وذلك بالرغم من معارضة بُخارين Bukharin وريكوف Rykov وتومسكي Tomsky. وفي شباط/فبراير 1929 تم ترحيل تروتسكي إلى القسطنطينية Constantinople. وفي نفس الفترة تحرك ستالين ضد اليمين فاتَّهم كلاً من بخارين وريكوف وتومسكي بالشقاق الحزبي. وفي نيسان/ابريل 1929، كان بُخارين قد أُعفي من عمله كمحرر لصحيفة البراڤدا وكسكرتير

سياسي للحزب الشيوعي الدولي، في حين طُردَ تومسكي من المجلس المركزي لاتحادات العمال، وتم توجيه إنذار لعناصر اليمين بأن مزيداً من انتهاكات الانضباط الحزبي سوف يؤدي إلى طردهم من الشعبة السياسية Politburo. وأخيراً تم إعفاء بُخارين في تشرين الثاني/نوفمبر 1929 من الشعبة السياسية Politburo بسبب قيادته للانحراف اليميني. ظهر أن ستالين الآن مالك لزمام الأمور كلها في الحزب الشيوعي وذلك برغم بقاء تومسكي عضواً في الشعبة السياسية Politburo واستمرار ريكوف في عضوية اللجنة المركزية.

بعد أن طُرد تروتسكي من الاتحاد السوڤييتي سنة 1929 قام بتشكيل الحزب التروتسكي الدولي Trotskyist Fourth International سنة 1938 لأنه كان مقتنعاً حينذاك أن الحزب الشيوعي الدولي وأحزابه أصبحت ستالينية ومحافظة ولا يمكن إصلاحها. قام أحد عملاء ستالين باغتياله في المكسيك سنة 1940.



صورة لستالين مع قادة شيوعيين آخرين في المؤتمر العام السادس عشر للحزب في تموز/يوليو **1930**، حيث كان تروتسكي في ذلك الوقت قد طرد من اللجنة المركزية. أصبح ستالين وأعوانه الآن يسيطرون على الحزب الشيوعي بعد أن هزم اليمين واليسار معاً.

## لماذا برز ستالين قائداً؟

لم يتفق المؤرخون على أسباب صعود ستالين إلى السلطة، ولكن يمكن أن نميِّز بعض المدارس التي تتراكب أفكارها في غالب الأحيان.

تطرح إحدى المدارس أن صعود ستالين كان نتيجة لاستغلال الاختلافات فيما بين قادة البلشڤيين على نحو مدروس. كذلك اعتمد نجاحه على أخطاء منافسيه ونقاط ضعفهم. كان بُخارين شديد التركيز على السياسة الاقتصادية الجديدة، وكان كامينيڤ على درجة كبيرة من ضعف الإرادة، وكان زينوڤييڤ نفعياً كبيراً، وكان تروتسكي منعزلاً جداً بحيث لا يستطيع التصرف تجاه الأخطار التي يشكلها ستالين، أما لينين فكان كثير المرض اعتباراً من سنة 1922 وما بعده بحيث لا يستطيع أن يكون فعالاً على الصعيد السياسي.

أما أتباع مدرسة تركيب الأحداث فيرَون أن ستالين هو نتاج طبيعي للتاريخ الروسي وللإدارة التي أنشئت سنة 1917. ومع نمو الجهاز الإداري نمت سلطة ستالين على تعيين الأشخاص في مناصب على المستويين الإقليمي والعام، وتمكن بهذه الطريقة من تحقيق السيطرة على مؤتمرات الحزب العامة وعلى اللجنة المركزية وعلى الشعبة السياسية Politburo ذاتها. وتزايدت السيطرة المركزية مع التمادي في تجاهل مجالس السوڤييت المنتخَبة. ولذلك كانت الدولة الستالينية البيروقراطية نتيجة منطقية.

تؤكد التفسيرات الثقافية الاجتماعية لصعود ستالين على تأثير البنية الاجتماعية على سياسات وتطور الحزب الشيوعي والدولة السوڤييتية. زالت الطبقة العاملة الناضجة سياسياً إما

بسبب موتها في الحرب الأهلية أو تعيينها في المناصب الحكومية البيروقراطية بعد ذلك مما أخرجها من مجتمع الطبقة العاملة وخلَّف فراغاً في الدعم الشيوعي الذي كثيراً ما شغله فلاحون سابقون لا يفهمون حقيقة الماركسية أو التاريخ البلشفي، فكان من السهل على قادة الحزب أن يستغلوهم.

كذلك يطرح بعض المؤرخين تفسيرات إيديولوجية لصعود ستالين إلى السلطة، وترى هذه المدرسة أن سياسات ستالين تشكل سلوكاً وسطاً بين مجموعتين متعارضتين ضمن قيادة الحزب، فاليسار خائف من أن تؤدي السياسة الاقتصادية الجديدة إلى عودة الرأسمالية، واليمين يرى أن هناك فترة طويلة من الاقتصاد الخليط في ظل رؤية التحالف السياسي والاقتصادي بين عمال الصناعة والفلاحين (السميتشكا Smychka) كوسيلة ضرورية لاستمرار بقاء الاقتصاد. وبذلك يمكن رؤية صعود ستالين استجابة سياسية حقيقية لقيادة السلوك الوسط الذي ظن في البداية أن السياسة الاقتصادية الجديدة ضرورية للخلاص فعارض اليسار الذي بدا أنه يعرِّضها للخطر، ولكنه أدرك ضرورة هذا التغيير عندما بدأ الفلاحون بعد ذلك بالدفاع عن مصالحهم ضد دولة العمال، وأصبح من الضروري شن هجوم على سياسات اليمين الذي أراد للسياسة الاقتصادية الجديدة أن تستمر حتى النهاية دون تغيير.

هناك تفسير واحد لصعود ستالين وهو عناصر التفسير الثقافي الاجتماعي الذي استنبطه تروتسكي Trotsky نفسه، وطرح أن تخلّف روسيا وتنامي اللامبالاة السياسية لدى الطبقة العاملة قلّل من قيمة الديمقراطية السوفييتية، وذلك في إشارة منه إلى فشل الثورة العالمية وعزلة الدولة السوفييتية الجديدة

التي جاءت بعد ذلك، وأفسح ذلك المجال أمام العناصر المحافِظة والرجعية للبروز إلى الواجهة وأدى في نهاية المطاف لما أطلق عليه اسم التردّي البيروقراطي. بيَّن تروتسكي أن نخبة اجتماعية سياسية جديدة ذات امتيازات متزايدة قد ظهرت إلى الوجود، فقدَّمت الدعم في البداية لليمين ولكنها تحولت، عندما تفجَّرت مسألة السياسة الاقتصادية الجديدة في فترة 1927 ـ 1928، إلى ستالين والوسط باعتبارهما أفضل أطفالها المدللين وذلك من أجل المحافظة على مواقعها. وهكذا كان انتصار ستالين نتيجة لتطورات تاريخية وثقافية حدثت بعد سنة 1917 ولم تكن متوقعة قبل ذلك، وليس بسبب أخطاء معارضيه.

## المصادر التاريخية

**1 . مقطع من وصية لينين** Lenin's Testament **(25 كانون الأول/ ديسمبر 1922) والتعقيب المضاف في أسفلها (4 كانون الثاني/ يناير 1923)**

منذ أن أصبح الرفيق ستالين أميناً عاماً ركَّز بين يديه سلطة لا تُقاس، وأنا غير متأكد من أنه سيكون دائماً على معرفة بكيفية استخدامها بالحذر المطلوب. والرفيق تروتسكي من الناحية الأخرى... يتميَّز ليس بصفاته الجيدة فحسب (فهو شخصياً أفضل الموجودين حالياً في اللجنة المركزية) بل بثقته الزائدة بنفسه واستعداده للانجراف العاطفي بفعل الجانب الإداري من الأمر فقط...

ستالين وقح جداً، وهذه الغلطة التي تؤيدها العلاقات بين الشيوعيين تأييداً كاملاً تصبح غير مؤيدة في منصب الأمين العام. ولذلك فإني أقترح على الرفاق أن يجدوا طريقة لتنحية ستالين من هذا المنصب وتعيين شخص آخر يختلف عنه في

كل شيء في مجال التميّز: أي أكثر صبراً وأكثر ولاءً، وأكثر أدباً وأقل تقلباً وأكثر انتباهاً على الرفاق.

م. لينش، ستالين وخروتشوف: الاتحاد السوڤييتي بين سنتي 1924 و1964 لندن، 1990، ص 15 - 16 .

**2 . من تقرير اللجنة المركزية السياسي إلى المؤتمر العام الخامس عشر للحزب الشيوعي في 3 كانون الأول/ ديسمبر 1927 الذي قدمه ستالين (تعليقاً على طرد المعارضة المتحدة United Opposition)**

هل نملك دكتاتورية الپروليتاريا أم لا؟ إنه لسؤال غريب. . . ومع ذلك فإن المعارضة تطرحه في كلٍّ من بياناتها. تقول المعارضة إننا في دولةٍ تفسخ جمهورية. ما معنى هذا؟ إنه يعني أنه ليس لنا دكتاتورية الپروليتاريا، وأن اقتصادنا وسياستنا فاشلان، وأننا نعود إلى الوراء، وأننا لسنا في طريقنا نحو الاشتراكية بل نحو الرأسمالية. . . لماذا طرد الحزب تروتسكي وزينوڤييڤ؟ لأنهما المنظمان لكل المعارضة المضادة للحزب. . . إذا أرادت المعارضة أن تكون في الحزب. . . فلتخضع لإرادة الحزب، ولقوانينه، ولتعليماته دون تحفظات.

أ. ليڤر، روسيا 1914 - 1941، لندن، 1991 ص 54.



# 7 ثورة ستالين

**أسئلة تركيزية**

- لماذا قام ستالين بـ «التفاف إلى اليسار» سنة 1928؟
- ما هي الملامح الرئيسية للتحوّل إلى المزارع الجماعية والخطط الخمسية؟
- ما هو مدى نجاح سياسات ستالين الاقتصادية؟

**تواريخ هامة**

1925 كانون الأول/ديسمبر: المؤتمر العام الرابع عشر للحزب

1927 كانون الأول/ديسمبر: المؤتمر العام الخامس عشر للحزب

1928 تموز/يوليو: بُخارين يفوز بتصويت اللجنة المركزية للإبطاء من وتيرة التحوُّل إلى المزارع الجماعية

تشرين الأول/أكتوبر: بداية الخطة الخمسية الأولى

1929 نيسان/ابريل: المؤتمر القطري السادس عشر للحزب

كانون الأول/ديسمبر: يجب «تصفية طبقة الفلاحين الأغنياء»

1930 كانون الثاني/يناير: بداية التحوُّل إلى المزارع الجماعية الشاملة

حزيران/ يونيو : المؤتمر العام السادس عشر للحزب

1932/ 33 أزمة في الصناعة، التحوُّل إلى المزارع الجماعية الإلزامية يسبب مجاعة

1934 كانون الثاني/ يناير : المؤتمر العام السابع عشر للحزب يعتمد الخطة الخمسية الثانية

1935 آب/ أغسطس : بدء الحركة الستاخانوفية Stakhanovite

1939 آذار/ مارس : المؤتمر العام الثامن عشر للحزب يعتمد الخطة الخمسية الثالثة

## نظرة شاملة

يقع المقر الرئيس لهيئة التخطيط العامة للدولة Gosplan في موسكو، ولكل من الجمهوريات السوڤييتية هيئتها الخاصة التي تتبع الهيئة المركزية في موسكو.

بحلول سنة 1926 أعطى الإنتاج الزراعي وفق السياسة الاقتصادية الجديدة كمية غير كافية من الحبوب، واستمرت هذه المشكلة إلى سنة 1927 رغم تبني إجراءات طوارئ في بعض المناطق. وبحلول سنة 1928 جعلت هذه الأوضاع ستالين يدرس التحوُّل إلى المزارع الجماعية ويدفع التحوُّل الصناعي بسرعة أكبر. وقد أدَّى ذلك إلى صِدام مع بُخارين Bukharin واليمين الذين أرادوا الاستمرار في «التحالف» السياسي والاقتصادي بين عمال الصناعة والفلاحين (السميتشكا Smychka) وفي السياسة الاقتصادية الجديدة أيضاً.

بحلول سنة 1928 قامت هيئة التخطيط العامة للدولة Gosplan بوضع الخطة الخمسية الأولى للتحوّل الصناعي، التي ركزت على الصناعة الثقيلة (الحديد والفحم والفولاذ والكهرباء والنفط والآلات) ووضعت أهدافاً رئيسية لزيادة الإنتاج في كل صناعة. أعلن ستالين سنة 1929 عن التحوُّل إلى المزارع الجماعية الإلزامية حيث يتم من خلاله تجميع

عدد من المزارع الخاصة في مزرعة واحدة تديرها الدولة أو المزرعة الجماعية. قابل الفلاحون الأغنياء kulaks هذا الأمر بمعارضة شديدة (فكانوا في معظم الأحيان يقتلون حيواناتهم ويدمّرون محاصيلهم وأدواتهم بدل تسليمها إلى المزارع الجماعية).

في أواخر سنة 1929 قرر ستالين القضاء على طبقة الفلاحين الأغنياء فتم ترحيل مليون ونصف المليون (من أصل خمسة ملايين) إلى مناطق في الاتحاد السوڤييتي أكثر فقراً، ومات الكثيرون منهم أثناء الرحلة كما مات عدد أكبر عندما وصلوا إلى المناطق الجديدة.

الكولاك Kulak هو فلاح غني (جاء اسمه من هذه الكلمة الروسية بمعنى القبضة، أي القبضة المضمومة). هناك صنفان من الفلاحين: سيريدنياك seredniak (فلاح متوسط الحال) وَبيدنياك bedniak (فلاح فقير الحال).

أدى هذا التمزق الزراعي وهبوط أسعار الإنتاج الغذائي إلى مجاعة بحلول سنة 1932 في بعض أنحاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، بينما كانت النتائج في الصناعة أفضل، حيث وُضِعت خطة خمسية ثانية سنة 1933 استمر فيها التركيز على الصناعة الثقيلة. أنشئت «فِرَق الصدمة» من العمال المتألقين (المعروفين باسم ستاخانوڤيين Stakhanovites) في سبيل تشجيع العمال على تجاوز أهدافهم الإنتاجية. وبدأت خطة خمسية ثالثة سنة 1938 للتركيز على الصناعات الثقيلة والمنتجات الاستهلاكية، إلا أنها تحولت إلى التسلّح بسبب تزايد المخاوف من الغزو النازي. وعلى الرغم من الأهداف غير الواقعية والمشكلات العملية، ازداد الإنتاج الصناعي وتم بناء كثير من السكك الحديدية والقنوات والسدود والمراكز الصناعية.

## لماذا قام ستالين بـ «التفاف إلى اليسار» سنة 1928؟

### مشكلات مع السياسة الاقتصادية الجديدة: 1926 ـ 1927

في شهر آب/أغسطس 1924 نشر بريوبراجينسكي Preobrazhensky القانون الأساسي للتراكمات الاشتراكية The fundamental law of socialist accumulation وقال فيه إن على الدولة أن تحصل على الطعام من الفلاحين بسعر رخيص ثم تبيعه للمستهلكين بسعر عال من أجل تمويل التحوُّل الصناعي، وسوف تكوِّن هذه الطريقة في «التراكم الاشتراكي الأولي» الأموال الزائدة الضرورية لتمويل التحوُّل الصناعي. خلال سنة 1923 توصل تروتسكي إلى نتائج مشابهة. وهنا كانت بداية نقاش ضمن الحزب بشأن التحوُّل الصناعي ميَّز الصراع على السلطة طوال السنين الخمس التالية. رفض ستالين ومعه اليمين طرح بريوبراجينسكي من حيث المبدأ لأنه يهدد ـ بصورة جزئية ـ السياسة الاقتصادية الجديدة و«التحالف» السياسي والاقتصادي بين عمال الصناعة والفلاحين (السميتشكا Smychka)، وفي سنة 1925 شجَّع بُخارين الفلاحين في الواقع على أن «يَغتنوا».

ولد إيڤجيني بريوبراجينسكي Evegeny Preobrazhensky سنة 1886، وفي سنة 1903 انضم إلى البلشڤيين وبرز سنة 1917. كان من مؤيدي تروتسكي لعدة سنوات وأحد الذين كانوا وراء بيان الستة والأربعين. آراؤه الخاصة بالحاجة لتسريع التحوُّل الصناعي جعلته ينتقد السياسة الاقتصادية الجديدة ويصطدم مع لينين وبخارين. كذلك دعَم استرجاع ديمقراطية الحزب، وكان ناشطاً في المعارضة المتحدة. ونتيجة لذلك تم طرده من الحزب ثم أصبح متهماً في محاكمات سنة 1936 الصورية وأعدِم سنة 1937 (انظر الفصل الثامن).

### الصناعة

في منتصف العشرينيات عندما كان تروتسكي والمعارضة اليسارية قد طرحوا النقلة إلى التحوُّل الصناعي، دافع ستالين ومؤيدوه عن المحافظة على السياسة الاقتصادية الجديدة بقولهم إنها سياسة لينينية. كانت ردة فعل بُخارين تجاه أفكار بريوبراجينسكي تتمثل بإغفالها، برغم أنه عارض أيضاً في سنة 1924 دعوة ليڤ شانين Lev Shanin من مصرف الدولة للسماح لقوى السوق الحرة بالعمل دون رقابة. إلا أنه سار قدُماً بحلول

نيسان/ ابريل سنة 1925 إلى اليمين مقترباً من آراء شانين، وأهمل طروحات اليسار بأن السياسة الاقتصادية الجديدة تفرز قوىً طبقية (على شكل طبقة رأسمالية من الفلاحين الأغنياء ورجال السياسة الاقتصادية الجديدة) كانت تشكل تهديداً للطبيعة الاشتراكية للدولة السوڤييتية وحذَّر من أخطار «إيجاد حالة حرب مع طبقة الفلاحين».

غير أن هناك دليلاً على أن ستالين كان في وقت يعود إلى تشرين الثاني/ نوڤمبر 1925 يفكر بنقلة ثورية جديدة حتى يحقق الانتقال من السياسة الاقتصادية الجديدة إلى الاقتصاد الاشتراكي، إلا أنه استمر بالعمل مع بُخارين حينما انضم زينوڤييف وكامينيف إلى تروتسكي. وفي المؤتمر العام الرابع عشر للحزب في كانون الأول/ ديسمبر 1925 (والذي سمّيَ فيما بعد «المؤتمر العام للتحويل الصناعي»)، رُفِضَت الانتقادات المستمرة التي وجهها كل من زينوڤييف وكامينيف، ولكن مبدأ التحديث الاقتصادي حظي أيضاً بالتأييد. وفي المؤتمر القطري الخامس عشر للحزب المنعقد في خريف سنة 1926 دعا ستالين الاتحاد السوڤييتي إلى اللحاق بالغرب وتجاوزه في مجال التحوُّل الصناعي؛ ومع ذلك فإنه ما زال يصر على ضرورة إنجاز هذا الأمر من خلال المحافظة على تحالف العمال والفلاحين.

وفي نفس الوقت كانت هيئة التخطيط العامة للدولة Gosplan (التي أُنشِئت سنة 1921) منهمكة في التخطيط الاقتصادي وتقدمت بخطتها الاقتصادية الأولى في شهر آب/ أغسطس 1925، وكانت خطتها الثانية سنة 1926 تتضمن موجزاً لخطة خمسية مع خطة محددة لكل سنة. كان المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني (الڤيسينخا Vesenkha) في الوقت ذاته يضع مسوَّدات لخطط من أجل تطوير الاقتصاد السوڤييتي.

الڤيسينخا Vesenkha هو المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني، الذي ظل بين سنتي 1917 و 1932 قائماً ومسؤولاً عن التصنيع الحكومي. كانت هناك منافسة شديدة بينه وبين هيئة التخطيط العامة للدولة Gosplan.

ما هي أدوار هيئة التخطيط العامة للدولة والمجلس الأعلى للاقتصاد الوطني؟

وقعت انقسامات في هذه المنظمات بين الإخصائيين غير الحزبيين الذين كانوا محافظين في مجال الإمكانيات قصيرة الأمد والإخصائيين الحزبيين الذين اعتقدوا بإمكانية التحوُّل الصناعي السريع وأن السياسة الاقتصادية الجديدة كانت في هذا الوقت تقف حائلاً دونه. ومع عودة معظم الصناعات القائمة إلى مستويات الإنتاج التي كانت عليها قبل سنة 1914 بدؤوا على وجه الخصوص يتطلعون إلى حقبة من «البناء الاشتراكي».

بدا أن هناك حرباً وشيكة محتملة: فبريطانيا قطعت العلاقات الدبلوماسية سنة 1927، وكانت العلاقات مع فرنسا وبولونيا سيئة وكان يبدو أن اليابان توجه التهديدات.

أضف إلى ذلك أن مخاوف من حرب وشيكة انتشرت بحلول سنة 1927 واعتقد كثيرون أن التحوُّل الصناعي السريع ضروري إذا كان الاتحاد السوڤييتي سيواجه وضعاً يتعرض فيه للغزو، كما أن المعارضة المتحدة مُنيت بالهزيمة بحلول سنة 1927، ولذلك شعر ستالين بالقدرة على تبني بعض السياسات الاقتصادية التي يؤيدها تروتسكي وپريوبراجينسكي (وذلك بالرغم من صيغتها غير المصحَّحَة والمشوَّهة). ومن أجل تمهيد السبيل أمام ذلك تم في صيف سنة 1927 إصدار ميدالية بطل العمل الاشتراكي للتشجيع على مبدأ زيادة الإنتاج والانضباط في العمل، كما تم إصدار الأوامر بتحقيق وفر في المصاريف الإدارية لتوفير الأموال اللازمة للتوسع الصناعي.

إلا أن بعض الحديث كان يدور في المؤتمر العام الخامس عشر للحزب المنعقد في كانون الأول/ ديسمبر 1927 حول المحافظة على العناصر الأساسية من السياسة الاقتصادية الجديدة، مع أن ستالين أكد على التهديدات الخارجية والحاجة إلى تطوير الصناعة الثقيلة. لم يحصل توافق على أهداف النمو العام بالرغم من اعتماد الشعبة السياسية Politburo لعدد من مشاريع تطوير السكك الحديدية والقنوات وتوليد الكهرباء من القوى المائية، وفي الواقع فقد طرحت هيئة

التخطيط العامة للدولة والمجلس الأعلى للاقتصاد الوطني خططاً متنافسة.

أقنعت أزمة زراعة الحبوب التي وقعت خلال فترة سنتي 1927 ـ 1928 ستالين بضرورة التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة في سبيل التحوُّل الصناعي السريع. وأدّى ذلك إلى انقسام خطير بين ستالين وبُخارين في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في تموز/يوليو سنة 1928. أثناء النزاع مع اليمين الذي تطور خلال سنة 1928 اتهَم ستالين ومؤيدوه معارضيهم بنقص الإيمان بالشعب السوڤييتي وخيانة مُثُل لينين والبلشڤيين الاشتراكية. حلّت الهزيمة باليمين في نهاية المطاف بحلول نهاية سنة 1928 ودفع ستالين بأهداف إنتاجية أعلى من أهداف المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني وهيئة التخطيط العامة للدولة وتخلَّص من الأخصائيين غير الحزبيين. وبحلول نيسان/ابريل سنة 1929 قدِّم إلى المؤتمر القطري السادس عشر للحزب مشروعي خطة خمسية إحداهما من هيئة التخطيط العامة للدولة والثانية من المجلس الأعلى للاقتصاد الوطني. أوصت الشعبة السياسية Politburo بقيادة ستالين باعتماد الخطة التي تتكهن بمضاعفة الصناعة السوڤييتية بحلول سنة 1932؛ وهذه زيادة أكبر مما دعا إليها اليسار أو ظن بإمكانية تحققها.

### الزراعة

أدت السياسة الاقتصادية الجديدة إلى زيادة تدريجية في الإنتاج الزراعي في الفترة ما بين سنتي 1924 وَ1926. إلا أن الكميات التي جمعتها الدولة كانت تقل بنسبة 50٪ عما كان متوقعاً على الرغم من جودة المحصول سنة 1926. ويعود ذلك على نحو رئيسي إلى أن الفلاحين استهلكوا الكثير مما أنتجوه لأنهم حققوا النجاح الاقتصادي، إضافة إلى أنهم كانوا أقل

مبادرة ببيع الزائد من محاصيلهم بسبب عدم كفاية المواد الاستهلاكية التي تنتجها الصناعة. ونتيجة لذلك لم يرسَل إلى المدن سوى حوالي 13٪ من محصول القمح.



صورة التقطت سنة **1923** للفلاحين السوڤييت أثناء العمل. لم يتم تغيير كبير في كثير من المناطق بحلول سنة **1928**.

الكولخوز kolkhoz تعاونية اختيارية أو مزرعة جماعية تتألف من أراضي عدد من الفلاحين وتصبح مملوكة من قبل الدولة. وقد سُمِح لهم باستخدامها دون أجرة مقابل تقديم حصة الحبوب المقررة، ويتم تقسيم الفائض عنها فيما بين الأعضاء كل حسب عمله الذي قدمه في الكولخوز. كذلك سُمِح لعائلة كل فلاح بمنطقة صغيرة فيها وتربية بعض الحيوانات. يجب ألا يتم الخلط بين

اتُخِذت إجراءات طارئة في بعض المناطق ضد «المضاربين» من الفلاحين الأغنياء ورجال السياسة الاقتصادية الجديدة، وذلك مخافة «أزمة مقصٍّ» أخرى كتلك التي حدثت سنة 1923 (عندما أنقص الفلاحون إنتاجهم من المواد الغذائية بسبب تدني أسعارها وارتفاع أسعار المواد الصناعية)، وتضمنت هذه الإجراءات مصادرة الحبوب وزيادة الضرائب على الفلاحين الأغنياء لإجبارهم على بيع مزيد منها. وفي هذه

الكولخوز والسوفخوز sovkhoz وهي مزرعة تملكها الدولة ويُدفع فيها أجر نظامي للعمال، وهي أكبر ومجهزة بالآلات أكثر.

المرحلة كانت البطالة منتشرة، وبدأ كثيرون في صفوف الحزب يفكرون بالحاجة إلى تطوير القطاع العام، وذلك على الرغم من عودة الكثير من الإنتاج الصناعي الثقيل في نهاية المطاف إلى المستويات التي كان عليها قبل الحرب.

خفضت الحكومة أسعار البضائع الصناعية سنة 1927، ولكن تسليمات الحبوب كانت إلى مزيد من الانخفاض. وبرغم أن السبب الجزئي لذلك هو الطقس السيئ، إلا أن كثيرين من الشيوعيين اعتقدوا أن مردَّ ذلك هو قيام الفلاحين الأغنياء باحتجاز الحبوب احتجازاً متعمداً (وفي الواقع كان تكديس المؤن بسبب الخوف من هجوم پولوني محتمل). كانت مشتريات الدولة من الحبوب سنة 1927 أقل على نحو ملحوظ مما هو مطلوب، وهذا لم يهدد بالجوع في المدن المتوسعة فحسب، بل قلل من احتمال التقدم في التحوُّل الصناعي أيضاً.

وهكذا ـ عندما حان وقت انعقاد المؤتمر العام الخامس عشر للحزب في كانون الأول/ديسمبر 1927 (الذي عُرِف فيما بعد «بالمؤتمر العام للتحوّل إلى المزارع الجماعية») ـ كان كثير من الشيوعيين قد بدؤوا يرون أن المثابرة على السياسة الاقتصادية الجديدة تقف في طريق التطور الزراعي والصناعي معاً. طرح ستالين أن التغلب على هذه المشكلات ممكن من خلال تقوية المزارع التعاونية وزيادة المكننة ودعم التحول إلى المزارع الجماعية الاختيارية (الكولخوزات kolkhozes) التي ستؤدي إلى مزارع أكبر ومحاصيل أكثر. وفي هذه المرحلة لم يرد ذكر للتحول القسري إلى المزارع الجماعية أو للقضاء على طبقة الفلاحين الأغنياء.

إلا أن مشكلة نقص مشتريات الحبوب استمرت سنة 1928 في سيبيريا، فأعطى ستالين تعليماته للموظفين المحليين

بزيادة استجرارات الحكومة من الحبوب، فردّوا بمصادرة مزيد من الحبوب وإغلاق الأسواق وإلقاء القبض على كل من يقاوم باعتباره من الفلاحين الأغنياء وذلك بموجب المادة 107 من قانون العقوبات (الذي تم إقراره سنة 1927 من أجل التصدي للمضاربات). وبعد محصول سنة 1928 بدأت هذه الأفعال (التي أصبحت معروفة باسم الطريقة الأورالية السيبيرية Ural-Siberian method) تؤدي إلى قلاقل خطيرة في المناطق الريفية وإلى نقص في الخبز، لأن الحبوب كانت تخبَّأ من أجل تفادي المصادرة أو انتظاراً لأسعار أعلى.

لماذا قرر ستالين أن التحوُّل إلى المزارع الجماعية ضروري؟

ما هي الطريقة الأورالية السيبيرية؟

وفي تموز/يوليو 1928 استطاع بُخارين أثناء أحد اجتماعات اللجنة المركزية تأمين زيادة في سعر الحبوب وكذلك إنهاء الإجراءات القسرية، وطرَح وجوب الإبقاء على «التحالف» السياسي والاقتصادي بين عمال الصناعة والفلاحين (السميتشكا Smychka). كان ستالين عازماً على ألا يتوقف التطوير الصناعي من خلال أي تحويل للمال إلى الفلاحين الأغنياء، فأمر بعد الاجتماع باستمرار إجراءات الطوارئ. ودفع هذا العمل بُخارين إلى أن ينشر في أيلول/سبتمبر 1928 دفاعاً عن السياسة الاقتصادية الجديدة انطوى أيضاً على انتقاد ضمني لأفعال ستالين.

لماذا كان بُخارين واليمين يعارضون سياسة ستالين في فرض التحوُّل إلى المزارع الجماعية؟

غير أن الأزمة الزراعية استمرت، وبحلول نهاية سنة 1928 أدى هبوط مبيعات الحبوب للدولة ترافق مع فشل في المناطق الوسطى والشرقية من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية إلى زيادة دراماتيكية في أسعار السوق الحرة، ومزيد من تدني تسليمات الحبوب للدولة وفرض التقنين في شتاء 1928 ـ 1929. كانت المصادرة القسرية للحبوب تتم في معظم مناطق الاتحاد السوڤييتي خلال سنة 1929، ولم يبق من السياسة الاقتصادية الجديدة و«التحالف» السياسي والاقتصادي

بين عمال الصناعة والفلاحين (السميتشكا Smychka) سوى الاسم فقط. وفي شهري تشرين الثاني/ نوڤمبر وكانون الأول/ ديسمبر 1929 أطلق ستالين برنامجاً للتحوُّل إلى المزارع الجماعية وَدَعا إلى أن تتم «تصفية» طبقة الفلاحين الأغنياء (وذلك بعد أن هزم اليمين في المؤتمر القطري السادس عشر للحزب المنعقد في نيسان/ ابريل).

## ما هي الملامح الرئيسة للتحوُّل إلى المزارع الجماعية والخطط الخمسية؟

### التحوُّل إلى المزارع الجماعية

بحلول نهاية سنة 1929 كان ستالين عازماً على وجوب حل الأزمة الزراعية قبل فصل الربيع حيث تتم عملية البذار لموسم 1930، يدفعه إلى ذلك الخوف من وقوع حرب والتسلح بخطة خمسية ذات طموحات هائلة. تمت أولى خطوات الطوارئ وهي حملة استجرار هائلة للحبوب بحصص كبيرة للغاية. استعمل الموظفون ـ تفادياً للعقوبة التي سيتعرضون لها في حال فشلهم (كما حدث سنة 1928) ـ كامل سلطاتهم في توقيف أي فلاح لا ينجح في تسليم حصته وترحيله ومصادرة أملاكه، فكان أن جُمِع 16 مليون طن من الحبوب، وبلغ مجموع ما تمّ أخذه في بعض المناطق أكثر من 30٪ من كامل المحصول، وبذلك حصل في بعض المناطق الريفية نقص خطير في الغذاء.

#### الحملة ضد الفلاحين الأغنياء

حملة استجرار الحبوب خلال فترة 1929 ـ 1930 هي إحدى خطوات الطوارئ قصيرة الأمد التي تشبه من حيث المبدأ ـ إن لم يكن من حيث الدرجة ـ الحملات التي سبقتها

في سنتي 1927 و 1928. قرر ستالين أن الفلاحين الأغنياء بحاجة إلى «تصفية طبقتهم» وذلك من أجل ترسيخ تغييرات دائمة لحماية خطط التحوُّل الصناعي، ودعا إلى ذلك في كانون الأول/ ديسمبر 1929. تم في المقام الأول اتخاذ إجراءات ضد الفلاحين الأغنياء الذين قاوموا تجميع الحبوب برغم أن «تعريف» الفلاحين الأغنياء تجاوز في كثير من الأحيان التعريف الذي وضعه ستالين بأن الفلاح الغني هو الذي يملك حصانين وأربع بقرات.

## التحوُّل إلى المزارع الجماعية بالجملة سنة 1930

ارتفعت وتيرة العمل المتخذ ضد الفلاحين الأغنياء بعد كانون الثاني/ يناير 1930 عندما دخلت فِرَق حضرية من العمال وأعضاء روابط الشباب الشيوعيين Komsomol مدعومة بقوات من الشرطة والجنود إلى الأرياف من أجل تنظيم إقامة المزارع الجماعية. كان الإقناع هو الطريقة الرئيسية في البداية، ولكن ستالين ضغط من أجل تحقيق نتائج مبكرة فتزايد استخدام العنف، وصحَّ هذا بوجه خاص بعد صدور مرسوم في شباط/ فبراير يخول اللجان المحلية سلطة تطبيق «الإجراءات الضرورية» ضد الفلاحين الأغنياء الذين تم تقسيمهم إلى ثلاث فئات، يجب أن تتعرّض مجموعتان منها ـ «المضادة للثورة» وَ«المستغِلين» ـ لعقوبات قاسية هي الإعدام أو الإبعاد على التوالي.

أنشِئت رابطة الشباب الشيوعيين Komsomol سنة 1918 للشباب الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والثامنة والعشرين. وقد وفَّرت كثيراً من المتطوعين لمختلف البرامج والسياسات الحزبية، وكذلك قدمت المساعدة للشرطة وللجيش الأحمر. واستمر كثيرون بالالتحاق بالحزب الشيوعي عند بلوغهم الثامنة والعشرين.

قام الفلاحون الأغنى في غالب الأحيان بتدمير محاصيلهم وماشيتهم بدلاً من تسليمها إلى المزرعة الجماعية ـ الكولخوز ـ المحلية أو الإغارة على المزارع الجماعية لاسترجاع ممتلكاتهم. تم تحديد أهداف للأحزاب الإقليمية بعدد المقاسِم التي يجب تجميعها، وكان الموظفون

(الطامحون للترقية أو الخائفون من اتهامهم بـ «اليمينية») في غالب الأحيان يلجؤون إلى القوة . أشارت الإحصائيات الرسمية إلى أن 4٪ من المقاسم تعود إلى فلاحين أغنياء، ولكن العدد الذي تأثر بالتحوُّل إلى المزارع الجماعية قسراً وصل في نهاية المطاف إلى حوالي 15٪. أودع الكثيرون السجون أو أعدِموا بسبب مقاومتهم وأبعِد حوالي مئة وخمسين ألفاً بالقوة إلى أراض أكثر فقراً في الشمال والشرق.

بحلول آذار/ مارس 1930 تم التبليغ عن أن 58٪ من مقاسم الفلاحين قد أصبحت مزارع جماعية، ولكن هذه العملية أثارت مقاومة خطيرة اشتملت على الإحراق العمد والشغب والعصيان المسلح (وغالباً قتل الموظفين الشيوعيين)، وكان ذلك خطيراً على نحو خاص في أوكرانيا Ukraine، وشمال القوقاز North Caucasus وكازاخستان Kazakhstan. أقلقت الفوضى والعنف الشعبة السياسية Politburo إذ عرَّضت عملية البذار الربيعية للخطر، ناهيك عن المخاطر السياسية للعصيان. وهكذا مارس زعماء شيوعيون آخرون الضغط على ستالين في آذار/ مارس 1930 للدعوة إلى وقف ذلك. عادت السياسة الرسمية إلى التحوُّل إلى المزارع الجماعية اختيارياً، واسترجع كثير من الفلاحين الذين تم تصنيفهم أغنياء عن طريق الخطأ ممتلكاتهم. وبحلول تشرين الأول/ أكتوبر 1930 كان حوالي 20٪ من المقاسم تشكل مزارع جماعية (وقد كان هذا الرقم 40٪ في تشرين الأول/ أكتوبر 1929).

### التحوُّل إلى المزارع الجماعية خلال فترة 1930 ـ 1937

كان تراجع ستالين سنة 1930 مؤقتاً، فقد استؤنفت عملية التحوُّل إلى المزارع الجماعية استئنافاً جدياً بعد أن تم تأمين موسم 1930. وبحلول سنة 1931 كان 50٪ من المقاسم

قد دخلت في إطار المزارع الجماعية، وبحلول سنة 1934 بلغت النسبة 70٪ وبحلول سنة 1935 وصلت إلى 75٪ وأصبحت النسبة الرسمية 90٪ بحلول سنة 1937. كان على رأس كل مزرعة جماعية (مؤلفة من حوالي 70 مقسماً في العادة) رئيس مزرعة يراقب المحصول ويتأكد من أن الضرائب قد دُفِعَت للحكومة (عيناً أو نقداً) . وتم تأسيس محطات للجرّارات من أجل تقديم البذار وتأجير الآليات للمزارع الجماعية المحلية (وكان التسديد حبوباً)، وقد تم بناء ما يزيد عن ألفين وخمسمئة محطة بين سنتي 1929 وَ 1932.

**ماذا حصل في عدة مناطق زراعية هامة من الاتحاد السوڤييتي في فترة 1932 ـ 1933؟**

تخفي الإحصائيات الانتفاضات الكبيرة والفوضى التي أدَّت إلى مجاعة مخيفة خلال فترة 1932 ـ 1933. جاءت أولى إشارات المشكلات في تشرين الأول/أكتوبر 1931 عندما كُشِف النقاب عن أن كثيراً من المناطق الزراعية قد تأثرت بالقحط فظهرت المجاعة بداية في أوكرانيا Ukraine في ربيع سنة 1932، وانتشرت مع تحسن بسيط متقطع إلى مناطق أخرى كثيرة وبخاصة إلى أجزاء من شمالي القوقاز North Caucasus، واستمرت لتصبح المجاعة الأسوأ في التاريخ الروسي. وبرغم انتهاء الوجه السيئ منها بحلول سنة 1933، لكن بعض المناطق كانت متأثرة بنقص خطير من الطعام سنة 1934.

واصل ستالين ـ رغم إشارات التحذير من هذه المصيبة الزراعية ـ التحوُّل إلى المزارع الجماعية واستجرارات الحبوب القسرية العالية للدولة بإصرار وعناد، وبالمحصلة مات الملايين، غير أن المؤرخين لم يتفقوا بعد على الأعداد الإجمالية، ومرَدُّ ذلك جزئياً إلى أن التطهير الكبير Great Purge والإرهاب الكبير Great Terror في النصف الثاني من الثلاثينيات قد اشتمل على مسائل متضاربة .

انتعشت الزراعة بعد سنة 1933 برغم التزايد البطيء في إنتاج الحبوب الذي تجاوز سنة 1935 في النهاية الأرقام السابقة لما قبل المزارع الجماعية (75 مليون طن)، ثم حصل تناقص سنة 1936 إلى 56 مليون طن، ثم زيادة أخرى سنة 1937 إلى 97 مليون طن، وتدنى تزايد عدد المواشي بصورةٍ أكبر، ولم يتجاوز العدد الذي كان في مرحلة ما قبل التحوُّل إلى المزارع الجماعية إلا سنة 1953. غير أن الدفع باتجاه التحوُّل إلى المزارع الجماعية استمر وكانت حصص استجرارات الدولة تتزايد على نحو مستمر. ونتيجة لذلك بقيت الحياة في المزارع الجماعية قاسية جداً طوال القسم الأعظم من الثلاثينيات.

## التحوُّل الصناعي

### الخطة الخمسية الأولى: 1928 ـ 1932

بدأت الخطة الخمسية الأولى في الأول من تشرين الأول/أكتوبر سنة 1928، وزيدت الأهداف المحددة فيها بسبب التشجيع الناتج عن النجاح الذي تحقق في إنجاز أوائل هذه الأهداف عند بداية الخطة. ركَّزت الخطة بخاصة على الصناعة الثقيلة؛ مثل الفحم والحديد والفولاذ والنفط وإنتاج الآلات، وكان التخطيط يهدف عموماً إلى زيادة بنسبة 300٪، ومضاعفة القدرة الإنتاجية للصناعة الخفيفة وزيادة إنتاج الكهرباء بنسبة 600٪ من أجل ضمان توفير الطاقة الكافية. تحمَّس كثير من العمال لفكرة خلق اقتصاد اشتراكي مُخطط له وعملوا جادّين على تحقيق أهداف كل سنة، وسرعان مابدأت التقارير (غير المعتمدة) التي تبين مدى تجاوز الأهداف المرسومة تصل إلى موسكو. ثم سرى حديث سنة 1929 بتحقيق الخطة خلال أربع سنوات وليس خمس، وهذا ما أيده

ستالين رسمياً في حزيران/يونيو 1930 وظهرت مُلصقات تدّعي أن «2+2=5». حثَّ ستالين أعضاء الحزب الشيوعي وروابط الشباب الشيوعيين (الكومسومول komsomol) على تشكيل فِرَق «عمل الصدمة» وَ«المنافسة الاشتراكية» (التي تتكون بخاصة من عمال منتجين) وذلك حتى يضربوا المثل الصحيح ويتشجع العمال الآخرون.




مُلصَقة سوفييتية تعود إلى سنة 1933 تبين في نصفها العلوي نسخة من الخطة الخمسية الأولى لسنة 1928 مع تعليق لرأسمالي أجنبي عليها بقوله: «هراء، كذِب، وهْم»، والنصف السفلي يبيّن الرأسمالي وقد ثبت خطؤه وأسكته نجاح الخطة بعد أربع سنوات فقط.

حصلت، حسب الخطة، إنجازات هائلة حوَّلت الاقتصاد السوفييتي جوهرياً، إذ أنشئت على وجه الخصوص مئات المصانع والمناجم الجديدة في أنحاء مختلفة لم تكن قد خضعت للتطور الصناعي قبل سنة 1928، وتم تشييد مجمَّعات صناعية جديدة مثل مجمَّع ماگنيتوگورسك Magnitogorsk

وكذلك سكك حديدية جديدة ومشاريع توليد الكهرباء من الطاقة المائية. وكان عدم استقرار الأوضاع الدولية هو الذي دفع ستالين جزئياً لممارسة الضغط من أجل التحوُّل الصناعي السريع، حيث بيَّن أن سنة 1931 أماطت اللثام عن مدى تخلُّف اقتصاد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية النسبي (البالغ خمسين إلى مئة سنة عن البلدان الغربية) وقال إن على الاتحاد السوڤييتي أن يغطي ذلك خلال فترة لا تتجاوز السنوات العشر: «فإما أن نفلح وإما أن يسحقونا». تضمن إعلان ستالين في كانون الأول/ديسمبر 1932 عن إنجاز الخطة الخمسية الأولى شيئاً من التضخيم، إذ لم يتم في الحقيقة تحقيق أي من الأهداف، وذلك على الرغم من النمو الهائل.

**السنة الأزمة:** 1932 ـ 1933

من المثير للسخرية أن تكون إنجازات الخطة الخمسية الأولى الحقيقية وتنفيذها السريع جداً قد خلَقا مشكلات في فترة 1932 ـ 1933، مما أدّى إلى التأخير في صياغة وتنفيذ الخطة التالية، وتجاوُز تكاليف التنفيذ أضعاف المبالغ التي سمحت به هيئة التخطيط العامة للدولة. كذلك ثبت أن الزيادات الكبيرة في كميات الفحم والحديد والبضائع الصناعية أكبر بكثير من قدرة شبكة السكك الحديدية الاستيعابية. وفي نفس الوقت أدى التزايد السريع في سكان الحضر إلى نقص في المساكن، في حين أدى التحوُّل إلى المزارع الجماعية القسري إلى نقص في الغذاء وتطبيق نظام التقنين. وتحت هذه الظروف قام كثير من العمال بتغيير وظائفهم، واضطُر المديرون ـ إزاء رغبتهم اليائسة باستبقاء العمال المهرة حتى يستكملوا أهداف الخطة ـ إلى زيادة الأجور وتقديم علاوات. وزاد هذا الابتعاد عن المساواة في زيادة فوارق الأجور وتطبيق الأجر على القطعة والمكافآت من مشكلات العمال الذين

ينتقلون ويغيِّرون وظائفهم لأن بإمكانهم استغلال الوضع من خلال مساومة أحد المديرين تجاه الآخر على أجر أعلى وعلاوات إضافية.

**الخطة الخمسية الثانية:** 1933 ـ 1937

ومع ذلك طرحت هيئة التخطيط العامة للدولة الخطة الخمسية الثانية في البداية بهَدَف إيجاد اقتصاد يتصف بالاشتراكية الكاملة من خلال عدم ربط الاقتصاد بالمال. إلا أن الموافقة على أي شيء لم تتم إلا في المؤتمر العام السابع عشر للحزب الذي انعقد في كانون الثاني/يناير سنة 1934، حيث كان التأخير بسبب الأزمة الاقتصادية التي أجبرت الهيئة على إدخال التعديلات المستمرة في حساب التكاليف والأهداف. دعت المسوَّدة النهائية إلى مزيد من الإنتاج وتحسين مستويات المعيشة، والحاجة إلى الاستمرار في البناء على المنجزات التي تحققت في الخطة الخمسية الأولى.

تحقق بعض النجاح بين سنتي 1934 وَ 1936، فزاد بخاصة إنتاج الآلات وتسارع نموّ إنتاج الحديد والفولاذ مما جعل الاتحاد السوڤييتي يحقق الاكتفاء الذاتي منهما. بدأ كثير من المعامل الصناعية الجديدة بالإنتاج، وبلغ عدد منشآت العمل الجديدة المفتوحة حوالي الخمسة آلاف (مقارنة بألفين بموجب الخطة الأولى).

## الحركة الستاخانوڤية

يعود جزء من السبب في نجاح الخطة الخمسية الثانية إلى الزيادة الكبيرة في إنتاج اليد العاملة. أنشئت الحركة الستاخانوڤية stakhanovite لتشجيع العمال على السير على منوال ستاخانوف Stakhanov وهو أحد عمال المناجم في منطقة دونباس Donbas الذي استخرج في شهر آب/أغسطس

**من هو ستاخانوف Stakhanov وماهي أهميته في برنامج ستالين للتحويل الصناعي؟**

1935 خلال نوبة عمل واحدة 102 طن من الفحم (الرقم العادي هو 7 طن) وكان أن اعتبِر مثلاً بطولياً دُعي العمال إلى اتباعه. كان لكثير من الصناعات أبطالها الذين نالوا مكافآت عالية ومزايا مادية أخرى (مثل شقق سكنية جديدة) ومُنِحوا ميداليات لكونهم «أبطال العمل الاشتراكي». انتهى نظام التقنين لأن الآثار الأسوأ التي خلفتها عملية التحوُّل إلى المزارع الجماعية كانت قد انتهت في هذا الوقت.

**الخطة الخمسية الثالثة: 1938 ـ 1942**

مُنِي برنامج التحوُّل الصناعي مرة أخرى بضربة بسبب مشكلات سنة 1937، وذلك بالرغم من الإنجازات الهامة والنجاحات التي تحققت في ظل الخطة الثانية . كان شتاء 1937 ـ 1938 قاسياً جداً وتسبب بنقص خطير في إمدادات الوقود فأثر بدوره على إنتاج المصانع ونقل البضائع والمواد الخام بالقطارات. تأثر التخطيط الصناعي بالعبء المتزايد لحملات التطهير التي أودت بكثير من المديرين والخبراء إما إلى السجن أو إلى الإعدام (انظر الفصل الثامن)، وكذلك بالوضع الدولي الذي تطلب تحويل مزيد من التمويل المالي إلى الدفاع (انظر الفصل التاسع).

بدأ التخطيط في شباط/فبراير 1936، ولكن حملة التطهير التي طالت المُتخصِّصين في هيئة تخطيط الدولة العامة أوجدت الفوضى وتسببت بالتأخير، ولم تتم الموافقة على الخطة الخمسية الثالثة رسمياً إلا في المؤتمر العام الثامن عشر للحزب الذي انعقد في آذار/مارس 1939. وفي ذلك الحين كانت الاقتراحات السابقة بتطوير الصناعة الخفيفة وزيادة إنتاج البضائع الاستهلاكية قد تضاءلت أهميتها بسبب التأكيد الجديد على الصناعة والدفاع.

وِلِد فياشيسلاف مولوتوف Molotov سنة 1890، وكان من كبار مؤيدي ستالين. أصبح عضواً في الشعبة السياسية Politburo سنة 1926. أيد سياسات ستالين الاقتصادية وحملته التطهيرية الكبرى. أصبح مفوض الشؤون الخارجية بين سنتي 1939 وَ 1949، واستمر في تولي هذا المنصب الكبير بعد وفاة ستالين، ولكنه أعفي من اللجنة المركزية سنة 1957.

ومع ذلك تم التخطيط من أجل زيادة هائلة في الإنتاج (92٪) وادَّعى مولوتوف Molotov أن هذه الخطة الثالثة سوف تُكْمِل العملية وتمكِّن الاتحاد السوفييتي من البدء بالانتقال إلى الشيوعية لأن الخطتين السابقتين قد أرستا دعائم الاقتصاد الاشتراكي. لكن هذه الخطة الخمسية الثالثة أوقِفت في حزيران/يونيو سنة 1941 عندما بدأت ألمانيا النازية غزوها.

## ما هو مدى نجاح سياسات ستالين الاقتصادية؟

### هل خطط ستالين «ثورته من فوق»؟

طرح كثير من المؤرخين أن ستالين لم يكن يملك خطة مسبقة للإجراءات التي نفذها سنة 1928 بعدما هزم معارضيه من اليسار واليمين في الحزب الشيوعي، وأشاروا إلى أن التغييرات تحققت في كل من الزراعة والصناعة بسبب مشكلات نتجت عن السياسة الاقتصادية الجديدة، وبخاصة أن ردُّ ستالين المبدئي على أزمة الحبوب كان إجراء قصير الأمد نتج عن سلسلة من التطورات التي أدَّت إلى اتخاذ مزيد من القرارات الراديكالية . كذلك يمكن القول إن تدخّل ستالين المستمر ـ ولا سيَّما في زيادة الأهداف ـ منع من تنفيذ الخطط على نحو متساوق وناجح. يطرح هؤلاء المؤرخون أن ستالين لم يكن في الحقيقة يعرف النقطة التي قد يصل إليها الاتحاد السوفييتي بفعل سياساته .

يطرح مؤرخون آخرون أن ستالين كان ينوي، على نحو واضح، أن يحدِّث الاتحاد السوفييتي ويتبنى سياسات زراعية وصناعية مدروسة لتنفيذ ذلك التحديث حينما يرى أن العوامل السياسية تمكنه من المباشرة به. ويذهب غيرهم إلى أنه كان يحاول على نحو متعمد إكمال ثورة 1917 البلشفية Bolshevik والتي اعتُبِرت غير كاملة بسبب السماح للفلاحين بامتلاك

الأرض على وجه الخصوص وأن السياسة الاقتصادية الجديدة اشتملت على عودة جزئية إلى الرأسمالية (مقارنة بالتأميم الكامل بموجب سياسة الحرب الشيوعية السابقة). عندما أحسَّ ستالين بالأمان السياسي أنطلق على نحو مدروس «بثورته الذاتية الثانية من فوق»، وكانت ـ خلافاً لثورة سنة 1917 ـ نتيجة لقرار حكومي وليس بسبب حركة آنية لحملة سياسية .

## ما هو مدى مصداقية الإحصائيات؟

الإحصائيات الرسمية التي تمت أثناء حكم ستالين وبعده، والمتعلقة بالزيادات الإنتاجية التي تحققت من خلال الخطط الخمسية مثيرة لكثير من الشك: إذ أن الرقم الرسمي لزيادة الإنتاج الصناعي خلال فترة 1928 ـ 1940 هو 852 ٪، وتدور شكوك مشابهة حول الأرقام الخاصة بصناعات بعَيْنها. إلا أن معظم المؤرخين من أمثال أ. نوف A. Nove يقبلون، من خلال تطبيق معايير أشد، بوجود زيادات هائلة في الإنتاج ولا سيَّما في الصناعات الثقيلة.

إحدى المشكلات المتعلقة بهذه الإحصائيات الرسمية هو أن كثيراً من مديري المصانع خففوا من القدرة الإنتاجية على نحو مدروس أو ادَّعوا أرقاماً إنتاجية أعلى مما تحققت في الواقع، وذلك مخافة تعرضهم للعقوبة بسبب عدم تحقيق الأهداف. وهناك مشكلة مرافقة هي نقص المهارات لدى كثير من العمال الصناعيين في المنشآت الحكومية والذين تزايد عددهم من 1,4 مليون سنة 1928 إلى 6,4 مليون سنة 1932 وإلى 7,9 مليون سنة 1937 وإلى 8,3 مليون سنة 1940، وكان أكثرهم فلاحين في السابق، حيث انضم تسعة ملايين إلى مراتب العمال الصناعيين بموجب الخطة الخمسية الأولى، وكان لديهم شيء من التدريب الأساس دونما خبرة بنظام المصنع، وتقل أعمار أكثرهم عن 29 سنة ويتمتع أقل من 20٪

منهم بخبرة بالعمل في مصنع مدتها خمس سنوات. وجد مثل هؤلاء العمال المعتادين على العمل الموسمي نظام المصنع صعب القبول.

### مدى تأثر العمال

تم تطبيق أصول جديدة في العمل من أجل تحقيق الأهداف الإنتاجية العالية، ففي سنة 1929 تم تطبيق الأسبوع «اللامنقطع» مع ترتيب نوبات العمل بحيث لا يتوقف المصنع عن العمل في عطلة نهاية الأسبوع، وكانت العقوبة تفرض بسبب الغياب والتأخر في الحضور إلى العمل، إما بالطرد من الوظيفة أو بالحرمان من السكن على حساب المصنع. وبعد سنة 1931 ـ عندما أصبح الغياب أو التأخر جريمة ـ أصبح يطبق نظام السجن أو الإرسال إلى معسكرات العمل القسري التابعة لإدارة المعسكرات Gulag. أدى هذا النظام القاسي بكثير من العمال إلى تغيير متواتر في الوظائف، ولا سيَّما عندما تم القضاء على البطالة ووُجدت فرص عمل جديدة.

يوافق معظم المؤرخين في النهاية على أن حمّى التحوُّل الصناعي وبخاصة أثناء الخطة الأولى قد نزلت بمستويات المعيشة من خلال نقص المواد الغذائية وارتفاع الأسعار ونقص المساكن المطرد، حتى أن استرجاع الأوضاع الذي حصل في الثلاثينيات لم يفلح في استرداد المستويات التي كانت قبل سنة 1928. غير أن الخطط لم تقض على نسبة البطالة العالية التي سادت في العشرينيات، لكن الزيادة الهائلة في عدد العمال (ومنهم كثير من النساء) مكّنت من زيادة الدخل الأسري المشترك. ونَعِم الفلاحون الذين تحولوا إلى عمال صناعيين كذلك بتحسينات في مستويات المعيشة، في حين تمكنت النساء الصغيرات من إيجاد وظائف مكتبية بعد

أن كُنَّ سيصبحن وفق النظام القيصري خادمات في المنازل، كما استفاد كثير من العمال من توسيع مجالات التعليم (ولا سيَّما الكليات الفنية والجامعات) التي تم تصميمها اعتباراً من سنة 1929 من أجل زيادة المهارات وبالتالي زيادة إنتاج القوى العاملة.

## معسكرات العمل القسري Gulag

في سنة 1929 أعطيت تعليمات لإدارة أمن الدولة OGPU بإقامة معسكرات العمل القسري في أدنى الاتحاد السوڤييتي، فأنشأت الإدارة العامة للمعسكرات (Gulag) في سنة 1930 لهذا الغرض. قدَّر المؤرخون فيما سبق أن عدد السجناء في هذه المعسكرات قد ازداد من حوالي ثلاثين ألفاً سنة 1928 إلى حوالي مليونين سنة 1932 وإلى حوالي ثمانية ملايين بحلول سنة 1938. كان هؤلاء السجناء (zeks) يُستخدَمون في إقامة المشاريع الضخمة مثل القنوات والسكك الحديدية، وفيهم الكثير من الفلاحين الأغنياء المُبعَدين أو العمال الذين ارتكبوا مخالفات لنظام العمل وغيرهم ممن تعرضوا لحملات التطهير في الثلاثينيات، وكانت الظروف السائدة قاسية جداً والطعام نادراً في معظم الأحيان ولاسيَّما في معسكرات كوليما Kolyma حيث كانوا يعملون في حقول الذهب ضمن ظروف بدائية للغاية.

**كيف ساهم إنشاء معسكرات العمل القسري في الثلاثينيات بالتحوُّل الصناعي في الاتحاد السوڤييتي؟**

كلمة Glasnost تشير إلى سياسة «الانفتاح» التي بدأت في الاتحاد السوڤييتي بعد أن أصبح غورباتشيف Gorbachev أميناً عاماً للحزب الشيوعي سنة 1985، ونتيجة لذلك أصبح كثير من الوثائق متوفراً للمؤرخين الروس والغربيين معاً من أجل القيام بأبحاث.

إلا أن المؤرخين ـ منذ عهد الانفتاح Glasnost وانهيار الاتحاد السوڤييتي الذي تلاه ـ استخدموا الوثائق التي أتيحت لهم مؤخراً فقدَّروا أن إجمالي عدد السجناء المحتجَزين في هذه المعسكرات كان بحلول سنة 1939 أقل من ثلاثة ملايين بقليل، وكان جدل مماثل يدور حول عدد السجناء الذين قضوا نحبهم في هذه المعسكرات.

## التحوُّل إلى المزارع الجماعية

كانت الغاية من السير في طريق التحوُّل إلى المزارع الجماعية هي حل النقص الخطير في كمية الحبوب المطلوبة لإطعام سكان الحضَر. غير أن المقاومة الماحِقة التي أبداها الفلاحون الأغنياء والتمزق الذي نتج عن إبعاد حوالي مليونين ونصف المليون شخص إلى معسكرات العمل القسري في فترة 1930 ـ 1931 قد أدّيا إلى نقص خطير ومفاجئ في إنتاج الطعام عموماً بحلول سنة 1931، وأدى ذلك بدوره كما رأينا إلى مجاعة 1932 ـ 1933 التي مات فيها ملايين الأشخاص.

لم يتفق المؤرخون على العدد الإجمالي لضحايا المجاعة الذين يتراوح عددهم التقديري بين ثلاثة ملايين ونصف المليون وسبعة ملايين. غير أن هذه الوفيات هي جزء من الوفيات التي تعود إلى عملية التحوُّل إلى المزارع الجماعية. وهنا ينقسم المؤرخون مرة أخرى حول التقديرات الإجمالية للأشخاص الذين ماتوا نتيجة التحوُّل إلى المزارع الجماعية (بمن فيهم أموات المجاعة) والتي تتراوح بين ستة ملايين وعشرين مليوناً.

النتائج الاقتصادية للتحوُّل إلى المزارع الجماعية هي موضع اختلاف جدلي على الرغم من اتفاق المؤرخين على أن تسليمات الحبوب إلى الدولة بعد سنة 1928 قد ازدادت رغم التدني الكبير في إجمالي الناتج الزراعي في الثلاثينيات. وتؤيد مجموعة واحدة من المؤرخين النظرة المتزمتة في أن عملية التحوُّل إلى المزارع الجماعية ـ برغم هبوط المحاصيل الزراعية ـ قد حوَّلت الموارد والتمويلات المالية من المناطق الريفية إلى الحضرية وأنها بذلك أتاحت المجال لنجاح التحول الصناعي السريع. أما الآخرون فيعتبرون أنه لو لم تستمر

السياسة الاقتصادية الجديدة لانخفضت معدلات النمو الصناعي كثيراً عن تلك التي تم إنجازها من خلال الخطط الخمسية، إلا أن المؤرخين الذين يراجعون الأحداث التاريخية بعد وقوعها يدّعون أن التحوُّل إلى المزارع الجماعية كان كارثة اقتصادية وأن مساهمتها في برنامج التحوُّل الصناعي قليلة.

## المصادر التاريخية

**1 . مقطع من مقالة كتبها ستالين سنة 1931 عن الحاجة إلى التحول الصناعي في أسرع وقت ممكن:**

يُطرح سؤال في بعض الأحيان حول إمكانية إبطاء الوتيرة قليلاً ووضع رقابة على الحركة. لا يا رفاق، هذا غير ممكن! يجب ألا تنخفض الوتيرة! على العكس، يجب علينا أن نزيدها بالقدر الذي تسمح لنا به قوتنا وإمكانياتنا. . .

إن التواني يعني التخلف، وهؤلاء المتخلفون مدحورون. . . فهل تريدون من أرض آبائنا الاشتراكية أن تتخلف وتفقد استقلالها؟ إن لم ترغبوا بهذا فعليكم أن تضعوا حداً لتخلفها في أقرب وقت ممكن وأن توجِدوا وتيرة بلشفية حقيقية في بناء النظام الاقتصادي الاشتراكي. ليس هناك من سبيل آخر. ولهذا قال لينين Lenin خلال ثورة تشرين الأول/ أكتوبر: «إما الزوال وإما الغلبة والفوز بقصب السبق على الدول الرأسمالية المتقدمة».

إننا متخلفون عن الدول المتقدمة بخمسين أو مئة سنة، ويجب علينا أن نقطع هذه المسافة خلال عشر سنوات، فإما أن نفلح وإما أن يسحقونا.

ج. ليڤر، «روسيا في فترة 1914 ـ 1941»
لندن، 1991، ص 60 ـ 61

## 2 . رؤية مؤرخ غربي لأثر ستالين على السياسات الاقتصادية :

إن التقييم المناسب لمستويات المعيشة في ذلك الوقت يصبح مستحيلاً، ليس بسبب وجود نظام التقنين واختلافات الأسعار وحالات النقص فحسب، بل بسبب الطوابير وتدني الجودة وعدم توفر متطلبات المستهلك أيضاً . . . ولذلك فإن مصير أي رقم لمقارنة الأجور والأسعار هو التقليل الكبير من تدهور مستويات المعيشة . . كانت سنة 1933 قمة التدهور المتسارع في مستويات المعيشة أثناء السلام التي عرفها التاريخ المكتوب.

أ. نوف، تاريخ اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوڤييتية الاقتصادي، لندن، 1980

# 8 المحاكمات الصورية وأعمال التطهير

**أسئلة تركيزية**

- ما هي الأسباب المباشرة لحملة التطهير الكبير: 1936 ـ 1939؟
- ما هو التطهير الكبير؟
- كيف يمكن تفسير التطهير الكبير والإرهاب الكبير؟

**تواريخ هامة**

1928/ 30 حملة التطهير الحزبي تؤدي إلى طرد آلاف من أعضاء الحزب ذوي المراتب الأدنى

1930 حزيران/يونيو: المؤتمر العام السادس عشر للحزب

كانون الأول/ديسمبر: طرد «كتلة» سيتروف Sytrov من اللجنة المركزية

1932 أيلول/سبتمبر: موضوع ريوتين Ryutin

كانون الأول/ديسمبر: صدور الأمر بحملة التطهير الحزبي

1933 كانون الثاني/يناير: «مجموعة» سميرنوف «المضادة للحزب» تتعرض للاتهام بمحاولة استبدال ستالين

1934 كانون الثاني/يناير: المؤتمر العام السابع عشر للحزب

كانون الأول/ديسمبر: مقتل كيروف Kirov، واعتقال الآلاف

1935 كانون الثاني/ يناير: استمرار الاعتقالات الجماعية، زينوڤييف وَكامينيف وسبعة عشر عضواً آخر من أحد «مراكز موسكو» يواجهون محاكمة سرية.

1936 آب/ أغسطس: المحاكمة الصورية الأولى (محاكمة الستة عشر)، بدء التطهير الكبير

أيلول/ سپتمبر: برقية ستالين ـ جدانوف Stalin - Zhdanov، ييجوف Yezhov يحل محل ياگودا Yagoda كرئيس للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية

كانون الأول/ ديسمبر: تبني دستور ستالين من قبل مؤتمر عام للحزب عُقِد خصيصاً لهذا الغرض

1937 كانون الثاني/ يناير: المحاكمة الصورية الثانية (محاكمة السبعة عشر)

شباط/ فبراير: طرد بُخارين Bukharin ورايكوف Rykov من الحزب

أيار/ مايو: بدء التطهير في الجيش الأحمر

1938 آذار/ مارس: المحاكمة الصورية الثالثة (محاكمة الواحد وعشرين)

كانون الأول/ ديسمبر: بيريا Beria يحل محل ييجوف Yezhov كرئيس للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية

1939 آذار/ مارس: المؤتمر العام الثامن عشر للحزب، انتهاء التطهير الكبير رسمياً.

## نظرة شاملة

على الرغم من هزيمة اليسار والمعارضتين المتحدة واليمينية على يد ستالين بحلول سنة 1929، إلا أن الحقد ظل متفشياً في الحزب الشيوعي. المشكلات الأولى للتحوُّل إلى المزارع الجماعية والخطة الخمسية الأولى سببت مزيداً من الانتقاد لستالين في المؤتمر العام السادس عشر للحزب في حزيران/يونيو 1930. وفي سنة 1932 كشف موضوع ريوتين Ryutin عن استمرار الحقد. واضطرب ستالين عندما رفضت أغلبية الشعبة السياسية Politburo تأييد دعوته لإعدام ريوتين.

وُلِد سيرجي كيروف Sergei Kirov سنة 1888. إنضم إلى البلشڤيين سنة 1904. انتخِب لعضوية الشعبة السياسية Politburo سنة 1930. كان محبوباً ومعتدلاً أثناء توليه زعامة الحزب الشيوعي في لينينگراد. عارض بعضاً من سياسات ستالين الاقتصادية المتطرفة وإجراءاته القمعية.

كشف المؤتمر العام السابع عشر للحزب المنعقد في كانون الثاني/يناير 1934 النقاب في آن عن استمرار انتقاد ستالين وَزيادة شعبية كيروف Kirov الذي اغتيل في الأول من كانون الأول/ديسمبر في ظروف غامضة، وعندئذ أمر ستالين بسلسلة من الاعتقالات والإعدامات. وبعد محاكمة سرية حُكِم بالسجن على زينوڤييڤ Zinoviev وَكامينيڤ Kamenev ومجموعة أخرى من القادة الشيوعيين. وبعد ذلك في آب/أغسطس 1936 بدأت حملة التطهير الكبير Great Purge من خلال أولى المحاكمات الصورية التي توالت في سنتي 1937 وَ1938.

NKVD هي الأحرف الأولى من المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية التي أنشئت سنة 1917. في تموز/يوليو 1934 تسلمت الشرطة السرية (OGPU) واحتفظت بهذه المسؤولية حتى سنة 1943.

كانت المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية NKVD بزعامة ياگودا Yagoda هي المسؤولة عن حملة التطهير الكبير، وبعدئذ تم سنة 1936 استبدال ياگودا بييجوف Yezhov الذي بدأ بالإرهاب الكبير بطُرُقِه المتطرِّفة للغاية، ونشره سنة 1937 ليشمل سلك الضباط في القوات المسلحة وكذلك المسؤولين في الحزب الشيوعي. وبنتيجة التطهير الكبير تم إلقاء القبض على عدة ملايين من الأشخاص في فترة 1936 ـ 1939،

وأُعدِم عدد كبير منهم أو أُرسلوا إلى معسكرات العمل القسري حيث قضى كثيرون منهم نحبهم بسبب الظروف القاسية وقلة الطعام.

حلّ بيريا Beria سنة 1938 محل ييجوف Yezhov كرئيس للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية فبدأ الإرهاب الكبير بالزوال. وفي سنة 1939 تم الإعلان رسمياً أثناء المؤتمر العام الثامن عشر للحزب عن انتهاء التطهير الكبير، حيث كان جميع أفراد «الحرس القديم» البلشفيين (الذين عملوا مع لينين) قد أُعدِموا أو انتحروا.

تشير كلمة «تطهير» لدى الحزب الشيوعي الروسي إلى التدقيق بالصفات والسلوك الشخصيين (مثل تعاطي المسكِرات والخمول السياسي) لدى أعضاء الحزب. وفي مثل هذه «التطهيرات» أو «التنظيفات» (chistki) يتم سحب البطاقات الحزبية من أولئك الذين يثبت عليهم عدم الكفاءة. لم يكن العنف يُستخدَم، كما كان يُسمح بالعودة إلى صفوف الحزب لمن تتحسن أوضاعهم. وقد حدثت مثل هذه التطهيرات في سنوات 1919 وَ1921 وَ1929 وَ1933. التطهير الكبير الذي تميز بالإعدامات والسجن بالجملة كان يمثل ظاهرة مختلفة.

## ما هي الأسباب المباشرة لحملة التطهير الكبير: 1936 ـ 1939؟

### التطهير قبل سنة 1930

حدثت تطهيرات في الحزب الشيوعي قبل صعود ستالين إلى السلطة، وأثناء الصراع على السلطة في العشرينيات خسِرَ كثير من معارضيه في اليسار واليمين مناصبهم الكبرى أو طرِدوا من الحزب، لكن هذه الأعمال التطهيرية لم تكن عنيفة ولم تكن واسعة كما كان حالها في الثلاثينيات، وكان معظم سجناء معسكرات العمل القسرية حتى ذلك الحين فلاحين سابقين أو عمالاً ارتكبوا مخالفات للنظام، لكن الغالبية العظمى من النزلاء في منتصف الثلاثينيات كانوا ضحايا التطهير الستاليني.

وعلى الرغم من دحْر ستالين لخصومه الأساسيين بحلول سنة 1929 إلا أنه لم يكن قد أحكم سيطرته بعد. وفي أواخر العشرينيات لم تحظَ دعواته لمزيد من العنف تجاه معارضيه المهزومين بالتأييد دائماً من قبل أعضاء الشعبة

السياسية Politburo، وكان نقص سيطرته الكاملة يعني قبوله بالحلول الوسط. أضف إلى ذلك أن بُخارين Bukharin وَريكوف Rykov وَتومسكي Tomsky الذين أزيحوا عن المناصب العليا (وهم قادة المعارضة اليمينية المدحورة) مازالوا يلقون التعاطف والتأييد في صفوف الحزب، مما أدى بالمؤتمر العام السادس عشر للحزب المنعقد في حزيران/يونيو 1930 إلى إعادة انتخابهم لعضوية اللجنة المركزية. كذلك بدأت المشكلات الأولى الناتجة عن التحوُّل إلى المزارع الجماعية الهائل والتحول الصناعي السريع تثير الشكوك والانقسام السياسي حتى بين أعضاء الشعبة السياسية Politburo حيث كان مولوتوف Molotov وَكاگانوڤيتش Kaganovitch المؤيْدَين الوحيدَين اللذين لاينتقدان ستالين. في كانون الأول/ديسمبر 1930 طُرد سيرتسوف Syrtsov وآخرون من اللجنة المركزية بسبب انتقادهم التجاوزات التي ارتُكِبت باسم التحول إلى المزارع الجماعية، والأهم أنهم كانوا من قبل مؤيدين لستالين في نضاله ضد بُخارين واليمين.

لماذا كانت انتقادات سيرتسوف Syrtsov للطرق المستخدَمة في التحول إلى المزارع الجماعية مُهمَّة تجاه منصب ستالين في الحزب؟

## موضوع ريوتين: 1932

جاءت دلالة أخرى على مدى معارضة نواحٍ من سياسات ستالين سنة 1932 عندما كتب ريوتين Ryutin اليميني الذي أصبح مهمّاً في أوائل الثلاثينيات، وثيقة تدعو إلى إنهاء التحول القسري إلى المزارع الجماعية، وَإعادة تأهيل المعارَضات التي تم إلحاق الهزيمة بها (ومنها تروتسكي Trotsky) وَكذلك تنحية ستالين الذي اتهمته الوثيقة بتدمير الثورة الشيوعية. وقد وقّع الوثيقة عدد من الشيوعيين البارزين الذين أحيلوا إلى المحكمة في أيلول/سبتمبر وَتم طرد كل من ريوتين Ryutin وَزينوڤييڤ Zinoviev وَكامينيڤ Kamenev وسبعة

**ما هو موضوع ريوتين Ryutin؟ وكيف بيَّن أن ستالين لم يكن يسيطر تماماً على الحزب الشيوعي سنة 1932؟**

عشر آخرين من اللجنة المركزية. أراد ستالين إعدام ريوتين ولكن الشعبة السياسية Politburo رفضت بلوغ هذا الحد وبذلك أبرزت عدم سيطرة ستالين على الحزب بعدُ في هذه المرحلة. وفي السنتين التاليتين تم طرد ما يقارب مليون عضو من الحزب باعتبارهم « ريوتينيين Ryutinites».

**المؤتمر العام السابع عشر للحزب: 1934**

برغم عمليات الطرد، استمرت معارضة ستالين بعد موضوع ريوتين، وفي كانون الثاني/يناير 1933 طُرِد سميرنوف Smirnov (وهو شيوعي قيادي آخر) بسبب تشكيله «مجموعة مضادة للحزب» بغرض إزاحة ستالين.

يبدو أن المؤتمر العام السابع عشر للحزب المنعقد في كانون الثاني/يناير 1934 (الذي اشتهر باسم «مؤتمر المنتصرين العام») شكَّل نقطة انعطاف رئيسية. (كانت الفوضى الاقتصادية والقلاقل التي نجمت عن التحول إلى المزارع الجماعية والتحول الصناعي تعني عدم الدعوة إلى مؤتمر عام بين سنتي 1930 وَ 1934).

ألغى هذا المؤتمر العام منصب الأمين العام، مما يعني من حيث المبدأ أن ستالين لم يعد في هذا الوقت أكثر أهمية من الثلاثة الآخرين ـ كيروف Kirov وَكاگانوڤيتش Kaganovitch وَجْدانوف Zhdanov ـ الذين انتُخِبوا حديثاً كأمناء للحزب الشيوعي. وبرغم الاحتمال في أن يكون ستالين نفسه قد رغِب بذلك من أجل تقاسم المسؤولية عن الأزمة الاقتصادية، إلا أن اللجنة المركزية التي انتخبها المؤتمر العام تدلُّ على أنه ليس كل مَن في الحزب الشيوعي يوافق على قيادة ستالين، ويبدو أن كيروف حاز تقريباً على أصوات جميع الممثلين البالغ عددهم 1225 والذين صوتوا على مقاعد اللجنة المركزية، في حين لم يصوِّت حوالي ثلاثمئة لستالين نهائياً.

## موضوع كيروف: 1934

هناك دليل قد يرشد إلى أن كيروف ـ الذي كان عضواً في الشعبة السياسية Politburo وزعيم الحزب في لينينگراد ـ رفض طلباً وجِّهه إليه بعض الرسميين المحليين الكبار قبل المؤتمر العام السابع عشر للحزب ليَحِلّ محل ستالين. لقد كان كيروف معروفاً بشكوكه حول وتيرة التحول الصناعي وطرق ستالين في فرض الانضباط على الحزب. وعندما اغتيل (كيروف) في كانون الأول/ديسمبر سنة 1934 في ظروف تحيطها الريبة ادَّعى ستالين على الفور أن ذلك جزء من مؤامرة للإطاحة به وبحكم الحزب الشيوعي، ربما من قبَل «مركز معارضة لينينگرادي» مرتبط مع معارضة تروتسكي اليسارية والمعارضة المتحدة أيضاً. أُعطيت المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية NKVD التي أُعيد تنظيمها مجدداً بقيادة ياگودا Yagoda سلطات كاملة للاعتقال والمحاكمة والإعدام بموجب مرسوم خاص تم إقراره بعد يوم واحد من اغتيال كيروف وخوَّلها ممارسة العمل الإرهابي.

**لماذا ورد احتمال أن يكون ستالين قد رأى في كيروف تهديداً؟**

وخلال الأسابيع القليلة التي تلت ذلك أُعدِم ما يزيد على مئة من أعضاء الحزب وأُلقي القبض على الآلاف من أتباع تروتسكي وزينوڤييف، وكان من بينهم زينوڤييف وَكامينيف، لكن تروتسكي نفسه كان خارج البلاد لأنه أُبعِد سنة 1929. وفي كانون الثاني/يناير 1935 تمت محاكمة وسَجْن زينوڤييف وَكامينيف وسبعة عشر آخرين مدداً تراوحت بين خمس سنوات وعشر. وبعد بضعة أيام حوكِم وسُجِن اثنا عشر شخصاً من أعضاء المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية المُهمّين في لينينگراد، وكذلك أحيط بعدة آلاف من «العناصر البورجوازية» وأودِعوا السجن.

**كيف استعمل ستالين اغتيال كيروف سنة 1934 ذريعة لبسط سيطرته على الحزب الشيوعي؟**

## ما هو التطهير الكبير؟

بحلول منتصف سنة 1935، كانت أعمال التطهير قد بدأت بالتوقف، ويعود ذلك جزئياً إلى تحسن الوضع الاقتصادي. وخلال هذه الفترة من الهدوء النسبي بوشِر بصياغة دستور جديد أخذ في اعتباره تقدم الاتحاد السوڤييتي نحو الاشتراكية. حاز هذا الدستور الذي عُرِف «بدستور ستالين» على الموافقة ودخل حيِّز التنفيذ سنة 1936، وبعد هذه الفترة من الهدوء النسبي بدأت حملة تطهير جديدة في صيف سنة 1936 شملت محاكمة صورية وإشارات إلى بدء ما أصبح يُعْرَف بالتطهير الكبير.

## محاكمة الستة عشر في آب/أغسطس 1936

ادَّعت المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية في أوائل سنة 1936 أنها اكتشفت مؤامرة تروتسكية ـ زينوڤييڤية مضادة للثورة ومرتبطة بدول رأسمالية وبالحرس الأبيض والفلاحين الأغنياء. وقد اتُّهِم زينوڤييڤ وَكامينيڤ وَسميرنوڤ Smirnov وَسيرتسوڤ Syrtsov مع اثني عشر آخرين ـ برغم وجودهم في السجن ـ بتنظيم هذه المؤامرة وتدبير مكيدة لقتل ستالين مع أعضاء آخرين من الشعبة السياسية Politburo. أدَّت استنطاقات المفوضية (التي تمَّت على جهاز التعذيب الكهربائي وترافقت بالحرمان من النوم والاستجواب والضرب المستمرين) بأربعة عشر منهم إلى الاعتراف «بذنبهم»، ووُجِد الستة عشر مذنبين ثم أُعدِموا. وفي نفس الوقت اختفى ثلاثة وأربعون من الشيوعيين القياديين الآخرين.



صورة ڤيشينسكي ـ المدعي العام في المحاكمة الصورية الأولى (ضد زينوڤييف وكامينيڤ) في شهر آب/أغسطس **1936**.

وُلِد كارل رادِك Radek سنة 1885، وانضم إلى البلشڤيين بعد ثورة 1917. كان عضواً قيادياً في الحزب الشيوعي الدولي ومؤيداً لتروتسكي لبعض الوقت.

وُلِد نيكولاي ييجوڤ Yezhov سنة 1895، وانضم إلى البلشڤيين سنة 1917 . لعب دوراً فعالاً في ثورة تشرين الثاني/نوڤمبر والحرب الأهلية. ساعد على تنظيم التحول إلى المزارع الجماعية وتطوير فكرة المؤامرة التروتسكية ـ الزينوڤييڤية. قام بحكم كونه رئيساً للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية بين سنتي 1936 وَ 1938 بتنظيم المحاكمات الصورية ضد البلشڤيين القدماء وبحملة تطهير القوات المسلحة.

أوقعت بعض «الاعترافات» أمام المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية بقادة المعارضة اليمينية السابقة بُخارين Bukharin وَريكوڤ Rykov وَ تومسكي Tomsky، وتم استجوابهم مع آخرين (كان بينهم رادِك Radek وپياتاكوڤ Piatakov) ولكنهم لم يُعتَقلوا، برغم أن تومسكي انتحر. وفي النهاية أسقط ياگودا التحريات ربما بسبب رفض بُخارين وريكوڤ الاعتراف أو الاختلاف مع الشعبة السياسية Politburo. ونتيجة لذلك أحلَّ ستالين ييجوڤ Yezhov محل ياگودا Yagoda بسبب عدم فعاليته بما يكفي للكشف عن كامل «المؤامرة».

## محاكمة السبعة عشر في كانون الثاني/يناير 1937

في كانون الثاني/يناير سنة 1937 عُقِدَت محكمة صورية أخرى لسبعة عشر من الشيوعيين القياديين الذين اتهِموا بالتآمر

مع تروتسكي (بالاشتراك مع ألمانيا النازية واليابان كما قيل) للقيام باغتيالات وأعمال إرهابية وتخريب الصناعة والتجسس، وكان رادِك وَپياتاكوف Piatakov مرة أخرى بين المتهمين. ومرة أخرى كشفت استنطاقات المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية عن «اعترافات» أعطت «الدليل» الرئيسي على ڤيشينسكي Vyshinsky. وهذه المرة حُكِم على ثلاثة عشر بالموت، كان منهم پياتاكوف (الذي كان نائب مفوض الصناعة الثقيلة).

وُلِد أندريه ڤيشينسكي Vyshinsky سنة 1883. قدَّم الدعم في البداية للمِنشڤيين Mensheviks ولكنه انضم إلى البلشڤيين Bolsheviks خلال الحرب الأهلية. عمِل نائباً للمدعي العام الحكومي أثناء المحاكمات الصورية . أصبح نائباً لمفوض الشؤون الخارجية سنة 1940.

اجتمعت اللجنة المركزية خلال شهري شباط/فبراير وآذار/مارس 1937 بعد هذه المحاكمة الصورية الثانية والإعدامات التي تلتها، وكان شغلها الشاغل هو دراسة رفع وتيرة الكشف عن «المؤامرة التروتسكية» التي أُميط اللثام عنها من قبل ستالين ومولوتوف والقضاء عليها. تلقى ييجوف Yezhov الذي تم تعيينه مؤخراً مفوضاً عاماً لأمن الدولة من ستالين ما يجب عليه فعله وانبرى يتهم بُخارين بمعرفة ماكان تروتسكي يخطط له. رفض بُخارين الاعتراف بذلك، وقامت لجنة فرعية بطرده وريكوف Rykov معاً من الحزب، وأُلقي القبض عليهما فور ذلك ونُقِلا إلى مقر قيادة المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية في لوبيانكا Lubianka حيث وُضِعا رهن التحقيق. وفي آخر اجتماعات اللجنة المركزية في مطلع آذار/مارس وُجِّهَت إلى كل من بخارين وَريكوف وَتومسكي (الذي مات قبل ذلك) وإلى ياگودا Yagoda أيضاً تهم بالارتباط مع تروتسكي وأعوانه.

## محاكمة الواحد وعشرين في آذار/مارس 1938

هذه المحاكمة التي كانت آخر وأكبر المحاكمات الصورية تركّزت على بُخارين Bukharin وَريكوف وَتسعة عشر شخصاً آخرين اتُّهِموا بعضوية الجبهة التروتسكية ـ اليمينية التي

كان يُفترض بأنها مسؤولة - بين أمور أخرى - عن تخريب الصناعة المقصود وَإضعاف الجيش الأحمر وَالتجسس لصالح الأعداء الخارجيين من أجل إعادة الرأسمالية. ومرة أخرى «اعترف» معظم المتهمين «بجرائمهم» على الرغم من رفض بُخارين الاعتراف بذنبه. طالب ڤيشينسكي Vyshinsky بتجريمهم وإعدامهم رمياً بالرصاص، فاستجابت المحكمة للحكم المطلوب وتم إعدام بُخارين وَريكوف مع ستة عشر آخرين رمياً بالرصاص.

## الإرهاب الكبير

كان التطهير الكبير قد ابتدأ بحلول هذا الوقت يتحول إلى الإرهاب الكبير - أو زمن ييجوڤ Yezhovshchina - بسبب تضاعف عدد الاتهامات العلنية وَالمحاكمات وَعمليات الطرد وَالسجن والإعدام. أثرت أعمال التطهير على أعضاء الحزب تأثيراً كبيراً؛ ولكنها بحلول منتصف سنة 1937 توسعت لتشمل عدداً كبيراً من عناصر إدارات الدولة والمتخصِّصين الذين كان بينهم المهندسون وعمال السكك الحديدية. وخلال سنتي 1937 - 1938 أُلقي القبض على عدد كبير من الموظفين المُهمين وأعدِموا، وتمت تنحية جميع أعضاء اللجنة المركزية لحزب لينينگراد، وتطهير غالب هيئة الحزب في أوكرانيا نزولاً من الشعبة السياسية Politburo. وفي معظم الجمهوريات الأخرى تم تطهير معظم الموظفين الحزبيين ذوي المراتب العلِيا، حتى أن موسكو حدَّدت الحصص الإقليمية التي يجب تقديمها . انتهى كثيرون إلى معسكرات العمل القسري، في حين انتهى الأمر بآخرين إلى الإعدام على يد المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية.

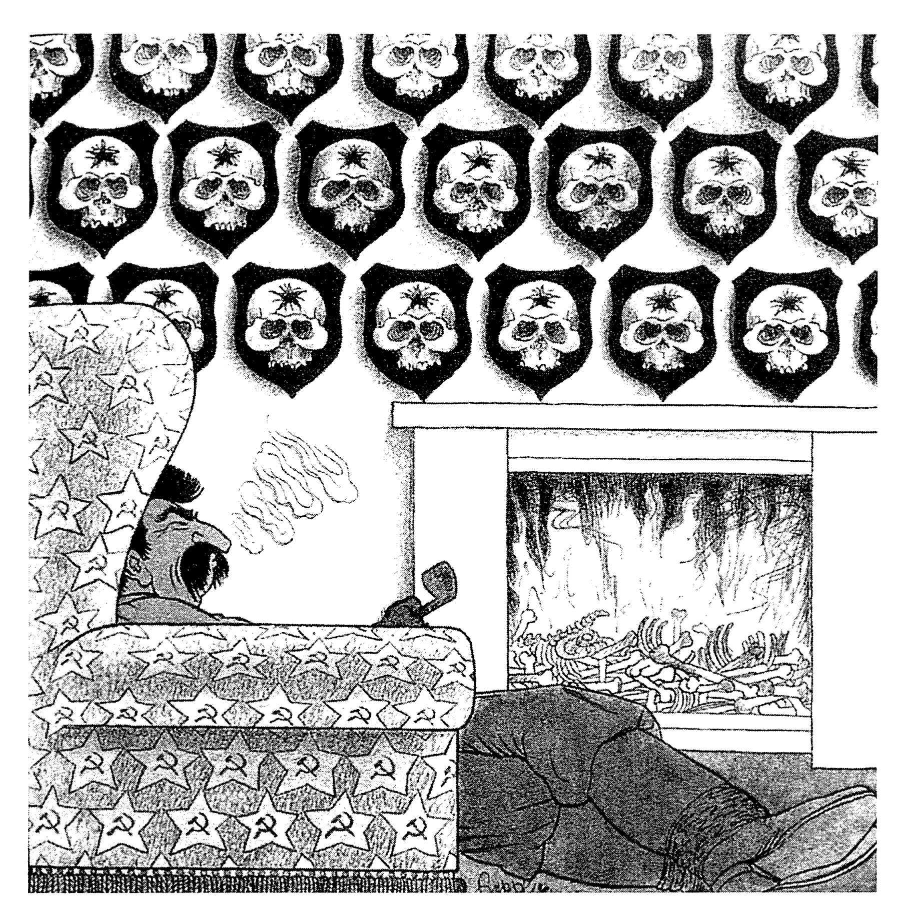
**لماذا كان الإرهاب الكبير يُعرَف باسم زمن ييجوڤ** Yezhovshchina؟

**تشير كلمة** Yezhovshchina **(التي تعني حرفياً «زمن ييجوڤ») إلى قمة التطهير الكبير بين سنتي 1937 وَ 1938 حينما كان ييجوڤ** Yezhov **رئيساً للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية.**

انتشر هذا التطهير إلى الجيش الأحمر، إذ تم توريط بعض الضباط الحاليين أو السابقين في المحاكمات الصورية الأولى أو الثانية خلال فترة 1936 ـ 1937، فأُلقي القبض في أيار/مايو 1937 على الماريشال توخاتشيڤسكي Tukhachevsky (رئيس هيئة الأركان العامة ونائب مفوض الدفاع) وَگامارنيك Gamarnik (رئيس مفوضي الجيش الأحمر السياسيين ونائب مفوض الدفاع) واتُّهِما بالتآمر مع تروتسكي وأعداء خارجيين على اغتيال زعماء سوڤييت، وأعدِم توخاتشيڤسكي وقادة رئيسين آخرين في 12 حزيران/يونيو 1937. أما گامارنيك فقد انتحر مثل تومسكي عند صدور الحكم. انتشر الإرهاب الكبير بعد ذلك بين الرتب الأدنى في الجيش الأحمر فكانت قائمة المعدومين بحلول نهاية سنة 1938 تتضمن ثلاثة من أصل ماريشالات الجيش الخمسة، وأربعة عشر من أصل قادة الصف الأول الستة عشر، والأدميرالات الثمانية جميعاً، وستين من أصل قادة الفيالق السبعة والستين، ومئة وستة وثلاثين من أصل قواد الفرق المئة والتسعة والتسعين، ومئتين وواحد وعشرين من أصل قواد الأفواج الثلاثمئة والسبعة والتسعين، وأصابت ضباط القوى الجوية والمخابرات العسكرية على نحو مرير. بلغت الحصيلة الشاملة لجميع ضباط الجيش الذين أُعدِموا أو سُجِنوا من مختلف الرتب حوالي خمسة وثلاثين ألفاً (حوالي خمسين بالمئة)، وكذلك أُعدِم جميع نواب مفوض الدفاع الأحد عشر وَخمسة وسبعون من أصل أعضاء المجلس العسكري الأعلى الثمانين.

**كيف كان تأثير التطهير الكبير على الجيش الأحمر؟**

وبدأ الإرهاب الكبير يؤثر على أعداد هائلة من الناس العاديين الذين حاولوا في سعيهم لتجنب تلبُّسهم بالشك أن يثبتوا ولاءهم لستالين من خلال اتهام الآخرين، ووَجَد بعضهم في ذلك وسيلة لتسوية الحسابات أو أن يضمنوا لأنفسهم



صورة ساخرة مضادة للسوفييت تعلق على قيام ستالين بتطهير قيادة الحزب الشيوعي

وظائف الذين يجري تطهيرهم . وبحلول نهاية سنة 1938 كان معظم الروس يعيشون في رعب ويترددون في التحدث علانية مع أحد، وعند هذا الحد بدأ الإرهاب الكبير بالتلاشي.

وُلِد لاڤرينتي بيريا Lavrenti Beria سنة 1899، وكان من أوائل مؤيدي ستالين. حل سنة 1938 محل ييجوڤ Yezhov رئيساً للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية وكان مسؤولاً عن التخلص منه ومن عدد آخر من موظفي المفوضية في نهاية الإرهاب الكبير. عندما توفي جدانوڤ Zhadnov سنة 1948 ساد الاعتقاد بأن بيريا سيخلف ستالين حاكماً للاتحاد السوڤييتي، وعند وفاة ستالين سنة 1953 ألقي القبض عليه بسرعة وأعدِم.

## نهاية الإرهاب الكبير

بحلول بدايات تشرين الأول/أكتوبر 1937 أثار ستالين شكوكاً حول تطهير العمال الصناعيين، وفي كانون الثاني/يناير 1938 قررت اللجنة المركزية ضرورة القيام بعملية تنسيب للحزب من أجل إحلال أشخاص محل الذين تم تطهيرهم نتيجة لاتهام كاذب. في كانون الأول/ديسمبر 1938 حل بيريا Beria محل ييجوڤ Yezhov مفوضاً عاماً لأمن الدولة، وأعلن ستالين وَجدانوڤ Zhdanov في آذار/مارس 1939 أمام المؤتمر

العام الثامن عشر للحزب أن الحاجة لم تعد تدعو إلى «التطهير الشامل»، ووصلا إلى حد الاعتراف بحصول «أخطاء». وبعد ذلك وُجِّه اتهام إلى ييجوف Yezhov خلال سنة 1939 بأنه عميل بريطاني وأُعدِم. ونتيجة لذلك انتهت الاعتقالات الجماعية، وأُطلق سراح عدة آلاف من معسكرات العمل القسري، وأُعيد الاعتبار لكثيرين ممن طُردوا من الحزب وفقدوا وظائفهم، وهذا ما يُشار إليه بعبارة «ربيع التحرر». غير أنه من المهم الإشارة إلى استمرار اعتقال الناس وسجنهم أو إعدامهم ولكن على نطاق أضيق بكثير من ذي قبل.

## كيف يمكن تفسير التطهير الكبير والإرهاب الكبير؟

### النظريات الاستبدادية

تتركز الآراء المتزمتة أو التقليدية حول أسباب التطهير الكبير على دور ستالين وتقوم على موقعه الذي كان قد استقر كدكتاتور للاتحاد السوڤييتي في الوقت الذي بدأ يزول فيه. طرح بعض المؤرخين أن ستالين شن أعمال التطهير لأنه كان يعاني من مرض عقلي، أو على الأقل من جنون العظمة الذي يؤدي إلى أعمال لاعقلانية ومتطرفة. ويطرح بعض المؤرخين الآخرين ـ مع قبولهم بمسؤولية ستالين عن الإرهاب الكبير والتخطيط له ـ أن ذلك يجب النظر إليه، على الأقل بصورة جزئية، كاستجابة «عقلانية» للظروف التي سادت في الثلاثينيات والتي خدمت تصميمه على أن يبقى قائداً .

### نظريات المؤرخين الذين يراجعون الأحداث التاريخية بعد وقوعها

في الفترة المتأخرة انصرف عدد من المؤرخين بانتباههم

عن ستالين ذاته وانتقلوا إلى عوامل أخرى مثل وجود معارضة حقيقية تفرض تهديداً محتملاً على موقع ستالين. واسترجع بعضهم من أمثال ج. ريترسپورن G. Rittersporn جدل تركيب الأحداث حول طبيعة وتوزيع السلطة في ألمانيا النازية وذلك حينما طرحوا أن قيام ستالين بتعيينات أساسية (ولا سيَّما استبدال ياگودا بييجوف على رأس المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية) يجب ألا يُبْعِدَ عن الذهن أن المفوضية ورؤساء الأحزاب المحليين كانوا خارج السيطرة في خضم فوضى الثلاثينيات وأن الأمور ابتعدت كثيراً عن مقاصد ستالين في كثير من الأحيان، وأن الإرهاب الكبير كان في بعض الأوقات فرصة للقادة المتنافسين المحليين لتسوية حسابات قديمة.

كذلك طرح مؤرخون آخرون مثل ج. آرش گيتي J. Arch Getty وجودَ دليل على اعتقاد ستالين أن المؤامرة التروتسكية ـ الزينوڤييڤية كانت قائمة، ولو جزئياً، على حقيقة. هناك دليل يدعو إلى أن رسميين شيوعيين من مراتب متوسطة اتصلوا بين سنتي 1930 وَ 1932 بتروتسكي Trotsky لتشكيل جبهة معارضة جديدة، وأن اقتراحات قُدِّمَت لتحالف تروتسكي ـ زينوڤييڤ. غير أن عدد ضحايا التطهير الكبير زاد كثيراً عن عدد المعارضين المحتمَلين بحلول منتصف الثلاثينيات.

## ستالين واللينينية

برغم انضمام تروتسكي إلى حزب لينين البلشفي في آب/أغسطس 1917، إلا أن ذلك لم يحصل إلا بعد 14 سنة من الاختلافات المتقطعة حول التنظيم الحزبي والسبيل المحتمل للثورة عند وصولها إلى روسيا. كان لينين وتروتسكي قد تقاربا بحلول سنة 1917 من مواقع بعضهما البعض. وكانت الأسباب التي منعت تروتسكي من الانضمام

إلى الزمرة البلشفية عند انقسام حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي RSDLP سنة 1903 قائمة أساساً على مخاوفه المتعلقة بإصرار لينين على وجوب قيام إدارة الحزب على أساس المركزية الديمقراطية، وكان تروتسكي يعتقد أن ذلك سيؤدي ـ في ظل غياب الديمقراطية في روسيا القيصرية ـ إلى «الحلولية» أي أن تحُلَّ منظمة حزبية محل الحزب بأكمله، ثم تحُل اللجنة المركزية محل منظمة الحزب، «إلى أن يُحِل دكتاتورٌ واحدٌ نفسه في نهاية المطاف محل اللجنة المركزية».

غير أن تروتسكي ظل على الدوام يرفض الطرح أن ستالين والستالينية هما النتيجة المنطقية لأفكار لينين وطرائق حكمه. قام مؤرخون من أمثال إسحاق دويتشر Isaac Deutscher وَ ر. ميدفيديف R. Medvedev بتصوير الستالينية على أنها متميِّزة تماماً عن اللينينية مشيرين إلى حقيقة أن الإرهاب لم يُستخدم ضد أعضاء الحزب الشيوعي قبل ستالين. كذلك حاولت قيادة الحزب الشيوعي في عدة مراحل في الثلاثينيات أن تضع حدّاً للأعمال التي يتم اتخاذها ضد مختلف المعارضين، وبيَّن هؤلاء المؤرخون أن لينين لم يحاول أبداً إجبار المعارضين السياسيين المهزومين على الاعتراف بخطأ آرائهم على رؤوس الأشهاد أو الإدلاء «باعترافات» منافية للطبيعة أو العقل؛ مثل الطرق التي لم يستخدمها أحد سوى ستالين. وأشار كثير من المؤرخين إلى أن أعمال التطهير الأولى كانت تتعلق كثيراً بطرد النفعيين الكثيرين وغير الناضجين من الناحية السياسية (والذين بدؤوا ينضمون بأعداد كبيرة إلى البلشفيين عندما اتضح أنهم سينتصرون في الحرب الأهلية) بسبب نقاط ضعفٍ شخصيةٍ بدلاً من محاولة خلق حزب «نقي» متكاتف عقائدياً. وهكذا

فإن التطهير الكبير الذي قام به ستالين والذي أزهق أرواحاً كثيرة يبدو على جانب من العنف لا مثيل له وأنه خرق واضح للتقاليد اللينينية.

**1 . يقول زينوڤييف متحدثاً إلى ستالين في كانون الأول/ ديسمبر 1934 عقب اعتقاله بعد اغتيال كيروف:**

. . . أنا لم أرتكب أي ذنب تجاه الحزب وتجاه اللجنة المركزية وتجاهك شخصياً. أقسم لك بكل ما هو مقدس عند البلشفي، أقسم لك بذكرى لينين. إني لا أستطيع حتى أن أتصور الأمر الذي أثار الريبة ضدي. أتوسل إليك أن تصدق كلمة الشرف التي أقولها، فأنا أهتز حتى أعماق روحي.

د. ڤولكوگونوف، ستالين: الانتصار والمأساة، ترجمة هـ. شوكمان، لندن 1991، ص 277

**2 . يقول ستالين في تقرير للمؤتمر العام الثامن عشر للحزب المنعقد في آذار/ مارس 1939 عن أعمال التطهير بين سنتي 1933 وَ 1936:**

لا يمكن القول إن أعمال التنظيف لم تكن مصحوبة بأخطاء جسيمة، فقد حصلت لسوء الحظ أخطاء أكثر مما كان متوقعاً. نحن بلا شك لن نحتاج إلى مزيد من اللجوء إلى طريقة التنظيف الشامل، ولم يكن مع ذلك بُدٌّ من أعمال التنظيف خلال فترة 1933 ـ 1936 وكانت نتائجها على العموم مفيدة.

سي. وورد، روسيا الستالينية، لندن 1993، ص 119

# 9 السياسة الخارجية في الثلاثينيات والحرب الوطنية الكبرى: 1941 ـ 1945

**أسئلة تركيزية**

- ما هي دوافع السياسة الخارجية السوڤييتية في الثلاثينيات؟
- كيف تمكن الاتحاد السوڤييتي من الانتصار في الحرب الوطنية الكبرى: 1941 ـ 1945؟
- ما هي النتائج المباشرة للحرب الوطنية الكبرى؟

**تواريخ هامة**

1932 تشرين الثاني/ نوڤمبر: ميثاق عدم الاعتداء الفرنسي ـ السوڤييتي

1933 كانون الثاني/ يناير: هتلر يصبح رئيس وزراء ألمانيا

1934 أيلول/ سبتمبر: الاتحاد السوڤييتي ينضم إلى عصبة الأمم

1935 أيار/ مايو: التحالف الفرنسي ـ السوڤييتي

1936 تشرين الثاني/ نوڤمبر: تحالف بين ألمانيا واليابان ضد الحزب الشيوعي الدولي

1937 تموز/ يوليو: اليابان تغزو الصين

آب/ أغسطس: الاتحاد السوڤييتي يوقِّع معاهدة مع الصين الوطنية

1938 أيلول/ سپتمبر: أزمة زوديتنلاند Sudetenland

1939 آذار/ مارس: ألمانيا تغزو بقية تشيكوسلوڤاكيا

أيار/ مايو: مولوتوف Molotov يحل محل ليتڤينوف Litvinov مفوضاً للشؤون الخارجية

آب/ أغسطس: ميثاق عدم الاعتداء النازي ـ السوڤييتي

أيلول/ سپتمبر: بداية الحرب العالمية الثانية، تقسيم پولونيا بين ألمانيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية

تشرين الثاني/ نوڤمبر: بداية الحرب الشتوية بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وفنلندا

1940 تموز/ يوليو: دول البلطيق تصبح جزءاً من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية

1941 تموز/ يوليو: بداية غزو ألمانيا للاتحاد السوڤييتي، تشكيل القيادة السوڤييتية العليا Stavka وهيئة الدفاع الحكومية GKO

أيلول/ سپتمبر: بداية حصار لينينگراد

تشرين الأول/ أكتوبر: موسكو تحت التهديد

كانون الأول/ ديسمبر: هجوم جوكوف Zhukov المعاكس

1942 كانون الثاني/ يناير ـ شباط/ فبراير: الألمان يضغطون باتجاه جنوب ستالينگراد Stalingrade

أيلول/ سپتمبر: بداية حصار ستالينگراد Stalingrad من قِبَل الجيش الألماني السادس

تشرين الثاني/ نوڤمبر: الجيش الأحمر يحيط بالجيش السادس

1943 شباط/ فبراير: استسلام الجيش السادس

تموز/ يوليو: معركة كورسك Kursk

1944 كانون الثاني/ يناير: انتهاء حصار لينينگراد Liningrad

حزيران/ يونيو: الإنزال في النورماندي

1945 كانون الثاني/ يناير: الجيش الأحمر يجتاز الحدود الألمانية

نيسان/ ابريل: الجيش الأحمر يصل إلى برلين

## نظرة شاملة

خلال حقبة العشرينيات عاشت دولة الاتحاد السوڤييتي العمالية في عزلة تامة، لكنها أقامت علاقات دبلوماسية على نحو تدريجي مع معظم الدول الأوروپية وألمانيا على وجه الخصوص. وبعد سنة 1933 حين وصل هتلر إلى السلطة تركزت السياسة الخارجية السوڤييتية على تقوية عصبة الأمم (فأصبح الاتحاد السوڤييتي عضواً فيها سنة 1934) وعلى الوصول إلى تحالف مع بريطانيا وفرنسا ضد الفاشية، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل، وأبرم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا النازية عُرِف أحياناً باسم اتفاق مولوتوف ـ ريبينتروپ Molotov-Ribbentropp (وهما على التوالي وزيرا الخارجية السوڤييتي والألماني)، وتضمن بنوداً سرّية لتقسيم پولونيا بين الدولتين ولتسليم جمهوريات البلطيق إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية.

جمهوريات البلطيق Baltic republics هي ايستونيا Estonia وَلاتڤيا Latvia وَليتوانيا Lithuania وكانت جزءاً من امبراطورية روسيا القيصرية ولكنها أصبحت مستقلة بعد الثورة البلشڤية.

ظل الاتحاد السوڤييتي بين سنتي 1939 وَ 1941 على الحياد في الحرب العالمية الثانية بالرغم من إرساله المواد الأولية إلى ألمانيا، وكان خلال هذه الفترة يركّز على بناء

دفاعاته. وعندما فشلت ألمانيا سنة 1940 في إلحاق الهزيمة ببريطانيا قرر ستالين عدم احتمال وقوع هجوم ألماني، وتم تخفيض الإجراءات الدفاعية. أخذ الغزو الألماني الشامل على الاتحاد السوڤييتي (المعروف بعملية بارباروسا Barbarossa) والذي ابتدأ في الثاني والعشرين من حزيران/ يونيو سنة 1941، ستالين على حين غرة تماماً، وخلال بضعة أشهر كان الألمان قد اندفعوا في عمق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وهددوا لينينگراد وموسكو، ولم تنقِذ الاتحاد السوڤييتي إلا مقاومته الصامدة وقدوم فصل شتاء شديد، حيث أدى كلا الحدثان إلى إبطاء التقدم الألماني ثم إيقافه (برغم الدور الذي لعبته المساعدة الأمريكية من خلال اتفاقية الإعارة والتأجير).

بدأ الألمان يندحرون بفعل الهجوم المعاكس الذي قام به جوكوف Zhukov أواخر سنة 1941 وخلال سنة 1942، وبحلول سنة 1943 كانوا يتراجعون، وفي سنة 1945 اجتاز الجيش الأحمر الحدود إلى ألمانيا، إلا أن ما يزيد عن 25 مليون مواطن سوڤييتي قضوا نحبهم أثناء الحرب الوطنية الكبرى ودُمِّر كثير من الإنجازات الصناعية التي تحققت بفعل الخطط الخمسية.

الحرب الوطنية الكبرى وردت بهذا الوصف لأول مرة على لسان ستالين سنة 1943.

## ما هي دوافع السياسة الخارجية السوڤييتية في الثلاثينيات؟

### عزلة الجمهورية السوڤييتية

بثت الثورة البلشفية التي حدثت في تشرين الثاني/ نوڤمبر 1917 الذعر في معظم الدول الأوروپية، ولذلك كانت روسيا الشيوعية تتعرض لمزيد من المقاطعة. بعد إبرام معاهدة بريست ـ ليتوڤسك Brest-Litovsk في آذار/ مارس 1918 التي

أنهت التورّط الروسي بالحرب العالمية الأولى بصورة رسمية، قرر بقايا الحلفاء التدخل في الحرب الأهلية الناشبة في روسيا. وعند انتهاء هذا التورط خلال سنة 1920 كانت 14 دولة (منها بريطانيا وَفرنسا وَپولونيا وَاليابان وَالولايات المتحدة الأمريكية) قد أرسلت الجيوش لمساعدة البيض على الحمر.

لم تُدْعَ روسيا الشيوعية لتقديم المساعدة في التفاوض على معاهدات 1919 ـ 1920 للسلام كما لم يُسمح لها بالانضمام إلى عصبة الأمم. وبعد انسحاب معظم القوات الأجنبية منها سنة 1920 (ولم يغادر آخر جندي ياباني إلا في سنة 1925) وَضع كثير من الدول الأوروپية قيوداً على العلاقات التجارية والاقتصادية مع دولة العمال الجديدة على أمل أن يؤدي ذلك إلى إسقاط الحكومة الشيوعية إن لم يؤدِّ على الأقل إلى أن تشكل الدول الخَلَف حول روسيا الشيوعية سواراً واقياً.

**لماذا كانت روسيا الشيوعية في عزلة قبل منتصف العشرينيات؟**

منذ البداية لم يكن الشيوعيون معنيّون جداً ولا مندهشون جداً، يحدوهم الأمل بأن يقدم الحزب الشيوعي العالمي Comintern (الذي تأسس سنة 1919) المساعدة للأحزاب القائمة (في ألمانيا وهنگاريا وإيطاليا) وللحركات الثورية في المستقبل، في أهدافها بتحقيق دول اشتراكية، وعندها تنتهي العزلة السوڤييتية بظهور دول عمالية أخرى تساعد على الانتعاش والنمو الاقتصادي في روسيا. غير أن هذه الحركات قُمِعَت، واتضح بحلول نهاية سنة 1923 أن على الدولة الشيوعية أن تحافظ بوسائلها الخاصة على بقائها.

### العلاقات مع ألمانيا

كانت حكومة لينين تسعى جاهدة من أجل الحصول على مساعدة مالية وفنية بعد أن تحطمت آمالها بحدوث ثورة

فورية في أوروپا، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية والدول الديمقراطية الغربية والأنظمة المتسلطة على نحو زائد في وسط وشرق أوروپا وقفت في طريقها، فتحولت روسيا الشيوعية إلى ألمانيا ـ الدولة المنبوذة الأخرى في أوروپا ـ وَوقّعت معها سنة 1922 معاهدة راپاللو Rapallo التي تقوم ألمانيا بموجبها بتزويد روسيا بالمساعدة الاقتصادية وتقيم معها علاقات تجارية مقابل سماح روسيا بالتدريب العسكري الألماني السري وتصنيع السلاح فيها، وتتابعت هذه الترتيبات وتطورت بموجب معاهدة برلين لسنة 1930.

## اقتراب الحرب: 1933 ـ 1941

### التوتر الدپلوماسي في العشرينيات

تضاءل العداء الشديد الذي ساد في سنوات ما بعد الحرب بحلول نهاية سنة 1924 مع تحسّن الوضع الاقتصادي والسياسي في أوروپا، وكان بمقدور الاتحاد السوڤييتي أن يقيم علاقات دپلوماسية مع جميع الدول الديمقراطية الرئيسية باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية التي ظلت معادية للشيوعية إلى أقصى الحدود. غير أن التطورات الدپلوماسية مثل معاهدة لوكارنو Locarno سنة 1925 وانضمام ألمانيا سنة 1926 إلى عصبة الأمم جعلت ستالين يعتقد أن بريطانيا وفرنسا كانتا تسعيان إلى تشكيل تحالف أوروپي غربي جديد ضد الاتحاد السوڤييتي.

وقَّع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية سنة 1926 مع ألمانيا ميثاق حياد مدته خمس سنوات أدى إلى تدهور العلاقات مع فرنسا، وبعد ذلك قطعت الحكومة البريطانية المحافِظة العلاقات الدپلوماسية مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤيتية سنة 1927 نتيجة للاتصال الذي تم بين الاتحاد السوڤييتي والاتحادات العمالية البريطانية خلال

الإضراب العام سنة 1926. وأدت هذه الوقائع إلى «الخوف من حرب» في الاتحاد السوفييتي سنة 1927 استناداً لمخاوف من أن بريطانيا كانت تشجع غزواً فرنسياً ـ پولونياً لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية. ومما سبَّب القلق لستالين أن المحاولات السوفييتية لتوقيع مواثيق حياد مع فرنسا خلال سنتي 1927 وَ 1928 قوبلت بالرفض التام.

## الكساد الاقتصادي الكبير

ظل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية البلد الرئيسي الوحيد ـ الذي كان اقتصاده غير رأسمالي وخاضع للتخطيط ـ ولم يتأثر بالكساد الكبير حينما بدأ يضرب الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1929 وبقية العالم بحلول مطلع الثلاثينيات، حتى أن الشركات الأمريكية بدأت تُظهِر بعض الاهتمام بالتعامل معه. ومع ذلك بقي ستالين كثير الشك بجميع الدول الرأسمالية بسبب تخوفه جزئياً من حرب وشيكة، مما أدّى إلى الاعتقاد أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بحاجة إلى أن يسارع لتدارك أمر نفسه، ودفَع كذلك باتجاه الخطط الخمسية والتحول الصناعي السريع.

**لماذا جعل الكساد الاقتصادي الكبير ونتائجه في فترة 1929 ـ 1933 ستالين يشعر بالقلق المتزايد من أمن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية؟**

وبحلول سنة 1932 بدأت فرنسا ترى أن جيش الاتحاد السوفييتي الأحمر قد يكون عائقاً قوياً في الشرق أمام العسكرة الألمانية المتصاعدة، وذلك مع تحرك ألمانيا مسرعة نحو اليمين . وعليه فقد تم في نهاية المطاف التوقيع على ميثاق عدم الاعتداء الفرنسي السوفييتي في تشرين الثاني/نوفمبر 1932، وحينذاك كانت روسيا السوفييتية قد وقعت مواثيق مماثلة مع پولونيا وَفنلندا وجمهوريات البلطيق الثلاث في محاولة لحماية حدودها الغربية تجاه التوسع الألماني.

## التهديد النازي

عندما وصل هتلر والنازيون إلى السلطة في ألمانيا سنة 1933 تأججت مخاوف ستالين من جديد واعتقد هو ومؤيدوه أن ثورة بقيادة شيوعية سوف تقضي على النازيين الذين خسروا عدداً كبيراً من المقاعد في انتخابات تشرين الثاني/ نوڤمبر 1932 في ألمانيا في حين استمر الحزب الشيوعي الألماني في تصاعده المتوالي. إلا أنه سرعان ما اتضح أن النازيين في مأمن لبعض الوقت بعد قمْع الحزبين الشيوعي والاشتراكي الديمقراطي الألمانيين في صيف سنة 1933 وَفي ليلة السكاكين الطويلة في حزيران/ يونيو 1934.

كانت الإيديولوجية النازية معادية للشيوعية معاداةً عنيفةً، إضافة إلى أن أهداف هتلر Hitler المعلنة هي المطالبة «بفراغ للعيش» في الشرق، ولاسيَّما من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وَمن سكانه السلاڤيين Slavic «الوضيعين». بدأت علاقات الاتحاد السوڤييتي مع ألمانيا تتدهور عند خروج ألمانيا النازية من المؤتمر العالمي لنزع الأسلحة وانسحابها من عصبة الأمم، فألغى ستالين جميع أشكال التعاون العسكري معها وتقبَّل عروض فرنسا بشأن المناقشات والمساعدة العسكرية المشتركة. وفي تشرين الثاني/ نوڤمبر 1933 طلبت الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية المطاف من الاتحاد السوڤييتي إقامة علاقات ديبلوماسية معه بعد أن استشعرت مثله بالخطر بسبب العدوان الياباني. أدَّت المخاوف السوڤييتية بستالين إلى طلب الانضمام إلى عصبة الأمم فتم ذلك سنة 1934.

## الاتحاد السوڤييتي و«الأمن الجماعي»

في أوائل كانون الأول/ ديسمبر سنة 1933 بدأ مفوض

الشؤون الخارجية السوڤييتي ليتڤينوف Litvinov يطرح أن مصلحة الاتحاد السوڤييتي العليا لمواجهة تهديدات اليابان وبخاصة ألمانيا تكمن في الاتصال ببريطانيا وَفرنسا وَالولايات المتحدة الأمريكية للسعي إلى إقامة تحالف لدعم تسويات السلام المبرمة في فترة 1919 ـ 1920 في وجه تهديدات ألمانيا النازية .

وُلِد مكسيم ليتڤينوف Maxim Litvinov سنة 1876، وانضم سنة 1898 إلى حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي RSDLP وقاعدته. عاش بين سنتي 1908 و1918 في بريطانيا حيث تزوج من امرأة بريطانية. عمل جاداً على إقناع العصبة على تبني نزع سلاح كاملاً خلال العشرينيات. أصبح في حزيران/يونيو 1930 المفوض السوڤييتي للشؤون الخارجية.

بدأ الاتحاد السوڤييتي وفرنسا سنة 1934 صياغة معاهدة يساعد بموجبها الاتحاد السوڤييتي على ضمان الحدود الفرنسية مع ألمانيا مقابل المساعدة العسكرية الفرنسية إذا ما هاجمت ألمانيا الاتحاد السوڤييتي. كذلك ناقش البلدان إمكانية إدخال ألمانيا النازية في اتفاق لضمان أمن واستقلال الدول الخلَف وجمهوريات البلطيق الثلاث. غير أن المقترحات الخاصة بضمان الحدود الشرقية لألمانيا انهارت؛ فدول أوروبا الشرقية لا تثق بدوافع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، وَألمانيا النازية تعارض الفكرة بصورة تامة، وبريطانيا (وبعدها فرنسا) لامبالية في الواقع. وبالرغم من خيبة هذه الآمال، فإن الاتحاد السوڤييتي ـ في أول جلسة حضرها في عصبة الأمم في أيلول/سبتمبر 1934 ـ بدأ يبذل جهوداً حقيقية من أجل تقوية دور العصبة في «الأمن الجماعي». إلا أن أحداث سنتي 1935 وَ 1936 سرعان ما جعلت ستالين يعود إلى الدبلوماسية المباشرة.

## البحث عن تحالف مضاد للفاشية

**ما هي الدول التي وقَّع ستالين معها سلسلة من المعاهدات في مطلع الثلاثينيات؟**

بحلول سنة 1935 كان ستالين قد أمر الحزب الشيوعي الدولي باتباع سياسة جديدة في السعي لتشكيل تحالفات مع أي طرف مستعد للانضمام إلى النضال ضد الفاشية. كذلك وقعت فرنسا سنة 1935 معاهدة جديدة مع الاتحاد السوڤييتي

نصَّت على حماية تشيكوسلوفاكيا من أي هجوم تشنه ألمانيا النازية. إلا أن فرنسا تجنبت إعطاء أي التزام عسكري محدد لأنها خشيَت من إلزام نفسها إلزاماً قطعياً دون دعم بريطاني.

عندما غزت إيطاليا الحبشة Abyssinia في تشرين الأول/أكتوبر 1935 اعترى ستالين الارتباك بسبب عدم صدور أي ردّ فعال من عصبة الأمم، ولم يكن مرتاحاً أيضاً بسبب ضعف العصبة تجاه إعادة احتلال راينلاند Rhineland من قبل هتلر في آذار/مارس 1936، وبسبب التورّط الألماني والإيطالي في الحرب الأهلية الإسپانية في فترة لاحقة من نفس السنة.

الحكومة الوطنية هي تحالف تشكل بصورة رئيسة من حزب المحافظين، وكان فيه مجموعة من البرلمانيين المنشقين الذين طردوا من حزب العمال.

على الرغم من إبقاء ستالين الخيارات المتاحة أمامه مفتوحة من خلال المحاولات المرحلية للتوصل إلى نوع من اتفاق بعدم الاعتداء مع كل من ألمانيا واليابان، إلا أن الضربة الرئيسية لسياسته الخارجية سنة 1936 كانت باتجاه إنجاز تحالفات ضد النازية بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وبريطانيا وفرنسا. كانت حكومة بريطانيا الوطنية تقف بقوة ضد الشيوعية ورأت في ألمانيا النازية كتلة مفيدة في وجه انتشار الشيوعية، كذلك فإن كثيراً من أعضاء الحكومة كانوا يعتقدون بضرورة تعديل وجوه التسوية بموجب معاهدة ڤرساي Versailles بحيث تأخذ في الاعتبار الظُّلامات «الشرعية» التي نزلت بألمانيا. وهكذا فإن بريطانيا رأت أن «استرضاء» ألمانيا النازية يصب في مصلحة تقوية العصبة أو تشكيل تحالف مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. لعب الموقف البريطاني دوراً كبيراً في قرار فرنسا المتخذ سنة 1935 لتجنب إعطاء وعود عسكرية محددة ضمن المعاهدة الفرنسية ـ الروسية لحماية تشيكوسلوڤاكيا.

استمرت الأحداث في آسيا في الوقت ذاته تسبب القلق لستالين. كان تشان كاي تشيك Jiang Jieshi زعيم الصين الوطنية على موقفه الرافض لشن هجوم على الغزاة اليابانيين في منشوريا، ويفضل بدلاً من ذلك أن يحاول القضاء على الحزب الشيوعي الصيني. حاول ستالين التوصل إلى توافق مع اليابانيين من خلال الموافقة على بيع شركة إيستيرن ريلويه Eastern Railway إلى مَنشوكو Manchukuo. لم تكن السياسة اليابانية الخارجية قد استقرت بعد بشأن التوسع على حساب الاتحاد السوفييتي، وكانت إحدى الزُمَر تفضل هذا الخيار في حين أرادت الأخرى أن يتم التوسع في المحيط الهادي وجنوب شرق آسيا.

مَنشوكو Manchukuo هو الاسم الجديد الذي أعطته اليابان لمنشوريا Manchuria.

وقَّعت اليابان بعد ذلك في تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1936 مع ألمانيا ميثاقاً مضاداً للحزب الشيوعي الدولي، وحذت إيطاليا الفاشية Fascist حذوها سنة 1937. تبع ذلك غزو ياباني واسع المدى للصين في تموز/يوليو 1937. هذه الحوادث جعلت ستالين يخشى من أن تُفرَض على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية مواجهة هجوم مشترك ذي شعبتين تشنه ألمانيا النازية واليابان. ولذلك أرسل الاتحاد السوفييتي ـ بموجب معاهدة وقَّعها مع الصين في آب/أغسطس 1937 ـ مساعدة عسكرية إلى الحزب الوطني الصيني Guomindang، وفي آب/أغسطس 1939 أنزل الجيش الأحمر هزيمة نكراء بالقوات المَنشوكوية Manchukuo في معركة خالكين ـ گول Khalkin-Gol.

أوجد موسوليني Mussolini الفاشيين Fascists (وهو الاسم المأخوذ من الكلمة الإيطالية fascio التي تعني مجموعة أو عصبة أو رابطة أو اتحاد) سنة 1919 ليحاربوا الاشتراكيين والشيوعيين، ثم خلط كل المجموعات لكي يشكل الحزب الفاشي اليميني المتطرف شديد التعصب القومي. دُعِيَ موسوليني من قبل الملك الإيطالي ـ بعد المسيرة التي قام بها المسلحون الفاشيون إلى روما ـ لتشكيل الحكومة. وعندما أصبح في السلطة بدأ بتحويل إيطاليا إلى ديكتاتورية الحزب الواحد.

## ميثاق عدم الاعتداء النازي السوفييتي: آب/أغسطس 1939

بدأ التقرّب السوفييتي من الدول الغربية يضطرب في الوقت الذي كانت فيه الحوادث تنكشف في آسيا. كان

ليتڤينوف Litvinov يعتقد بإمكانية الاتفاق مع بريطانيا وفرنسا في ضوء الانتهاكات المستمرة لتسوية ڤرساي Versailles. لكن اتحاد هتلر مع النمسا في آذار/مارس سنة 1938 لم يلق معارضة من بريطانيا ولا فرنسا. تزايد قلق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بسبب الأزمة المتعاظمة حول زوديتنلاند Sudetenland وتشيكوسلوڤاكيا.

مع تزايد طلبات هتلر Hitler بالأراضي في أيلول/سپتمبر 1938 عرض الاتحاد السوڤييتي العمل على أساس الميثاق الفرنسي السوڤييتي لسنة 1935 الذي وُضِع لحماية تشيكوسلوڤاكيا. غير أن فرنسا لم تكن مستعدة للعمل دون بريطانيا التي رفضت بدورها أن تتدخل. كذلك فإن پولونيا رفضت السماح للجيش الأحمر بعبور أراضيها. كما أن العروض السوڤييتية بالمزيد من المباحثات لم تَلْق أذناً صاغية، وعلى العكس فقد وافقت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في ميونيخ Munich في التاسع والعشرين من أيلول/سپتمبر 1938 على وجوب أن تسلم تشيكوسلوڤاكيا زوديتنلاند Sudetenland إلى ألمانيا.

وبعدئذ غزت ألمانيا النازية في آذار/مارس 1939 بقية تشيكوسلوڤاكيا ـ ومرة أخرى ـ دون أن تحرك بريطانيا وفرنسا ساكناً. غير أن بريطانيا قررت في النهاية وجوب حماية پولونيا ـ هدف هتلر المحتمل التالي ـ فباشرت بمحادثات مع الاتحاد السوڤييتي في نيسان/ابريل حول إمكانية عمل مشترك بين بريطانيا وفرنسا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية من أجل «ضمان» پولونيا ضد العدوان النازي. وفي هذه المرحلة انهارت حكومة الجبهة الشعبية Popular Front في فرنسا وحلت محلها حكومة يمين الوسط التي كانت أكثر عداءً للاتحاد السوڤييتي. وفي الوقت ذاته بدأ غالبية أعضاء مجلس الوزراء

البريطاني بالتفكير ثانية بشأن التحالف مع روسيا الشيوعية، ولذلك اضطربت المباحثات.

لماذا استنتج ستالين أن بريطانيا لن توقع مع الاتحاد السوڤييتي اتفاقية تحالف ضد ألمانيا أبداً؟

تزايدت شكوك ستالين حول الدوافع الحقيقية الكامنة وراء السياسة الخارجية البريطانية والفرنسية، فقرر سنة 1939 ـ في مسعىً لتجنب الحرب ـ ضرورة تحقيق تقارُب أكثر جدية مع ألمانيا واليابان لتوقيع مواثيق عدم اعتداء . وعليه فقد تم في أيار/مايو 1939 استبدال ليتڤينوف Litvinov مفوض الشؤون الخارجية بمولوتوف Molotov مع توجيهه باتباع دبلوماسية جديدة.

ما هي شروط ميثاق عدم الاعتداء النازي السوڤييتي لسنة 1939؟

كانت بريطانيا مستمرة في المفاوضات بتثاقل ورغبة متدنية عندما أُعلِن في 23 آب/أغسطس 1939 عن أن مولوتوف وَريبينتروب Ribbentropp (وزير الخارجية الألماني) قد وقعا على ميثاق عدم اعتداء. تضمن هذا الميثاق بنوداً سرية تقسِّم پولونيا بين الموقّعين عليه فتأخذ ألمانيا پولونيا الغربية في حين يأخذ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية پولونيا الشرقية وفنلندا Finland وجمهوريات البلطيق Baltic الثلاث وجزءاً من رومانيا Romania (بيسارابيا Bessarabia) الذي كان ـ مثل الأراضي الأخرى ـ جزءاً من روسيا القيصرية. وبعد ذلك بوقت قصير ـ في الأول من أيلول/سپتمبر 1939 ـ غزت ألمانيا الجزء «الخاص بها» من پولونيا، وفي الثالث من أيلول/سپتمبر أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا وكان هذا مباغتاً لكل من هتلر وستالين.

## الدوافع السوڤييتية والمناقشة التاريخية

Wermacht هو الجيش الألماني، ويجب ألا يتم الخلط بينه وبين الشرطة الحربية السرية ومنظماتها الأخرى التي عملت أثناء الغزو

ينقسم المؤرخون بشأن الأهداف والدوافع الحقيقية الكامنة وراء السياسة الخارجية السوڤييتية في الثلاثينيات، فالكثيرون يطرحون أن سياسة ستالين التي سار بها ليتڤينوف

الألماني لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، حيث كانت جميع وحداتها مستقلة عن الجيش الألماني الذي كان يؤمر في كثير من الأحيان بمساعدتها في «أعمالها الخاصة».

صادقة وأن ستالين رغب بالتحالف مع فرنسا وبريطانيا حتى بعد اتفاقية ميونيخ سنة 1938. والأدلة التي ظهرت بعد انهيار الاتحاد السوڤييتي سنة 1991 توحي بأن التحالف مع بريطانيا وفرنسا ظل خيار ستالين المفضل. لكن مؤرخين آخرين يدَّعون أن تقرُّب ستالين من الغرب هو ستار لتنفيذ سياسته الرئيسية في الإبقاء على الروابط الوثيقة التي قامت في العشرينيات من خلال معاهدة راپاللو Rapallo. غير أن الوثائق السوڤييتية التي أُفرج عنها مؤخراً تكشف عن أن الاتصالات السوڤييتية مع ألمانيا النازية بين سنتي 1935 وَ 1939 كانت نادرة وأنها كانت استجابة لتقرّب ألماني. كان تردد فرنسا وبريطانيا في التفاوض الجدّي مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية هو الذي لم يترك لستالين إلا خياراً صغيراً هو سلوك سياسة لامبالية وإبرام صفقة مع ألمانيا النازية من أجل كسب الوقت إلى أن يجهز الجيش الأحمر نفسه للقتال مع الجيش الألماني Wehrmacht.

## كيف تمكَّن الاتحاد السوڤييتي من الانتصار في الحرب الوطنية الكبرى: 1941 ـ 1945؟

### الفترة الفاصلة «السلمية»: 1939 ـ 1941

بعد أن أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا في أيلول/سپتمبر 1939 ظن ستالين أن خطر الهجوم الألماني الوشيك قد زال وأن هتلر لن يشن هجوماً (فيغامر بحرب على جبهتين)، وذلك إلى أن تتحقق هزيمتهما في الغرب. إلا أن أعمالاً عسكرية روسية وقعت في هذه الفترة الفاصلة قبل الهجوم النازي على الاتحاد السوڤييتي:

غزت اليابان سيبيريا أثناء الحرب السيبيرية ـ اليابانية سنة 1894، والحرب الروسية ـ اليابانية في فترة 1904 ـ 1905 والحرب الأهلية في فترة 1918 ـ 1920.

- كان الجيش الروسي متورطاً بعمل عسكري في مُنشوكو

Manchukuo منذ سنة 1937، وكان ذلك ضرورياً إذا كان للاتحاد السوڤييتي أن يمنع اليابان العدوانية من غزو سيبيريا Siberia للمرة الرابعة خلال خمسين سنة.

- رغم إعلان الحرب على ألمانيا بسبب غزوها پولندا، إلا أن عدم قيام بريطانيا وفرنسا باتخاذ أي إجراء في البداية (وهذا ما يسمى بالحرب الكاذبة) أكد شكوك ستالين حول نواياهما الأصلية، ولذلك قرر أن يغزوَ «النصف السوڤييتي» من پولونيا في 17 أيلول/سپتمبر.

**لماذا شن الاتحاد السوڤييتي الحرب الشتوية ضد فنلندا سنة 1939؟**

- في نهاية تشرين الثاني/نوڤمبر هاجم الاتحاد السوڤييتي فنلندا Finland فيما عُرف بالحرب الشتوية Winter War. ففي محاولات سابقة من أجل تحقيق حماية أفضل لمدينة لينينگراد (حيث توجد مصانع هامة للأسلحة) ومدينة مورمانسك Murmansk (الميناء الوحيد غير المتجمد في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية)، حاول ستالين التفاوض مع فنلندا على تبادل الأراضي واستئجار بعض الجزر الاستراتيجية منها، وعندما رفضت أمَرَ بالغزو برغم معرفته بعلاقاتها الطيبة مع ألمانيا النازية. لكن الجيش الروسي ـ الذي مازال متأثراً بالتطهير الكبير ولم يكن مستعداً لعملية شتوية ـ لم يفلح أمام القوات الفنلندية وذلك على الرغم من أنه ربح الحرب من الناحية الفنية. وكنوع من إغراء الفنلنديين للدخول بالسلام بسرعة قبل تورّط بريطانيا لم يدفع ستالين باتجاه اتفاق سريع على جميع مطالبه الأصلية، لكن أداء الجيش الأحمر البسيط أقنع الكثيرين ـ ولا سيَّما هتلر ـ أنه أداة حربية بسيطة.

- وبينما كانت رحى الحرب تدور في فنلندا كان ستالين يستولي على دول البلطيق، وتم في سنة 1939 توقيع اتفاقيات عسكرية تسمح للقوات السوڤييتية بالتمركز في

أراضيها، كما تم في حزيران/يونيو 1940 الاستيلاء على ليتونانيا Lithunania وبيسارابيا Bessarabia وبوكوڤينا Bukovina الشمالية من رومانيا، وفي تموز/يوليو 1940 دخلت جمهوريات البلطيق الثلاث في عداد جمهوريات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية.

وهكذا كان الاتحاد السوڤييتي قد وسَّع حدوده في الغرب والجنوب بحلول صيف سنة 1940 عن طريق خليط من الحروب من أجل الحدود والدپلوماسية القائمة على التهديد بالعدوان العسكري. وعليه أصبحت مقاومة الجيش الأحمر لأي هجوم ألماني اليوم ممكنة على أراض غير روسية. كذلك فإن «الحرب الكاذبة» وصلت حينذاك إلى نهايتها، إذ مُنيَت فرنسا في الحقيقة بالهزيمة. غير أن بريطانيا بقيت غير مهزومة فشعر ستالين بالثقة إلى حدٍّ ما بأن ألمانيا لن تقدر على الهجوم في المستقبل القريب.

يرى بعض المؤرخين أن هذه النزاعات وعمليات الاحتلال استمرار للإمپريالية القيصرية أو دليل على النوايا السوڤييتية في «تصدير» الثورة عن طريق الفتوحات. إلا أن مؤرخين آخرين يرونها خطوات دفاعية ضرورية في ظل عدم قيام الغرب بأي عمل تجاه العدوان البيِّن الذي يكشف عنه الرايخ الثالث النازي Nazi Third Reich واليابان.

لماذا أبطأ ستالين الاستعدادات العسكرية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية سنة 1940؟

## عملية بارباروسا: حزيران/يونيو 1941

ظل ستالين يتوقع هجوماً ألمانياً على الرغم من توقيع ميثاق عدم الاعتداء النازي الروسي في آب/أغسطس 1939، ولذلك تدافعت الإجراءات من أجل تحسين دفاعات الاتحاد السوڤييتي العسكرية. كان النجاح الهائل الذي حققته الحملات الألمانية التي كانت تقوم على الحرب الخاطفة Blitzkrieg تعزز

بليتزكريگ Blitzkrieg هي الكلمة الألمانية المقابلة لِ «الحرب الخاطفة» (أي الحرب التي تدخل فيها قوات هائلة مع استخدام الدبابات والقوات الجوية بكثافة وذلك من أجل دحْر العدو في أسرع وقت ممكن). استخدم الألمان هذه الطريقة سنة 1940 بنجاح من أجل احتلال قسم كبير من شمال وغرب أوروپا.

ضرورة هذه الاستعدادات السوڤييتية (إذ منيت بالهزيمة كل من الدنِمرك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا بحلول سنة 1940 من خلال حملات قصيرة). إلا أن نجاح معركة بريطانيا Battle of Britain في منع الانتصار الألماني جعل ستالين يبدأ بالتفكير بأن بريطانيا وألمانيا قد تنهك إحداهما الأخرى في الحرب، وبالتالي فقد تباطأت الاستعدادات العسكرية في الاتحاد السوڤييتي رغم تحذيرات من الجواسيس السوڤييت في ألمانيا ومن المخابرات البريطانية بأن هتلر كان يخطط للهجوم، وظن ستالين أن ذلك حيلة ترمي لجعله ينهي ميثاق عدم الاعتداء.

كان هتلر في الحقيقة قد باشر منذ كانون الأول/ ديسمبر سنة 1940 بالاستعدادات لغزو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. كانت بريطانيا مستمرة في المقاومة، وكان الأداء الإيطالي البسيط في اليونان والطقس السيئ والتأخير في بناء المطارات الميدانية قرب حدود ما قبل سنة 1939 السوڤييتية قد أجلت الهجوم (الذي عُرِف باسم عملية بارباروسا Operation Barbarossa أو عملية اللحية الحمراء Red Beard) إلى الثاني والعشرين من حزيران/ يونيو 1941، حيث سبقتها مباشرة استعدادات عسكرية ألمانية على امتداد الحدود الشرقية وغارات جوية فوق الحدود السوڤييتية أيضاً. لم يلتفت ستالين وكذلك كبار ضباط مفوضية الشعب للشؤون الداخلية إلى تقارير من عملائها بأن الغزو وشيك، وظنوا بدلاً من ذلك أن هذه الأعمال مجرد مناورات لانتزاع بعض التنازلات، حتى أن النظر صُرف عن تحذيرات السفير الألماني غير النازي في موسكو شولينبيرگ Schulenberg قبل أسبوعين باعتبارها محاولات لإثارة الحرب. وعليه فقد أصدر ستالين أوامره بوقف التحرك وتجاهل جميع الاستفزازات حيثما أمكن ذلك. ورغم أن كثيراً من الوحدات تجاهلت هذه الأوامر إلا أن

الأخرى التزمت بها، لكن إشارة ستالين المتأخرة بأن الهجوم المتوقع وشيك وصلت إليها في وقت متأخر جداً.

كان الهجوم الألماني شاملاً وسريعاً شارك فيه مايزيد عن خمسة ملايين من جنود المحور Axix (فوق الثلاثة ملايين جندي ألماني في البداية ثم وحدات من إيطاليا وهنگاريا وفنلندا وبلگاريا وسلوڤاكيا وإسپانيا) بالإضافة إلى مايزيد عن ثلاثة آلاف دبابة وخمسة آلاف قطعة مدفعية وخمسة آلاف طائرة حربية.

تألّفت قوات المحور Axix من ألمانيا وإيطاليا واليابان. وقد وقعت ألمانيا وإيطاليا سنة 1936 على محور روما ـ برلين، وانضمت إليهما اليابان فيما بعد لتشكيل محور روما ـ برلين ـ طوكيو الذي ستحكم الدول الثلاث العالم على أساسه.

مكَّن استخدام طرق الحرب الخاطفة المجرَّبة والمختبرة قوات الجيش الألماني من التقدم بسرعة وعمق وصولاً إلى روسيا الغربية. تم تقسيم القوات الألمانية إلى ثلاثة أقسام: مجموعة الشمال التي توجهت إلى دول البلطيق ولينينگراد، ومجموعة الوسط إلى روسيا البيضاء Belorussia وموسكو ومجموعة الجنوب إلى أوكرانيا Ukraine وكييڤ Kiev. وبالرغم من أن القوات السوڤييتية كانت تزيد عن قوات المحور عَدداً وعُدداً في أرض المعركة إلا أن الاتحاد السوڤييتي كان يفتقر إلى قوة ألمانيا الاقتصادية التي كانت موارد أوروپا المحتلة تحت تصرفها أيضاً. وخلال أسبوع تم سحق دفاعات الجيش الأحمر وتدمير كميات هائلة من العتاد والمؤن، إضافة إلى ثلث القوات الجوية حتى قبل أن تتمكن من الإقلاع وأَسْر ما يزيد عن نصف مليون شخص.

الستاڤكا Stavka هي القيادة السوڤييتية العليا التي أنشئت برئاسة ستالين من أجل الإشراف على الحرب الوطنية الكبرى، وقد أخذت اسمها من هيئة مماثلة كانت موجودة في روسيا القيصرية.

فقد ستالين صوابه وتسلَّم مولوتوف Molotov بصورة فعلية شؤون البلاد في الأيام الأولى من الغزو. تم تغيير نظام القيادة العسكرية وأنشئت هيئة القيادة السوڤييتية العليا الستاڤكا Stavka لتتولى السيطرة على كل العمليات البرية والبحرية والجوية، كما أنشئت هيئة الدفاع الحكومية GKO بعد بضعة

أيام ليس للإشراف على وجوه الحرب العسكرية فحسب بل السياسية والاقتصادية أيضاً.

وفي الثالث من تموز/يوليو أعلن ستالين ضرورة تبني سياسة «الأرض المحروقة scorched earth» نتيجة للتقدم الألماني الهائل، وفي نفس الوقت أنشئت خلف خطوط العدو وحدات الأنصار والتخريب المتعمَّد لتعمل تحت سيطرة المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية.

قام الجيش الروسي وكذلك المواطنون السوفييت بتنفيذ سياسة «الأرض المحروقة» عند الاضطرار للتراجع، حيث أُمِروا بنقل كل شيء (الآلات والطعام والماشية) إلى الشرق، أما الأشياء التي يتعذَّر نقلها (مثل المحصول الذي لم يُحصَد والبيوت) فيجب تدميرها حتى لايجد العدو المتقدم أي شيء. وكان لذلك نتائج قاسية على المدنيين الذين خلفهم الجيش وراءه وكذلك على القوات الألمانية.

بحلول شهر آب/أغسطس ضاعت جمهوريات البلطيق واحتُل كثير من المناطق الزراعية الهامة في روسيا البيضاء Belorussia وأوكرانيا Ukraine. وفي هذه المرحلة ساعد الحظ الاتحاد السوفييتي، فقد تجاهل هتلر نصيحة مستشاريه العسكريين، فأمر في شهر آب/أغسطس أن تكون حبوب القمح الأوكرانية وحقول النفط في باكو Baku الأهداف الرئيسية للهجوم. حقق الجيش الألماني نجاحاً في البداية ولكنه عجز عن التقدم بسبب المطر الغزير والوحل.

وبعد ذلك في أيلول/سبتمبر ـ وبينما كانت القوات الألمانية تحيط بمدينة لينينگراد ـ حوَّل هتلر الهجوم الهائل إلى موسكو (عملية الإعصار الإستوائي Operation Typhoon) التي أخذت هيئة القيادة السوفييتية العليا ـ الستافكا ـ على حين غِرَّة. تكبد الجيش الأحمر خسائر فادحة وأُجبِر على التقهقر. أصيب ستالين في البداية بصدمة شديدة، ونقل كثير من المكاتب الحكومية من موسكو إلى مدينة كويبيشيف Kuibyshev في الشرق، حين كان يدرس احتمال طلب شروط السلام، إلا أنه قرر في النهاية أن يبقى ويحارب.

وُلِد جورجي جوكوف Georgii Zhukov سنة 1869، وخاض الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية بعد أن انضم إلى الحزب الشيوعي سنة 1919. في أواخر الثلاثينيات تسلم قيادة القوات السوفييتية على الحدود المنشورية Manchuran ويعود إليه الانتصار الذي تحقق في خالكين ـ گول Khalkin-Gol في شهر آب/أغسطس 1939. أصبح سنة 1941 عضواً في اللجنة المركزية وعيِّن رئيساً لهيئة الأركان العامة.

تم إنقاذ موسكو والاتحاد السوفييتي من خلال تضافر عدة عوامل، أولها أن الهزائم الخطيرة التي نزلت بالجيش

الأحمر أوصلت الأمر إلى أن يتولى المارشال جوكوف Zhukov في التاسع عشر من تشرين الأول/أكتوبر سنة 1941 قيادة جميع القوات التي تواجه التقدم الألماني، فتم تعزيز قواته المدافعة عن موسكو بوحدات سيبيرية تحركت من أقصى الشرق. وكان هذا التحرك ممكناً لأن الجواسيس السوفييت اكتشفوا الجدل القائم ضمن الجيش الياباني حول أمرين ـ إما القيام بهجوم على الاتحاد السوفييتي أو التوسع في المحيط الهادي ـ قد انتهى بفوز الثاني، فكان أن نقل حوالي نصف القوات التي تحمي سيبيريا Siberia إلى الغرب حتى قبل أن يشن اليابانيون هجومهم على پيرل هاربر Pearl Harbor في كانون الأول/ديسمبر 1941.

والثاني أن طقس روسيا بدأ يؤثر على الجنود والعتاد الألمانيين إذ لم يكن أي منهما مستعد لمواجهة حرب شتوية. تأثر الكثير من الجنود بلَسْعة الصقيع في وقت لم يكن مضاد الصقيع موجوداً في الحقيقة، وكانت فيه الأحصنة البالغ عددها 600,000 والتي تجر العربات والكثير من المدافع بحاجة إلى الطعام بسبب سياسة الأرض المحروقة.

كانت الخطة الأصلية لعملية بربروسا Barbarossa تقضي بإنجاز جميع الأهداف قبل بدء الشتاء، ولما كان التقدم الألماني قد تباطأ بدأ جوكوف Zhukov يخطط للهجوم المعاكس الذي شُنَّ في كانون الأول/ديسمبر 1941 بدايةً من أجل إنقاذ موسكو، وأدت بشائر نجاحه إلى مزيد من الهجمات المعاكسة في الشمال في أوكرانيا Ukraine وشبه جزيرة كريميا Crimea، تكبَّدَ الألمان بسببها إصابات فادحة ودفعت بهم بضع مئات من الكيلومترات إلى الوراء، وإن لم تحقق نفس الدرجة من نجاح هجوم موسكو. أثبتت الدبابات الروسية تفوقها على الدبابات الألمانية وأثبتت راجمات

الكاتيوشا Katyusha راجمات صواريخ تطلق سدوداً نارية من المتفجرات، وأطلق عليها تحبباً اسم «عضو ستالين».

الصواريخ كاتيوشا Katyusha فعاليتها حيث لم يكن أي من هذه العُدد قد استخدِمت في حرب الشتاء ضد فنلندا.

على الرغم من النجاح الذي تحقق لموقف الاتحاد السوفييتي، إلا أنه كان يبدو يائساً بحلول نهاية سنة 1941؛ إذ بلغ عدد القتلى أو الأسرى حوالي أربعة ملايين جندي وفقد الجيش الأحمر مقادير هائلة من العتاد، وهذا عائد بصورة جزئية إلى انخفاض الروح المعنوية بعد التطهير الكبير وأوامر ستالين بوجوب عدم تراجع وحدات الجيش الأحمر، مما أدى إلى خسائر فادحة وإلى محاصرة كثير من الجنود وأسْرِهم.

في أوائل سنة 1942 خطَّط ستالين لهجوم جديد نظراً لأن الجيش الأحمر قد قوِي بالعتاد (الذي كان في معظمه سيارات جيپ jeep وشاحنات) من الولايات المتحدة بموجب اتفاقية الإعارة والتأجير التي أُبرِمت مع الاتحاد السوفييتي في تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1941. قبل ذلك وقَّعت بريطانيا والاتحاد السوفييتي في تموز/يوليو 1941 ميثاق مساعدة مشتركة بالعتاد والمؤن مع احتمال تقديم الجنود في وقت لاحق. تزايد سيل العتاد، لكن الطلبات السوفييتية للمساعدة بالجنود أُهمِلَت برغم أن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت الحرب على ألمانيا في كانون الأول/ديسمبر 1941. كان قرار اليابان في كانون الأول/ديسمبر 1941 في التركيز على معارضة الولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادي عاملاً مهماً آخر أمكن من تحويل الفرق الجديدة السيبيرية لمواجهة الألمان.

الجبهة الثانية second front إشارة إلى خطة غزو القسم الذي يحتله الألمان من غرب أوروپا. ففي أوائل تموز/يوليو 1941 طلب ستالين على عجل من بريطانيا فتح جبهة جديدة في فرنسا من أجل تخفيف الضغط عن القوات السوفييتية التي تحارب على الجبهة الشرقية. وبرغم أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وافقتا على ضرورة ذلك إلا أن الخلافات حصلت حول التوقيت. وفي أيار/مايو 1942 وعد روزڤلت Roosevelt بفتح جبهة ثانية في أوروپا في أواخر تلك السنة، ولكن تشرشل Churchill والمستشارين العسكريين الأمريكيين أقنعوه بتأجيله إلى سنة 1943. وبعدئذ قررت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا غزو إيطاليا أولاً، غير أن غزو فرنسا لم يتم في النهاية إلا في حزيران/يونيو 1944.

## ستالينگراد

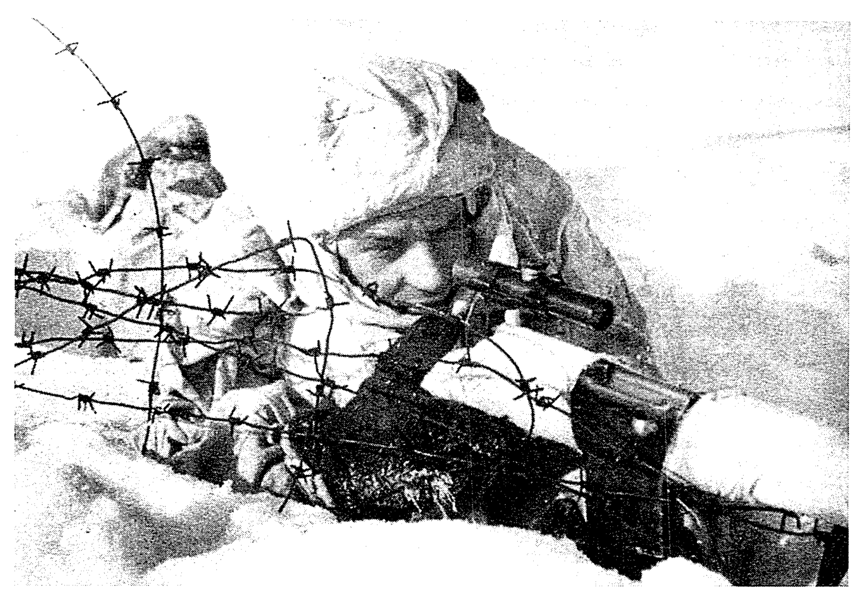
شنَّ الجيش الألماني ـ الذي وُضِع حينئذ تحت قيادة هتلر شخصياً ـ هجوماً شاملاً وناجحاً آخر في الجنوب باتجاه

القوقاز Caucasus وستالينگراد Stalingrad في حزيران/ يونيو 1942، وفي آب/ أغسطس بدأ الألمان محاولتهم لاحتلال ستالينگراد، فجاء هجومهم الجديد بعد قصف عنيف، ونجحوا باحتلال معظم أجزاء ستالينگراد لبعض الوقت، ولكن المقاومة السوڤييتية القوية من القتال القريب من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع استمرت لمدة زادت عن الشهر (وكانت شراسة النازيين في هذا الوقت قد أجَّجت الحقد الوطني والتصميم على قتالهم). رفضت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا طلب ستالين بفتح جبهة ثانية في أوروبا. وبينما كان المدافعون الروس صامدون حصل صدام بين ستالين وجوكوف Zhokov حول ما يجب القيام به. وافق ستالين على خطة جوكوف على هجوم معاكس عُرِف باسم عملية أورانوس Uranus وبدأ في أيلول/ سپتمبر، وبحلول تشرين الثاني/ نوڤمبر كان الجيش الألماني السادس قد حوصر، غير أن القتال الشرس استمر حتى شباط/ فبراير 1943 حينما استسلمت فلول جيش ڤون پاولوس von Paulus السادس في نهاية المطاف، مما أثار غضب هتلر الشديد.

كانت معركة ستالينگراد نقطة تحول هامة في الحرب، إذ يرى تشرشل Churchill أن الانتصار السوڤييتي «مزَّق أحشاءَ الجيش الألماني». وباستثناء القصف الذي شنه الحلفاء على ألمانيا وحملات شمال أفريقيا والحملات الإيطالية في سنتي 1942 وَ 1943، فإن الاتحاد السوڤييتي واجَه بمفرده جموع القوات الألمانية، حيث تم إرسال ما لايقل عن 75٪ من هذه القوات ومن العتاد العسكري إلى الجبهة الروسية (الجبهة الشرقية Ostfront). وبحلول حزيران/ يونيو 1944 عندما فتح الحلفاء جبهة ثانية (من خلال إنزالات يوم الغزو في النورماندي Normandy) كانت 228 فرقة ألمانية ومن المحور

**لماذا كانت معركة ستالينگراد على هذه الدرجة من الأهمية؟**

أوستفرونت Ostfront هي الكلمة الألمانية التي تعني الجبهة الشرقية (الحرب ضد الاتحاد السوڤييتي). وقد شهدت هذه الجبهة أشد وأقسى مراحل القتال.



قناص من الجيش الاحمر. لعبت الفرق السيبيرية دوراً كبيراً في المعركة من أجل ستالينگراد

تحارب الروس مقارنة بواحد وستين فرقة في أوروبا الغربية.

**المراحل الأخيرة: 1943 ـ 1945**

دفع الجيشُ الأحمر الجيشَ الألماني خلال سنة 1943 ببطءٍ نحو الغرب، وذلك مع استمرار الخسائر الروسية الكبيرة. وفي تموز/يوليو 1943 أمر هتلر بهجوم جديد بقصد محاصرة الجيوش السوڤييتية في أوكرانيا Ukraine. تركَّز القتال حول مدينة كورسك Kursk في معركة بالدبابات ستكون الأكبر في التاريخ حيث شملت ستة آلاف دبابة وخمسة آلاف طائرة وثلاثين ألف قطعة مدفعية وما يزيد عن مليوني جندي، وقد وجد الألمان أنفسهم محاصَرين، وتكبدوا ـ مرة أخرى ـ خسائر فادحة.



بقايا مدينة ستالينگراد المدمرة في نهاية الحرب مع كل ما تبقى من البيوت ومداخنها الحجرية. قاسى الاتحاد السوڤييتي دماراً (بشرياً ومادياً) أشدّ هولاً من أي بلد آخر في الحرب العالمية الثانية.

إستمر حصار لينينگراد Siege of Leningrad تسعمئة يوم ابتدأت في أيلول/سپتمبر 1941، ومات خلاله تسعمئة ألف شخص بسبب الجوع والبقاء في العراء والقصف، وقد حدثت معظم هذه الوفيات في شتاء 1941 ـ 1942.

تصاعد الهجوم السوڤييتي ابتداء من أيلول/سپتمبر 1943، وبحلول نهاية السنة تم استرجاع ستين بالمئة من الأراضي التي فُقِدت منذ سنة 1941. استمرت الانتصارات خلال سنة 1944: ففي كانون الثاني/يناير انتهى حصار لينينگراد Siege of Leningrad الطويل وتم استرجاع سمولينسك Smolensk وَكييڤ Kiev، وفي أيار/مايو وحزيران/يونيو تم استرداد شبه جزيرة كريميا Crimea وروسيا البيضاء Belorussia، وبحلول آب/أغسطس 1944 طُرِدَت جميع القوات الألمانية من الاتحاد السوڤييتي، ثم بدأ الجيش الأحمر يغزو شركاء ألمانيا في المحور في أوروپا الشرقية، وبحلول أوائل كانون الثاني/يناير 1945 دخل الجيش الأحمر إلى ألمانيا ووصل إلى نهر إلب River Elbe في نيسان/ابريل ودخل برلين Berlin في أيار/مايو.

## الخاتمة

منذ انتهاء الحرب، والمؤرخون في جدل حول الأسباب الكامنة وراء الانتصار النهائي الذي حققه الاتحاد السوڤييتي وَالتركيز على مختلف العوامل العسكرية والسياسية والاقتصادية، لكن هذه الآراء المختلفة يمكن تقسيمها إلى تفسيرات سلبية وأخرى إيجابية كما يلاحظ سي. وورد C. Ward .

يطرح الجدل السلبي الانتصار السوڤييتي بالضرورة من خلال الإشارة إلى نقاط ضعف ألمانيا النازية وأخطائها ويميل إلى رفض فكرة نقاط القوة السوڤييتية. والأمر الذي أدى إلى إنقاذ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية من خلال هذا الرأي هو تضافر مجموعة أخطاء المحور مع حسن الحظ السوڤييتي. تشتمل أخطاء المحور على رفض هتلر وضع ألمانيا في حالة الحرب الكاملة إلا في سنة 1944 فكان ذلك في وقت متأخر جداً لأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية كان قد سبق ألمانيا في مجال إنتاج العتاد العسكري لتعويض ما تم تدميره. أفقدت الإيديولوجية النازية أيضاً ـ والبربرية التي تمخضت عنها ـ ألمانيا تأييد كثير من المواطنين السوڤييت الذين كانوا في البداية راغبين بمساعدة الغزاة الألمان، إذ يقدر بعض المؤرخين عدد الروس الذين حاربوا (راغبين أو غير راغبين) مع قوات المحور بما يزيد عن المليونين . إلا أن النظريات العنصرية النازية تفيد أن هتلر كان متردداً في استخدام هؤلاء السلاڤيين الأدنى مستوى من الألمان (حيث يجب أن يعاد تعريفهم كقوزاقيين Cossacks). كذلك تجاهل هتلر نصائح استخبارات الجيش الألماني التي أفادت منذ خريف سنة 1941 أن هزيمة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية تكمن في التشجيع على حرب أهلية.

كذلك جاء إنقاذ الاتحاد السوڤييتي بسبب الطقس أيضاً،

إذ تحوَّلت الطرق في البداية بفعل الأمطار الخريفية ـ وبعدئذ بفعل صقيع الشتاء وثلوجه ـ إلى مستنقعات. لم يكن الجيش الألماني مستعداً على نحو جيد لمثل هذا الأمر لأن هتلر توقع انهيار الاتحاد السوڤييتي خلال بضعة أشهر، فالكثير من القوات التي اندفعت من البلقان Balkans إلى الجبهة الشرقية Ostfront كانت في الحُلَّة الصيفية . وهكذا عجز الجيش الألماني عن التقدم خارج موسكو فأُتيحت بذلك للسوڤييت فرصة القيام بالهجوم المعاكس.

إلا أن مؤرخين آخرين يؤكدون على السّمات الإيجابية لقدرة الاتحاد السوڤييتي على الرد على الغزو الألماني، وتشمل هذه السمات خبرة قادته العسكريين ونقاط القوة الداعمة في النظام السوڤييتي. فعلى الصعيد العسكري بدأت هيئة القيادة السوڤييتية العليا العمل بسرعة على مبدأ «القوة الأسمى» وَ «الدفاع في العمق»، فتحققت بهذه الطريقة عدة انتصارات سنة 1943. كذلك استُخْدِمَت حرب العصابات بذكاء.

أدَّت النجاحات العسكرية ـ والأعمال البطولية التي حافظت على بقاء لينينگراد وستالينگراد ـ إلى رفع الروح المعنوية السوڤييتية. وزيادة عن جهود الدعاية الرسمية، كانت البطولات الشعبية والوطنية تتجاوز أعضاء الحزب والموظفين الذين رغبوا في أن يضاهوا أبطال الثورة والحرب الأهلية. ويفتخر كثير من العمال الصناعيين العاديين وأعضاء المزارع الجماعية بما أنجزوه من البنيان الاشتراكي في الثلاثينيات، لكن آخرين صمموا على الدفاع عن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ضد الغزاة البغيضين .

أضف إلى ذلك أن النظم الإدارية والاقتصادية السوڤييتية

أثبتت مرونتها، إذ تمكنت المزارع الجماعية ـ على الرغم من الانتكاسات الأولى ـ من حماية عناصرها العسكرية ومُزارعيها من المجاعة، وتم بناء كثير من المصانع في جبال الأورال Ural وما ورائها كجزء من الخطط الخمسية لفترة ما قبل الحرب، وساعد ذلك الإنتاج السوڤييتي على استعادة عافيته والنهوض بسرعة من آثار الغزو النازي المدمِّر.

## ما هي النتائج المباشرة للحرب الوطنية الكبرى؟

### التكاليف البشرية

أدَّت الحرب العالمية الثانية في مجملها إلى وفيات تراوحت بين خمسين وستين مليوناً، منها حوالي خمسة وعشرين مليوناً من المواطنين السوڤييت، إلا أن بعض التقديرات تشير إلى وفيات تصل إلى ثمانية وعشرين مليوناً، فالدقة مستحيلة لعدم وجود إحصاءات مطبوعة خلال السنوات العشرين بين سنتي 1939 وَ 1959. كان من بين هؤلاء تسعة ملايين من العسكريين السوڤييت، قضى نصفهم بعد وقوعهم في الأسر لأسباب كثيرة منها الجوع والعراء والمرض والعمل القسري والإعدامات، كذلك فإن هذه الملايين التسعة تتضمن أعداداً ممن قتلتهم السلطات السوڤييتية أو أعدمتهم في أوقات الشدة (كالوضع في ستالينگراد مثلاً) حيث كانت وحدات من الدائرة الخاصة التابعة للمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية تعمل عند خطوط الجبهة على عدم الفرار من القتال إما بإطلاق النار على الفارين في أرض المعركة أو إعدامهم في وقت لاحق. كانت خسائر قوات المحور عالية أيضاً على الجبهة الشرقية إذ بلغ مجموع الوفيات حوالي ثمانية ملايين جندي.

غير أن معاناة المدنيين كانت أشد، حتى أن عدد من مات منهم بلغ حوالي خمسة عشر مليوناً أيضاً بسبب القصف والجوع والعراء والعمل القسري والانتقام لكونهم من الأنصار، أو من قِبَل وحدات من الشرطة العسكرية السرية بسبب «أعمال خاصة». رحَّب كثير من المواطنين السوڤييت في البداية بالجنود الألمان (كما في أوكرانيا التي عانت على وجه الخصوص من سياسة ستالين في التحول إلى المزارع الجماعية) باعتبارهم «محرِّرين» وتبرع كثيرون للذَّود عنهم، إلا أن السلطات السوڤييتية اتخذت خطاً متشدداً جداً مع هؤلاء «الروس السابقين» أثناء الحرب وبعدها.

كان هتلر والنازيون يعتقدون أن السلاڤيين Slavs يتحدرون من عرق أحط قدراً وأنهم مثل اليهود يجب أن يُبادوا، وقد أعطيت في وقت يعود إلى أوائل سنة 1941 «أوامر خاصة» وَ «مهام خاصة» لكبار ضباط الجيش الألماني لتطبيقها في الأراضي السوڤييتية المستولى عليها، بالإضافة إلى



صورة تبيّن قيام الجنود الألمان بإعدام اثنين من السوڤييت الأنصار المقاومين

«إجراءات لاستخدام القوة» ضد القرى التي يكون فيها الأنصار نشيطين، وَكذلك «أوامر المفوَّض» التي تقضي بأن يقوم الجيش بتسليم جميع الشيوعيين ممن لهم صفة رسمية والأنصار واليهود إلى الشرطة العسكرية السرية أو الشرطة السرية الميدانية. كما أن ضباط الجيش تلقوا الأوامر بضرورة التعاون مع مغاوير الشرطة العسكرية السرية وشرطة الأمن.

خوَّل «أمر قضائي» الجنود الألمان صلاحية مطلقة بالسلب بالقوة واغتصاب النساء والقتل. وقد بَرَّر هتلر والنازيون هذا الأمر بأن هذه الحرب ليست نظامية بل حرب إبادة بين الإيديولوجيتين النازية والشيوعية وأنها في الوقت ذاته (حرب عنصرية) . لم يوافق جميع ضباط الجيش الألماني على ذلك وكان البعض منهم يتقززون، لكن القليلين منهم احتجوا والكثيرون تعاونوا بالفعل.

### الدمار الاقتصادي

أدَّت الحرب الوطنية الكبرى إلى تدمير هائل للاقتصاد الروسي، حيث أزيل من الوجود كثير من المكاسب التي تحققت من خلال الخطط الخمسية بفعل ما دمَّره الألمان أو نهبوه أو أعادوه إلى ألمانيا وَبفعل ما دمَّره الروس أنفسهم وفق سياسة «الأرض المحروقة»، وقد بلغت الحصيلة فقدان حوالي 25٪ من المصانع والمناجم ووسائل المواصلات، وزادت هذه النسبة عن الضعف في بعض المناطق المحتلة. كان حوالي ثمانين بالمئة من الطاقة الإنتاجية مكرَّساً للمجهود الحربي بحلول سنة 1942. ورغم أن صناعة الأسلحة الروسية أنتجت أكثر مما تم تدميره إلا أن تحقيق الانتصار النهائي استنفذ موارد هائلة.

## 1 . رسالة من مفوض الشؤون الخارجية ليتڤينوف إلى ممثله في لندن: آذار/ مارس 1939

كنا طوال خمس سنوات نتقدم بالاقتراحات والعروض من أجل تنظيم السلام والأمن الجماعي، لكن الدول كانت تتجاهلنا. فإذا كانت بريطانيا وفرنسا تحْدِثان في خطّهما تغييراً في الحقيقة فلتفصِحا عن وجهات نظرهما في عروضنا المقدمة في السابق أو فلتطرحا عروضهما الخاصة. يجب أن يُترك لهما زمام المبادرة.

ج. هالام، الاتحاد السوڤييتي والنضال في سبيل الأمن الجماعي في أوروبا، 1933 ـ 1939، لندن، 1984 ـ ص 206

## 2 . ملاحظات ف. گروسمان على اشتباك أثناء معركة ستالينگراد، كما وصف ذلك في تقرير رفعه له الملازم سكاكُن الذي كان أحد المدافعين

كانت هذه البطارية من المدفعية المضادة للطائرات. . . تحارب وحدها بعد أن انفصلت عن فوجها. . . تردّ على الهجمات من الجو ومن الأرض. . . كان في عداد هذه البطارية فتيات. . . كنَّ يحاربن جنباً إلى جنب مع زملائهن المحاربين. . . استمرت المعركة الرهيبة أربعاً وعشرين ساعة، واستغرق وصول الرجال الأربعة والقائد الجريح الذين نجوا إلى الفوج حتى مساء اليوم التالي، وقالوا إن أياً من الفتيات لم تذهب إلى الملجأ أثناء القتال ولا مرة واحدة.

ف. گوسمان، سنوات الحرب،
1941 ـ 1945،
موسكو، 1946، ص 187

# 10 الاتحاد السوڤييتي في أوروبا: 1945 - 1953

**أسئلة تركيزية**

- ما هو موقف ستالين بعد الحرب؟؟
- كيف تعافى الاتحاد السوڤييتي من الحرب؟
- ما هي دوافع استحواذ الاتحاد السوڤييتي على أوروبا الشرقية؟

**تواريخ هامة**

| | |
|---|---|
| 1945 | شباط/فبراير: مؤتمر يالطا Yalta |
| | تموز/يوليو: مؤتمر پوتسدام Potsdam |
| | آب/أغسطس: الولايات المتحدة الأمريكية تسقِط قنابل ذرية على اليابان |
| 1946 | كانون الثاني/يناير: بيريا Beria يفقد سيطرته على الشرطة السرية |
| | آذار/مارس: الخطة الخمسية الرابعة |
| 1947 | أيلول/سبتمبر: تشكيل مكتب المعلومات الشيوعي |
| 1949 | أيار/مايو: تشكيل مجلس المعونة الاقتصادية المشتركة |
| | تموز/يوليو: موضوع لينينگراد |
| 1951 | آذار/مارس: الخطة الخمسية الخامسة |

تشرين الثاني/ نوڤمبر : قضية مينگريليان

1952 تشرين الأول/ أكتوبر : المؤتمر العام التاسع عشر للحزب

1953 كانون الثاني/ يناير : مؤامرة الأطباء

آذار/ مارس : وفاة ستالين

**نظرة شاملة**

ظل الشك العميق تجاه المنافسين المُحتمَلين مسيطراً على ستالين بعد الحرب، فقد ازدادت شعبية قواد الجيش كثيراً بحلول سنة 1945 وأمل كثيرون بتخفيف حدة الحكم الستاليني. استخدم ستالين في البداية آلة الحزب لإعادة تأكيد سيطرته على الجيش، فقد أُلغِيت هيئة القيادة السوڤييتية العليا Stavka وكذلك هيئة الدفاع الحكومية GKO وتم تخفيض رتب عدد من كبار القادة (ومنهم جوكوڤ Zhukov). وعندما تم لستالين ذلك تجاهل هيئات الحزب القيادية مثل الشعبة السياسية Politburo واللجنة المركزية، وفضَّل عوضاً عن ذلك العمل مع مجموعة صغيرة من المستشارين الذين تختلف تشكيلاتهم عبر السنين.

خلال سنوات 1945 ـ 1953 حدثت حملات تطهير عرَضية لكنها لم تكن على وتيرة الثلاثينيات. كذلك أطلق ستالين في معرِض تثبيت سيطرته السياسية حملة لإعادة بناء الاتحاد السوڤييتي من خلال الخطتين الخمسيتين الرابعة والخامسة. استمر تدني الإنتاج في الزراعة، ولكن الصناعة سرعان ما انتعشت. وفي مجال السياسة الخارجية بدأت العلاقات بين الاتحاد السوڤييتي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا (أعظم شركاء التحالف) بالتردي فيما عُرِف بسرعة

باسم الحرب الباردة Cold War . كان هدف الاتحاد السوفييتي الرئيسي هو تأمين السيطرة على جميع دول أوروبا الشرقية، وتم له ذلك في معظمه بحلول سنة 1948.

## ما هو موقف ستالين بعد الحرب؟

### النصر

خلافاً لكل التوقعات بقي ستالين ـ والاتحاد السوفييتي ـ على قيد الحياة بعد الحرب الوطنية الكبرى. القائد العام ـ (وهو المنصب الذي رقّى ستالين نفسه إليه في حزيران/يونيو 1945) الذي فرضت سياساته التحول إلى المزارع الجماعية وَالإرهاب الكبير، وَالذي جعل من نفسه ومن دولته الستالينية شيئاً غير مرغوب فيه لدى أعداد كبيرة من المواطنين السوفييت ـ أصبح الآن في نظر الكثيرين بطلاً قومياً. في الوقت الذي يعود فيه فضل الانتصار إلى عزم وقسوة الدولة السوفييتية، فملايين المواطنين والجنود السوفييت أبدوا شجاعة ووطنية صادقتين دونما حاجة إلى إكراهِ المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية.

شعر الذين ظلوا على قيد الحياة بعد الحرب بالفَخار بنظامهم معتقدين أنه لم ينقذ الاتحاد السوفييتي فحسب بل أنقذ بقية أوروبا من هيمنة النازية أيضاً. وهذا الفخر تزايد من خلال حقيقة هي أن معظم هذا الإنقاذ تحقق بجهودهم الذاتية وبمساعدةٍ بسيطة من الحلفاء الغربيين في سنوات 1941 ـ 1944 (فوق المساعدة المادية التي تم تقديمها بموجب معونة الإعارة والتأجير).

إلا أن كثيراً من هؤلاء الناس أنفسهم كانوا يأملون بشيء من الانفراج السياسي بعدما انتهت الحرب. لكن هذه

الآمال سرعان ما تحطَّمت عندما صمَّم ستالين على الإبقاء على إحكام سيطرته مخافة التنافر المتزايد القائم بين الاتحاد السوڤييتي والقوى الغربية.

## القوات المسلحة

كان بولگانين Bulganin قائداً سياسياً حل محل ڤوروشيلوڤ Voroshilov كرئيس لممثلي القوات المسلحة في هيئة الدفاع الحكومية منذ أوائل تشرين الثاني/نوڤمبر 1944.

كان ستالين مصمِّماً على إعادة تثبيت سيطرته السياسية على القوات المسلحة بعد الحرب. وتزايدت شكوكه بجنرالات الجيش الأحمر الذين ازدادوا تألّقاً بسبب انتصاراتهم الأخيرة. أُلغِيت هيئة القيادة السوڤييتية العليا Stavka وهيئة الدفاع الحكومية GKO في أيلول/سپتمبر 1945 وأُعيد في شهر آب/أغسطس سنة 1946 تفعيل نظام المفوضين السياسيين في الجيش، وهُم موظفون شيوعيون يشرفون على ضباط الجيش ومن مهامهم اعتماد الأوامر. في آذار/مارس 1947 تسلم بولگانين Bulganin مكان ستالين كوزير للدفاع كما ترأس الشعبة السياسية Politburo بين سنتي 1946 وَ 1948. وفي نفس الوقت خسر المارشال جوكوف Zhukov مكانه في اللجنة المركزية وخسر معه بقية الضباط ذوي الرتب العالية نفوذهم ومناصبهم. وبين سنتي 1945 وَ 1953 لم تحصل ترقيات في القوات المسلحة إلى رتب أعلى، وفي هذه الفترة تابع ستالين تأكيد عبادة شخصيته.

**كيف أعاد ستالين تثبيت سيطرته على العسكر فوراً بعد سنة 1945؟**

## الحزب

كانت الشعبة السياسية Politburo تجتمع مرة كل أسبوعين اعتباراً من كانون الأول/ديسمبر سنة 1945 وذلك من أجل إعادة تثبيت السيطرة السياسية، غير أن الشكوك تملكت ستالين أيضاً تجاه منافسيه المُحتمَلين ضمن الحزب الشيوعي. وبعدما بسط سيطرته بما يكفي على العسكر قرر إخراج بعض أعضاء الحزب البارزين من دائرة صنع القرار. وهكذا تجاوز كلاً من

أثناء الصراع على السلطة أطلق ستالين أسلوب عبادة الشخصية فقدم نفسه على أنه تلميذ لينين الحقيقي ثم وَصَمَ معارضيه بمعاداة اللينينية. وفي الثلاثينيات كان يُصَوَّر «أباً للأمة» وسرعان ماظهرت ملصقاته وصوره

الشعبة السياسية Politburo واللجنة المركزية. حيث لم تنعقد اللجنة المركزية بكامل هيئتها مرة أخرى إلا عند المؤتمر العام التاسع عشر للحزب في تشرين الأول/أكتوبر سنة 1952. وكان عوضاً عن ذلك يجتمع إلى لجنة فرعية مصغرة مؤلفة من الذين يثق بهم في حينه. كانت الشؤون الحزبية حينذاك تحت إشراف مكتب تنظيم Orgburo جديد تم انتخابه من قبل اللجنة المركزية في آذار/مارس 1946 مع شعبة سياسية Politburo جديدة وأمانة سر (وبرغم استمرار بقاء الشعبة السياسية واللجنة المركزية إلا أن ستالين كان يرفض أن تعقدا اجتماعات).

وتماثيله في كل مكان، وبدأت وسائل الإعلام تشير إليه بأنه «العبقري العالمي» وَ«شمس الإنسانية الساطعة». وكان الفضل يُعْزى إليه في جعل الاتحاد السوڤييتي يحتل مكاناً يحسده عليه العالم من خلال إنجازات الخطط الخمسية.

كان بيريا Beria الذي رُقِّي إلى مارشال سنة 1945 على رأس المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية ويساعد ستالين في جهوده للإبقاء على سيطرته الكاملة. وسرعان ما عاد ستالين إلى طرقه القديمة للاحتفاظ بالسلطة ومنها التطهير، فتزايدت شكوكه بكل شخص حتى بحلفائه القدامى، وفي كانون الثاني/يناير 1946 على سبيل المثال خسِر بيريا سيطرته على الشرطة السرية NKGB التي تم تسليمها إلى وزارة أمن الدولة الجديدة MGB.

ماذا فعل ستالين بالشعبة السياسية Politburo واللجنة المركزية؟ لماذا كان ذلك مهمّاً؟

## الجدانوڤتشاينا Zhdanovshchina

مرَّ الاتحاد السوڤييتي بين سنتي 1946 وَ 1948 بفترة قمْعٍ أخرى أثرت على قطاعي العلم والثقافة اللذين كانا تحت إشراف جدانوف Zhdanov (الذي كان مع مولوتوف Molotov وَمالينكوف Malenkov أحد ثلاثة مستشارين لستالين) وعُرفت هذه الفترة باسم الجدانوڤتشاينا Zhdanovshchina، برغم أنها بلغت ذروتها بعد وفاته.

وُلِد أندريه جدانوف Andrei Zhdanov سنة 1896، وانضم إلى البلشڤيين سنة 1915. كان ناشطاً أثناء الثورة والحرب الأهلية، وانتُخِب عضواً في اللجنة المركزية سنة 1925 وفي الشعبة السياسية Politburo سنة 1935. أصبح أحد أقرب مستشاري ستالين إليه. ترأس الحزب في لينينگراد بين سنتي 1943 وَ 1945 وشنَّ حملة لتحقيق «النقاء» الإيديولوجي.

عانى الحزب الشيوعي خلال هذه الفترة أيضاً. فعندما طُرِد زعيم يوگوسلاڤيا الشيوعي تيتو Tito من مكتب

المعلومات الشيوعي Cominform في حزيران/يونيو 1948 ومات جدانوف في آب/أغسطس، قرر ستالين أن يطهر منظمة الحزب في لينينگراد لأن جدانوف من ناحية قد دعا تيتو ذات مرة قبل طرده لزيارة لينينگراد، ومن الناحية الأخرى لأن الحزب في لينينگراد غالباً ما حاول إثبات استقلاليته. وفي تموز/يوليو 1949 أُلقي القبض على ما يزيد على ألف من قياديي الحزب والموظفين الإداريين، حيث أُعدِم بعضهم فيما عُرِف بعد ذلك بموضوع لينينگراد Leningrad affair.

الجدانوفتشاينا Zhdanovshchina تعني «زمن جدانوف» وَتدل على الفترة المبتدئة بمنتصف الأربعينيات حين كان يحصل دفع باتجاه «النقاء» الإيديولوجي في جميع نواحي الحياة السوڤييتية بما في ذلك العلوم والآداب والفنون ووسائل الإعلام. وكان هذا الدفع يقوم جزئياً على فكرة جدانوف بأن الآداب والفنون ووسائل الإعلام جميعاً «يجب أن تخدم الجماهير» (وعُرف ذلك باسم «الواقعية السوڤييتية») التي طوَّرها جدانوف في الثلاثينيات.

ومنذ ذلك الحين حصل كثير من تغيير الأشخاص في القمة عندما حاول ستالين ـ وقد تزايد مرضه ـ أن يدبَّ الفوضى والضعف في مَن يمكن أن يعتبر خليفة له. ففي سنة 1951 تفجَّرت قضية مينگريليان Mingrelian في الجمهورية الجيورجية Georgian Republic إذ اتُّهِمت مجموعة من الشيوعيين الجيورجيين بمحاولة «تصفية الدولة السوڤييتية» من خلال دفع رجال قبيلة مينگريليان إلى الانفصال عن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. وكان هذا المطلب البعيد المنال يشكل في الغالب محاولة لإضعاف بيريا Beria الذي كان يتحدر من مينگريليا Mingrelia (التي كانت جزءاً من جيورجيا)، لكنه نجا من ذلك، إلا أن التطهير تناول كثيراً من زعماء الحزب في جورجيا.

وُلِد جورجي مالينكوف Georgi Malenkov سنة 1902، وأصبح أحد أقرب مستشاري ستالين إليه، وعند وفاة ستالين أصبح رئيساً لوزراء الاتحاد السوڤييتي. أقصاه خروتشيف Khrushchev سنة 1955، وخسر مقعده في الشعبة السياسية Politburo سنة 1957.

## المؤتمر العام التاسع عشر للحزب سنة 1952

كان هذا المؤتمر الذي تم تأخيره خمس سنوات حتى تشرين الأول/أكتوبر 1952 هاماً لأسباب كثيرة، (إذ كان التأخر بسبب تجاهل ستالين للحزب الشيوعي). ولما كان ستالين مريضاً جداً بحيث لم يستطع إعداد تقريره المعتاد عن اللجنة المركزية فقد بدأ شيوعيان قياديان ـ مالينكوف Malenkov

وَخروتشيف Khrushchev يظهران كخليفتين مُحتمَلين. وبينما كان مالينكوف يلقي تقرير اللجنة المركزية، أعلن خروتشيف عن حلّ الشعبة السياسية Politburo وَمكتب التنظيم Orgburo وكذلك مؤتمرات الحزب القطرية، وبدلاً من ذلك سوف يتم إنشاء هيئة عليا سمِّيَت مجلس الرئاسة Praesidium (ويبلغ عدد أعضائه ضعفي الشعبة السياسية القديمة Politburo)، أما أمانة السر واللجنة المركزية فسيتم توسيعهما أيضاً. وهذه الإعلانات الإدارية أشارت إلى مزيد من التعيينات والتوسع في عدد الأعضاء. صوَّت هذا المؤتمر على تغيير اسم الحزب من الحزب الشيوعي لعموم روسيا All-Russian Communist Party إلى الحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي Communist Party of the Soviet Union، وقد استمر هذا الاسم على ما هو عليه حتى انهيار الاتحاد السوڤييتي سنة 1991.

### وفاة ستالين

لم تكد مهنة الطب تنجو من التطهير؛ ففي أوائل سنة 1953 أُعلِن عن اتهام مجموعة من «الأطباء المخربين» بالتآمر مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على قتل «أطر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية القيادية»؛ وقد «اعترفوا» على ما يبدو بأنهم دسّوا السم لِجدانوف Zhdanov. انتهت هذه الحملة بُعَيد وفاة ستالين في الخامس من آذار/ مارس سنة 1953.

## كيف تعافى الاتحاد السوڤييتي من الحرب؟

### إعادة البناء الاقتصادي

من الطبيعي أن يكون الاقتصاد على رأس أولويات الحكومة السوڤييتية بعد الحرب، فقد لحق التدمير الكلي أو الجزئي بمئة ألف مزرعة جماعية ـ كولخوز kolkhoze وألفي

مزرعة جماعية ـ سوفخوز Sovkhozes، وفُقِد سبعة عشر مليوناً من رؤوس الماشية ودمِّرَ خمسة ملايين منزل تقريباً، بالإضافة إلى تدمير كثير من السكك الحديدية والطرق والجسور. كذلك قامت الجيوش الألمانية المتقهقرة بتجريد المناطق المحتلة من المعدات الصناعية والإنتاج الزراعي الذي تمكنت منه ودمَّرت الباقي. وحتى تسوء الأمور أكثر فقد انقطعت معونات الإعارة والتأجير فور انتهاء القتال في أوروپا في أيار/مايو 1945. كان من الواضح أن على الاتحاد السوڤييتي أن يعتمد على موارده الذاتية وذلك حين رفضت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا الموافقة على التعويضات الحربية الضخمة من ألمانيا بصورة إجمالية.

### الخطة الخمسية الرابعة

في سبيل التصدي لهذه المشكلة وضع ستالين خطوطاً عريضة لبرنامج على مدى خمس عشرة سنة من أجل الانتعاش طويل الأمد وأعلَن عن الخطة الخمسية الرابعة في آذار/مارس 1946. وعلى الرغم من خيبة الآمال في تدَنّي سرعة التحول الصناعي والتحول نحو المزارع الجماعية عما كانت عليه في فترة ما قبل الحرب، إلا أن قوانين العمل الصارمة وطرق تنفيذها لم تعد إلى الظهور. وكما كان حال الخطط السابقة فإن معظم التركيز كان على إعادة بناء الصناعة الثقيلة وإنعاش الزراعة. غير أن الاحتياجات المدنية قد أُعطِيَت الأولوية أيضاً إذ أمكن خلال تسعة أشهر من انتهاء الحرب في أوروپا إعادة إسكان ما يزيد على مليونين ونصف المليون شخص ممن كانوا بلا مأوى.

وبالرغم من أن السنة الأولى من الخطة لم تحقق نجاحاً كبيراً جداً (بسبب قحط سنة 1946) لكن المناجم والمصانع

التي بقيت قائمة أُعيد فتحها وأعيدت الصناعات الحربية إلى الإنتاج الصناعي العادي وبدأ الانتعاش الاقتصادي في السنوات اللاحقة. وبحلول سنة 1950 كان ستالين يدَّعي تجاوز الأهداف الموضوعة وأن المستويات الإنتاجية وصلت إلى مثيلاتها لسنة 1940 ـ أو ارتفعت عنها ـ. لقد تحقق استرجاع سريع وشامل بالرغم من المغالاة التي تتسم بها هذه الأرقام.

### الزراعة

كان انتعاش الزراعة أقل نجاحاً، فحتى قبل سنة 1941 لم يكن الإنتاج الزراعي يكفي للوفاء باحتياجات المستهلكين، لكن تأثيرات الحرب (تدمير الثروة الحيوانية والآلات ونقص عمال الزراعة الذكور) كانت مأساوية. انهار نظام الزراعة الجماعي تماماً في كثير من المناطق واستولى كثير من الفلاحين على الأرض كي يزرعوها قِطَعاً على أساس فردي ويبيعوا المحصول في السوق السوداء.

في أيلول/سبتمبر 1946 أعلن ستالين عن أن كافة الأراضي التي تم فيما سبق إنشاء مزارع جماعية عليها سوف تُسترجَع؛ لكن القحط الذي ضرب مناطق كثيرة والنقص الحقيقي في اليد العاملة أديا مع ذلك إلى محصول بسيط (وصل إلى حوالي 40٪ من إجمالي محصول سنة 1940)، كما أن إنتاج اللحم نقص بسبب انخفاض عدد حيوانات المزرعة والنقص في الحبوب اللازمة لإطعامها.

إلا أن الأمور بدأت بالتحسن بعد سنة 1946، فقد تقاربت كثيراً كميات اللحم ـ المستجَر سنة 1950 عن طريق الدولة ـ من مستويات سنة 1940، برغم أن حصيلة سنة 1950 كانت تقل بحوالي 15٪ عما كانت عليه سنة 1940. ومن المهم أن حوالي نصف الإنتاج الزراعي كان بحلول سنة 1950 بين

يدي القطاع الخاص على الرغم من وجود مئتين وخمسين ألف مزرعة جماعية ـ كولخوزات kolkhozes.

### الخطة الخمسية الخامسة

حدَّدت هذه الخطة التي امتدت بين سنتي 1951 وَ 1955 واعتمدها المؤتمر العام التاسع عشر للحزب سنة 1952 أهدافاً تقل نسبياً عن سابقتها. وعلى الرغم من أن الحرب الباردة تعني ذهاب مزيد من أموال الدولة إلى الصناعات الدفاعية إلا أن تحسينات هائلة قد تمت بحلول الوقت الذي توفي فيه ستالين سنة 1953، حيث انتهى التقنين سنة 1947، وبدأ ارتفاع الأجور الحقيقية (التي كانت سنة 1947 تعادل حوالي 60٪ من مستويات أجور سنة 1940) بصورة مطَّردة اعتباراً من سنة 1948؛ وزادت بحلول سنة 1952 عن مستويات سنة 1940. كذلك تم عمل الكثير من أجل معالجة نقص المساكن.

## ما هي دوافع غلبة الاتحاد السوڤييتي على أوروپا الشرقية؟

الغزو الألماني: لايحتاج ستالين إلى مَن يُذكِّره بحقيقية غزو روسيا مرتين منذ سنة 1900 من قبل الجيوش الألمانية التي تقدمت عبر پولونيا (سنة 1914 ومرة أخرى سنة 1941).

### التوترات في التحالف الكبير

برغم خروج الاتحاد السوڤييتي من الحرب العالمية الثانية كإحدى القوى العظمى المنتصرة، إلا أنه كان الحليف الأكثر ضعفاً بكثير في الناحيتين العسكرية والاقتصادية وعلى نحو يفوق ما كانت تدركه الولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا. ونتيجة لذلك بقيت السياسة السوڤييتية الخارجية في سنوات ستالين الأخيرة دفاعية ومحافظة إلى حدٍّ كبير، برغم أنها كانت انتهازية وتوسعية في بعض الأحيان كما كان حالها قبل سنة 1941.

كانت السياسة الخارجية السوفييتية بعد سنة 1945 مشوبة بظهور التوترات بين «الثلاثة الكبار» الشركاء في ـ التحالف الكبير ـ حتى قبل الحرب العالمية الثانية، ولم يكن ذلك مثيراً للدهشة في ظل الشكوك والعداء المتبادل الذي كان قائماً بين الاتحاد السوفييتي والدول الغربية في العشرينيات والثلاثينيات، كذلك فإن التحالف الكبير بحد ذاته حصل لأن الأقطار الثلاثة كانت تواجه عدواً مشتركاً. لم يقدم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لبريطانيا مساعدة في فترة 1939 ـ 1941، كما لم تساعده الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن وجدت نفسها ـ نتيجة بيرل هاربر Pearl Harbor في كانون الأول/ديسمبر 1941 ـ في حرب مع كل من اليابان وألمانيا.

بدأ التسابق نحو تطوير قنبلة نووية خلال الحرب العالمية الثانية عندما كُشِف النقاب عن أن ألمانيا النازية تقوم بالتجارب. كانت كل من الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية على علم بذلك، لكن الولايات المتحدة الأمريكية ـ التي تتوفر بين أيديها موارد أكثر ـ كانت أول من طوَّر القنبلة، غير أنها رفضت مشاركة التكنولوجيا مع حليفها ـ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ـ وقامت بإلقاء القنبلة النووية الأولى على اليابان في شهر آب/أغسطس 1945. ولما كانت العلاقات قد ساءت بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بعد سنة 1945، فقد بَذل المزيد من الجهد في أبحاثه الخاصة ونجح في تموز/يوليو 1949 بتطوير قنبلته النووية، محطِّماً بذلك احتكار الولايات المتحدة الأمريكية النووي، ثم بدأ تسابق طويل في مجال الأسلحة النووية في وقت كانت فيه كلتا الدولتان تنتجان أسلحة أحدث وأكثر تدميراً، فالولايات المتحدة الأمريكية تحاول أن تبقى السبّاقة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية يحاول اللحاق بها. وفي الفترة بين سنة 1949 وَأواخر الثمانينيات أنفقت القوتان العظميان أموالاً طائلة على أسلحة التدمير الشامل الجديدة تلك.

بعد توترات سنة 1944 تركزت جهود شركاء التحالف الكبير على الخلافات المتفاقمة بشأن ما يجب فعله تجاه ألمانيا، ففي مؤتمر يالطا Yalta في شباط/فبراير 1945 ومع استمرار الحرب تم وضع صيغة للخلافات حول مسائل تعويضات الحرب الألمانية وحدود پولونيا وحكومتها، حيث اتضح في ذلك الوقت على نحو متزايد أن ستالين أراد من الدول الشرقية أن تلعب دور المنطقة العازلة ضد أي غزو ألماني في المستقبل.

تعاظمت هذه الخلافات بحلول زمن انعقاد مؤتمر پوتسدام Potsdam في تموز/يوليو 1945 (حيث كان روزڤلت Roosevelt قد توفي وخلفه ترومان Truman). تزايدت التوترات حتى بعد آب/أغسطس 1945 حين رفضت الولايات المتحدة مشاطرة تكنولوجيتها النووية مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الذي بيَّن استعداده لاستخدامها (إذ أن بعض ساستها أوصوا بمشاطرتها تفادياً لاحتمال حصول تسابق في مجال

الأسلحة المدمرة). أدان ستالين موقف الولايات المتحدة الأمريكية وأعطى الأولوية القصوى لسرعة تطوير قنبلة ذرية سوڤييتية ولاستكشاف استعمالات أخرى للطاقة الذرية في نفس الوقت.، كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ـ برغم التمزق الاقتصادي في الاتحاد السوڤييتي ـ قد طوَّر قنبلته الذرية خلال أربع سنوات مؤذناً بذلك ببداية سباق التسلح النووي بين القوتين العظميين.

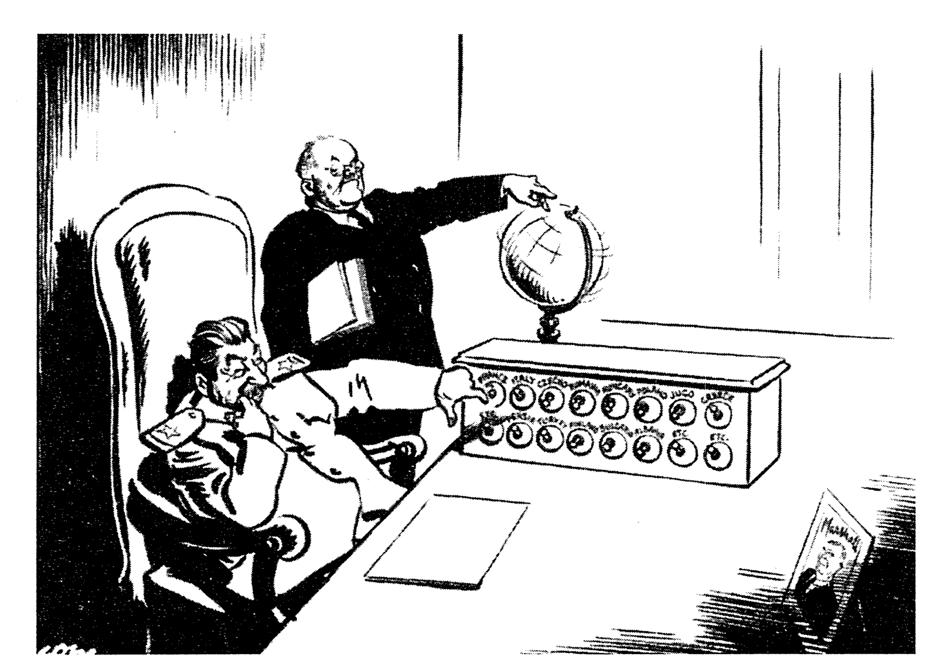
**لماذا ازداد التوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بعد شهر آب/ أغسطس 1945؟**

السِتار الحديدي Iron Curtain عبارة استخدِمت لوصف جدار وهمي من السرية بين الاتحاد السوڤييتي وأوروپا الغربية، وقد استخدِم للمرة الأولى في شباط/ فبراير 1945 من قبل القيادي النازي جوزيف گوبلز Joseph Goebbels لكنه أصبح شائعاً بعد خطاب تشرشل Churchill في آذار/ مارس 1946 الذي أشار فيه إلى «ستار حديدي» يفصل شرق أوروپا عن غربها.

## أوروپا الشرقية والستار الحديدي

نظراً لأن ستالين كان عازماً على ألا يعاني الاتحاد السوڤييتي في المستقبل من الغزو أبداً، فقد أصبح التفكير الاستراتيجي السوڤييتي متركِّزاً حول السيطرة على بلدان أوروپا الشرقية. ورأى بعض الموظفين، من أمثال مولوتوف Molotov، في ذلك أيضاً طريقاً نحو تحقيق التوسع السوڤييتي والاستحواذ على مزيد من الموارد. كانت كل هذه الدول (باستثناء تشيكوسلوڤاكيا) تُحكَم قبل الحرب من قِبَل أنظمة لا ديمقراطية يمينية معادية للشيوعية، ومنها مَن أصبح ـ مثل هنگاريا ورومانيا ـ حليفاً لألمانيا النازية. لذلك كان أمراً حيوياً للاتحاد السوڤييتي أن تُحكَم هذه الدول من قبل حكومات غير معادية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية.

وُضِعت هذه السياسة قيد التنفيذ في أوائل سنة 1944 حين أخرَج الجنود السوڤييت الجيش الألماني من أوروپا الشرقية. أقيمت تحالفات حكومية مضادة للفاشية حينما بسط الجيش الأحمر سيطرته، لكن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أصر على أن تُعطى الأحزاب الشيوعية المحلية دوراً متميزاً. ومع تزايد حدة التوترات بين «الثلاثة الكبار» في سنوات 1945 ـ 1948 تزايد إصرار الاتحاد السوڤييتي على أن




من هو التالي الذي يجب أن يتم تحريره من الحرية يا رفيق؟

صورة ساخرة بريطانية تعود إلى سنة 1948، وتعلق على استحواذ ستالين على أوروبا الشرقية

تُعطى الأحزاب الشيوعية القائمة في البلاد حصة أكبر من السلطة. وعلى امتداد السنوات الثلاث التالية بدأت هذه الحكومات التي يسيطر عليها الشيوعيون بتأميم الصناعة والأراضي، وبعد ذلك قيَّدت أحزاب المعارضة وكثيراً ما تلاعبت بالانتخابات. وبحلول سنة 1948 كانت السيطرة السوڤييتية على هذه الدول الأوروبية الشرقية قد شارفت على الانتهاء باستثناء يوگوسلاڤيا التي بقيت مستقلة تحت حكم تيتو Tito. غير أن عملية السيطرة السوڤييتية وسرعتها اختلفت بين بلد وآخر.

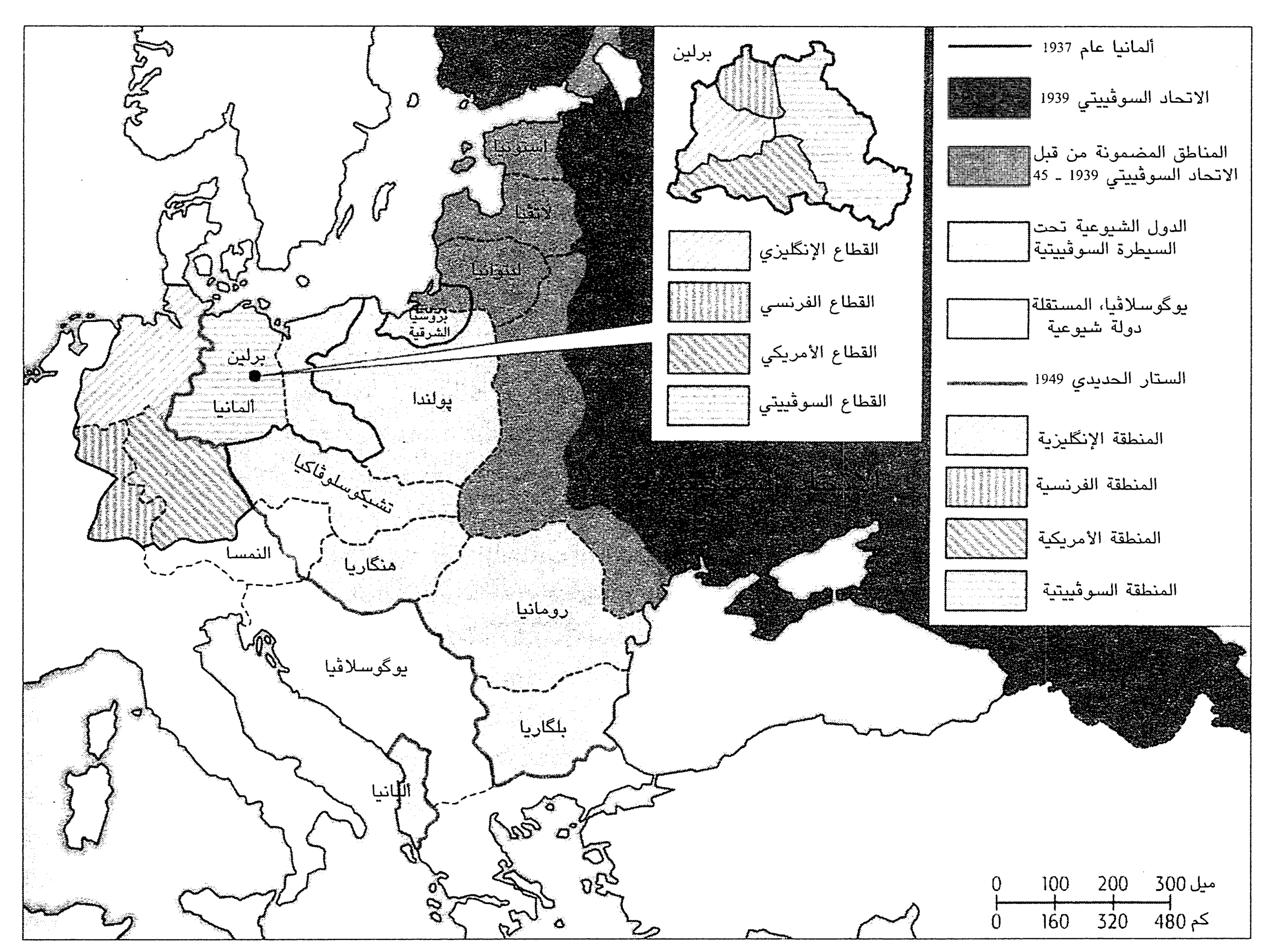
## پولونيا

من هم پولونيّو لندن ولوبلِن؟

كانت پولونيا تمثل واحداً من هموم ستالين الرئيسة، فهي أكبر دول أوروپا الشرقية وسبق أن استُخدِمت ممراً من قبل الجيوش الألمانية لغزو روسيا، ويحكمها پيلسودسكي Pilsudski وهو أوتقراطي يميني غزا الدولة الشيوعية الجديدة سنة 1920 بتأييد بريطاني فرنسي. كذلك فإن أراضي روسية ذات قيمة زراعية كبيرة أُعطِيت لپولونيا بموجب معاهدة ريگا Treaty of Riga التي أنهت الحرب الروسية الپولونية سنة 1921، وهذه الأراضي هي التي طالب بها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية عندما تم تقسيم پولونيا بموجب ميثاق عدم الاعتداء النازي ـ السوڤييتي لعام 1939.

عندما بدأت الحرب العالمية الثانية هرب كثير من أعضاء الحكومة الپولونية إلى لندن لتأسيس حكومة في المنفى، ومن غير المحتمل أن يشكل هؤلاء الپولونيين المحافظون المعادون الأقوياء للشيوعية والموجودون في لندن حكومة لما بعد الحرب تصادق الاتحاد السوڤييتي. وبينما كان الجيش الأحمر يتحرك إلى داخل پولونيا في تموز/يوليو 1944 تشكلت في مدينة لوبلِن Lublin حكومة مؤقتة منافسة شيوعية في معظمها. كان ستالين واثقاً من أن پولونيي لوبلِن هؤلاء الذين أمضوا أيام الحرب منفيين في موسكو سيشكلون حكومة پولونية تحظى بثقته.

أشعلت المقاومة الپولونية في شهر آب/أغسطس 1944 انتفاضة وارسو Warsaw ضد القوات الألمانية المحتلة. ورأى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية في هذه العملية العسكرية ضد الجيش الألماني محاولة من پولونيي لندن لضمان السيطرة على غربي پولونيا قبل أن يبسط الجيش




**تقسيم أوروبا وألمانيا بحلول سنة 1948 حسب الحرب الباردة**

الأحمر سيطرته عليها. ولذلك لم تمد القوات السوفييتية يد العون إلى الانتفاضة على الرغم من قربها وتَمكَّنت القوات الألمانية من سحقها. وبحلول كانون الثاني/يناير 1945 كان الجيش الأحمر قد حرر كل پولونيا وأعلنت السلطات السوفييتية أن پولونيي لوبلِن هم حكومة پولونيا المؤقتة.

لكن موضوع پولونيا كان مصدر خلاف رئيسي بين الحلفاء حين اجتمعوا في مؤتمرهم الرئيسي الثاني في شباط/فبراير 1945 خلال الحرب في مدينة يالطا Yalta. كان الاتفاق قد تم في المؤتمر الأول بطهران Tehran سنة 1943 ـ بناء على إصرار ستالين ـ على السماح لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بأخذ أراض من پولونيا، وفي المقابل تُعطى پولونيا

أراضي من ألمانيا. إلا أن تشرشل Churchill حاول في يالطا تقليل هذه التغييرات الإقليمية إلى الحد الأدنى، كما حاول مع روزفلت Roosevelt أن يؤمن قيام الحكومة البولونية المؤقتة على بولونيي لندن. وفي النهاية وافق ستالين على انضمام بعض بولونيي لندن إلى حكومة ليوبلِن مقابل الاتفاقيات الخاصة بتحويل بولونيا الشرقية إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، وكذلك أقرَّ بإجراء انتخابات حرة في بولونيا في أقرب وقت ممكن. (المشكلة في هذا التنازل هي أن معظم السياسيين البولونيين القياديين كانوا ضد روسيا ومن غير المحتمل أن يترأسوا حكومة تصادق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية).

اتضح بحلول نيسان/ ابريل 1945 أن ستالين لم يكن راضياً عن الاتفاق الذي توصل إليه حول تركيبة الحكومة البولونية، ولذلك ـ وعلى الرغم من سماحه لبعض بولونيي لندن بالانضمام إليها ـ بقيت بالضرورة حكومة تحت الهيمنة الشيوعية، وفي الخامس من تموز/ يوليو اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بهذه الحكومة الجديدة، ولكن بتردد.

عند وفاة روزفلت وحلول ترومان Truman محله في نيسان/ ابريل 1945 بدأ الغرب باتخاذ أسلوب أشد قسوة بشأن أوروبا الشرقية. تم التوصل في نهاية المطاف في مؤتمر بوتسدام Potsdam المنعقد في تموز/ يوليو إلى اتفاق حول الحدود الألمانية البولونية. وأصر ترومان على أن ينفذ ستالين الوعد الذي قطعه في يالطا بخصوص الانتخابات الحرة في بولونيا. وأخيراً عُقِدت هذه الانتخابات في كانون الثاني/ يناير 1947، لكنها تعرَّضت للغش، وغادر زعيم بولونيي لندن البلاد نتيجة لتزايد السيطرة الشيوعية.

تم تثبيت الحدود الألمانية البولونية على امتداد نهري الأودر ـ نيس Oder-Neisse، وظنت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا أن قسماً كبيراً جداً من الأراضي الألمانية قد ضاع.

## رومانيا وبلگاريا

كانت السيطرة السوڤييتية تترسخ في رومانيا وبلگاريا في الوقت الذي كانت تتكشف فيه الأحداث في پولونيا، وبحلول أواخر سنة 1944 كان الجيش الأحمر قد هزم جميع قوات المحور في هذين البلدين وأقيم تحالفان حكوميان يسيطر عليهما الشيوعيون، كما في پولونيا. في شباط/فبراير 1945 أصر ستالين على أن يتسلم الشخص الذي اختاره رئاسة الوزراء في الحكومة الرومانية الجديدة، وبحلول منتصف سنة 1945 اتضح وجود الشيوعيين في السلطة، وفي سنة 1947 ألغوا الملكية في رومانيا.

وفي بلگاريا كان الحزب الشيوعي صغيراً وقوياً، وكان زعيمه ديميتروڤ Dimitrov قد تزعَّم الحزب الشيوعي الدولي لبعض الوقت في الثلاثينيات وسُجن فترة قصيرة على يد النازيين. فازت جبهة فاذرلند Fatherland Front التي كانت تحت هيمنة الشيوعيين في الانتخابات التي أجريت في تشرين الثاني/نوڤمبر 1945 وتم التلاعب بها. وفي أيلول/سپتمبر 1946 أُلغِيت الملكية.

## هنگاريا

كانت هموم ستالين أقل في نوع الحكومة التي قد تحكم هنگاريا، حيث جرت انتخابات حرة فيها في تشرين الثاني/ نوڤمبر 1945 كان فيها حزب سمولهولدرز Smallholders غير الشيوعي ذي القاعدة الفلاحية أكبر حزب فردي. إلا أن موقف ستالين تغيَّر مع نشوء الحرب الباردة، وتم التلاعب بانتخابات سنة 1947. وقامت الحكومة الشيوعية الجديدة في تشرين الثاني/نوڤمبر 1947 بحظر جميع الأحزاب غير المؤيدة للشيوعيين.

## تشيكوسلوڤاكيا

كانت آخر خطوات إحكام السيطرة السوڤييتية على أوروپا الشرقية قد اتُخِذَت في تشيكوسلوڤاكيا، حيث كان الحزب الشيوعي على درجة كبيرة من الشعبية ونال 38٪ من الأصوات في انتخابات حرة سنة 1946. قام تحالف حكومي ضم الشيوعيين وغير الشيوعيين، وعلى الرغم من كون رئيس الوزراء شيوعياً إلا أن وزير الخارجية ورئيس الجمهورية لم يكونا شيوعيين. غير أن أزمة صناعية وزراعية خطيرة حدثت في منتصف سنة 1947 وقام الحزب الشيوعي ـ مع تزايد حِدَّة الحرب الباردة ـ بانقلاب قبل انتخابات أيار/مايو سنة 1948. حقق الشيوعيون في الانتخابات التي تبعته ـ وتم التلاعب بها ـ نصراً ساحقاً أكمل السيطرة السوڤييتية على كامل أوروپا الشرقية في نهاية المطاف.

بحث الشيوعيون عن مسوِّغ لهذه الإجراءات في أوروپا الشرقية من خلال الإشارة إلى الوقائع في أوروپا الغربية في بلدان مثل الدنمرك وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا حيث كان الشيوعيون يتعرضون حتى للاعتقال حيناً من الوقت. ولم يُعطَ الاتحاد السوڤييتي مقعداً في لجان الرقابة الحليفة التي أُنشئت في إيطاليا واليابان للإشراف على تسوية ما بعد الحرب في دول المحور السابقة.

## مشكلة ألمانيا

**مَن هم الحلفاء الذين أرادوا أن تقسَّم ألمانيا على نحو دائم بعد الحرب العالمية الثانية؟**

غير أن هاجس الاتحاد السوڤييتي الرئيسي في أوروپا لم يكن أوروپا الشرقية، إذ كان يدرك أن المنطقة العازلة التي تقدمها بلدان أوروپا الشرقية ستوفر قليلاً من الأمان تجاه ألمانيا العدوانية العائدة إلى الحياة. كانت السياسة السوڤييتية تركِّز على تقسيم ألمانيا، وكانت فرنسا هي الوحيدة الراغبة في ذلك.

دار الخلاف الرئيسي بين الحلفاء سنة 1945 على تعويضات الحرب من ألمانيا، حيث أراد الروس تعويضاً هائلاً لقاء جميع التدمير الذي تعرضوا له بين سنتي 1941 وَ 1945. برزت المنازعات حول هذه المسألة في كل من يالطا Yalta وَپوتسدام Potsdam، ففي يالطا وافق الحلفاء على تقسيم ألمانيا مؤقتاً إلى أربع مناطق محتلَّة، برغم اعتقاد الولايات المتحدة الأمريكية أن ذلك لن يكون عملياً، وفي پوتسدام تم التوصل إلى اتفاق على تجريد ألمانيا من الصفة العسكرية وإلغاء النازية وإحلال الديمقراطية.

وعلى الرغم من معارضة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا لمستوى التعويضات التي يرغب بها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، إلا أن الاتفاق تم في پوتسدام على أن يقوم كل بلد بأخذ التعويضات من المنطقة التي يحتلها. ولما كانت المنطقة السوڤييتية في ألمانيا الشرقية زراعية على نحو رئيسي، فقد اتُفِق أيضاً على تسليم الاتحاد السوڤييتي بعض المعدات والمواد الأولية من المناطق الألمانية الغربية الثلاث التي تحتلها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا. (يستعرض الفصلان الحادي عشر والثاني عشر مدى تأثر المشكلة الألمانية بالحرب الباردة وكيف أصبحت جزءاً منها).

### الأهداف السوڤييتية سنة 1945

ينقسم المؤرخون بشأن أهداف الاتحاد السوڤييتي ودوافعه في سنة 1945، إذ يطرح المؤرخون التقليديون أن ستالين قد يكون اتخذ قراراً في أوائل سنة 1943 حول سياسة التوسع الإقليمي كجزء من استراتيجية مدروسة لتحدي الرأسمالية العالمية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وبعض هؤلاء

التقليديين يرون في التوسع السوڤييتي مؤشراً على محاولة سوڤييتية للتوصل إلى الهيمنة على العالم. كذلك يطرح آخرون أن يكون ستالين قد عمد إلى استغلال أي مناسبة لتوسيع الأراضي السوڤييتية وحاول على نحو مدروس أن يخلق انقسامات بين الحلفاء حتى يزيد من فرص نجاحه إلى حدِّها الأقصى، وذلك بالرغم من عدم وجود استراتيجية تم لها التخطيط مسبقاً.

وفي الفترة الأخيرة طرح المؤرخون أن يكون خوف ستالين الرئيسي كامناً في ألمانيا مُنتعِشَة، وأن يكون هدف السياسة السوڤييتية في أوروپا سنة 1945 هو منع هذا الأمر، إما بالتعاون مع الغرب، أو من خلال السيطرة على دول وسط وشرق أوروپا التي تحرَّرت مجدَّداً، في حال الفشل باتخاذ خطوات لحماية حدودها الغربية.

## ما وراء الستار الحديدي

بينما كان الاتحاد السوڤييتي يخوض غمار عملية بسط سيطرته على بلدان أوروپا الشرقية كان الجيش الأحمر يُفكِّك بعضاً من الصناعات في هذه البلدان ويصادر المواد الأولية لأغراض عسكرية، ولا سيَّما من ـ هنگاريا ورومانيا ـ حليفتي ألمانيا المحورية السابقتين . وعلى الرغم من رغبة ستالين القوية في رؤية حكومات شيوعية في هذه البلدان، لكنه وقف عاجزاً عن تقديم الدعم لأي ثورة اجتماعية فيها خلال فترة 1944 ـ 1946 بالرغم من الرغبات القوية للأحزاب الشيوعية المحلية وقادتها العائدين.

قبل تطور الحرب الباردة كانت رغبة الاتحاد السوڤييتي الرئيسية هي أن تكون على جانبيه حكومات صديقة وأن تتدفق عليه المنتجات الصناعية والزراعية تدفقاً ثابتاً كي يَرْأَب تصدُّع

الاقتصاد السوفييتي من خلال تسريع إعادة البناء. اعتقد ستالين أن أي انتفاضات أو تحولات ثورية في دول أوروبا الشرقية قد تعرِّض هذه الأهداف للخطر وتُهمِّش الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اللتين ظهر أنهما مستعدتان للإذعان إلى أن تكون أوروبا الشرقية موطناً للنفوذ السوفييتي.

## الديمقراطيات الشعبية

أنشئ مكتب المعلومات الشيوعي Cominform سنة 1947، وكان في بعض نواحيه يحل محل الحزب الشيوعي الدولي (الذي ألغاه ستالين سنة 1943)، وكانت مهامه الأساسية أن يستبقي رقابة صارمة على جميع الأحزاب الشيوعية الحاكمة في أوروبا الشرقية وينسق عملها على الصعيد الدولي.

تغيَّرت نوايا ستالين مع تطور الحرب الباردة وتحرك نحو إقامة أنظمة في أوروبا الشرقية جرى تنظيمها وفق خطوط سياسية واقتصادية تماثل ما هو قائم في الاتحاد السوفييتي. أنشئ مكتب المعلومات الشيوعي Cominform سنة 1947، وتم بحلول منتصف السنة إبرام سلسلة من المعاهدات مع هذه الدول (تتضمن شروطاً اقتصادية وعسكرية)، كما تم تحويل دول أوروبا الشرقية إلى «ديمقراطيات شعبية» بين سنتي 1947 و1949.

وفي نفس الوقت تم إدخال النمط الستاليني لأمن الدولة القائم على جهاز بوليسي سري صارم تحت إشراف سوفييتي. وفي سنة 1949 أنشئ مجلس المعونة الاقتصادية المشتركة Comecon في سبيل تنسيق السياسات الاقتصادية لدول أوروبا الشرقية وقيام علاقات أوثق مع الاتحاد السوفييتي.

أنشئ مجلس المعونة الاقتصادية المشتركة Comecon سنة 1949 كردٍّ سوفييتي على خطة مارشال Marshall Plan وكانت الغاية المرجوَّة منه القيام بتنسيق السياسات الاقتصادية لجميع دول أوروبا الشرقية مع سياسات الاتحاد السوفييتي.

بقيت يوگوسلافيا الدولة الأوروبية الشرقية الوحيدة التي ظلت مستقلة وتجنبت بذلك «التبعيَّة» السوفييتية، حيث أصر تيتو Tito على دفعها نحو التحول الاشتراكي حتى قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية.

كان ستالين مصمماً على المحافظة على السيطرة السوفييتية بعد أن تم ترسيخها في أوروبا الشرقية، إذ عكست

حملات تطهير الأحزاب الشيوعية في الديمقراطيات الشعبية قبل موته سنة 1953 التطورات التي حدثت في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وخلقت نسخاً كربونية لِدول ستالينية. ومع ذلك فإن هذه العملية الاندماجية لم تجلب نفعاً كبيراً دائماً في كثير من المجالات للاتحاد السوفييتي، ذلك أن الاقتصاد في غالبية دول أوروبا الشرقية ظل ضعيفاً نسبياً وسرعان ما احتاج للمساعدة السوفييتية، بينما غابت أهمية المنطقة العازلة حين طوَّرت الولايات المتحدة الأمريكية ترسانة أسلحتها النووية القائمة على القنابل في البداية والصواريخ فيما بعد.

**كيف تمكن مكتب المعلومات الشيوعي ومجلس المعونة الاقتصادية المشترك من تقريب أوروبا الشرقية إلى السيطرة السوفييتية؟**

## المصادر التاريخية

### 1 . كتب جورج كِنان أحد الموظفين المهمّين في السفارة الأمريكية بموسكو خلال الأربعينيات وبعد انتهاء الحرب

تجاوزت طموحات ستالين في المراحل الأخيرة من الحرب أهداف الحلفاء المُعلَنة حين كانت الحرب تقترب من نهايتها، وكذلك الأهداف الداخلة ضمناً في التقدم العسكري للجيوش السوفييتية حينذاك. والأمر الذي كان ستالين يسعى إليه في الحقيقة هو طرد النفوذ الأمريكي من جميع أراضي آسيا الأوروبية، واستبداله بنظامه الخاص.

ج. كنان، روسيا والغرب تحت حكم لينين وستالين، لندن 1961، ص 386

### 2 . وجهة نظر أحد المؤرخين الغربيين في أهداف ستالين بشأن مشكلة ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية

سعى ستالين Stalin إلى وجود ومساعدة [ الولايات المتحدة الأمريكية ] على المدى الطويل في. . . ألمانيا، فكان الذي اقترح أن تحتل أمريكا منطقة في كل من ألمانيا والنمسا

هو ستالين، والذي تردد هو روزڤلت Roosevelt. . . ميَّز ستالين بين الأهداف البريطانية والأمريكية في أوروپا، وأدرك على وجه الدقة أن تشرشل Churchill هو الأكثر عداء للترتيبات الأمنية السوڤييتية من روزڤلت أو ترومان Truman من حيث المبدأ.

سي. كينيدي - پوپ، حرب ستالين الباردة: الاستراتيجيات السوڤييتية في أوروپا بين سنتي 1943 و 1945، مانشيستر، 1995، ص 193 - 194.



# الحرب الباردة في أوروپا
# 1945 ـ 1991

# 11 أصول الحرب الباردة

**أسئلة تركيزية**

- ما هي الحرب الباردة؟
- لماذا بدأت الحرب الباردة؟
- كيف يمكن تفسير الحرب الباردة؟

**تواريخ هامة**

| | |
|---|---|
| 1917 | تشرين الثاني/نوڤمبر: الثورة البلشفية في روسيا |
| 1919 | آذار/مارس: إنشاء الحزب الشيوعي الدولي |
| 1941 | حزيران/يونيو: ألمانيا النازية تغزو الاتحاد السوڤييتي، ميثاق الأطلسي |
| | كانون الأول/ديسمبر: إعلان الأمم المتحدة |
| 1943 | تشرين الثاني/نوڤمبر: مؤتمر طهران Tehran |
| 1944 | اتفاقية بريتون وودس Bretton Woods |
| 1945 | شباط/فبراير: مؤتمر يالطا Yalta |
| | نيسان/ابريل: وفاة روزڤلت Roosevelt وحلول نائب الرئيس ترومان Truman محله |
| | أيار/مايو: الجيش الأحمر يحتل برلين، الولايات المتحدة الأمريكية تنهي العمل بمعونة الإعارة والتأجير |
| | تموز/يوليو: مؤتمر پوتسدام Potsdam |

آب/ أغسطس: الولايات المتحدة الأمريكية تلقي قنابل ذرية على هيروشيما Hiroshima وَناگازاكي Nagasaki

كانون الأول/ ديسمبر: مجلس وزراء الخارجية يجتمع في موسكو، تقرير إيثريدج Ethridge

## نظرة شاملة

اتَّسمَت السياسات الدولية منذ الثورة البلشفية سنة 1917 بعدم الثقة بين الغرب الرأسمالي والاتحاد السوڤييتي الشيوعي. عندما قامت ألمانيا بغزو الاتحاد السوڤييتي سنة 1941 وضع الغرب والاتحاد السوڤييتي خلافاتهما جانباً وتعاونا في تحالف كبير Grand Alliance ضد تهديد ألمانيا النازية المشترك، لكن علامات التوتر سرعان ما بدأت بالظهور.

في مؤتمر طهران Tehran سنة 1943 كان هَمّ ستالين هو التأخر بفتح جبهة ثانية، ووقع اختلاف على مستقبل ألمانيا وپولونيا، وفي مؤتمري يالطا Yalta وپوتسدام Potsdam سنة 1945 تعمَّقت هذه الخلافات وبخاصة بعد أن أصبح ترومان Truman رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب وفاة روزڤلت Roosevelt. ارتفعت حدة التوترات بشأن ألمانيا وهيمنة الاتحاد السوڤييتي المتنامية على أوروپا الشرقية بعد أن ألقت الولايات المتحدة الأمريكية القنابل الذرية على اليابان.

وُلِد فرانكلين ديلانو روزڤلت Franklin Delano Roosevelt سنة 1882، وأصبح عضواً ديمقراطياً في مجلس الشيوخ سنة 1910، ثم حاكماً لنيويورك ورئيساً للولايات المتحدة الأمريكية سنة 1933 في أوج الكساد الاقتصادي الكبير. طرح الصفقة الجديدة New Deal من أجل التصدي لهذه المشكلات وتوصل إلى الفوز بالانتخابات الرئاسية في السنوات 1936 وَ1940 وَ1944. كان معارضاً للفاشية ومستعداً لتقديم بعض التنازلات من أجل تهدئة مخاوف ستالين الأمنية بعد الحرب العالمية الثانية. توفي بعد مؤتمر يالطا Yalta في نيسان/أپريل 1945 حيث خلفه نائبه هاري س. ترومان Harry S. Truman.

## ما هي الحرب الباردة؟

### التنافر والتعاون بين سنتي 1917 ـ 1943

يُستخدَم تعبير الحرب الباردة Cold War لوصف التنافر بين الولايات المتحدة والغرب من ناحية والاتحاد السوڤييتي

الحرب الباردة هي الاصطلاح الذي استخدم أصلاً في القرن الرابع عشر بشأن النزاع بين الدول المسيحية والإسلامية، وهو يعني العلاقات العدائية التي لم ترْقَ إلى

وأوروبا الشرقية من الناحية الثانية. ظل هذا الصراع قائماً طوال ـ أو خلال معظم ـ الفترة الممتدة بين سنتي 1945 وَ 1991، وكانت أبرز سماته انقسام أوروبا الغربية والشرقية بستار حديدي، وَظهور سياستين وتحالفين عسكريين متعاديَين (حلف شمال الأطلسي «الناتو NATO» وحلف وارسو Warsaw Pact)، وكذلك سباق التسلح الذي وصل في بعض الأحيان على ما يبدو إلى إبادة نووية.

حرب «ساخنة» (تشتمل على نزاع عسكري حقيقي). وقد أصبح هذا التعبير شائعاً عند كل من الصحفي وولتر ليبمان Walter Lippmann والسياسي ورجل الأعمال بيرنارد باروتش Bernard Baruch الأمريكيين بين سنتي 1946 ـ 1947.

وعلى الرغم من تجنب وقوع حرب ساخنة بين القوتين العظميين على نحو مباشر، إلا أنه وقعت عدة أزمات دولية أثناء الحرب الباردة وكذلك عدد من الحروب القذِرة التي تورَّط فيها حلفاء القوتين العظميين المتنافستين أو « الدول الزبائن» لديهما.

استُخدِم اصطلاح القوة العظمى سنة 1944 للإشارة إلى بلد يُعتبَر قوياً جداً بسبب موارده الاقتصادية والعسكرية حيث يمكن أن يفرض وقائع دولية تخدم مصالحه ويتحكم بها.

## النزاع الكبير

يمكن إرجاع الأسباب طويلة الأمد للحرب الباردة إلى سنة 1917 والثورة البلشفية في روسيا التي أدَّت إلى ظهور أول دولة قامت في العالم على الإيديولوجية الماركسية. تحدَّت الجمهورية الروسية الثورية العالم الرأسمالي على نحو مباشر بمحاولاتها التحريض على ثورة عالمية ومدها بالعون وإيجاد اقتصاد اشتراكي جماعي. وفي سنة 1919 بيَّن لينين Lenin وَتروتسكي Trotsky أن دعواتهما للثورة في أوروبا كانت جدِّية عندما أسَّسا الحزب الشيوعي الدولي (كومينتيرن Comintern). ساور الشك الدول الرأسمالية من هذه الدولة الجديدة وَوصل إلى حد الخوف.

«النزاع الكبير» تعبير استخدمه المؤرخ إسحق دويتشر Isaac Deutscher للدلالة على النزاع العالمي بين نظامي الرأسمالية والاشتراكية الاجتماعيين المتنافسين، حيث بدأ هذا «النزاع» في رأيه حين أسس البلشفيون دولتهم بعد ثورة سنة 1917.

وبين سنتي 1917 وَ 1921 وقعت هذه الدولة الشيوعية الجديدة في حرب أهلية تورَّطت فيها كما رأينا جيوش من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ورأى البلشفيون ذلك

محاولة رأسمالية مقصودة للقضاء على تجربتهم الثورية الاشتراكية. وبرغم خروجهم منتصرين إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية (بين دول أخرى) رفضت الاعتراف بالحكومة الشيوعية، ويرجع هذا جزئياً إلى أن ويلسن كان بحلول سنة 1918 قد شرَع بمحاولة الولايات المتحدة الأمريكية لاستبدال نظام الدولة الأوروپية القديم بنظام عالمي جديد تحت الزعامة السياسية الأمريكية بهدف جعْل العالم «آمناً للديمقراطية»، وكان يعني «بالديمقراطية» رأسمالية ليبرالية عالمية قائمة على إطلاق حرية الفرد، وكانت مبادئه الأربعة عشر التي صدرت في كانون الثاني/يناير 1918 أول دليل مادي على ذلك.

تضافر تخلُّفُ روسيا القيصرية الاقتصادي العام مع الحرب العالمية الأولى وَثورة 1917 وَالحرب الأهلية وَالتدخل الأجنبي وَالغزو اليولوني الذي حصل في فترة 1920 ـ 1921 (بدعم من بريطانيا وفرنسا) لإضعاف روسيا الشيوعية التي ظلَّت منعزلة بعد فشَل الثورة في كل مكان آخر من أوروپا. وفي أوائل العشرينيات حلَّ الحظر الاقتصادي محل الغزوات العسكرية التي قامت بها بلدان أخرى، وذلك من أجل «خنق البلشڤية Bolshevism الوليدة في مهدها» كما قال ونستن تشرشل Winston Churchill. أضف إلى ذلك أن سياسات ستالين الاقتصادية ـ ولا سيَّما الزراعية منها ـ أثرت سلباً على نواحي القوة النسبية لدى الاتحاد السوڤييتي.

**ما هو المقصود بعبارة «النزاع الكبير»؟**

كان «النزاع الكبير» بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أحادي الجانب لأن الولايات المتحدة الأمريكية بالمقابل خرجت من الحرب العالمية الأولى قوية الشكيمة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية، وبالتالي فإن الشيوعية السوڤييتية لم تكن منافسة حقيقية للرأسمالية العالمية خلال القسم الأعظم من فترة 1921

ـ 1941 وكانت محجوبة بالكساد الاقتصادي الكبير وَظهور الفاشية والتهديد بحرب عالمية أخرى. غير أن التطهير الكبير عزَّز المواقف المتشددة في الولايات المتحدة ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية في وقت أضحت فيه شكوك الاتحاد السوڤييتي متزايدة بجميع الدول الرأسمالية.

أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية قسم الشؤون السوڤييتية الذي كان مسؤولاً فيما بعد عن بديهيات ريگا Riga Axioms، والذي كان برئاسة تشارلز بوهلن Charles Bohlen وَجورج كِنان George Kennan وكان متأثراً كثيراً بوجهة نظر الروس المنفيين المعارضين للبلشڤيين التي تميل إلى تأكيد أهداف الثورة العالمية لدى الدولة السوڤييتية الجديدة. كان لبديهيات ريغا تأثير حقيقي بعد سنة 1945 حينما بدأ إرْث ثورة 1917 البلشڤية يترك أثراً متزايداً على العلاقات الدولية، وذلك برغم أن بعض المؤرخين بدؤوا مؤخراً بإعادة تقييم الأهمية الكلية لهذه البديهيات.

تشير عبارة بديهيات ريگا Riga Axioms إلى نظرات وسياسات الخبراء الدپلوماسيين الأمريكيين المتخذين مقراً لهم في مدينة ريگا Riga (عاصمة لاتڤيا Latvia) والعاملين في قسم الشؤون السوڤييتية Division of Russian Affairs في العشرينيات، الذي أنشأته وزارة الخارجية الأمريكية التي أرادت استكشاف أهداف السياسة السوڤييتية وذلك برغم عدم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالجمهورية السوڤييتية الجديدة. كانت لاتڤيا Latvia في السابق جزءاً من روسيا القيصرية ولكنها مستقلة في هذا الوقت وتوفر ملاذاً آمناً للمنفيين السوڤييت المعارضين للحكومة السوڤييتية والذين كانت نظراتهم تؤثر كثيراً بالعاملين في مركز ريغا Riga التابع لقسم الشؤون السوڤييتية في رؤية الأهداف السوڤييتية ثورة عالمية مهدِّدَة. وقد أنذروا الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص لكي تتخذ عملاً ضد هذا التهديد. ساعدت هذه النظرات على تكوين سياسة الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوڤييتي في الثلاثينيات والأربعينيات.

## الحرب العالمية الثانية

بدَت الأعمال السوڤييتية في فترة 1939 ـ 1941 ـ مثل إبرام ميثاق عدم الاعتداء النازي السوڤييتي وَتقسيم پولونيا وَالحرب على فنلندا وَالاستيلاء السوڤييتي على دول البلطيق ـ تؤكِّد من حيث المبدأ وجهات نظر «المتشدِّدين» الأمريكيين من أمثال كِنان Kennan وبديهيات ريگا، والتي حظيت بتأييد الآخَرين من أمثال روبيرت تافت Robert Taft وجوزيف كِنِدي Joseph Kennedy ـ السفير الأمريكي في لندن ـ الذي دعم السياسة البريطانية الخارجية في استرضاء ألمانيا النازية بدلاً من تشكيل تحالف مع الاتحاد السوڤييتي.

غير أن وجهات نظرهم قوبلت بمعارضة جوزيف ديڤيس

Joseph Davis، السفير الأمريكي في موسكو في فترة 1937 ـ 1938، الذي اعتقد أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية كان مهتماً بالتعاون في سبيل المساعدة على استقرار أوروپا في وجه الغزو النازي، وأن الاتحاد السوڤييتي يطوِّر شكلاً من رأسمالية الدولة وليس الاشتراكية. أما روزڤلت Roosevelt فرأى أن نزعة التوسع لدى ألمانيا النازية أكبر مما هي عليه لدى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وأن اتحاداً سوڤييتياً مستضعفاً عند نهاية الحرب أسهل إقناعاً بنبذ فكرة الشيوعية العالمية مقابل ضمانات أمنية ومساعدة على إعادة بناء الاقتصاد (الذي سيكون بدوره مُعيناً لاقتصاد الولايات المتحدة أيضاً). شعر روزڤلت بدايةً أن هذا الأمر أفضل من استمرار وجود تحالفات متعارضة أو متنافسة وسباق تسلح وتهديد بحروب في المستقبل (برغم وجود دليل على أن موقفه من طلبات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية اللاحقة قد بدأ يتصلّب).

وُلِد جورج كِنان George Kennan سنة 1904، وكان ديلوماسياً أمريكياً عمل في مركز ريگا Riga center التابع لقسم الشؤون السوڤييتية في العشرينيات. أصبحت نصيحته ـ بشأن الخيارات السياسية القائمة على اعتقاده أن نيَّة الاتحاد السوڤييتي تتجه إلى السيطرة على العالم ـ معروفة باسم بديهيات ريگا Riga Axioms وبعد ذلك في سنة 1946 أصبحت «برقيته الطويلة» أساساً لسياسة الولايات المتحدة تجاه الحرب الباردة حول «منع انتشار التهديد» السوڤييتي.

**ما هو التحالف الكبير؟**


صورة ساخرة سوڤييتية تعود إلى سنة 1942 تحتفل بوحدة حلفاء الحرب وانتصاراتهم. غير أن هذه الوحدة بدأت بالتصدع حتى قبل نهاية الحرب العالمية الثانية

ولهذا ـ فعندما هوجم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية من ألمانيا في حزيران/يونيو 1941 ثم من اليابان في كانون الأول/ديسمبر 1941 ـ انضمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بسرعة إلى الاتحاد السوڤييتي في تحالف كبير لأنهما رأيا في هتلر تهديداً أخطر من ستالين وأشد إلحاحاً منه في الوقت الراهن.

سياسة «الباب المفتوح» هي الطريقة التي استخدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في طلب «تكافؤ الفرص» في جميع الأسواق الخارجية من خلال إنشاء تجارة حرة (وبذلك تلغى جميع المكوس الجمركية وأنظمة التفضيل). إلا أنه لم يكن من المحتمل أن تؤدي هذه السياسة بشأن تكافؤ الفرص إلى زيادة الهيمنة الأمريكية العالمية أكثر من «المنافع المتبادلة» بسبب وضع الاتحاد السوڤييتي المتردّي والمستضعف، وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت في حينه أكبر الدول المتقدمة من الناحية الاقتصادية. هذه الرغبة في توسيع مدى النفوذ الاقتصادي الأمريكي يُشار إليها في بعض الأحيان بعبارة «ديمقراطية الدولار».

## مؤتمر طهران

وبرغم أن اندلاع الحرب العالمية الثانية قد أنهى المُناهَضَة بين الولايات المتحدة الأمريكية والغرب وبين الاتحاد السوڤييتي بصورة مؤقتة ـ كما يبدو ـ فإن المشكلات سرعان ما ظهرت ضمن التحالف الكبير، حيث ساورت الشكوك ستالين بخاصة بسبب التأخير بفتح جبهة ثانية في أوروبا، فرآه قراراً قصد منه شركاء التحالف ضمان استضعاف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية استضعافاً خطيراً. كذلك كان الروس قلِقين من تصريحات روزڤلت Roosevelt عن السياسة الخارجية الأمريكية التي كانت قائمة ـ كما قال ـ على «الديمقراطية والحرية الاقتصادية». شكوك لدى الاتحاد السوڤييتي قائمة في سياسة «الباب المفتوح» التي انتهجها روزڤلت والقائمة على تجارة عالمية «حرة» ووصول إلى المواد الأولية «على قدم المساواة»، واعتقد الاتحاد السوڤييتي أنها سياسة وُضِعَت لتأمين الفائدة للدول المتقدمة، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

**لماذا كانت بولونيا موضوعاً مهماً في مؤتمر طهران لسنة 1943؟**

ومع استمرار الحرب فقد تدبّر الثلاثة الكبار أمر محافظتهم على تحالفهم، وعندما اجتمعوا في طهران Tehran في تشرين الثاني/نوڤمبر سنة 1943 اتفقوا من حيث المبدأ

على إمكانية عودة الاتحاد السوڤييتي إلى حدوده التي كان عليها مع پولونيا سنة 1918 (وهو الذي غُزِي منذ سنة 1900 ثلاث مرات عبرها)، بينما تُدفع حدود پولونيا الغربية إلى الغرب، كما اتفقوا أيضاً على عدم السماح بتحالف يقوم في وسط أوروپا ضد الاتحاد السوڤييتي. كانت هاتان النقطتان كما يبدو سبباً لإزالة بعض نواحي القلق الأمني الرئيسية لدى ستالين، وذلك وبرغم عدم موافقة تشرشل Churchill وروزڤلت Roosevelt على هذه الأمور.

## لماذا ابتدأت الحرب الباردة؟

### انهيار التحالف الكبير 1944 ـ 1945



**صورة تظهِر الثلاثة الكبار: تشرشل وروزڤلت وستالين في مؤتمر يالطا في شباط/ فبراير 1945**

بدأت التوترات التي أدت في النهاية إلى انهيار التحالف الكبير وابتداء الحرب الباردة بالظهور بحِدَّة أكبر في مؤتمرات سنة 1945 التي عُقدت في يالطا Yalta في شباط/فبراير وَفي پوتسدام Potsdam في تموز/يوليو، وكانت نواحي الخلافات الرئيسية أربعاً: ألمانيا وپولونيا وإعادة البناء الاقتصادي والأسلحة النووية.

## ألمانيا

كانت الحرب ضد ألمانيا مستمرة حين اجتمع الحلفاء في يالطا Yalta في شباط/فبراير 1945، لكن قرب انتهائها في أوروپا كان واضحاً للعيان تقريباً. توجَّب حينئذ إيجاد حلول للمشكلات التي ظهرت في طهران Tehran وبخاصة پولونيا ومصير بلدان أوروپا الشرقية. وافق المؤتمر على نحو ودي تماماً على تقسيم ألمانيا مؤقتاً إلى أربع مناطق محتلَّة واتفاق أوَّلي على تعويضات حربية لقاء الأضرار التي سبَّبتها ألمانيا النازية ولاسيَّما للاتحاد السوڤييتي.

أثبتت مشكلة پولونيا أنها الأكثر استعصاء على الحل، وتم الاتفاق في نهاية المطاف على القبول بطلبات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الخاصة بالحدود الشرقية لپولونيا، وأن تأخذ پولونياً تعويضاً عن ذلك من ألمانيا أرضاً تصل إلى نهري أودر ـ نيس Oder-Neisse. كما قبِل الحلفاء أيضاً بحكومة لوبلِن Lublin المؤقتة لپولونيا مع إضافة بعضٍ من پولونيي لندن إليها. إلا أن هذا التفاؤل بشأن الاتفاقات سرعان ما خبت جذوته بعد وفاة روزڤلت لأن نائب الرئيس ترومان Truman اتخذ موقفاً أكثر تشدداً تجاه الاتحاد السوڤييتي.

في شهر أيار/مايو أوقف ترومان بصورة مفاجِئة معونة

الإعارة والتأجير إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، فشكل ذلك ضربة خطيرةً ومسببةً للقلق للاتحاد السوڤييتي الذي مزَّقته الحرب. وبعد ذلك في مؤتمر پوتسدام Potsdam الذي انعقد في تموز/يوليو 1945 صرَّح ترومان أن الولايات المتحدة الأمريكية ستوافق على قيام الاتحاد السوڤييتي باستجرار تعويضات حربية من المنطقة الشرقية من ألمانيا ـ وهي زراعية أساساً ولذلك فهي أشد فقراً ـ كما يتلقى 25٪ من الآلات من المناطق الغربية الثلاث، بشرط أن يعيد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية إلى هذه المناطق 60٪ من قيمة ما كان قد تسلمه منها على هيئة بضائع ومواد أولية (ولا سيَّما الفحم).

## پولونيا وأوروپا الشرقية

كان موضوع پولونيا معقداً إذ رأى فيه ستالين Stalin مسألة حياة أو موت للاتحاد السوڤييتي. وفي تشرين الأول/أكتوبر 1944 تقابل تشرشل Churchill وستالين في موسكو Moscow وعقدا اتفاق «نسب مئوية» غير رسمي على النفوذ في شرق وجنوب شرق أوروپا. وبالرغم من عدم حضور روزڤلت Roosevelt فقد أُحيط علماً بذلك فيما بعد ولم يبدِ أية اعتراضات، غير أن هذا الاتفاق لم يأتِ على ذكر پولونيا.

في مؤتمر موسكو الذي انعقد في تشرين الأول/أكتوبر 1944 أبرم تشرشل وستالين اتفاق «النسب المئوية percentages agreement» على «مناطق النفوذ». كانت قيمة النسب المئوية لبريطانيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية على التوالي في دول شرق أوروپا كما يلي: رومانيا: 10 إلى 90، اليونان: 90 إلى 10، بلغاريا: 25 إلى 75، هنگاريا: 25 إلى 75، يوگوسلاڤيا: 50 إلى 50. وعندما بدأت الحرب الباردة اتضح بسرعة أن ستالين كان ينوي فرض سيطرة الاتحاد السوڤييتي السياسية (والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية على الطريقة السوڤييتية) على هذه البلدان ضمن المنطقة السوڤييتية.

وفي مؤتمر يالطا Yalta تراجع روزڤلت عن تأييده لوجود منطقة نفوذٍ سوڤييتي في شرق أوروپا. وشعر ستالين بضرورة هذا الوجود لأمن الاتحاد السوڤييتي وساوره القلق تجاه دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لسياسة «الباب المفتوح» واقتراحاتها بضرورة عدم وجود مناطق نفوذ رسمية. طرح روزڤلت ـ الذي أبقى اتفاقاته السابقة مع ستالين حول شرقي

أوروبا سرية على الرأي العام الأمريكي - وجوب أن تتخذ الأمم المتحدة المقترَحة قرارات في هذه الموضوعات بعد انتهاء الحرب.

هذه التذبذبات أقنعت ستالين بالبدء في اتخاذ إجراءات عملية لضمان مصالح الاتحاد السوڤييتي الأمنية في أوروبا الشرقية. وزادت شكوك الولايات المتحدة بالدوافع السوڤييتية عندما فشل الاتحاد السوڤييتي في تنفيذ اتفاق يالطا على انتخابات حرة في پولونيا. تزايد الاحتكاك حينما أصبح ترومان رئيساً وزاد تصميم الولايات المتحدة الأمريكية على أن تقف كلما تسنّى لها ذلك، في وجه المد الإيديولوجي المعادي الذي تمثله الدولة السوڤييتية. وكانت أولى الإشارات في هذا السبيل هي قطع معونة الإعارة والتأجير بصورة مفاجئة خلال أيار/مايو 1945 (مع أن قرار ترومان له علاقة كبيرة بضغط الكونگرس من أجل ضغط النفقات الذي تم تطبيقه على بريطانيا أيضاً).

## إعادة البناء الاقتصادي

نظراً للدمار المرعب الذي عانى منه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية فإن أولوية ستالين بعد الحرب كانت إعادة البناء الاقتصادي، فوافق بالتالي على الانضمام مؤقتاً إلى البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وذلك في مؤتمر بريتون وودس Bretton Woods سنة 1944. تغلّب الوعد بقرض من الولايات المتحدة الأمريكية على مخاوف ستالين من نفوذها المتزايد، وعندما طلب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية قرضاً بستة بلايين دولار، في كانون الثاني/يناير 1945، فرضت الولايات المتحدة شروطاً مثل فتح الأسواق الأوروپية الشرقية أمام الرأسمال الأمريكي. لكن دپلوماسية الدولار هذه لم تكن مقبولة لدى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية.

دپلوماسية الدولار هي في الأصل إشارة إلى استثمارات الولايات المتحدة الكبيرة في بلدان أمريكا اللاتينية خلال العشرينيات والثلاثينيات، حيث كان يُنظَر إلى هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية كأداة لإعطائها سلطة تقرير السياسات الدپلوماسية والداخلية للبلدان التي تستثمر فيها.

ولهذا أكَّد ستالين تأكيداً متزايداً على التعويضات الحربية من ألمانيا، إذ تم الاتفاق على أن تكون النقطة التي تنطلق منها المفاوضات هي مبلغ عشرة بلايين دولار. وعند إنهاء معونة الإعارة والتأجير في شهر أيار/مايو دون إعلام، زاد التوتر. كذلك فإن طلباً آخر للقرض في آب/أغسطس 1945 «ضاع» في وزارة الخارجية الأمريكية. وبالتالي فقد تناسى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية آخر موعد للتقدم إلى عضوية البنك الدولي وصندوق النقد الدولي الواقع في شهر كانون الأول/ديسمبر 1945 ولم يتقدم بهذا الطلب، وبدلاً من ذلك قرر أن يزيد تعويضاته الحربية من منطقة نفوذه بالذات لأن ذلك يستوجب سيطرة سوڤييتية أكبر في شرقي أوروپا.

## القنبلة الذرية الأمريكية

قلت أهمية الاتفاقات الظاهرة على ألمانيا والتعويضات، وعلى پولونيا ـ رغم جزئيتها ـ عندما فجَّرت الولايات المتحدة الأمريكية في شهر آب/أغسطس 1945 أولى قنابل العالم الذرية على هيروشيما Hiroshima وناگازاكي Nagasaki. وكان رفض الولايات المتحدة الأمريكية مشاركة التكنولوجيا مع حليفها السوڤييتي يمثل أمراً أكثر أهمية للعلاقات بينها وبين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية.

استخلص روزڤلت في مؤتمر يالطا Yalta وعداً من ستالين بالدخول في حرب ضد اليابان حالما تتم هزيمة ألمانيا. غير أن القنبلة الذرية (التي تمت تجربتها بنجاح في 16 تموز/يوليو 1945) كانت في نظر ترومان ووزير خارجيته جيمس بايرْنز James Byrnes وسيلة لإنهاء الحرب ضد اليابان دون مشاركة سوڤييتية إضافة إلى إبقاء الإصابات الأمريكية في حدها

كان هنري ستيمون Henry Stimon واحداً من كثير من الديپلوماسيين الأمريكيين الذين يعتقدون أن ستالين لن يزعج نفسه في بسط السيطرة السوڤييتية في أوروپا إذا تمت معالجة المخاوف السوڤييتية، وكان هذا مايعتقده روزڤلت.

الأدنى، مما سيعيق من أحقية أي مطلب سوڤييتي للنفوذ في آسيا، وهذه الإعاقة تشكل أمراً حيوياً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية. تم تأخير مؤتمر پوتسدام Potsdam حتى السادس عشر من تموز/يوليو جزئياً من أجل توفير أداة تفاوضية قوية جديدة لترومان. وعارض وزير الحرب الأمريكي هنري ستيمون Henry Stimon هذه السياسة بطرحه أن الاتحاد السوڤييتي يجب أن يُمنَح المشاركة الذرية إذا كان مستعداً لتقديم بعض التنازلات في أوروپا الشرقية.

كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية سنة 1945 مجرد قوة إقليمية بخلاف الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت حينذاك قوة عالمية حقيقية، وكانت الأهداف الأمريكية طويلة المدى تتصارع مع مرامي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الإقليمية. فسَّر ستالين رفض المشاركة في التكنولوجيا النووية كاستعراض لقوة الولايات المتحدة أمام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية المستضعَف استعراضاً خطيراً، وقد أيَّد هذا التفسير المؤرخ ج. ألپيروڤيتز G. Alperovitz الذي طرح أن امتلاك القنبلة النووية من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية بين سنتي 1945 و1949 فقط كان في نظر ترومان ومستشاريه «أداة تفاوضية» لإجبار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية على قبول خططها الخاصة بأوروپا ما بعد الحرب، والعالم.

كان ستالين قلِقاً جداً بخصوص هذا الاحتكار النووي، وسرعان ما أعطى الصلاحيات لتطوير قنبلة سوڤييتية بسرعة. وبرغم أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لم يمتلك قنبلته الذرية حتى سنة 1949 إلا أن هذا لم يؤثر على السياسة السوڤييتية في أوروپا الشرقية بأكثر مما يجب. تابع ستالين

خططه في الاحتلال بالرغم من مخاوفه تجاه القنبلة الذرية، وذلك ربما لأنه قرَّر الإصغاء لبعض مستشاريه الذين قالوا إن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستخدم الأسلحة النووية في أوروبا.

ومع ذلك فإن القوات السوفييتية استردَّت اعتباراً من منتصف سنة 1944 الأراضي السوفييتية السابقة التي كانت تحتلها القوات الألمانية، وأصبح ستالين على نحو متزايد على علم بمدى الضعف والخراب الذي وصل إليه الاتحاد السوفييتي. وبحلول نهاية الحرب كان الجيش الأحمر قد وصل إلى حوالي أحد عشر مليوناً في حين كان عدد القوات الأمريكية اثني عشر مليوناً. وجب أن يتم تحويل المال من الدفاع إلى الاقتصاد بسبب الحاجة إلى إعادة البناء الاقتصادي السريع، ولذلك تم تخفيض الجيش الأحمر بسرعة إلى أقل من ثلاثة ملايين بحيث لا يشكل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية حتى في الظروف العادية تهديداً عسكرياً يتطلب مواجهة بالأسلحة النووية الأمريكية.

تم تأجيل مناقشة الأمور الأخرى المثيرة للنزاع في پوتسدام Potsdam وذلك بعد أن تم الاتفاق على أن تُعالج من قِبل اجتماعات منتظمة لمجلس وزراء الخارجية. وعندما لم يوافق مولوتوف Molotov في أيلول/ سپتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 1945 على إدخال غير الشيوعيين في حكومات هنگاريا ورومانيا وبلگاريا بدا بيرْنز Byrnes مستعداً لتقديم تنازلات بهذا الشأن حتى يضمن اتفاقاً موسعاً. لكن الباب أُغلِق أمام هذا الطرح من قبل ج. ف. دالِس J.F. Dulles، وهو قيادي جمهوري مؤيِّد لبديهيات ريگا Riga Aximos. وعندما اجتمع المجلس مرة أخرى في كانون الأول/ ديسمبر 1945 في

موسكو وافق الاتحاد السوفييتي على إدخال غير الشيوعيين في حكومات رومانيا وبلغاريا مقابل اعتراف الولايات المتحدة بهاتين الدولتين. غير أن بيرْنز بدأ يشك في جدوى تقديم أية تنازلات لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لأنه تسلم قبل اجتماع كانون الأول/ديسمبر تقرير إيثريدج Ethridge الذي اعتمده والذي كان حاسماً في ما يتعلق بسياسات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية «الإمپريالية» في رومانيا وبلغاريا.

## كيف يمكن شرح الحرب الباردة؟

### المناقشة التاريخية

هناك نظريات مختلفة وضَعَها المؤرخون لشرح أصول الحرب الباردة. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة طرح مؤيدو النظرة المتزمتة أن الحرب الباردة هي نتيجة الإيديولوجية السوفييتية التي تركَّزت على إثارة القلاقل في الدول الرأسمالية. وهذا يلقي بالمسؤولية عن الحرب الباردة على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، مع اضطرار الغرب إلى أن يتبنى سياسات «الوقوف ضد انتشار التهديد الشيوعي».

إلا أن تفسيراً جديداً، وُضِع نتيجة مراجعة الأحداث بعد وقوعها وظهر بحلول الخمسينيات وطرح أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية كان على ضعف كبير جداً بحيث لا يشكل تهديداً حقيقياً في مجال التوسّع العالمي وأن مسؤولية الحرب الباردة تقع على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية وليس على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية. وحسب هذا الطرح فإن ستالين ركَّز على السياسة الداخلية

وعمِل القليل في سبيل ترويج الثورة الدولية. وبدلاً من ذلك فإن الاتحاد السوڤييتي دُفِعَ إلى أن يزيد من سيطرته على أوروبا الشرقية لمواجهة أعمال الولايات المتحدة الأمريكية الهادفة إلى بسط الهيمنة الأمريكية من خلال سياسة «الباب المفتوح». بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تحاول السير في أوروبا الشرقية على نفس النهج الذي سلكته في منطقة الإسترليني حين قللت أثناء الحرب من النفوذ البريطاني من خلال التقليل من قيمة هذه المنطقة ومن نظام التفضيل الاستعماري (الذي أعطى ميزات لأرباب الصناعة البريطانيين في البيع للمستعمرات البريطانية). ولهذا كان الاتحاد السوڤييتي مضطراً لبسط مزيد من الهيمنة في المنطقة حتى يحمي نفسه من أهداف الهيمنة الأمريكية على العالم ـ «تحت ظل العلم الأمريكي Pax America».

**ما هي التفسيرات التاريخية الثلاثة لابتداء الحرب الباردة؟**

**كيف تفسَّر أصول الحرب الباردة حسب نظريات صراع الطبقات؟**

هناك رأي ثالث ـ عرضه المؤرخون الذين جاؤوا بعد أولئك الذين راجعوا الأحداث التاريخية بعد وقوعها ـ فحاول تفادي تحميل اللوم لواحدة من القوى العظمى فقط، ورأى أن الحرب الباردة نتجت عن الفوضى ولا سيَّما في أعقاب استبدال روزڤلت Roosevelt بترومان Truman حين أدَّت سياساته المتشددة إلى تعميق شكوك الحكومة السوڤييتية التي كانت معتادة أكثر على طروحات روزڤلت الأكثر وسطيّة. وهناك آراء أخرى تنظر في دور انتشار السلاح النووي الذي اضطُر كلا الجانبين إلى عدم الثقة بالآخر. وترى نظريات صراع الطبقات أن الحرب الباردة نتيجة حتمية للصراع العالمي بين الرأسمالية والشيوعية. بدأ بحث في الفترة المتأخرة عن السبب الذي جعل ستالين يختار تجاهل نصيحة ليتڤينوف Litvinov الأكثر اعتدالاً ويتخذ خطاً أكثر تشدداً يؤيده في ذلك المستشارون الآخرون.

**1 . كتب ونستن تشرشل عن الاتفاق الذي تم بينه وبين ستالين في التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر 1944 في موسكو:**

نزلنا في موسكو عصر يوم التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر. . . وفي الساعة العاشرة مساء عقدنا أول اجتماعاتنا المهمة في الكرملين.

كانت اللحظة مواتية للعمل ولذلك بدأت «هيا بنا نسوّي أمورنا في البلقان. جيوشكم موجودة في رومانيا وبلگاريا، ولدينا مصالح ومهمات وعملاء هناك، فيجب ألا نفسح المجال لتضارب أهدافنا على أمور صغيرة. بحسب اهتمامات كل من بريطانيا وروسيا، ما رأيكم في أن تكون لكم تسعون بالمئة من الهيمنة في رومانيا مقابل أن يكون لنا تسعون بالمئة من الهيمنة في اليونان مثلاً، وأن تكون يوگوسلاڤيا مناصفة بيننا؟ وبينما كان هذا القول يُترجَم دوَّنت على ورقة نسباً مئوية مختلفة من رومانيا واليونان ويوگوسلاڤيا وهنگاريا وبلگاريا. . .

دفعتُ بهذه الورقة إلى ستالين الذي كان قد سمع الترجمة حينذاك. وبعد توقف بسيط أخذ قلمه الأزرق وخطَّ علامة كبيرة بالموافقة عليها ثم أعادها إلينا. لقد تمت تسوية هذا الأمر قبل أن نستقر في جلستنا.

و. تشرشل، الانتصار والمأساة
بوسطن 1954، ص 226 ـ 228

**2 . كتب الصحفي الأمريكي وولتر ليپمان، في صحيفة ناشڤيل تينيسين، في الخامس عشر من آذار/ مارس 1946:**

لا يمكن لقصف ذري أن يدمر الجيش الأحمر، فربما

يدمر الوسائل الصناعية التي توفر له التجهيزات، ولذلك فإن الدفاع الروسي أمام الهجوم الذري يفضح نفسه؛ وهو إغراق الأرض الأوروپية بالمشاة وأن يُفرَض علينا تحدي إلقاء قنابل ذرية على پولونيا وتشيكوسلوڤاكيا والنمسا... ومع تزايد تهديداتنا بتدمير المدن الروسية يتضح تزايد هدف الدفاع الروسي بإيجاد موطئ قدم للروس في المدن الأوروپية التي لا يمكننا تدميرها دون مذبحة يقضي فيها آلاف من أصدقائنا بالذات.

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن، 1992، ص 12

# 12 المراحل الأولى: 1946 ـ 1949

**أسئلة تركيزية**

- هل كانت سنة 1946 نقطة انعطاف؟
- ما مدى أهمية مبدأ ترومان وخطة مارشال؟
- ما هي نقاط التوتر الرئيسية في أوروبا بين سنتي 1947 و1949؟

**تواريخ هامة**

1946 شباط/ فبراير: «برقية» كِنان Kennan «الطويلة»، فشل خطة بارُش Baruch

آذار/ مارس: خطاب تشرشل عن «الستار الحديدي»

حزيران/ يونيو: انتهاء المفاوضات الأمريكية ـ السوڤييتية على مصرف الاستيراد والتصدير

تموز/ يوليو ـ تشرين الأول/ أكتوبر: مؤتمر باريس للسلام

تشرين الأول/ أكتوبر: فوز الشيوعيين في انتخابات بلگاريا

تشرين الثاني/ نوڤمبر: فوز الشيوعيين في رومانيا نتيجة انتخابات مزوَّرة

1947 كانون الثاني/ يناير: إنتخابات شيوعية مزوَّرة في

بولونيا، بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تضمّان مناطق ألمانية من أجل تشكيل منطقة ثنائية Bizonia

آذار/ مارس: ترومان يعلن سياسة الوقوف بوجه المد الشيوعي (مبدأ ترومان Truman Doctrine).

حزيران/ يونيو: إعلان خطة مارشال Marshall

آب/ أغسطس: فوز الشيوعيين بانتخابات هنگاريا

أيلول/ سپتمبر: تشكيل مكتب المعلومات الشيوعي Cominform، جدانوف Zhdanov يلقي خطابه عن «المعسكرَيْن»

1948 شباط/ فبراير: منظمة معاهدة بروكسِل Brussels

شباط/ فبراير - آذار/ مارس: انقلاب شيوعي في تشيكوسلوڤاكيا بعد استقالة غير الشيوعيين من الحكومة

حزيران/ يونيو: فرنسا تضم منطقتها الألمانية إلى المنطقة الثنائية لتصبح منطقة ثلاثية Trizonia، طرح عملة جديدة في ألمانيا الغربية، طرد يوگوسلاڤيا من مكتب المعلومات الشيوعي Cominform، بداية أزمة برلين

أيلول/ سپتمبر: إنشاء لجنة پرلمانية لصياغة مسوَّدة القانون الأساسي لدولة ألمانية غربية منفصلة

1949 كانون الثاني/ يناير: إنشاء مجلس المعونة الاقتصادية المشترك Comecon

نيسان/ ابريل: إنشاء حلف شمال الأطلسي (ناتو)

أيار/ مايو: انتهاء حصار برلين، إنشاء ألمانيا الغربية (جمهورية ألمانيا الاتحادية FDR) رسمياً

آب/أغسطس: تجربة القنبلة الذرية السوڤييتية

أيلول/سپتمبر: تعيين حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية

تشرين الأول/أكتوبر: الشيوعيون الصينيون يتسلمون السلطة، إنشاء دولة ألمانيا الشرقية (جمهورية ألمانيا الديمقراطية GDR).

## نظرة شاملة

أدت الخلافات المستمرة خلال سنة 1946 إلى استمرار العداوة بين الشرق والغرب ممثلة بخطاب «الستار الحديدي Iron Curtain» الذي ألقاه تشرشل Churchill في آذار/مارس 1946. جعلت حوادث مثل الأزمة الاقتصادية في أوروپا ونجاح الشيوعيين في انتخابات إيطاليا وفرنسا والحرب الأهلية اليونانية، الولايات المتحدة الأمريكية تعلِن في سنة 1947 مبدأ ترومان Truman Doctrine وسياسة «الوقوف بوجه المد الشيوعي»، وجاءت بعده المعونة الأمريكية الاقتصادية لأوروپا (معونة مارشال Marshall Aid). ولم يمضِ وقت طويل إلا وكان اصطلاح الحرب الباردة Cold War يُستخدَم على نطاق واسع. شهدت القوة السوڤييتية المتنامية في أوروپا الشرقية ومنظمة معاهدة بروكسِل Treaty of Brussels المشكَّلة من قبَل دول أوروپا الغربية والجمع بين المناطق الغربية في ألمانيا، انقطاع العلاقات شبه التام بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية سنة 1948. تمثل الرد السوڤييتي بحصار برلين Berlin Blockade فردَّ عليه الغرب بإقامة جسر برلين الجوي. أنشئ حلف شمال الأطلسي NATO سنة 1949 في البداية بناء على طلب الدول الأوروپية الغربية ولكنه

سرعان ما أصبح تحت هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية. وبرغم انتهاء حصار برلين في أيار/مايو إلا أن توترات الحرب الباردة ازدادت عندما فجَّر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية قنبلته الذرية الأولى. وبنهاية سنة 1949 كانت ألمانيا قد قسِّمت إلى دولتين منفصلتين.

## هل كانت سنة 1946 نقطة انعطاف؟

### التقسيم المتنامي: 1946 ـ 1947

كانت التوترات بين الحلفاء قد اتضحت بحلول نهاية سنة 1945، فالمشكلات التي ظهرت بين سنتي 1946 وَ 1949 والأسلحة الذرية والأزمة الاقتصادية في أوروپا الغربية وزيادة السيطرة السوڤييتية على أوروپا الشرقية والقرارات التي اتخذت بشأنها أدَّت إلى مزيد من الانقسامات الخطيرة.

أدركت الحكومات الغربية بحلول سنة 1946 أن السيطرة المتزايدة السوڤييتية في أوروپا الشرقية هي الخطوة الأولى نحو انتشار الشيوعية باتجاه الغرب. واعتقد بعض الساسة باحتمال السيطرة الشيوعية في اليونان وإيطاليا وحتى في فرنسا حيث كان التأييد الشيوعي قوياً إلى حدٍّ ما. وفي أوائل شباط/فبراير 1946 بدأ بايرْنز Byrnes بالإلحاح على رئيس الوزراء الإيراني بمقاومة أي تقدم سوڤييتي في المناطق المهمة الغنية بالنفط.

شهِد شهر شباط/فبراير 1946 تطوّرين هامّين، أوَّلهما أن فشل خطة بارُش Baruch Plan أدّى إلى القضاء على أي أمل في الاتفاق على الرقابة على الأسلحة النووية، وثانيهما أن كِنان Kennan أرسل «برقيته الطويلة» الشهيرة التي طرح فيها أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية دولة خطيرة توسُّعِية لن تتعاون مطلقاً مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا يعني

خطة بارُش Baruch Plan أمريكية قدَّمها برنارد بارُش Bernard Baruch إلى الأمم المتحدة في 15 حزيران/يونيو 1946، وكان يُفترَض بها أن تزيل المخاوف السوڤييتية من الاحتكار النووي الأمريكي بوضع تلك الأسلحة تحت الرقابة الدولية وإنشاء هيئة طاقة ذرية دولية من أجل مراقبة المواد الأولية والمصانع الذرية. إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية أصرَّت حينذاك على حقها في الاستمرار بتصنيع الأسلحة الذرية والإبقاء عليها لبعض الوقت. دَعا السفير الروسي لدى الأمم المتحدة گروميكو Gromyko إلى حظر تام على الأسلحة النووية. وبرغم أن لجنة الطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة قد تبنَّت خطة بارُش في 30 كانون الأول/ديسمبر 1946 إلا أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية استعمل حق النقض ضدَّ الخطة في مجلس الأمن.

أن السياسة السوڤييتية لن تتغير في المدى القصير أو المتوسط مهما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية. وسرعان ما أصبحت هذه النظرة أساساً للسياسة الأمريكية وأصلاً لسياسة «الوقوف بوجه المد الشيوعي» (وقد استعمل كِنان Kennan هذا التعبير للمرة الأولى) ثَم ظهر في السنة التالية ولاسيَّما في انتعاش بديهيات ريگا.

**ماذا ورد في برقية كِنان Kennan الطويلة عن سياسة الاتحاد السوڤييتي الخارجية؟**

في آذار/مارس 1946 ألقى ونستن تشرشل Winston Churchill في مدينة فولتن Fulton بولاية ميسوري Missouri خطابه الشهير عن «الستار الحديدي Iron Curtain» أيَّد فيه وجهة النظر بأن الاتحاد السوڤييتي دولة توسُّعية وطرَحَ وضْع حدٍّ للمصالحة ودعا إلى تحالف بريطاني ـ أمريكي أشد قوة. وكان ذلك ابتعاداً هاماً عن روح يالطا Yalta وسياسة روزڤلت Roosevelt في التعاون مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وتصادَف مع «برقية» كِنان «الطويلة».

السِتار الحديدي Iron Curtain هو اصطلاح يُستخدَم لوصف الحدّ بين أوروپا الغربية الرأسمالية وأوروپا الشرقية الشيوعية. ومع تعمُّق الحرب الباردة أصبحت الحدود، ولا سيَّما في ألمانيا، ماديَّة ومرئيَّة.

والخلاصة أن كِنان Kennan كان مؤيداً «لمكاشفة كاملة وحقيقية مع الاتحاد السوڤييتي» بشأن التطورات الحاصلة في أوروپا الشرقية، وقد طرح منذ مطلع شهر شباط/فبراير 1945 أن الغرب إذا لم يكن مستعداً للذهاب إلى آخر الشوط لسد الطريق على أي توسع للنفوذ السوڤييتي في أوروپا، فالبديل الوحيد هو تقسيم ألمانيا على نحو دائم إلى قسمين ورسم حدود محدَّدة بين الشرق والغرب. وهو يعتقد أن يتم تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ متنافسة وأن على الولايات المتحدة القيام بحرب دعائية ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وضد الشيوعية.

**ما هي أهمية خطاب ونستن تشرشل Winston Churchill عن الستار الحديدي؟**

في فترة 1945 ـ 1946 استخدم بايرْنز Byrnes القروض والديون لإيجاد استقرارٍ خارج المنطقة السوڤييتية (مثل فرنسا)

حيث استُخدِمَت القروض التي بلغت خمسة آلاف وسبعمئة مليون دولار لإعادة بناء الصناعات التي دمَّرتها الحرب. كذلك أوضح بايرْنز Byrnes أثناء المفاوضات الأمريكية ـ السوڤييتية على القروض والديون لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أن الولايات المتحدة الأمريكية تتوقع بالمقابل أن يكون لها رأي في إعادة بناء أوروبا الشرقية الاقتصادي وإزالة جميع الحواجز التجارية، وقد أدى هذا الطلب إلى قطع المفاوضات، وقيام مصرف التصدير والاستيراد بعد ذلك بتحويل معظم الأموال التي كانت مخصَّصة للاتحاد السوڤييتي إلى فرنسا لأن المشكلات الاقتصادية هناك كانت ترفع من شعبيّة الحزب الشيوعي الفرنسي. كذلك تم قطع الدعم الاقتصادي الأمريكي عن إدارة الإغاثة وإعادة التأهيل UNRRA التابعة للأمم المتحدة (والذي ذهب معظمه لپولونيا وتشيكوسلوڤاكيا وهنگاريا) كما طُويَت طلبات القروض التي تقدمت بها تلك البلدان إلى البنك الدولي.

## الأزمة الاقتصادية في أوروبا الغربية

«الحمائم» تعبير يُستخدَم في وصف الذين يفضلون إيجاد طرق سلمية لحل الخلافات؛ والذين يتبعون سياسات أشد أو أكثر عدوانية يُسمَّون في بعض الأحيان «الصقور»

أسرع معظم الموظفين الأمريكيين إلى تأييد آراء كِنان Kennan، وأُجبر على الاستقالة بعضُ «الحمائم» الذين يظنون أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية راغب بالحلول الوسط. وبالرغم من إطلاق حملة إعلامية حول «التهديد الجديد» من قِبَل الاتحاد السوڤييتي (التي ساعد عليها خطاب تشرشل) لكن كلاً من الجمهوريين الذين كانوا يسيطرون على الكونگرس والرأي العام لم يقتنعا بالحاجة إلى منح قروض كبيرة للحلفاء الضعفاء اقتصادياً أو بزيادة الموازنة العسكرية لمواجهة «التهديد» السوڤييتي. فاز الجمهوريون في انتخابات الكونگرس في تشرين الثاني/نوڤمبر 1946 وصوَّتوا في الواقع

لصالح تخفيض موازنة ترومان Truman لسنة 1947 بما فيها النفقات العسكرية.

**ماذا حصل سنة 1946 للموظفين الأمريكيين الذين اعتقدوا أن الاتحاد السوڤييتي راغب بالحلول الوسط في أوروپا الشرقية؟**

غير أن الحالة الاقتصادية والسياسية في أوروپا الغربية خلال فترة 1946 ـ 1947 أقنعت الكونگرس في النهاية بدعم السياسة الخارجية الأكثر فعالية وتكلفة التي ترغب بها إدارة ترومان. وحينذاك كان سوء الحالة الاقتصادية خطيراً في معظم الدول الأوروپية بعد الدمار الذي تسبَّبت به الحرب العالمية الثانية (إذ أدَّت مشكلات بريطانيا إلى أن تتحول من قوة عالمية إلى أحد صغار شركاء الولايات المتحدة الأمريكية). لم تحقق القروض التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة 1945 ـ 1946 التحسين المرغوب فيه، وكان الإنتاج الصناعي يقل بنسبة عشرين بالمئة عما كان عليه سنة 1939. وفي ذلك الحين أصيبت أوروپا بموسم سيء في سنة 1946 وشتاء مرير في فترة 1946 ـ 1947 وكان سكانها يعانون في وقت واحد من البرد والجوع، وكانت الأحزاب الشيوعية في فرنسا وإيطاليا تنعم بدعم متزايد.

وُلد جورج سي. مارشال George C. Marshall سنة 1880، وأصبح رئيساً لهيئة الأركان خلال الحرب العالمية الثانية وحقق نقلة للحلفاء ضمن فرنسا كانت أفضل طريقة لهزيمة ألمانيا. ترأس لجنة مارشال Marshall Mission إلى الصين في محاولة للمحافظة على التحالف الوطني ـ الشيوعي بالإضافة إلى كونه مهندس خطة مارشال للمساعدة على انتعاش أوروپا الغربية الاقتصادي.

قدَّر جورج مارشال George Marshall، الذي حل محل بيرْنز Byrnes وزيراً للخارجية، أن أوروپا الغربية بحاجة إلى سبعة عشر بليون دولار من المساعدات حتى تستعيد وضعها، ولكن الكونگرس الجمهوري لم يكن قد وصل إلى حد القناعة بعد. كانت نقطة التحوُّل هي الإعلان البريطاني في شباط/فبراير 1947 عن أن بريطانيا لم تعد قادرة على تقديم معونة اقتصادية ولا عسكرية لأي من تركيا أو الملكيين اليونان الذين كانوا يخوضون حرباً أهلية ضد الشيوعيين اليونان (والحقيقة هي أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تساعد بريطانيا بهذه التكاليف).

## ما مدى أهمية مبدأ ترومان وخطة مارشال؟

### الوقوف بوجه المد الشيوعي وَمبدأ ترومان

تمكّن دين آتشيسون Dean Acheson من كسب التأييد لسياسة ترومان في «الوقوف بوجه المد الشيوعي» من خلال ربط موضوع القروض الأمريكية بالنضال ضد الشيوعية، وكان يجادل في أن سقوط اليونان في براثن الشيوعيين سوف يضعف في النهاية من مكانة البلقان وأفريقيا وأوروبا الغربية (ولا سيَّما فرنسا وإيطاليا). كانت حجة «التفاحة العفِنة» (القائمة على فكرة أن دولة شيوعية واحدة سوف تبدأ بإفساد جيرانها الملاصقين لها) تشبه نظرية الدومينو Domino Theory التي أصبحت تهيمن على سياسة الولايات المتحدة الخارجية في عقود السنين القادمة.

دين آتشيسون Dean Acheson المولود سنة 1893، كان ضد الشيوعية عن إيمان. ساعد على تطوير مبدأ ترومان Truman Doctrine وخطة مارشال Marshall Plan وحلف شمال الأطلسي NATO. شغل منصب وزير الخارجية بين سنتي 1949 و1953، وشجَّع أيضاً على تقديم الدعم للصين الوطنية وعلى انخراط الولايات المتحدة والأمم المتحدة في الحرب الكورية.

أعلن ترومان Truman في خطابه أمام الكونگرس في الثاني عشر من آذار/مارس سنة 1947 عن تغيير السياسة من عدم الاكتراث إلى الوقوف بوجه المد الشيوعي، وكان عليه ـ من أجل كسب تأييد الكونگرس الجمهوري ـ أن يضخِّم من الاختلافات القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوڤييتي ويجادل في أن النضال الإيديولوجي بين الديمقراطية والشيوعية هو نضال حاسم ملمِّحاً إلى أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية توسعي عدواني ولذلك يحتاج إلى الوقوف في وجهه (على الرغم من أنه لم يأتِ مباشرة على ذكر الاتحاد السوڤييتي بالذات). هذه السياسة الجديدة ـ التي أصبحت تُعرف بمبدأ ترومان Truman Doctrine ـ تعتبر أن على جميع البلدان أن تختار بين «حرية الغرب أو عبودية الشيوعية». أعلن ترومان بعدئذ عن استعداد الولايات المتحدة لمساعدة أي بلد يقاوم «الأقليات المسلحة» أو «الضغط

نظرية الدومينو Domino Theory تقول إن السماح بوقوع دولة في براثن الشيوعية سيجعل دول الجوار تقع بعدها، مِثل قطع الدومينو المصطفة في خط. وحجة «التفاحة العفِنة» تقول إن تفاحة «عفِنة»، أي دولة (شيوعية) تفسِد جميع الأخريات إذا لم يتم التخلص منها.

الخارجي». وصادق الكونگرس في النهاية على تقديم مساعدة لليونان (ثلاثمئة مليون دولار) وتركيا (مئة مليون دولار)، وفي سنة 1949 مُنِي الشيوعيون اليونان بهزيمة نكراء بينما تحرَّكت تركيا بثبات نحو الكتلة الغربية.

طرح المؤرخون أسباباً عديدة أخرى لتبَني الولايات المتحدة الأمريكية سياسة الوقوف في وجه المد الشيوعي في الأربعينيات بهذه السرعة حيث ساد شعور فيها أن استرضاء هتلر في الثلاثينيات أدّى إلى الحرب العالمية الثانية وأنه يجب ألا يتكرر هذا الأمر مع نظام ستالين.

طُرِحت تفسيرات أخرى كثيرة، منها أن التطورات السياسية في البلدان الأخرى غير المؤيدة للرأسمالية تأييداً كاملاً قد تعرِّض للخطر قوة الولايات المتحدة الأمريكية التي خرجت من الحرب العالمية الثانية قوة عالمية عظمى ذات مصالح في شتى أصقاع الدنيا، ولذلك يجب العمل على مقاومة هذه التطورات (إذ أن الحركات القومية في المستعمرات الأوروبية في الأربعينيات كانت تهدد الموارد الحيوية للمواد الأولية والأسواق). ومنها أيضاً أن صناعة الولايات المتحدة الأمريكية وعسكرها (المجمَّعات الصناعية العسكرية) قد استفادت من اقتصاد الحرب. ويعتقد المؤرخون أن ضمان استمرار النمو يكمن في ظهور تهديد جديد يحدُث في دول المحور، وأن مثل هذه النفقات العسكرية قد تساعد على إبعاد شبح كساد اقتصادي جديد في أوروبا التي مزقتها الحرب وذلك من خلال إيجاد وظائف في المصانع والجيش.

**ما هو الطرح الذي يجب أن يخرج به مبدأ ترومان من دور الولايات المتحدة الأمريكية في «الوقوف في وجه امتداد الشيوعية»؟**

## خطة مارشال

قرر الكونگرس ـ إضافة إلى منح معونات لليونان

وتركيا ـ أن يساعد على إنعاش اقتصاديات دول أوروپا الغربية من خلال ديون أمريكية وكذلك على إنعاش اقتصاد ألمانيا.

ومن أجل ضمان تأييد الكونگرس تم إيضاح أن الدول ذات الاقتصاد الرأسمالي هي الوحيدة المؤهَّلة للحصول على المساعدة، كما أشير إلى أن الاقتصاد الأوروپي الموسَّع سيكون خيراً على الصادرات الأمريكية أيضاً. وفي الوقت ذاته ستفسح المساعدة المجال أمام انتعاش الاقتصاد الألماني ضمن المجال الأوروپي وبذلك تغلق الطريق أمام الهيمنة الألمانية التي كانت تخشاها فرنسا بخاصة.

في الثالث والعشرين من أيار/مايو سنة 1947 أيَّد كِنان Kennan الفكرة فطُرحت في الخامس من حزيران/يونيو 1947 على شكل خطة مارِشال Marshall Plan، وكانت من الناحية الفنية مفتوحة أمام الاتحاد السوڤييتي ودول أوروپا الشرقية لكن معاييرها السياسية والاقتصادية دلَّت على عدم احتمال قبولها من قبل ستالين. وفي الحقيقة فإن كلاً من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والولايات المتحدة الأمريكية رأيا فيها خطة لإضعاف سيطرة الاتحاد السوڤييتي على أوروپا الشرقية.

لم يعتمد الكونگرس الخطة في نهاية المطاف إلا في آذار/مارس 1948 (بعد الانقلاب الشيوعي في يوگوسلاڤيا في شهر شباط/فبراير) حيث قُدِّمت دفعة مؤقتة بلغت أربعة بلايين دولار، وفي شهر آب/أغسطس قدَّرت دول أوروپا الغربية احتياجاتها بثمانية وعشرين بليون دولار، برغم أن الولايات المتحدة الأمريكية خفضت هذا المبلغ إلى سبعة عشر بليوناً فقط.

كان ردُّ الاتحاد السوڤييتي على خطة مارشال في البداية

مختلطاً، فبالرغم من عدم تفضيل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية والسياسية في أوروبا، إلا أنه كان بحاجة إلى رأسمالها وبضائعها. شارك اتحاد الجمهوريات بالمناقشات الأولى حول المعونة، ولكن الرفض المتواصل من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا لدراسة تعويضات الحرب الألمانية أدّى إلى قطع المحادثات. تقرَّر استبعاد الاتحاد السوفييتي من أية مناقشات أخرى وتضخيم الاختلافات بين الجانبين لأن عدم الاتفاق هدَّد بتأخير تنفيذ خطة مارشال في وقت كانت فيه الحالة الاقتصادية خطيرة في كل من بريطانيا وفرنسا، وبحلول تموز/يوليو سنة 1947 قرر الاتحاد السوفييتي أن المشاركة في الخطة المقترَحة تنطوي على أخطار كثيرة جداً وسرعان ما رفض أية مفاوضات أخرى. أُنهيَت الاستجابات الأولى الإيجابية من تشيكوسلوفاكيا وپولونيا وهنگاريا في العاشر والحادي عشر من تموز/يوليو بتضافر الضغط السوفييتي والشكوك التشيكوسلوفاكية، أما بلگاريا ويوگوسلاڤيا ورومانيا وألبانيا وفنلندا فقد رفضت الانخراط أيضاً بين التاسع والحادي عشر من تموز/يوليو.

ساهم مبدأ ترومان وخطة مارشال بالإضافة إلى القرارات الأخرى في فترة 1946 ـ 1947 بانهيار السياسة السوفييتية للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية وبذلك لعب المبدأ والخطة ـ مع الأعمال السوفييتية في أوروپا الشرقية ـ دوراً هاماً في تقسيم أوروپا إلى معسكرين منفصلين.

**ما هو الرابط بين مبدأ ترومان** Truman Doctrine **وخطة مارشال** Marshall Plan؟

## ما هي نقاط التوتر الرئيسية في أوروبا بين سنتي 1947 وَ 1949؟

### من الانقسام إلى الحرب الباردة: 1947 ـ 1949

#### أوروبا الشرقية

بدأ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية منذ شباط/ فبراير 1946 ببذل محاولات لزيادة نفوذه في أوروبا الشرقية، ويعود ذلك جزئياً إلى اليأس الذي استولى على ستالين من إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوڤييتي الذي مزقته الحرب. تصاعدت هذه المحاولات في صيف 1947 في أعقاب مبدأ ترومان وخطة مارشال وأدَّت إلى إيجاد حكومات تهيمن عليها الشيوعية على نحو متزايد في كل من پولونيا وهنگاريا ورومانيا وألبانيا، ورأى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أوروپا مقسَّمة إلى معسكرين متنافرين واعتقد بضرورة متزيدة من السيطرة على أوروپا الشرقية ضماناً لأمْنِه. تعزَّزت هذه الرؤية عندما رفض كثير من القادة السياسيين غير الشيوعيين في هذه البلدان التعاون مع الأحزاب الشيوعية المحلية ظناً منهم أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تتدخل إلى جانبهم.

#### پولونيا

في پولونيا على سبيل المثال لم يكن ميكولايكزيك Mikolajczyk ـ نائب رئيس الوزراء الجديد وزعيم حزب الفلاحين المهم ـ متحمساً للتعاون مع الشيوعيين الپولونيين، ونتيجة لذلك تأجَّلت الانتخابات التي كانت مقرَّرة في شباط/ فبراير 1946 إلى كانون الثاني/ يناير 1947. أمَّن التلاعب الشيوعي فوز الشيوعيين، ولم يفز حزب ميكولايكزيك إلا بعدد قليل من المقاعد، وبعد ذلك اتخذ الشيوعيون خطوات لتعزيز سيطرتهم على هيئات الدولة.

## بلگاريا

في بلگاريا تجاهل الحزب الشيوعي الموافقات السوڤييتية السابقة التي تسمح لممثلي المعارضة بلعب دور في الحكومة من خلال جبهة فاذرلاند Fatherland (وهي تحالف من أحزاب اليسار والوسط يسيطر عليه الحزب الشيوعي البلگاري)، فبعد انتخابات تشرين الأول/أكتوبر 1946 تسلم الشيوعيون السلطة وبدؤوا خلال سنة 1947 حظر أنشطة أحزاب المعارضة الرئيسية.

## هنگاريا

قام حزب سمولهولدرز Smallholders اليميني (KGP) الذي فاز في انتخابات تشرين الأول/أكتوبر 1945 بتشكيل حكومة برئاسة فيرينك ناجي Ferenc Nagy الذي واجه تحالفاً بين أحزاب الشيوعيين والديمقراطيين الاجتماعيين والفلاحين الوطنيين، ولذلك اضطُر في الخامس من آذار/مارس 1946 إلى إنشاء حكومة تحالف. لكن المظاهرات المضادة لسياسات الحكومة الاقتصادية أجبرت ممثلي حزب سمولهولدرز على الاستقالة، وقامت قوات الشرطة (التي يسيطر عليها وزير شيوعي) بإغلاق مقار أحزاب المعارضة وشنِّ حملة تطهير توِّجَت باعتقال نواب حزب سمولهولدرز على خلفية تهَم مناوئة للثورة. وبحلول صيف سنة 1947 كان ناجي قد اضطر إلى الاستقالة. أدَّت الانتخابات الجديدة التي جرت في الحادي والثلاثين من آب/أغسطس 1947 إلى انتصار الشيوعيين.

## رومانيا

اعترف الغرب بالحكومة الشيوعية في رومانيا برئاسة

الدكتور بيترا گروزا Petra Groza بعد أن أُدخِل إليها ممثلون عن الفلاحين الوطنيين والليبراليين. غير أن السلطات السوڤييتية تمادت في تجاوزها للحكومة. فاز الشيوعيون وحلفاؤهم بجميع المقاعد تقريباً بعد حملة عاصِفة (وانتخاب غير نزيه) في تشرين الثاني/نوڤمبر 1946. وفي سنة 1947 أُغلِقت مقار أحزاب المعارضة الثلاثة جميعاً، ثم تنازل الملك عن العرش في الثلاثين من كانون الأول/ديسمبر 1947، ثم أُعلِنت جمهورية رومانيا الشعبية.

## تشيكوسلوڤاكيا

كانت الغاية من مكتب المعلومات الشيوعي Cominform الذي أنشأه ستالين سنة 1947 هي التنسيق بين مختلف الحكومات الشيوعية في أوروپا الشرقية والأحزاب الشيوعية في أوروپا الغربية، حيث اتخذ من بلگراد Belgrade بيوگوسلاڤيا في البداية مقراً له، ولكنه نقِل سنة 1948 إلى بوخارست Bucharest في رومانيا حينما تم طرد تيتو Tito بسبب عدم سيره في ركاب ستالين. ألغِي هذا المكتب من قبل خروتشيڤ Khrushchev سنة 1956.

في تشيكوسلوڤاكيا تطوَّرت الأحوال على نحو مختلف لأن تشيكوسلوڤاكيا ـ خلافاً لغيرها من دول أوروپا الشرقية ـ كانت قبل سنة 1939 پرلمانية ديمقراطية وكان التأييد للحزب الشيوعي التشيكي والاتحاد السوڤييتي قوياً جداً. فاز الشيوعيون بثمان وثلاثين بالمئة من الأصوات في انتخابات حرّة نزيهة جرت في السادس والعشرين من أيار/مايو سنة 1946 وتم على إثرها تشكيل حكومة تحالف.

لم تبدأ ممارسة المضايقات على غير الشيوعيين إلا في صيف سنة 1947 حين وقعت سلسلة من الأزمات الاقتصادية. قدمت الحكومة التشيكية إلى الولايات المتحدة الأمريكية طلباً لمعونة مالية تم رفضه على خلفية رفض الحكومة السابقة لخطة مارشال وظهور توترات الحرب الباردة. مارس الحزب الشيوعي التشيكي بعدئذ ضغوطاً على الحكومة من خلال الدعوة إلى برنامج إصلاح اقتصادي يتميَّز براديكالية أكثر ويشتمل على التأميم. وعندما بدأ وزير الداخلية الشيوعي بتعيين «رفاق موثوقين» في مناصب هامة في الشرطة والتحضير لمحاكمات صورية، استقال الوزراء غير الشيوعيين في

العشرين من شباط/فبراير 1948، فنظَّم الشيوعيون مظاهرات حاشدة ضد الحكومة ثم دَعَوا إلى الإضراب العام في الرابع والعشرين من شباط/فبراير، وبعدئذ استقال بقية الوزراء غير الشيوعيين جميعاً.

أصبح گوتوولد Gottwald زعيم الحزب الشيوعي التشيكي رئيساً للوزراء بعد إقناع بينيش Benes غير الشيوعي بتأييده، وقاما بتشكيل حكومة وتم استبدال المستقيلين بمؤيدين للحزب الشيوعي. وفي انتخابات جديدة فاز الشيوعيون وحلفاؤهم بأكثر من ست وستين بالمئة من المقاعد وتم استبدال بينيش.

مبدأ المعسكرين المتعارضين two opposing camps هو الرَّد السوڤييتي على مبدأ ترومان Truman Doctrine وقد أعلِن للمرة الأولى من قبل جدانوف Zhdanov في المؤتمر الأول لمكتب المعلومات الشيوعي الذي انعقد في نهاية أيلول/سپتمبر 1947. رأى جدانوف أن عالَم مابعد الحرب مقسم إلى معسكرين: المعسكر الديمقراطي المعادي للإمپريالية بقيادة سوڤييتية والمعسكر الإمپريالي المعادي للديمقراطية بقيادة أمريكية، كما بيَّن أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى من خلال مبدأ ترومان وخطة مارشال للسيطرة على أوروپا وتحضّر لحرب جديدة من أجل تحقيق الهيمنة على العالم، وأن الكتلة السوڤييتية هي الوحيدة التي تقف في وجه هذا الأمر وتحاول المحافظة على السلم العالمي.

## نقطة التحول في سياسة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الخارجية

في الثاني والعشرين من أيلول/سپتمبر سنة 1947 تقدمت السيطرة السوڤييتية على بلدان أوروپا الشرقية خطوة إلى الأمام عندما اجتمعت ـ في پولونيا ـ الأحزاب الشيوعية في هذه البلدان واتفقت على إنشاء مكتب المعلومات الشيوعي Cominform وأدانت ـ بتأثير من جدانوف Zhdanov ـ خطة مارشال على خلفية أنها تحضِّر لتوسيع سيطرة الولايات المتحدة من أجل شنِّ حرب عالمية جديدة. تحدَّث جدانوف في خطابه الافتتاحي عن العالم المقسَّم إلى معسكرين متعارضين. وكان القصد من مكتب المعلومات الشيوعي هو إبقاء الأحزاب الشيوعية في أوروپا تحت سيطرة موسكو، وكانت تلك خطوة مهمّة وتميِّز نهاية سياسة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الخارجية المرنة والمترددة تجاه الأفعال التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ذلك أن الاتحاد السوڤييتي ـ حتى بعد رفض خطة مارشال ـ لم

يكن قد حزم أمره بشأن الخطوة التالية التي يجب اتخاذها.

**كيف ساهم إنشاء مكتب المعلومات الشيوعي Cominform من قبل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية سنة 1947 في زيادة توترات الحرب الباردة سوءاً؟**

وهكذا برهَن مبدأ ترومان وخطة مارشال وإعادة بناء ألمانيا على أنها جميعاً نقاط تحوُّل مهمّة في سياسة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الخارجية، كذلك فإن هذه السياسات عزَّزت أيضاً من مواقف المستشارين السوڤييت المؤيِّدين لسياسة أكثر عدوانية وتوسُّعية.

## يوگوسلاڤيا

كانت يوگوسلاڤيا أحد الاستثناءات في التطورات الحاصلة في أوروبا الشرقية حيث كان تيتو Tito قد أسس حكومة شيوعية بالرغم من اتفاق «النسب المئوية» الذي أبرمه ستالين مع تشرشل. بدأت المشكلات بالظهور بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ويوگوسلاڤيا حين أبرم تيتو في أواخر سنة 1947 معاهدات مع بلگاريا ورومانيا وهنگاريا توافق على التعاون الاقتصادي، ثم أعلن في كانون الثاني/ يناير 1948 عن تشكيل اتحاد جمركي مع بلگاريا قبل قيام الاتحاد البلقاني Balkan Federation. قرَّر ستالين بعد شيء من التردّد أن يعارض ذلك برغم تراجع بلگاريا، فرفض تيتو الخضوع. ولما كان ستالين رافضاً أن يضع موضوع التوسع في الصناعات الثقيلة على سُلَّم أولويّاته فقد سحب جميع المستشارين الاقتصاديين والعسكريين السوڤييت من يوگوسلاڤيا في آذار/ مارس 1948 من أجل أن يطيح به، إلا أن تيتو قاوم وأيَّده الحزب الشيوعي اليوگوسلاڤي في ذلك، ثم اعتقل أعوان ستالين اليوگوسلاڤ. طُرِدَت يوگوسلاڤيا في حزيران/ يونيو 1948 من مكتب المعلومات الشيوعي لأسباب تتعلق «بوعي قوميّ بورجوازي»، وقطعت بلدان أوروبا الشرقية الأخرى علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع يوگوسلاڤيا بضغط

تيتو Tito واسمه الحقيقي جوزيف بروز Joseph Broz وُلِد سنة 1892 وأصبح عضواً بارزاً في الحزب الشيوعي اليوگوسلاڤي بعد الحرب العالمية الأولى، ونظَّم أثناء الحرب العالمية الثانية مقاومة الأنصار ضد قوات المحور. تجاهل تيتو سنة 1945 تعليمات ستالين بتشكيل حكومة تحالف مع الأحزاب غير الشيوعية وقام بدلاً من ذلك بتشكيل حكومة شيوعية. أدّى استمراره في الاختلافات مع ستالين إلى طرده في النهاية من الكتلة الشرقية سنة 1948، حيث اتبع منذ ذلك التاريخ سياسة عدم الانحياز non-alignment.

من الاتحاد السوفييتي، وتبع ذلك حملة تطهير «مؤيدي تيتو» من صفوف الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية.

**لماذا حصل شرْخ في أوروبا الشرقية بين يوگوسلاڤيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية؟**

أُعطِيت تعليمات في نفس الوقت للأحزاب الشيوعية الغربية بشن حملة ضد خطة مارشال وتم تنظيم إضرابات احتجاجية في فرنسا وإيطاليا في شتاء 1947 ـ 1948. وأفضت مثل هذه الأعمال إلى عُزلة هذه الأحزاب وإلى طردها من حكومات ما بعد الحرب الائتلافية. واتضَح أن الحرب الباردة كانت تلقي بظلالها على السياسات الداخلية والدولية أيضاً.

مع قيام مكتب المعلومات الشيوعي، دفع الاتحاد السوڤييتي بشدة باتجاه إقامة دول «الديمقراطيات الشعبية» في أوروبا الشرقية وأن يُسيَّر الاقتصاد فيها على خطى النمط السوڤييتي. وبحلول صيف سنة 1948 تم إقصاء غير الشيوعيين من حكومات الائتلاف ونقاط النفوذ السياسي في جميع دول أوروبا الشرقية من خلال الانتخابات المزيّفة والترويع والاعتقالات والمحاكمات الصورية والتطهير السياسي. تزايدت عمليات استبدال زعماء الأحزاب الشيوعية المحلية بالذين انتقاهم ستالين فقويَت بذلك السيطرة السوڤييتية على الدول التابعة. ولم تؤدِّ مثل هذه الأفعال إلا إلى زيادة الدعم الغربي لسياسة ترومان في الوقوف بوجه المد الشيوعي.

## استمرار مشكلة ألمانيا

أصبحت ألمانيا أحد العوامل الرئيسية في العلاقات التي تزداد سوءاً بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، إذ اتضح بعد سنة 1945 أنها ستكون أساساً في توازن القوى الأوروبية (وحتى العالمية)، وأنها على درجة قصوى من الأهمية في مجال الهواجس الأمنية السوڤييتية. خشِيَ الطرفان من أن تصبح ألمانيا

ـ مع تحوُّل التوترات إلى حرب باردة ـ جزءاً من المعسكر المعارض.

تم الاتفاق في پوتسدام Potsdam على وجوب التعامل مع ألمانيا كوحدة اقتصادية واحدة وأن تتم إدارتها من قبل مجلس المراقبة التابع للحلفاء، وذلك على الرغم من تقسيمها على نحو مؤقت إلى أربع مناطق حليفة، وأن تُقسَّم مدينة برلين الواقعة في عمق المنطقة السوڤييتية من ألمانيا إلى أربع مناطق وأن تُطبَّق (التاءات الخمس) على ألمانيا، غير أن مشكلة التعويضات الحربية ـ المستعصية على الحل ـ ما زالت تسبب مشكلات بين الاتحاد السوڤييتي والحلفاء الآخرين. كذلك قامت التوترات حول التطورات السياسية في المنطقة السوڤييتية حينما انضم الديمقراطيون الاشتراكيون (SPD) والشيوعيون (KPD) لتشكيل حزب الوحدة الاشتراكي (SED) وكانت غالبية الديمقراطيين الاشتراكيين العاديين في المنطقة الشرقية تؤيد هذا الأمر على ما يبدو. ومما يثير قلق الغرب بخاصَّة هو أنَّ حوالي ثلاثين بالمئة من الاشتراكيين الديمقراطيين في المناطق الغربية يحبّذون هذا الضمّ ويريدون أن يصبح حزب الوحدة الاشتراكي حزباً لعموم ألمانيا. ورفضَ الحلفاء الغربيون السماح بمثل هذا الأمر.

التاءات الخمس (التخلص من الأسلحة، التخلص من النازية، ترسيخ الديمقراطية، التخلي عن التصنيع، التحول إلى اللامركزية)

كان الموضوع الأساس اقتصادياً إذ أُعْجِب الاتحاد السوڤييتي بالفكرة التي طرحها وزير الخزانة الأمريكي هـ. ج. مورگنثاو الابن H.J. Morgenthau, Jr. حول «رَعَويَّة» ألمانيا، وهذه السياسة تعني تدمير الاقتصاد الألماني وإيجاد اقتصاد أساسه زراعي. لكن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا سرعان ما قرَّرَتا ضرورة إنعاش الصناعة الألمانية لأنها ضرورية لاسترجاع اقتصاد الغرب الأوروپي، ولأنهما غير قادرتين على مساندة الاقتصاد الألماني إلى اللانهاية أو غير راغبتين بذلك.



صورة ساخرة تعود إلى سنة 1949 تبين مخاوف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بخصوص خطط الحرب تجاه ألمانيا السوفييتية بشأن خطط الغرب حيال ألمانيا

كليه Clay، المولود سنة 1897 كان قائداً للقوات الأمريكية في أوروبا والحاكم العسكري للمنطقة الأمريكية من ألمانيا في فترة 1947 ـ 1949، وهو مشهور بتنظيمه جسر برلين الجوي.

في نيسان/ابريل 1946 أبلغ الحاكم العسكري الأمريكي الجنرال كليه Clay وزارة الخارجية الأمريكية باعتقاده أن الاتحاد السوفييتي كان يبدي تعاوناً في اتفاق پوتسدام Potsdam وأنه لا يخطط لشنِّ هجوم. غير أن وزير الخارجية الأمريكي بايرْنز Byrnes قرر اختبار هذا الأمر في اجتماع باريس لمجلس وزراء خارجية الحلفاء الذي بدأ في وقت لاحق من ذلك الشهر، فاقترح على الحلفاء وجوب توقيع ميثاق لنزع سلاح ألمانيا مدته 25 سنة. وعلى الرغم من أن مولوتوف Molotov وزير الخارجية السوفييتي لم يرفض ذلك، إلا أن الاجتماع انفضَّ بسبب استمرار رفض الولايات المتحدة دراسة مسألة تعويضات الحرب.

وبعدئذ تم إبلاغ كليه Clay في الثالث من أيار/مايو 1946 بإيقاف جميع دفعات تعويضات الحرب للاتحاد السوڤييتي بسبب عدم الاتفاق على سياسة تجارية لعموم ألمانيا. وفي السابع والعشرين من تموز/يوليو 1946 اتفقت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على ضم منطقتيهما لتشكيل وحدة اقتصادية واحدة تعرَف باسم المنطقة الثنائية Bizonia وتمَّ ذلك في كانون الثاني/يناير 1947، وفي السادس من أيلول/سبتمبر أقنع بايرْنز Byrnes الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالدعوة إلى إعادة بناء الصناعة الألمانية.

بعد ذلك أعلنت بريطانيا في شباط/فبراير 1947 أنها لم تعد قادرة على دفع تكاليف الاحتلال أو مدِّ الاقتصاد الألماني بأسباب القوة وذلك إضافة إلى عجزها عن توفير الدعم الدائم للملكيين اليونان، وأوضحت أنها قد تنسحب من المنطقة الثنائية Bizonia إذا لم ينتعش الاقتصاد الألماني. أُثيرت مسألة التعويضات الحربية مرة أخرى في اجتماع مجلس وزراء الخارجية المنعقد في آذار/مارس ونيسان/ابريل. وعلى الرغم من تحبيذ كليه Clay لبعض التنازلات في هذا المقام إلا أن مارشال Marshall عارض، أما دالِس Dulles فادعى أن اقتصاداً ألمانياً منتعشاً سيساعد على حل مشكلات فرنسا الاقتصادية من خلال إيجاد سوق تصديرية قوية للصناعة الفرنسية.

بعد طرح مبدأ ترومان وخطة مارشال في حزيران/يونيو 1947، بدأ الاتحاد السوڤييتي ينظر إلى هذه الخطوات كمحاولات لبناء اقتصاد ألمانيا الغربية التي يعيش فيها 75٪ من السكان الألمان وتحتوي على المناطق الصناعية الهامة، وأن

دولة ألمانية غربية كهذه قد تشكل تهديداً عسكرياً في المستقبل كما كانت في الماضي، وبخاصة إذا تحالفت مع ما يراه الاتحاد السوڤييتي من عداوة الولايات المتحدة الأمريكية التي تتزايد . خشي السوڤييت من أن تؤدي الخطط الغربية تجاه ألمانيا إلى ردٍّ أكثر تشدداً. وفي اجتماع لندن لمجلس وزراء الخارجية الذي عُقِد في تشرين الثاني/نوڤمبر وكانون الأول/ديسمبر 1947 اتفقت بريطانيا والولايات المتحدة على واحدة من آخر محاولات إنعاش اقتصاد ألمانيا موحَّدة.

غير أنهما توقعتا فشل المحادثات لأنهما لم تكونا تنويان الموافقة على الطلبات السوڤييتية بتعويضات الحرب (وهما تعرفان أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لن يوافق دون تعويضات على المدى الطويل). وقد اتفقتا على أنه في حال حصول ذلك ـ وهذا ما حصل بالفعل ـ فإن عليهما أن تطوِّرا المنطقة الثنائية Bizonia وتطرحا إصلاحاً نقدياً كخطوات أولى نحو إقامة دولة ألمانية غربية منفصلة. وفي شباط/فبراير 1948 نظَّمت الولايات المتحدة الأمريكية محادثات أخرى، وفي السابع من حزيران/يونيو 1948 تم القبول بتوصيات لندن، حيث اشتملت على أن تضم فرنسا منطقتها إلى المنطقة الثنائية Bizonia لتشكيل منطقة ثلاثية Trizonia وكذلك اقتراحات بجمعية تأسيسية تمثل المقاطعات الألمانية للبدء بوضع دستور للدولة الجديدة. وفي حزيران/يونيو طرح الغرب المارك الألماني ـ دون استشارة الاتحاد السوڤييتي ـ ليحل محل مارك الرايخ Reichsmark في ألمانيا الغربية، وامتد هذا الطرح في الثالث والعشرين من حزيران/يونيو ليشمل برلين الغربية.

المقاطعات Länder هو اسم الدول المنفصلة التي شكلت جمهورية ألمانيا الاتحادية

**لماذا اندلعت الأزمة بشأن ألمانيا سنة 1948؟**

## حصار برلين

حاول الاتحاد السوفييتي الذي عارض فكرة دولة ألمانية غربية منفصلة أن يمنع هذا الأمر بتركيز الضغط على برلين الغربية من خلال قطعه في الرابع والعشرين من حزيران/ يونيو 1948 جميع طرق المواصلات البرية والسكك الحديدية والشحن. وكان حصار برلين يمثل أول نزاعات الحرب الباردة بين الجانبين. وعلى الرغم من قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتحويل ستين من قاذفاتها من طراز ب29 (القادرة على إلقاء قنابل نووية) إلى بريطانيا، إلا أنه لم يتم التزويد بأية قنبلة ولم تتطور هذه الأزمة إلى حرب «ساخنة».

## جسر برلين الجوي

وبدلاً من ذلك ردَّ الحلفاء بإقامة جسر برلين الجوي الهائل الذي تم من خلاله نقل أطنان من الأطعمة والوقود والمواد الأساسية الأخرى جواً من المنطقة الثلاثية Trizonia إلى برلين الغربية لتزويد سكانها المليونين بالمؤن. تم تنظيم الجسر الجوي من قبل الجنرال كليه Clay واستمر حوالي سنة ـ حتى أيار/ مايو 1949 ـ حين دفع فشل الحصار الواضح ستالين إلى رفعه في نهاية المطاف.

أدّى حصار برلين الذي صُمِّم لإجبار الغرب على التخلي عن فكرته بدولة ألمانية غربية منفصلة، إلى تسريع هذا الأمر الذي كان ينوي إيقافه. صوَّر الغرب ذلك كمحاولة من الاتحاد السوفييتي لطرد الحلفاء من برلين الغربية استعداداً للاستيلاء على المناطق الغربية من ألمانيا. ووافق رئيس وزراء المقاطعات الألمانية الذي قبل في البداية متردداً بوجود دولة ألمانية غربية منفصلة، على هذه الدولة الآن كوسيلة لتأمين الحماية الأمريكية ضد «الاستحواذ» السوفييتي «على الحكم».

ماذا كان التأثير المباشر لأزمة برلين على الحرب الباردة بعد سنة 1949؟

أقيمت في أيار/مايو 1949 جمهورية ألمانية الاتحادية الجديدة Federal Republic of Germany وباشرت أولى حكوماتها عملها في أيلول/سبتمبر 1949. وفي السابع من تشرين الأول/أكتوبر وافق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أخيراً على تقسيم ألمانيا وأعلن تحويل منطقته الشرقية إلى دولة جديدة سمِّيت جمهورية ألمانيا الديمقراطية German Democratic Republic. وسرعان ما أصبح تقسيم ألمانيا على هذا النحو يمثل تقسيماً لأوروپا إلى معسكرين يحملان نفس الدرجة من الشك والعداء المتبادلين. وفي وقت لاحق من سنة 1955 تأكدت المخاوف السوڤييتية من رغبة الغرب بألمانيا منتعشة على تحالف وثيق بالولايات المتحدة الأمريكية حينما سُمِح لألمانيا الغربية بالانضمام إلى حلف شمال الأطلسي NATO.

## التطورات العسكرية

لم يكن روزڤلت Roosevelt يظن أن الاتحاد السوڤييتي يشكل تهديداً خطيراً لأمن الولايات المتحدة حين كان رئيساً لها، وكان مستعداً لتقديم بعض التنازلات، يحدوه إلى ذلك إدراكه للتاريخ والمخاوف الروسية ولحقيقة أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية كان على شفير الهزيمة خلال الحرب العالمية الثانية. كان يعتقد اعتقاداً خاصاً أن الاتحاد السوڤييتي يرغب بأشياء ثلاثة: منطقة نفوذ في أوروپا الشرقية (وفي تلك الدول الوسط أوروپية والآسيوية التي لها حدود مشتركة أيضاً مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، إن أمكن)، والتعويضات الحربية من دول المحور السابقة (ولاسيَّما ألمانيا) والدَّعم المالي الأمريكي لإعادة بناء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. ولم يكن يعني ذلك

أنه ينوي إعطاء ستالين كل شيء يريده، وكان يتوقع أن تتم أية تنازلات تجاه هذه الأمور وفق الشروط الأمريكية.

غير أن وفاة روزڤلت وتسلُّم ترومان سدَّة الرئاسة أفسحا المجال أمام بايْرنز Byrnes للدفع باتجاه سياسة أشد حيث أراد ضمان ألا تُعطى التنازلات إلا إذا قبل الاتحاد السوڤييتي أن تكون الولايات المتحدة هي الدولة الأقوى بناء على احتكاراتها النووية. وعندما لم تأتِ الديون الأمريكية اعتمد ستالين على التعويضات الحربية، وحينما استمر رفض الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لهذه التعويضات التفت الاتحاد السوڤييتي لمتابعة موضوع الأمن من خلال إحكام السيطرة على أوروپا الشرقية وتطوير أسلحته الذرية الخاصة.

لم يكن يتساءل علناً عن حقيقة التهديد العسكري المفهوم من جانب الاتحاد السوڤييتي سوى قلَّة من المعاصرين، من أمثال الجنرال كليه Clay والمؤرخ إسحق دويتشر Isaac Deutscher، الذين رأوا أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ضعيف من الناحيتين العسكرية والاقتصادية. أما غالبية الآخرين فكانوا يقبلون بفكرة كِنان Kennan أن الاتحاد السوڤييتي يشكل تهديداً خطيراً ويجب الوقوف في وجه إيديولوجيته المعادية. اعتمدت بلدان أوروپية غربية كثيرة على قوتها العسكرية بالإضافة إلى التطلّع إلى المساعدة الاقتصادية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية. فبريطانيا ـ على سبيل المثال ـ أرادت المساعدة الأمريكية من أجل دعم مصالحها في أوروپا والشرق الأوسط، في حين احتاجت فرنسا إلى هذه المساعدة للمحافظة على موقعها الاستعماري في جنوب شرق آسيا. أما الولايات المتحدة الأمريكية فلم تكن ترغب في أخذ هذا الدور العسكري على عاتقها (لأسباب ذاتية)، وتوصَّل مستشارو ترومان إلى الاعتقاد

أنهم قد يربحون الحرب الباردة الظاهرة للعيان من خلال العمل على تحقيق نمو اقتصادي هائل في الغرب يمكن أن «يفوز» عندئذ بابتعاد الدول الأوروپية الغربية عن الاتحاد السوڤييتي.

دفعت الأفعال السوڤييتية في أوروپا الشرقية ـ وبخاصة استيلاء الشيوعيين على الحكم في تشيكوسلوڤاكيا في شباط/ فبراير 1948 ـ دول أوروپا الغربية لتشكيل منظمة معاهدة بروكسِل Brussels Treaty Organization. وكان بعض المستشارين الأمريكيين ومنهم كنان Kennan، قد توصلوا حينذاك إلى الاعتقاد بأن الموقف المتشدد الذي اتخذه الغرب سنة 1947 جعل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية مستعداً للتفاوض من أجل التنازل عن منطقة نفوذه.

لكن آخرين (من أمثال كليه Clay)، تخوَّفوا من أن ضعف الاتحاد السوڤييتي العسكري الكامل قد يؤدي به إلى شن حرب «دفاعية» في المستقبل القريب وقبل أن يتعاظم عدم التوازن بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والولايات المتحدة الأمريكية. كذلك فإن وكالة المخابرات المركزية CIA أصدرت أيضاً تحذيرات من احتمال أن يبادر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بالضربة الوقائية مما دفع بترومان إلى طلب موافقة الكونگرس على تدريب عسكري لجميع الرجال الأمريكيين وخدمة عسكرية انتقائية للبعض منهم.

وبحلول أواخر سنة 1948 توصَّل كل من مارشال Marshall وكِنان Kennan إلى أن ردَّ الاتحاد السوڤييتي المحدود على أزمة برلين دلَّ على أن التهديد السوڤييتي سياسي وليس عسكرياً، وعليه فقد اعتقدا أن الوقوف في وجهه ممكن

وُلِد إرنست بيڤن Ernest Bevin سنة 1881، وكان عضواً في اتحاد العمال وسياسياً... وبوصفه أميناً عاماً للاتحاد العمالي العام ساعد على التخطيط لإضراب 1926 العام. وبين سنتي 1940 و 1945 شغل

منصب وزير العمل والخدمة الوطنية، وكان بين سنتي 1945 و1951 وزيراً للخارجية واتبع خطاً قوياً في معاداة السوڤييت وموالاة الولايات المتحدة.

بوسائل غير عسكرية لأن القوة السوڤييتية كانت في أوجها وسرعان ما ستميل نحو الانحدار وبخاصة في حال تزايد قوة الغرب الاقتصادية (والعسكرية أيضاً). بعد انتهاء أزمة برلين عمِل بيڤن Bevin وزير الخارجية البريطاني ـ عملاً جدياً ـ على إدخال الولايات المتحدة الأمريكية ضمن تحالف أوروپي. وكشفت أزمة برلين في الوقت ذاته عن استعداد الولايات المتحدة لاتخاذ موقف ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وأن ستالين غير مستعد للمخاطرة في نزاع «ساخن». وهكذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر رغبة بالموافقة على إقامة تحالف عسكري عالمي. وفي الرابع من نيسان/ ابريل 1949 تحولت منظمة معاهدة بروكسل إلى منظمة حلف شمال الأطلسي (NATO) مع دخول الولايات المتحدة الأمريكية وكندا عضوين جديدين فيها. تم التوقيع على المعاهدة في واشنطن وكان واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية هي العضو الأقوى، وفي الحقيقة فإن حلف شمال الأطلسي قام منذ البداية على احتكار الولايات المتحدة الأمريكية النووي.

تم إنشاء (مجلس المعونة الاقتصادية المشترك Comecon) سنة 1949 لتنسيق التطوير الصناعي والتجاري بين الاتحاد السوڤييتي ودول أوروپا الشرقية التابعة له ولمنع التجارة مع الغرب. أصر الاتحاد السوڤييتي في البداية على شروط تفضيلية ولا سيَّما فيما يتعلق بالتزويد بالمواد الأولية التي أرادها ستالين لإعادة بناء الصناعة السوڤييتية، ولكن الشروط أصبحت أكثر تكافؤاً في عهد خروتشيف Khrushchev وتم في سنة 1964 إنشاء مصرف للدول الاشتراكية.

لم يكن الردّ السوڤييتي على التوترات المتزايدة التي جاءت بعد أزمة برلين ردّاً عسكرياً رئيسياً، بل سياسياً. ففي كانون الثاني/ يناير 1949 أعلَن (الاتحاد السوڤييتي) عن تشكيل مجلس المعونة الاقتصادية المشترك Comecon الذي ربط دول أوروپا الشرقية بمزيد من القيود بالاتحاد السوڤييتي. أثار تشكيل حلف شمال الأطلسي قلقاً أمنياً هائلاً لدى القيادة السوڤييتية لأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لم يكن على الغالب سوى قوة إقليمية، في حين كانت أقدام الولايات المتحدة الأمريكية قد ترسَّخت كقوة عالمية عظمى . إن انتصار الشيوعيين الصينيين الذي أدّى إلى وجود جمهورية الصين

الشعبية في تشرين الأول/أكتوبر 1949 لم يفعل الكثير في مجال تسهيل العلاقة بين القوى المتعارضة في الحرب الباردة لأن الصين كانت ضعيفة من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية وتحتاج إلى المساعدة السوڤييتية، مما يعني أن الصين لم تكن حليفاً لروسيا يُقارَن ببريطانيا وفرنسا كحليفين للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما جعل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية كقوة عظمى، أضعف بكثير من الولايات المتحدة الأمريكية.

تزايدت المخاوف السوڤييتية عندما تم في الخمسينيات تنظيم أحلاف مماثلة في المحيط الهادي والشرق الأوسط تحت هيمنة الولايات المتحدة، وهذه الأحلاف التي وسَّعت من انتشار قواعد الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية لم تؤدِّ إلا لعزلة الاتحاد السوڤييتي العالمية.

## سباق التسلح النووي

حدث في شهر آب/أغسطس 1949 تطور مهم في الحرب الباردة أعطى بُعداً جديداً للعلاقات الدولية بين الشرق والغرب حينما أصبح في مقدور الاتحاد السوڤييتي أن يفجِّر قنبلته الذرية الأولى، وكان ذلك إيذاناً بانتهاء الاحتكار النووي الأمريكي وابتداء سباق تسلح نووي لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت عازمة على البقاء متقدمة على القدرات العسكرية السوڤييتية في حين كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية (الذي كان يحاول منذ بعض الوقت تطوير أسلحة ذرية) مصمِّماً بنفس القدر على مجاراة قدرات الولايات المتحدة النووية. وبحلول سنة 1952 كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد طوَّرت سلاحاً نووياً أكثر قوة ـ القنبلة الهيدروجينية ـ التي انطلقت بعصر التيرمو ـ نووي، لكن اتحاد

الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية استطاع مجاراتها بحلول سنة 1953.

## المصادر التاريخية

### 1 . وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال يعلن عن خطته في خطاب بجامعة هارڤرد.

إنه لأمر منطقي أن تحاول الولايات المتحدة الأمريكية فعل ما بوسعها لتساعد على استعادة العالم عافيته الاقتصادية التي لا يمكن دونها وجود استقرار سياسي وسلام راسخين.

سياستنا ليست موجهة ضد أي بلد أو مبدأ بل ضد الجوع والفقر واليأس والفوضى، ويجب أن يكون هدفها إنعاش اقتصاد عامِل في العالم لكي يفسح المجال أمام ظهور ظروف سياسية واجتماعية، يمكن للمؤسسات الحرة أن تعيش فيها.

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن 1992، ص 16

### 2 . نائب وزير الخارجية السوڤييتي أندريه ڤيشينسكي متحدثاً أمام الأمم المتحدة في السابع عشر من أيلول/ سپتمبر 1947

إنَّ ما يُسمَّى بمبدأ ترومان وخطة مارشال بخاصَّة هي أمثلة ساطعة على الطريقة التي تُنتهَك فيها مبادئ الأمم المتحدة، وعلى الطريقة التي يتم فيها تجاهل المنظَّمة. . .

يبدو أكثر وضوحاً للعيان أمام الجميع أن تنفيذ خطة مارشال سيعني وضع البلدان الأوروپية تحت سيطرة الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية والتدخل المباشر من قِبَلها في الشؤون الداخلية لهذه البلدان. . .

إن إحدى سِمات الخطة هي محاولة وضع بلدان أوروپا الشرقية في مواجهة كتلة من دول أوروپا الغربية تشمل ألمانيا الغربية.

م. ماك كولي، أصول الحرب الباردة، 1941 ـ 1949، لندن 1995، ص 140 ـ 141

# 13 العلاقات المتقلّبة:
# أوروبا بين سنتي 1949 ـ 1968

**أسئلة تركيزية**

◆ إلى أي مدى تقلبت العلاقات بين المعسكرين في فترة 1949 ـ 1968؟

◆ كيف كان «تعايش» خروتشيف «السلمي» «مختلفاً» عن السياسة الخارجية السوڤييتية السابقة؟

**تواريخ هامة**

1950 آذار/ مارس: التماس ستوكهولم Stockholm

1952 آذار/ مارس: «ملاحظات ستالين» عن ألمانيا، محاكمات صورية في تشيكوسلوڤاكيا

تشرين الثاني/ نوڤمبر: الولايات المتحدة الأمريكية تفجّر قنبلة هيدروجينية

1953 كانون الثاني/ يناير: آيزنهاور Eisenhower يصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

آذار/ مارس: وفاة ستالين

حزيران/ يونيو: ثورة العمال في جمهورية ألمانيا الديمقراطية

تموز/ يوليو: اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية يفجّر قنبلة هيدروجينية

1955 شباط/ فبراير: ظهور خروتشيف Khrushchev زعيماً سوڤييتياً رئيساً

أيار/ مايو: انضمام ألمانيا الغربية إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو NATO)، تشكيل حلف وارسو Warsaw، معاهدة حول الحياد النمساوي

تموز/ يوليو: قمة جنيف Geneva

1956 شباط/ فبراير: المؤتمر العام العشرون للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي، حلّ مكتب المعلومات الشيوعي

حزيران/ يونيو: القلاقل في پولونيا تؤدي إلى إصلاحات

تشرين الأول/ أكتوبر: الثورة الهنگارية

تشرين الثاني/ نوڤمبر: القوات السوڤييتية تغزو هنگاريا

1957 تشرين الأول/ أكتوبر: اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية يطلق القمر الصناعي سپوتنيك Sputnik

1958 تشرين الثاني/ نوڤمبر: إنذار خروتشيف النهائي وبدء أزمة جديدة بسبب برلين

1959 أيلول/ سپتمبر: اجتماع كامب ديڤيد Camp David

1960 أيار/ مايو: قمة باريس، حادثة طائرة التجسس يو ـ 2

1961 آذار/ مارس: الطيران الفضائي السوڤييتي المأهول

حزيران/ يونيو: قمة ڤيينا Vienna

آب/ أغسطس: بناء سور برلين

1964 تشرين الأول/ أكتوبر: بريجنيف Brezhnev

وكوسيگين Kosygin يحلان محل خروتشيف

1968 نيسان/ابريل: دوبتشيك Dubcek يبدأ ربيع پراغ Prague في تشيكوسلوڤاكيا

تموز/يوليو: رسالة وارسو

آب/أغسطس: تصريح براتيسلاڤا Bratislava، قوات حلف وارسو تغزو تشيكوسلوڤاكيا

تشرين الثاني/نوڤمبر: مبدأ بريجنيف Brezhnev

## نظرة شاملة

تحوَّلت توترات الحرب الباردة منذ سنة 1949 تحوُّلاً رئيسياً إلى آسيا ـ مع الانتصار الشيوعي في الصين وبدء الحرب الكورية في السنة التالية ـ بسبب قلق الولايات المتحدة الأمريكية تجاه ضياع الصين. وفي أوروپا تصاعدت الحرب الباردة بسبب تفجير الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتها الهيدروجينية الأولى، مما جعل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية يشعر بمزيد من الضعف على ضوء الريادة النووية التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقوم على ترسيخها.

غير أن توترات الحرب الباردة بدأت بالذوبان بعد وفاة ستالين في آذار/مارس 1953 وذلك بالرغم من قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بتفجير قنبلته الهيدروجينية الأولى بعد فترة قصيرة جداً، وسرعان ما أعلنت القيادة السوڤييتية الجديدة عن الرغبة في التفاوض على مشكلات الحرب الباردة، مثلما عبَّر عن ذلك كل من آيزنهاور Eisenhower وتشرشل.

تقلَّبت العلاقات بين الجانبين لاسيَّما بعد انضمام ألمانيا الغربية إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو NATO) في أيار/مايو

1955. وعلى الرغم من ردِّ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بإنشاء حلف وارسو Warsaw Pact إلا أن الجانبين أبرما معاهدة تؤسس حياد النمسا Austria. وفي تموز/يوليو 1955 عُقِد اجتماع قمة في جنيڤ Geneva تمت فيه مناقشة نقاط عامة تتعلق بالحرب الباردة.

تجدَّدت التوترات سنة 1956 بسبب أزمة السويس Suez وهنگاريا Hungary وبرزت خلافات على برلين سنة 1958. ويبدو أن حلَّ هذه المواضيع حصل بحلول نهاية سنة 1959 في اجتماع كامپ ديڤيد Camp David. لكن التوترات التي خفت حدتها سرعان ما اشتدَّت بسبب حادث طائرة التجسس يو ـ 2، الذي قطع قمة باريس سنة 1960. وفي تشرين الثاني/نوڤمبر تم انتخاب كِنِدي Kennedy رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

أدَّت التوترات المتجددة بسبب برلين إلى بناء سور برلين Berlin Wall سنة 1961، وبرغم ذلك (إضافة إلى أزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962) فقد وقعت معاهدة حظر التجارب النووية في آب/أغسطس 1963، لكن سنة 1968 شهِدَت غزو تشيكوسلوڤاكيا من قِبَل حلف وارسو والإعلان عن مبدأ بريجنيڤ Brezhnev Doctrine.

وُلِد دوايت آيزنهاور Dwight Eisenhower سنة 1890، وكان قائداً لكل من غزو شمال أفريقيا سنة 1942 وغزو أوروپا من قبل الحلفاء سنة 1944. عُيِّن بعد ذلك رئيساً لهيئة أركان الجيش، وفي سنة 1949 قائداً لحلف شمال الأطلسي (الناتو). فاز بانتخابات الرئاسة سنة 1952. كانت آراؤه بالاتحاد السوڤييتي تشبه آراء ترومان Truman. ساعد على إنهاء الحرب الكورية، لكنه أمر بتحليق طائرات يو ـ 2 فوق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وباشر بخطط لغزو كوبا Cuba (حيث أنفذه كِنِدي Kennedy فيما بعد).

## إلى أي مدى تقلَّبت العلاقات بين المعسكرين في فترة 1949 ـ 1968؟

### سياسة ستالين الخارجية خلال فترة 1949 ـ 1953

تحوَّلت توترات الحرب الباردة من أوروپا إلى آسيا في تشرين الأول/أكتوبر 1949 مع إنشاء جمهورية الصين الشعبية الشيوعية بقيادة ماو تسي تونگ Mao Zedong وبدء الحرب

طائرة يو ـ 2 هي طائرة استطلاع (تجسس) تطير على ارتفاع يعلو مدى الطائرات المقاتلة السوڤييتية والصواريخ ارض ـ جو. في البداية لم يستطع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية القيام بأي شيء تجاه هذه الطلعات الجوية الأمريكية فوق أراضيه، إلا أن التحسينات التي أدخِلت أخيراً على صواريخ جو ـ جو مكَّنت الاتحاد السوڤييتي من إسقاط إحدى الطائرات وأسْر طيارها گاري پاورز Gary Powers. أنهت

الكورية بعدئذ سنة 1950 (انظر الفصلين السادس عشر والسابع عشر) . وفي وقت لاحق بدأت المشكلات في آسيا تؤثر على الأوضاع وعلى التطورات اللاحقة في أوروبا. بعد أزمة برلين خلال فترة 1948 ـ 1949 وإنشاء حلف شمال الأطلسي (الناتو NATO) في نيسان/ ابريل 1949، تزايد الشعور القومي السوفيَيتي في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وولّد رغبة بإقصاء الكتلة السوفييتية عن النفوذ الغربي.

هذه الحادثة قمة باريس بعد يوم واحد وحالت دون اتفاق على برلين وعلى معاهدة حظر التجارب.

في بداية الخمسينيات اتبع الاتحاد السوفييتي سياسة خارجية ذات مسار مزدوج، ففي الوقت الذي كان يقوّي فيه من سيطرته على دول أوروبا الشرقية الدائرة في فلكه، كان يحاول وضع حدٍّ لاستقطاب أوروبا في معسكري حرب باردة متعارضين. وخلال هذا الوقت أبقى ستالين قبضته مُحْكَمَة على السياسة الخارجية، ولاسيَّما عندما خسِر مولوتوف Molotov منصبه سنة 1949 بعد أن ظل منذ سنة 1939 وزيراً للخارجية السوفييتية وأقرب مستشاريه.

## تحويل أوروبا الشرقية إلى الستالينية

تمخَّض النزاع بين الاتحاد السوفييتي ويوگوسلاڤيا تيتو خلال فترة 1948 ـ 1949 عن تقوية عزم ستالين على السيطرة على كتلة أوروبا الشرقية. ومع ازدياد حدة النزاع تزايد عدد الدول وأعضاء الحزب الشيوعي الذين يُتّهَمون بخيانة الشيوعية، وقد وصل ذلك إلى ذروته في أوائل الخمسينيات مع اتهام ستالين أتباع تيتو Tito بالعمل مع الغرب لإعادة الرأسمالية إلى يوگوسلاڤيا. وبعد ذلك بدأت حملة تصيُّدٍ ضد أتباع تيتو في الأحزاب الشيوعية الأخرى في أوروبا الشرقية أُتْبِعَت بموجة من حملات التطهير والمحاكمات الصورية التي وصلت إلى رؤوس الأحزاب والدول، فكان رودولف

كان رودولف سلانسكي Rudolf Slansky أميناً عاماً للحزب الشيوعي التشيكي، ولكنه ظهَر سنة 1953 مع ثلاثة عشر من الشيوعيين المهمّين الآخرين في محاكمة صورية «اعترفوا» فيها جميعاً بجرائمهم ضد الاشتراكية وكان أن وُجدوا كلهم مذنبين وأعدِم سلانسكي مع عشرة آخرين.

تشير عبارة التحوّل إلى الستالينية Stalinisation إلى العملية التي تم من خلالها سلب إرادة واستقلال الأحزاب والدول الشيوعية الأوروبية الشرقية، واستبدالهما بسيطرة القيادة المركزية (وفي

نهاية المطاف بسيطرة موسكو) كبديل عن الديمقراطية المركزية التي كان يُفترَض أنها موجودة. حاول فيما بعد كل من خروتشيف Khrushchev وغورباتشيف Gorbachev العودة إلى المعايير أو الممارسات «اللينينية» الأصيلة

سلانسكي Rudolf Slansky على رأس الضحايا في تشيكوسلوفاكيا على سبيل المثال. كان ذلك كله جزءاً من محاولة ستالين لتحويل كتلة دول أوروبا الشرقية من تحالف تحت الهيمنة السوفييتية إلى كتلة متراصَّة تحت سيطرة موسكو المُحكَمَة التي لا يُسمَح لها أن تحيد عن سياسات ستالين قيْدَ أنمُلَة. استخدِمَت ارتباطات تيتو مع الغرب حينذاك لإعطاء ستالين العذر من أجل بسط السيطرة السوفييتية على أوروبا الشرقية. ولم تستمر حملات التطهير طويلاً بعد وفاة ستالين سنة 1953 برغم بقاء السيطرة السوفييتية التي نتجت عن هذا التحول إلى الستالينية.

## محاولات الحدّ من استقطاب الحرب الباردة

حاول ستالين بعد سنة 1949 الحدَّ من ظهور سباق التسلح النووي من خلال إطلاق ما أصبح يُعرَف بِ «حملات السلام» المتعددة، كما بدأ الاتحاد السوفييتي في نفس الوقت بطرح اقتراحات لتحييد ألمانيا ووسط أوروبا ونزع أسلحتهما. وكان لهذه التحركات أثر كبير على الأموال الطائلة التي شعر الاتحاد السوفييتي أن عليه أن يحوِّلها إلى الصناعات الدفاعية حتى لا يتخلف كثيراً عن الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تتمتع بتفوق نووي واضح برغم أنها أنفقت (مليوناً ونصف المليون دولار) بعد سنة 1945، وأن الجيش الأحمر مثلاً قد ضاعف تقريباً عددَه الذي انخفض إلى 2.9 مليون رجل بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة.

كانت «حملات السلام» برأي الاتحاد السوفييتي استمراراً للمحاولات السوفييتية التي بُذِلت قبل سنة 1939 في سبيل المحافظة على السلام في أوروبا والتي دلَّ عليها انضمامه إلى عصبة الأمم League of Nations سنة 1934 وَتأييده للأمن الجماعي وَمحاولته الأخيرة لتشكيل تحالف ضد النازية مع

بريطانيا وفرنسا. وبعد سنة 1945 أنحى ستالين ومستشاروه باللائمة على أفعال الغرب في ابتداء الحرب الباردة، ولكنهم لم يعتقدوا بحتمية اندلاع حرب «ساخنة» بالضرورة. ولذلك كان التشجيع السوڤييتي لحركات السلام الهائلة (التي انطلقت في الغرب مطالبة بنزع الأسلحة وبالسلام) يبدو منطقياً لمحاولة الحدِّ من خطر شن هجوم من قبَل الحكومات الغربية على الاتحاد السوڤييتي. وبلغ هذا الطرح الذي بدأ يأخذ شكله سنة 1949 ذروته في أوائل الخمسينيات حين جاب العالم ملايين من الناشطين، واتشحت عريضة سُمِّيت الْتِماسُ ستوكهولم Stockholm Appeal بخمسمئة وستين مليون توقيع. كان ستالين يأمل أن يشكل هذا التأييد الواسع ضغطاً على الحكومات الغربية لتخفيف الضغوط الدولية التي سبَّبتها الحرب الباردة ولاتباع سياسات أكثر مودَّة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. وتم إنشاء حركات مماثلة في أوروبا الشرقية أيضاً ولكن السيطرة الشيوعية عليها كانت واضحة.

**ما هي «ملاحظات ستالين»؟**

ترافقت مع هذا الطرح محاولات سوڤييتية ـ بعد تأسيس حلف شمال الأطلسي NATO وتقسيم ألمانيا ـ لتحويل كل من ألمانيا والنمسا إلى منطقة محايدة في وسط أوروبا. وفي سنة 1950 اقترح الاتحاد السوڤييتي إجراء مفاوضات جديدة على المسألة الألمانية وذلك رَدّاً على إعلان الغرب عن تأسيس مجتمع الدفاع الأوروبي European Defence Community (ليشمل ألمانيا الغربية). تضمنت مقترحات ستالين إعادة توحيد ألمانيا ونزع أسلحتها بعد سحب القوات المحتلَّة. وفي آذار/مارس 1952 قدَّم الاتحاد السوڤييتي إلى الغرب «ملاحظات ستالين» التي عَرضت إعادة توحيد ألمانيا مقابل حيادها. وبرغم أن الغرب رفض هذه المقترحات مراراً بسبب عدم الثقة بدوافع ستالين إلا أنه استمر بعرضها حتى توفي، وذلك على

الرغم من عدم سعادة الشيوعيين الألمان الشرقيين باحتمال فقدان دولتهم التي تشكلت حديثاً.

قال بعض المؤرخين أن هذه المقترحات كانت مجرَّد خدَع دعائية، فاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية يعلم أن مصيرها الرفض من قبل الغرب (في ظل الانتصار الشيوعي في الصين سنة 1949 وابتداء الحرب الكورية سنة 1950 اللذين زادا من توترات الحرب الباردة). ظن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ـ في رأي هذه المدرسة الفكرية ـ أن هذه المقترحات ستُدخِل السرورَ على أعوانه في ألمانيا وكذلك في بعض بلدان حلف شمال الأطلسي NATO (مثل فرنسا التي غزتها ألمانيا مرتين منذ سنة 1900). بينما أكَّد مؤرخون آخرون أن هذه المقترحات هي استمرار لسياسة الأمن السوڤييتي المطروحة بعد سنة 1945 وبذلك يمكن النظر إليها على أنها متناغمة وأصيلة.

كانت إحدى نتائج بدء الحرب الكورية في الحقيقة هي إقناع ترومان Truman بالعمل على وثيقة سياسة مجلس الأمن القومي رقم 68 (NSC 68)، التي نظمتها وزارتا الخارجية والدفاع بعد أن أمر المجلسَ بإعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الحرب الباردة. وكانت هذه الوثيقة تدعو إلى مضاعفة نفقات الولايات المتحدة الأمريكية الدفاعية ثلاث مرات حتى يمكن مواجهة التهديد السوڤييتي في أي مكان من العالم. وعليه فقد زاد ترومان موازنة الدفاع من 13.5 بليون دولار إلى خمسين بليوناً، ووُضِعت خطط لزيادة الفرق العسكرية لحلف شمال الأطلسي NATO من أربع عشرة فرقة إلى خمسين فرقة ونشر قوات أمريكية برية وجوية وبحرية في أوروبا. ونتيجة لذلك ازدادت القوة العسكرية الأمريكية ازدياداً مخيفاً في كل أنحاء أوروبا. كما تقرَّر أيضاً إعادة تسليح

وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68 NSC68 هي دراسة السياسة الخارجية الأمريكية المستقبلية التي طرحها ترومان في كانون الثاني/ يناير 1950، وهي تأخذ في الحسبان أربعة خيارات ولكنها توصي بخيار واحد فقط هو أن على الولايات المتحدة أن تبدأ ببرنامج تسلح واسع وتعارض أي «عدوان شيوعي» في أي جزء من العالم، وكانت هذه الوثيقة سرية حتى السبعينيات.

ألمانيا الغربية إذا حاول الاتحاد السوڤييتي توحيد ألمانيا بالقوة، وتوسيع حلف شمال الأطلسي NATO في أوروپا بمنح العضوية لليونان وتركيا.

زادت هذه التطورات (ومعاهدات الأمن التي تم إبرامها مع مختلف بلدان المحيط الهادي) من مخاوف ستالين وأجبرته على تحويل موارده الاقتصادية الهائلة من إعادة بناء الصناعة والتطوير إلى النفقات الدفاعية. وفي ظل الضعف الاقتصادي النسبي لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية كانت النتائج السلبية التي لحقت بالاقتصاد السوڤييتي نتيجة لذلك التحويل أكبر بكثير من النتائج التي لحقت بالولايات المتحدة الأمريكية بسبب الإنفاق العسكري.

**ما هي الاقتراحات الرئيسية التي تضمنتها الوثيقة رقم 68 NSC68؟**

## ذوبان الجليد: 1953 ـ 1955

حين توفي ستالين سنة 1953 قرر الزعماء الشيوعيون إنشاء قيادة جماعية لتجنب السيطرة الفردية، فتسلم مالينكوف Malenkov منصب الأمين العام الجديد ورئيس مجلس الوزراء وأصبح خروتشيف Khrushchev أميناً أولاً للحزب الشيوعي، ومولوتوف Molotov (وزيراً للخارجية) وبولگانين Bulganin (وزيراً للدفاع) وبيريا Beria (وزيراً للشؤون الداخلية) وشكّل هؤلاء جزءاً من القيادة الجديدة. إلا أن الاتهام وُجِّه إلى بيريا في حزيران/ يونيو 1953 بالتآمر لتنصيب نفسه دكتاتوراً واعتقِل وأعدِم رمياً بالرصاص.

**ماذا يعني اصطلاح «ذوبان الجليد»؟**

حاولت هذه القيادة الجديدة «إذابة جليد» توترات الحرب الباردة، وكانت أحد أسباب توقيع هدنة في تموز/ يوليو 1953 لوضع نهاية للقتال في كوريا. كانت الرغبة السوڤييتية بالضغط على كوريا الشمالية لإنهاء القتال ورغبة آيزنهاور Eisenhower بالسلام بدل الانتصار، تمثلان تغيّراً مهماً

بالعلاقات. ومنذ أوائل سنة 1952 دَعا مالينكوف إلى «تعايش سلمي»، وفي سنة 1953 تحدَّث بيريا عن إعادة توحيد ألمانيا وجعْلِها دولة محايدة. استمرت إذابة الجليد على الرغم من تصاعد وتيرة سباق التسلح النووي الذي ظهر على شكل تفجير القنبلة الهيدروجينية الأولى من قِبَل الولايات المتحدة الأمريكية في تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1952، وكذلك من قِبَل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية مباشرة في تموز/يوليو سنة 1953. يرى بعض المؤرخين أن سنة 1953 يمكن النظر إليها كنهاية للحرب الباردة الأولى، وإلى حقبة 1953 ـ 1968/ 1969 كفترة من العلاقات المتقلِّبة بين القوتين العظميين حيث كانت محاولات تقليل المواجهات والتوصل إلى اتفاقات تتعرض خلالها للإحباط بين حين وآخر بسبب ظهور توترات وأزمات جديدة.

## آيزنهاور والنظرة الجديدة

تطورت إذابة الجليد بالرغم من فوز الجمهوريين بقيادة آيزنهاور في انتخابات سنة 1952 في الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت سياستهم الدفاعية التي تتسم بنظرة جديدة ـ على الأقل من حيث الظاهر ـ تمثل تباعداً مهماً عما كان يتبعه ترومان في سنوات 1945 ـ 1953. تميَّزت طبيعة سياسة آيزنهاور بتعيين ج. ف. دالِس J.F. Dulles وزيراً للخارجية، فتابع اتخاذ موقف متشدِّد من الحرب الباردة وتحدَّث عن الحاجة إلى ردٍّ انتقامي و«التعرض للخطر من أجل الوصول إلى غاية سامية». أيَّد مككارثي McCarthy طريقة آيزنهاور ـ نيكسون Nixon واتهم الديمقراطيين بخيانة الولايات المتحدة الأمريكية مِن خلال السماح بِـ«ضياع» الصين وتطوير السوفييت للقنبلة الهيدروجينية وبذلك فقدت الولايات المتحدة

قصد دالِس Dulles بتعبير «التعرض للخطر من أجل الوصول إلى غاية سامية» وجوب أن تتبنى الولايات المتحدة الأمريكية موقفاً أكثر تحدياً وعدوانية تجاه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية والصين وصولاً إلى حدِّ استخدام الأسلحة النووية وذلك بناء على الاعتقاد أن التفوق النووي سيجبرهما على تقديم تنازلات. أطلقت حملة انتخابات 1952 مثلاً وعوداً بِـ«تحرير» أوروبا الشرقية تقوم على الْتزام باستخدام الأسلحة النووية «عند الضرورة».

وحدانية الريادة النووية. كذلك هاجم دالِس سياسة ترومان في الوقوف أمام المد العقائدي المعادي ووصَمَها بِ «اللاأخلاقية» لأنها تخلّت عن جميع الذين يعيشون في الكتلة السوڤييتية وَدَعا أيضاً إلى «دحْر» الشيوعية و«تحرير» أوروپا الشرقية.

ارتبط التأكيد على دور الأسلحة النووية في الحرب الباردة برغبة الجمهوريين (باعتبارهم حزب شركات الأعمال الكبيرة) بتخفيض الضرائب واتخاذ موقف أكثر عدوانية في نفس الوقت تجاه الحرب الباردة. ذلك أن تكديس مخزون احتياطي من الأسلحة النووية أقل كلفة من الإبقاء على قوات تقليدية كبيرة.

وبرغم هذه التصريحات فإن آيزنهاور ودالِس استمرا بسياسة وقف المد العقائدي المعادي ـ التي ابتدعها ترومان ـ في الجوهر وبأساسٍ واحد ولكن مع اختلاف في التركيز والأسلوب. لم يكن آيزنهاور مرتاحاً تجاه تنامي المُجمَّع العسكري ـ الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية وكانت تساوره الشكوك من استخدام الأسلحة النووية، واعتقد أن الحرب النووية بين طرفي الحرب الباردة المتنافرين سيكون لها «نتائج . . . مريعة جداً حيث لا يمكن التفكير بها».

تعبير المُجمَّع العسكري ـ الصناعي يشير إلى القادة العسكريين في القيادة العليا (وزارة الدفاع Pentagon) وشركات التسليح الأمريكية الكبرى. يعتقد البعض أن هؤلاء عملوا معاً على إقناع الرؤساء الأمريكيين بأن زيادة نفقات الدفاع أمر حيوي في حين أنه غير ذلك في واقع الحال.

اعتقدت القيادة السوڤييتية الجديدة بوجه عام أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية التي تتسم بالنظرة الجديدة متكلّفة واستمرت على حرصها في تخفيف التوترات مع الغرب مدفوعة برغبة قوية بالحد من نفقات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية العسكرية في سبيل تقوية الاقتصاد وتحسين مستويات المعيشة. وبرغم ذلك فإن فترة 1952 ـ 1962 اشتملت على كثير من الأزمات التي بدت أنها تجر القوتين العظميين إلى شفير الحرب.

**كيف كانت سياسة النظرة الجديدة** New Look Policy **لآيزنهاور تختلف عن سياسة الاحتواء** Containment **لترومان؟**

### ألمانيا

كانت القيادة السوفييتية الجديدة عازمة على السير على نهج ستالين في محاولاته التوصل إلى تيسير العلاقات بين الشرق والغرب ولاسيَّما فيما يتعلق بألمانيا، وكانت إمكانية التخلي عن ألمانيا الشرقية، مقابل ألمانيا موحدة ولكنها محايدة، تحظى بالتفضيل على استمرار تقسيمها مع تصاعد سباق التسلح، وأصبحت هذه الإمكانية أكثر جاذبية في حزيران/ يونيو 1953 حينما أدَّت السياسة المتشدِّدة التي اتبعها الحكام الألمان الشرقيون إلى إشعال ثورة العمال المهمة بسبب تدني الأجور ومستويات المعيشة. استدعى حجم هذه الانتفاضة في برلين قيام قوات الاحتلال السوفييتية بإخماد المظاهرات والإضرابات. كان التخلي عن ألمانيا الشرقية يبدو معقولاً طالما أمكن تهدئة المخاوف الأمنية السوفييتية بجعل وسط أوروبا منطقة محايدة. وكانت ألمانيا الشرقية تكلف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية مالاً لايكاد يُحتمَل، ولذلك فإن الاتحاد السوفييتي كان أكثر اهتماماً بالإبقاء على ضعف ألمانيا بدلاً من إدارة جزء منها.

وفي اجتماع مجلس وزراء الخارجية الذي انعقد في شباط/ فبراير 1954 عرض الاتحاد السوفييتي مرة أخرى توحيد ألمانيا مقابل حيادها، ومرة أخرى رفض الغرب هذا العرض بسبب مخاوف من أن تتحالف ألمانيا الموحدة مع الكتلة السوفييتية، وفي الحقيقة فإن أحد الدوافع السوفييتية كان زيادة المعارضة الألمانية الغربية لإعادة التسليح ولحلف شمال الأطلسي NATO من خلال طرح التوحيد. حاول اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية إغراء ألمانيا الغربية بإعادة التوحيد بشرط رفضها لعضوية حلف شمال الأطلسي NATO

ولإعادة التسلح، ثم اقترح السوفييت أن ينضم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية إلى حلف شمال الأطلسي NATO مع فكرة تشكيل منظمة للأمن الجماعي لعموم أوروبا؛ وكان الحافز الجزئي لهذا الاقتراح هو المخاوف السوفييتية من إعادة تسليح ألمانيا الغربية والسماح لها بالانضمام إلى حلف شمال الأطلسي NATO. ورفض الغرب ذلك أيضاً.

## كيف كان «تعايش» خروتشيف «السلمي» مختلفاً عن السياسة الخارجية السوفييتية السابقة؟

### ظهور خروتشيف Khrushchev

لم يؤدِّ سقوط بيريا Beria في تموز/يوليو 1953 إلى إنهاء الصراع على السلطة الذي تبع وفاة ستالين، ففي شباط/فبراير 1955 استطاع خروتشيف Khrushchev بعد مناورة كبيرة أن يتدبَّر أمر تنحية مالينكوف Malenkov عن منصب رئيس الوزراء السوفييتي، حيث أخذ مكانه بُلگانين Bulganin وهو أحد أقرب حلفاء خروتشيف إليه. كان خروتشيف ـ مثل بقية أعضاء القيادة السوفييتية ـ شديد التأثر بالحرب الوطنية الكبرى، والتزم بخاصَّة برؤيته الذاتية لسياسة «التعايش السلمي» التقليدية السوفييتية بين الشرق والغرب في كل أرجاء العالم لأنه كان يدرك الخراب الذي عانى منه الاتحاد السوفييتي بشرياً واقتصادياً ويخشى خشيةً حقيقيةً من الأخطار التي يفرضها تصاعد وتيرة سباق التسلح النووي.

وُلِد نيكيتا خروتشيف Nikita Khrushchev سنة 1894، وحارب في صفوف الجيش الأحمر أثناء الحرب الأهلية وعمل بعد ذلك لصالح الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي في موسكو. انتُخِب عضواً في اللجنة المركزية سنة 1934 وكان كبير المفوضين السياسيين لدى الجيش السوفييتي في معركة ستالينگراد Stalingrad. عيَّنه ستالين سنة 1949 مسؤولاً عن الزراعة السوفييتية.

غير أن متابعته لهذه السياسة خلال فترة 1955 ـ 1964 كانت في بعض الأحيان غير منسجمة، بل تتميَّز بالمغامرة الزائدة خلافاً لستالين وبقية أعضاء القيادة الجماعية التي جاءت بعده خلال فترة 1953 ـ 1955 (الذين اتبعوا سياسة خارجية

تتسم بالحذر الشديد). كان تقييمه الأكثر تفاؤلاً للموقف السوڤييتي يقوم بصورة جزئية على امتلاكه القنبلة الهيدروجينية وعلى التطورات الأخيرة في المجال الصاروخي الذي أوصل بسرعة إلى القمر الصناعي سپوتنيك Sputnik. اعتقد خروتشيف أنه يعمل من موقع جديد لقوة تحققت مؤخراً، إذ ساعدت التكنولوجيا الصاروخية السوڤييتية (التي كانت أكثر تقدماً من تكنولوجيا الولايات المتحدة الأمريكية) على موازنة نقص الحلفاء وكذلك القواعد الجوية في مختلف أنحاء العالم الذي يعاني منه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، وبذلك أُغلِقت الفجوة فيما بين القوتين العظميين.

سپوتنيك Sputnik (التي تعني «المسافر») هو أول قمر اصطناعي فضائي في العالم، أطلقه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية في تشرين الأول/أكتوبر 1957. تابع الاتحاد السوڤييتي إنجاز سلسلة من «الأوائل» في معدات الفضاء ومنها أول إنسان في الفضاء.

كلمة Detente الفرنسية تعني تخفيف حدة التوترات، وتنطبق عادة على سنوات 1969 ـ 1979، وقد بُذِلَت عدة محاولات مماثلة بين سنتي 1945 وَ 1991 من أجل تحسين العلاقات بين الشرق والغرب.

ومع ذلك فقد حاول خروتشيف أن يحقق تخفيفاً لحدَّة التوترات Detente بين الشرق والغرب حتى يتفادى حرباً نووية مدمِّرة، واعتقد أن الوضع في أوروپا مستقر للاتحاد السوڤييتي بحيث يقدِّم تنازلات في المناطق الهامشية، ولذلك عرض سحب القوات السوڤييتية من النمسا بشرط ضمان حيادها، وكذلك إعادة قاعدة پوركالا Porkkala البحرية إلى فنلندا Finland.

**ماهي الملامح الرئيسية لسياسة «التعايش السلمي» لخروتشيف؟**

### حلف وارسو 1955:

في أيار/مايو 1955 تحقق ما كان يخشاه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وأصبحت ألمانيا الغربية عضواً في حلف شمال الأطلسي NATO. بعد فترة قصيرة أعلن الاتحاد السوڤييتي عن تشكيل تحالفه العسكري الخاص ـ حلف وارسو Warsaw Pact (وقد أطلِق عليه هذا الاسم لأن توقيع المعاهدة تمَّ في وارسو) ـ وهو عبارة عن تحالف للمساعدة العسكرية المتبادلة فيما بين الاتحاد السوڤييتي وحلفائه الأوروپيين الشرقيين.

كان تشكيل حلف وارسو العلامة الأخيرة على قبول الاتحاد السوفييتي بأن تقسيم ألمانيا أمر دائم على ما يبدو، وهذا لايعني وجوب تخلّيه عن إمكانية التوصل إلى اتفاق أوروپي على الأمن الجماعي، حيث أن حلف وارسو ذاته تضمن بنداً (المادة 11) يعلن حلَّ الحلف إذا تم توقيع اتفاقية أمن جماعي أوروپي.

وفي وقت لاحق من ذلك الشهر وقَّعت الدول الغربية والاتحاد السوفييتي معاهدة أنهت احتلال النمسا من قبل الحلفاء وأنشأت فيها دولة محايدة.

ما هو حلف وارسو؟

## قمة جنيڤ

في تموز/يوليو 1955 عُقِد في جنيڤ Geneva أول اجتماع من سلسلة اجتماعات القمة بين القادة الأربعة الكبار (الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وبريطانيا وفرنسا) وبدا كعلامة على انتهاء العُزلة السوڤييتية التي بدأت سنة 1945. لم يكن هذا الاجتماع ـ وهو الأول للقادة منذ مؤتمر پوتسدام Potsdam في تموز/يوليو 1945 ـ مُهِمّاً لأية اتفاقيات خاصة بل لروح الصداقة التي انعقد فيها، وكانت الأسلحة النووية وألمانيا الموضوعين الرئيسين على جدول الأعمال. شهِدَت «روح جنيڤ» شيئاً من الاتفاق العام على الحاجة إلى مواجهة أقل وتعاون أكبر وكذلك على تأجيل التجارب النووية.

إلا أن الاقتراحات السوڤييتية حول نزع الأسلحة والرقابة على الأسلحة النووية (إضافة إلى العروض المتجدِّدَة بشأن المسألة الألمانية والأمن الأوروپي) قوبلَت بالرفض مرة أخرى. وبالمقابل رفض خروتشيف اقتراح آيزنهاور «بالسماء المفتوحة» الذي يسمح بموجبه كل جانب للآخر بالقيام باستطلاعات

جوية للمواقع العسكرية. تم إحراز بعض التقدم إذ أقام الاتحاد السوڤييتي في أيلول/ سبتمبر علاقات دبلوماسية وروابط تجارية مع ألمانيا الغربية، غير أن عرضاً من المستشار الألماني الغربي أديناور Adenaur لشراء جمهورية ألمانيا الديمقراطية بقروض وتعويضات حربية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية مقابل السماح بالتوحيد لم يستحوذ على القبول.

### المؤتمر العام العشرون للحزب سنة 1956

بدأت القيادة الجماعية التي تسلمت زمام الأمور من ستالين سنة 1953 على الفور بمحاولات لإصلاح العلاقات مع يوگوسلاڤيا ولتحسينها مع الدول الأوروپية الشرقية التابعة لها، فكان المؤتمر العام العشرون للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي الذي انعقد في شباط/ فبراير 1956 أول مؤتمر يُعقد منذ وفاة ستالين قبل ثلاث سنوات، وأعلن فيه خروتشيف عن سياسته الخارجية التي اشتملت على مضامين السياسة السوڤييتية تجاه أوروپا والعالم المتطور وذلك حينما كان يعتبر أن التعايش السلمي في العصر النووي الجديد أمر ممكن وضروري.

كذلك ألقى خروتشيف خطاباً سرياً مهماً آخر في هذا المؤتمر. وبرغم أن المقصود فقط هو إحداث أثر محليّ ـ التوصل إلى «محو الستالينية» أو التحرُّر ـ إلا أنه سرعان ما أحدَث مشكلات خطيرة في أوروپا الشرقية.

هاجم خروتشيف في هذا الخطاب السري ستالين بسبب الإرهاب الكبير الذي مارسه في الثلاثينيات وكذلك عبادة شخصية الزعيم، كما قبل بإمكانية «وجود طرق وطنية نحو الاشتراكية» لا تستلزم بالضرورة السير على النمط السوڤييتي. كان ذلك يعني أن الاتحاد السوڤييتي قد يقبل بتبنّي دول أوروپا

الشرقية سياسات تختلف عن سياسات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بشرط عدم استرجاع الرأسمالية وكذلك المحافظة على العضوية في حلف وارسو.

قام خروتشيف منذ سنة 1955 بمحاولات لإعادة يوگوسلاڤيا إلى المعسكر السوڤييتي، واضعاً اللوم في جميع المشكلات التي مرَّت بالبلدين منذ سنة 1948 على ستالين Stalin وبيريا Beria. غير أن تيتو Tito لم يرغب بالموافقة إلا على عودة العلاقات الدپلوماسية. أعلن خروتشيف في نفس الشهر الذي انعقد فيه المؤتمر عن حل مكتب المعلومات الشيوعي Cominform الذي كان ستالين قد طَرَد يوگوسلاڤيا منه. لم تكن هذه النقلة تقرّباً من يوگوسلاڤيا فحسب بل كانت خطوة نحو التخفيف من السيطرة السوڤييتية على أوروپا الشرقية على نحو عام أيضاً.

سرعان ما تم تعميم هذا الخطاب على نحو غير رسمي على دول أوروپا الشرقية التابعة حيث شجَّع على إصلاح الأحزاب الشيوعية التي أرادت أن تتحرَّر من الأنظمة الستالينية المتسلِّطة التي كانت مفروضة على تلك البلدان منذ أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، كذلك أدى هذا الخطاب إلى أن يفكر كثير من الشيوعيين وغير الشيوعيين الراغبين بإنقاص السيطرة الشيوعية على بلادهم بكيفية إفساح المجال أمام هذا الأمر. وقد تأثر بذلك بَلَدان بخاصَّة هما پولونيا وهنگاريا.

**لماذا كان خطاب خروتشيف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي سنة 1956 على هذه الدرجة من الأهمية؟**

گومولكا Gomulka هو زعيم الشيوعيين الپولونيين. كان مسجوناً أثناء التطهير في أوروپا الشرقية منذ أواخر الأربعينيات، وكان قد أطلق سراحه قبيل اضطرابات پوزنان Poznan وأعيد اعتباره في أعقاب وفاة ستالين.

### پولونيا

تحوّلت احتجاجات العمال الپولونيين الغاضبة بسبب معايير العمل إلى اضطرابات خطيرة في پوزنان Poznan في حزيران/ يونيو 1956 حيث قتلت قوات الأمن الپولونية مئات من

العمال المتظاهرين وجرحت مئات آخرين. ردَّت حكومة پولونيا الشيوعية (حزب العمال الپولوني المتحد PUWP) بالتحرك باتجاه برنامج إصلاح وتحرُّر برئاسة گومولكا Gomulka.

خشيت القيادة السوڤييتية من العواقب المترتبة في خِضَم الحرب الباردة على وجود پولونيا مستقلة عن السيطرة السوڤييتية، ولذلك عُقِد في أواخر تشرين الأول/أكتوبر 1956 اجتماع مع گومولكا في وارسو، وفي الوقت ذاته أجرت القوات السوڤييتية مناورات عسكرية من أجل ممارسة الضغط على شيوعيي پولونيا.

أقنع گومولكا خروتشيف بعدم وجود نيَّة لديه بالانسحاب من حلف وارسو أو تفكيك التركيبة الشيوعية. وفي 21 تشرين الأول/أكتوبر قرر خروتشيف أخيراً الوثوق بگومولكا دون أن يأخذ في حسبانه الحاجة إلى التدخل العسكري لضمان الأمن السوڤييتي.

### هنگاريا

كانت الحالة في هنگاريا أشد خطراً، حيث عمَّت الاحتجاجات سنة 1956 على نحو متزايد على إثر خطاب خروتشيف السري والتطورات في پولونيا، ففي 23 تشرين الأول/أكتوبر دَعَت مظاهرة حاشدة غير شرعية في بوداپست Budapest إلى تأييد شيوعيي الإصلاح الپولونيين، وسرعان ماخرجت عن السيطرة فأطلقت قوات الأمن النار على المتظاهرين، ولم يمضِ وقت طويل حتى اندلعت ثورة مسلحة، مما اضطر الحكومة إلى استدعاء القوات السوڤييتية للمساعدة، ثم انتشر القتال إلى المدن الرئيسية الأخرى.

كان الرد السوڤييتي المبدئي هو بذل محاولة للحل حلاً سلمياً تمشياً مع النجاح الذي تحقق في پولونيا، وبالتالي

سُمِح للشيوعي الإصلاحي إيمر ناجي Imre Nagy بتشكيل حكومة جديدة. اقتنع معظم أعضاء مجلس الرئاسة السوڤييتي في 31 تشرين الأول/أكتوبر بضرورة التدخل العسكري من خلال قرار ناجي السماح بتشكيل أحزاب معارضة وكذلك التلميحات بنيَّته إخراج هنگاريا من منظومة حلف وارسو، وكان الباعث من هذا التدخل هو المخاوف من أن تقوم دول أوروبية شرقية أخرى بالسير على هذا المنوال إذا تُرِك المجال مفتوحاً لانسحاب هنگاريا من الحلف؛ وبذلك تنتهي المنطقة العازلة الأوروبية التي يعتمد عليها الأمن السوڤييتي.

ومما زاد عدم الأمان السوڤييتي حصول أزمة السويس Suez التي انتهت بهزيمة مصر التي تعتبر أحد حلفاء الاتحاد السوڤييتي الرئيسيين في العالم المتطور، بالإضافة إلى المشكلات القائمة مع الصين ويوگوسلاڤيا. وبالتالي أطلق الاتحاد السوڤييتي تدخله العسكري في هنگاريا يوم الرابع من تشرين الثاني/نوڤمبر 1956 وذلك بعد أن أعلن ناجي Nagy في الأول من تشرين الثاني/نوڤمبر انسحاب هنگاريا من حلف وارسو. أقيمت حكومة موالية للسوڤييت برئاسة يانوش كادار Janos Kadar بعد شيء من القتال المرير. وخلال حملة التطهير التي جرت بعدئذ تم طرد كثيرين من الحزب ومن المناصب الحكومية وسيق ناجي Nagy إلى الاتحاد السوڤييتي حيث أُعدِم سنة 1958.

دلَّ قيام كادار على أن قلق خروتشيف كان قائماً على أساس أمني ـ بعد هدوء الأوضاع ـ بتنفيذ كثير من الإصلاحات التي وَعَد بها ناجي من قبل، ذلك أن خروتشيف كان في واقع الحال مستعداً للقبول بتقليص السيطرة السوڤييتية تقليصاً محدوداً. وهناك حقيقة أخرى تؤيد نظريته هي أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أصدر في الثلاثين من

تشرين الأول/أكتوبر ـ حين كانت الأزمة الهنگارية ما تزال في أوجها ـ تصريحاً وعد فيه بمزيد من التساوي في العلاقة بين الاتحاد السوڤييتي ودول أوروپا الشرقية. وعندما انتهت هذه الأزمة سُحِبت القوات السوڤييتية من كثير من دول حلف وارسو وكانت تعقد اجتماعات ثنائية ومتعددة الأطراف بين الحين والآخر للمساعدة على صياغة السياسة السوڤييتية في أوروپا.

## سپوتنِك وأثره: تشرين الأول/أكتوبر 1957

كم كانت دهشة الغرب عظيمة حين أطلق الاتحاد السوڤييتي في الرابع من تشرين الثاني/نوڤمبر 1957 أول الأقمار الصناعية في العالم إلى الفضاء. كان آيزنهاور Eisenhower يريد في الواقع أن يكون اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أول من يتخذ هذه الخطوة حتى تتضح مبررات قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتطوير نظام صواريخها البالستية العابرة للقارات ICBM الذي كان قد بلغ مرحلة جيدة من التقدم. استمر تفوق الولايات المتحدة الأمريكية النووي طوال العِقد ـ حتى أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية كان بحلول سنة 1960 يمتلك أربعة صواريخ بالستية عابرة للقارات ومئة وخمس وأربعين قاذفة طويلة المدى فقط.

ICBM اختصار يدل على الصاروخ البالستي العابر للقارات Intercontinental Ballistic Missile الذي يمكنه «تسليم» أسلحة نووية عبر مسافات شاسعة. وفَّرت تقنية سپوتنِك Sputnik الريادة الأولى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية في سباق التسلح النووي ومكَّنته من التعويض عن حاجته لنظام القواعد الجوية في أنحاء العالم الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلكه.

إلا أن خروتشيف قرر ـ على الرغم من ضعف الاتحاد السوڤييتي النسبي ـ اتباع سياسة خارجية أكثر فعالية، فحاول إخراج كل من ألمانيا الغربية وبريطانيا من حلف شمال الأطلسي NATO حين بيَّن لهما أن استمرار عضويتيهما تزيد من خطر تورطهما في حرب نووية، وقد شجعه على ذلك مؤتمر جنيف وتردد الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام

كيف أثر إطلاق سبوتنك من قبل الاتحاد السوڤييتي سنة 1957 على سباق التسلح النووي؟

الأسلحة النووية خلال مختلَف أزمات منتصف الخمسينيات. (هنگاريا والسويس ومضائق تايوان).

كان لجوء خروتشيف إلى سياسة خارجية خطيرة وأكثر فاعلية محاولة لامتصاص الانتقادات الداخلية الموجهة لسياساته الاقتصادية. في حزيران/يونيو 1957 قضى على محاولة خصومه (الملقبين بالمجموعة «المضادة للحزب») لعزله، وفي أوائل سنة 1958 قوّى مركزه حين أصبح رئيساً للوزراء مع بقائه أمين سر الحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي.

**أزمة برلين: 1958 ـ 1961**

حدثت أزمة ثانية حول برلين في تشرين الثاني/نوڤمبر 1958 حينما أصدر خروتشيف إنذاره الأول الخاص ببرلين في 27 تشرين الثاني/نوڤمبر، والذي كان محاولة لدفع الغرب في نهاية المطاف إلى إبرام معاهدة سلام مع ألمانيا (إذ لم توقع أي معاهدة حتى تاريخه بعد الحرب العالمية الثانية) وإلى الموافقة على أن تصبح برلين الغربية منطقة دولية منزوعة السلاح، وهدَّد بأن الاتحاد السوڤييتي ـ إذا تعذر التوصل إلى ذلك ـ سيوقع على اتفاقية منفردة مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية تتضمن تسليمها السيطرة على المعابر المؤدية إلى برلين الغربية. وتشجَّع خروتشيف على ذلك من خلال تصريح أديناور Adenauer في آذار/مارس 1958 بأن قبول «حلّ نمساوي» أمر ممكن.

كان القصد من هذه التحركات إجبار الغرب على إعادة فتح باب التفاوض على مستقبل ألمانيا وبخاصة على منع حلف شمال الأطلسي NATO من جعل ألمانيا الغربية قوة نووية، وهذا أمر كان يخشاه الاتحاد السوڤييتي كثيراً وكان الحلف قد درسه سنة 1949، وامتلك في هذه المرحلة مدفعية

ذات قدرات نووية وقاذفات قنابل. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تتابع مسيرتها مسرعة في بناء ترسانتها من الأسلحة النووية التكتيكية (قصيرة المدى) ومن الصواريخ البالِستية. غير أن زعيم جمهورية ألمانيا الديمقراطية ـ وولتر أولبريخت Walter Ulbricht هو الذي كان ـ برأي ج. ل. ريتشاردسون J.L. Richardson ـ يقف وراء هذه الأعمال السوڤييتية حين هدَّد باتخاذ عمل من جانب واحد قد يكون استفزازياً إذا لم يحاول خروتشيڤ اتخاذ أي إجراء لوجود برلين الغربية في أعماق أراضي جمهورية ألمانيا الديمقراطية.

أصرَّ خروتشيڤ مبدئياً على التوصل إلى اتفاق خلال ستة أشهر، ولكن المفاوضات بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والغرب استمرت سجالاً حتى آذار/مارس 1959 حين أجَّل خروتشيڤ موعدها النهائي المحدد في السابع والعشرين من أيار/مايو، حيث استمرت هذه المفاوضات في جنيڤ خلال صيف سنة 1959.

### كامپ ديڤيد: أيلول/سپتمبر 1959

دَعا آيزنهاور خروتشيڤ في محاولة لكسر الجمود إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإجراء مباحثات، وسارت الأمور على ما يرام وسحب خروتشيڤ إنذاره، حتى حين لم تُعْطَ له أية مؤشرات على نية الغرب في تقديم تنازلات. كذلك تم الاتفاق على إجراء مزيد من المناقشات في قمة پاريس في أيار/مايو 1960.

### قمة پاريس وحادثة الطائرة يو ـ 2

في الوقت الذي اجتمع فيه الزعماء في پاريس كانت الحالة قد تغيرت، إذ اكتشفت الولايات المتحدة الأمريكية

بواسطة طائراتها التجسسية أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية قد تخلف كثيراً عن رَكْب الولايات المتحدة في مجال الصواريخ البالستية عابرة القارات ICBM، في حين لم تعُد ألمانيا الغربية مستعدة لتقديم أية تنازلات بشأن برلين الغربية. وبعدئذ جاء الإعلان في الأول من أيار/مايو 1960 عن أن صاروخاً سوڤييتياً نجح في إسقاط طائرة تجسس يو ـ 2 أمريكية فوق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. رفض آيزنهاور الاعتذار عن الحادثة، وهو الذي أُحْرِج بسبب إنكاره طائرات التجسس فيما سبق وأذهلته فعالية تقنية الصواريخ السوڤييتية وسببت له القلق. كان خروتشيف يواجه في الوقت ذاته انتقاداً من الصين بأنه يتبع سياسة خارجية «ليّنة» في العلاقات مع الغرب. وهذا الترابط بين الظروف كان يعني أن الفشل ينتظر قمة باريس.

**ما هي حادثة الطائرة يو ـ 2 خلال سنة 1960؟**




تبيّن هذه الصورة معرضاً في موسكو سنة 1960 حول إسقاط طائرة تجسس طراز يو ـ 2 U2 وأسر طيارها گاري پاورز Gary Powers. أدت هذه الحادثة إلى إغضاب الاتحاد السوڤييتي وإحراج الولايات المتحدة الأمريكية وإنهاء قمة باريس.

اقترح اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية قيام اتحاد كونفدرالي بين الألمانيتين مع انسحاب كل منهما من تحالفاتها العسكرية (حلف شمال الأطلسي NATO وحلف وارسو Warsaw) ونزع سلاح برلين تحت رقابة الأمم المتحدة. ردَّت القوى الغربية باقتراح ألمانيا موحدة وانتخابات لعموم ألمانيا مع شيء من نزع السلاح الألماني. وفي الحقيقة لم يكن هناك بصيص أمل بإعادة توحيد فوري لألمانيا، لكن الأمر الذي أراده خروتشيف هو اعتراف الغرب بدولة ألمانيا الشرقية كما اعترف بألمانيا الغربية. رفض الغرب ذلك إلى أن تجري انتخابات حرة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وظلت الأمور على حالها إلى ما بعد سنتين.

ومع التقدم البطيء في هذه المناقشات كان عدد المهاجرين الألمان الشرقيين إلى الغرب يتصاعد، إذ شارف عددهم بحلول سنة 1959 على حوالي مئتي ألف سنوياً، كثير منهم مهنيون وعمال مهرة، مما أحدث أثراً خطيراً على الاقتصاد الألماني الشرقي الضعيف، وبدأ أولبريخت Ulbricht يضغط على خروتشيف ليقوم بعمل ما، فوعده في تشرين الثاني/نوڤمبر 1960 بالتعويض عن أية خسارة تجارية مع ألمانيا الغربية من خلال المشتريات الروسية. وفي 18 كانون الثاني/يناير 1961 طالب أولبريخت مؤتمر حلف وارسو بالمساعدة على ضمان موقف جمهورية ألمانيا الديمقراطية وإجبار الغرب على تنازلات حول برلين حيث توضع هذه المدينة تحت مزيد من الإشراف الألماني الشرقي ويُمنع اللاجئون من العبور من جانب إلى آخر.

جون ف. كِنِدِي J.F. Kennedy المولود سنة 1917، كان ينتمي لعائلة كِنِدِي الغنية والقوية سياسياً. حارب في البحرية الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية وأصبح سنة 1947 عضواً ديمقراطياً في الكونگرس. وفي سنة 1960 أصبح أصغر رئيس للولايات المتحدة الأمريكية وأول كاثوليكي يشغل هذا المنصب. كان معادياً قوياً للشيوعية ومحبِّذاً للإصلاح الاجتماعي والمعاشي في الولايات المتحدة الأمريكية. اغتيل في تشرين الثاني/نوڤمبر 1963.

لكن دول حلف وارسو لم تؤيد طلبات أولبريخت في المؤتمر الذي عُقِد في نهاية آذار/مارس، غير أن خروتشيف ـ الذي تشجَّع بعمل تكنولوجي سوڤييتي آخر هو أول تحليق

فضائي مأهول، وكذلك بفشل حادثة خليج الخنازير Bay of Pigs في كوبا Cuba التي دعمتها الولايات المتحدة الأمريكية ـ اعتقد أن بإمكانه تأمين صفقة أفضل حول برلين مع الرئيس الأمريكي الجديد جون ف. كِنِدي John F. Kennedy.

## قمة ڤيينا: حزيران/يونيو 1961

لم يحقق الاجتماع الأول بين كِنِدي وخروتشيف في قمة ڤيينا Vienna سنة 1961 نجاحاً لأن كِنِدي ظل يرفض إعطاء تنازلات في قضية برلين. وفي نهاية حزيران/يونيو طالب أولبريخت مؤتمراً آخر لحلف وارسو ـ وأعطى خروتشيف إذنا مشروطاً ـ ببدء الاستعدادات لتقسيم برلين على نحو مادي.

تم هدم سور برلين في تشرين الثاني/نوڤمبر 1989

**لماذا تم بناء سور برلين سنة 1961؟**

أعلن خروتشيف بعدئذ أنه يعيد فرض الموعد النهائي الأصلي البالغ ستة أشهر. ومع تزايُدِ التوترات تزايَدَ عدد المهاجرين الألمان الشرقيين بسرعة إلى ضعفي النسبة التي كان عليها في الخمسينيات، ولذلك حثَّ حلف وارسو جمهورية ألمانيا الديمقراطية على اتخاذ عمل لضمان الحدود مع برلين الغربية، فقامت سلطاتها أولاً في فترة 3 ـ 5 آب/أغسطس بوضع سياج من الأسلاك الشائكة وبعد ذلك في 13 آب/أغسطس ـ وحين لم يحرك الغرب ساكناً ـ قامت ببناء سور برلين Berlin Wall الذي أصبح صورة واضحة جداً لقاسم الحرب الباردة بين الشرق والغرب.

## سقوط خروتشيف: تشرين الأول/أكتوبر 1964

لم يكن كثير من القادة السوڤييت سعداء بطريقة خروتشيف في إدارة السياسة الخارجية كما كانوا أقل سعادة بعناصر سياسته الداخلية مثل التحرر والإصلاحات الاقتصادية،




هذه الصورة الساخرة السوڤييتية تعود إلى سنة 1963 وتعطي أحد أسباب بناء سور برلين سنة 1961. كُتِبَ على اللافتة: «حدود جمهورية ألمانيا الديمقراطية مغلقة في وجه جميع الأعداء.» تم تصوير ذنَب الكلب الألماني الغربي على صورة الصليب المعقوف النازي.

فاستطاع معارضوه في تشرين الأول/أكتوبر 1964 تأمين الأغلبية في اللجنة المركزية لتنحيته عن السلطة، حيث تم في البداية اقتسامها بين ليونيد بريجنيف Leonid Brezhnev أمين السر الأول الجديد للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي وأليكسي كوسيگين Alexei Kosygin رئيس الوزراء الجديد.

وُلِد ليونيد بريجنيف Leonid Brezhnev سنة 1906، وأصبح أمين سر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي وانضم إلى مجلس الرئاسة سنة 1957. ساعد على سقوط خروتشيف سنة 1964 وسرعان ما تولى السلطة مع كوسيگين Kosygin على أساس التساوي في البداية، وبحلول نهاية الستينيات كان واضحاً أنه الحاكم المهيمِن.

إبان حكم بريجنيف وكوسيگين وُضِع حدٌّ للتخلص من الستالينية والتحرر المحدود اللذين ارتبطا بخروتشيف، وأصبحت السياسة الاقتصادية محافِظَة أكثر، كما بدأ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية في الوقت ذاته بالانتقال على نحو متزايد من كونه مجرَّد قوة إقليمية إلى موقع

يشبه القوة العظمى العالمية. وتم تحقيق ذلك دون أزمات كبيرة في علاقات الحرب الباردة التي كانت تتميَّز بها سياسة خروتشيف الخارجية، ويعود ذلك إلى أن بريجنيف وكوسيگين بدآ يمارسان سياسة التخفيف من حِدَّة التوتر.

كان التخفيف من حدة التوتر استمراراً للسياسة السوڤييتية التي تحاول التوصل إلى تعايش سلمي مع الغرب الرأسمالي دون عناصر المخاطرة التي جاء بها خروتشيف. وبحلول منتصف الستينيات كان الاقتصاد السوڤييتي والاقتصاديات الأوروپية الشرقية تحاول تحقيق تحسينات تكنولوجية هامة ولذلك كانت ترغب بمزيد من المتاجرة مع الغرب. أمل بريجنيف وكوسيگين في نفس الوقت أن ينال تخفيف التوترات القبول لدى كتلتهما الأوروپية الشرقية ويساعد على منع أي تحالف أمريكي ـ صيني موجَّه ضد الاتحاد السوڤييتي.

## التخفيف من حدة التوتر والولايات المتحدة الأمريكية

أُعجبت الولايات المتحدة الامريكية بفكرة التخفيف من حدة التوتر لأنها تبدو طريقاً للحصول على المساعدة السوڤييتية في تأمين تسوية مقبولة لحرب ڤيتنام Vietnam (انظر الفصل التاسع عشر) وكبح جماح الأهداف التوسعية التي قد تكون لدى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. وأبرم شارل دي گول Charles de Gaule ـ الرئيس الفرنسي في الستينيات والذي كان يشجِّع هذه السياسة ـ عدة اتفاقيات تجارية مع الاتحاد السوڤييتي ودول أوروپا الشرقية. هذه المحاولات أدّت ببريجنيف وكوسيگين إلى إحياء السياسة السوڤييتية لمحاولة التوصل إلى نظام الأمن الجماعي لعموم

أوروبا الذي كان الاتحاد السوڤييتي يسعى نحوه منذ الخمسينيات.

## تشيكوسلوڤاكيا وربيع براگ: 1968

كانت انطلاقة سياسة التخفيف من التوترات سنة 1968 بسيطة بالرغم من النوايا الطيبة المتبادَلة وذلك بسبب الأزمة التي نشبت تجاه تشيكوسلوڤاكيا، ففي كانون الثاني/يناير 1968 تم استبدال زعيمها الستاليني المتشدد أنطونين نوڤوتني Antonin Novotny بالشيوعي الإصلاحي أليكسندر دوبتشيك Alexander Dubcek الذي أطلق في نيسان/ابريل 1968 ـ بصفته أمين السر الجديد للحزب الشيوعي التشيكوسلوڤاكي ـ سلسلة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية عُرِفت باسم برنامج العمل، وكانت مصمَّمَة لتحقيق ما أسماه «الاشتراكية ذات الوجه الإنساني». أزعج هذا الأمر ـ الذي أصبح معروفاً بربيع پراگ Prague Spring ـ المتشددين من أمثال بريجنيڤ Brezhnev الذين أرادوا المحافظة على رقابة الحزب الشديدة، بسبب المثال الذي قد يضربه للإصلاحات المحلية في أماكن أخرى من الكتلة الشرقية ولأنه جاء مباشرة بعد مشكلات ألبانيا ورومانيا. أفهم الرئيس الأمريكي جونسون Johnson الاتحاد السوڤييتي ـ الذي أقلقته ردود فعل الولايات المتحدة الأمريكية على الأزمة التشيكية ـ أن هذه الأزمة تعتبر نزاعاً شيوعياً داخلياً.

وبالتالي بدأت قيادة بريجنيڤ تشعر بالحرية لممارسة ضغط على دوبتشيك Dubcek لكي يخفف من وتيرة إصلاحاته وتشجع المتشددين في الحزب التشيكوسلوڤاكي على معارضته. كذلك أطلق السوڤييت في الوقت ذاته حملة سياسية في دول أوروبا الشرقية لإقناعها بالوقوف إلى جانب موسكو.

وعلى الرغم من هذه الإجراءات استمرت الأزمة، وفي ليل 14 ـ 15 تموز/يوليو 1968 اجتمع في وارسو قادة خمسة من الأحزاب الشيوعية الأوروپية الشرقية (الاتحاد السوڤييتي وألمانيا الديمقراطية وهنگاريا وپولونيا وبلگاريا) لمناقشة الوضع، وأرسلوا إلى الحزب الشيوعي التشيكوسلوڤاكي في 15 تموز/يوليو رسالة مفتوحة تبيّن أن التطورات الداخلية في تشيكوسلوڤاكيا تثير قلقاً عميقاً لدى جميع الدول الموقعة عليها، وأنها على وجه الخصوص تحذّر من أن سياسات دوبتشيك تفسح المجال أمام القوى المضادة للثورة لتهديد وجود الاشتراكية في تشيكوسلوڤاكيا. أكّد جواب دوبتشيك على الْتزامه بالاشتراكية وبحلف وارسو ودافع عن برنامج عمله الذي قال إنه سوف يستمر.

وفي نهاية تموز/يوليو اجتمع قادة سوڤييت إلى كبار الموظفين التشيكوسلوڤاكيين، وفي الثالث من آب/أغسطس ـ اجتمعت الدول التي وقعت على الرسالة ـ إلى الممثلين التشيكوسلوڤاكيين ومنهم دوبتشيك في براتيسلاڤا Bratislava، وأصدروا إعلان براتيسلاڤا Bratislava Declaration الذي أكد على التزامهم بالدفاع عن الاشتراكية في أوروپا الشرقية. وبالنتيجة فقد كان يبدو أن دوبتشيك أُجبر على الحد من ربيع براگ الذي طرحه.

غير أن بريجنيف والقادة السوڤييت الآخرون توصلوا إلى قناعة بأن دوبتشيك إما أن يكون قد عجز عن تنفيذ الوعود التي أُجبر على تقديمها أو أنه غير راغب بالإفصاح عن الوعود التي أُجبر على تقديمها. أما البعض فلم تكن لديهم النية على السماح بالإصلاحات، في حين شعر آخرون أن هناك كثيرين من رجال السياسة والمجتمع التشيكوسلوڤاكيين يريدون

للإصلاحات أن تصل إلى مدى أكبر مما سمح به دوبتشيك، أضف إلى ذلك أن الحكام الأكثر تشدُّداً في أوروبا الشرقية (گومولكا Gomulka الپولوني وأولبريخت Ulbricht الألماني الشرقي) كانوا يطالبون اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بوضع حدٍّ نهائي لإصلاحات دوبتشيك. واستمر المتشددون في الحزب التشيكوسلوڤاكي في نفس الوقت في الإلحاح على الاتحاد السوڤييتي للتدخل.

وفي 17 آب/أغسطس قررت الشعبة السياسية Politburo السوڤييتية أن التدخل العسكري ضروري بعد كل شيء من أجل «استعادة النظام»، وفي ليل 20 ـ 21 آب/أغسطس أرسل الموقعون على رسالة وارسو قوة موحَّدة إلى تشيكوسلوڤاكيا حيث لقيَت ـ تحت قيادة السوڤييت ـ مواجهة سلبية واحتجاجات سلمية بدلاً من المقاومة المسلحة. أُلقي القبض على دوبتشيك وبعض القادة الآخرين وسيقوا إلى موسكو، وبعد مناقشات شاقة صدر بيان مشترك في 27 آب/أغسطس وَعَد فيه دوبتشيك «بتطبيع» الوضع، وبتعبير آخر بإنهاء ربيع براغ والعودة إلى أنماط حكم ماقبل 1968.

في تشرين الثاني/نوڤمبر 1968 وفي مؤتمر عام للحزب الشيوعي الپولوني أطلق بريجنيف ما عُرِف فيما بعد بمبدأ بريجنيف Brezhnev Doctrine الذي أكد فيه على أن استقلال كل من دول أوروبا الشرقية محدود بواجباتها تجاه الاتحاد السوڤييتي ونظامها الاشتراكي «الخاص بها» وأمن بقية دول حلف وارسو. كان القصد من المبدأ أيضاً هو إعادة التأكيد للغرب ـ بالإضافة إلى وضع حدًّ للانشقاق ضمن الحركة الشيوعية ـ على أن الأزمة التشيكوسلوڤاكية مسألة داخلية ضمن الكتلة الشرقية وليست مثالاً على روح التوسع السوڤييتية.

**1 . مقطع مُقتبَس من خطاب إذاعي ألقاه ج. ف. كِنِدي حول أزمة برلين الجديدة**

لا يمكننا أن نسمح ـ ولن نسمح ـ للشيوعيين بإخراجنا من برلين إما بالتدريج أو بالقوة. إن الوفاء بتعهدنا تجاه المدينة ضروري لروح ألمانيا الغربية المعنوية ولأمنها ولوحدة أوروبا الغربية ولإيمان العالم الحر بمجمله.

إن مجتمع الأطلسي. . . قد أنشئ رداً على التحديات: تحدي الفوضى الأوروبية سنة 1947؛ وحصار برلين سنة 1948، والعدوان الشيوعي في كوريا سنة 1950. . . إن العهد المقدس الذي أعطاه كل منا لبرلين الغربية في وقت السلم لن يُنقض في وقت الخطر.

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن 1992، ص 42

**2 . مقطع مأخوذ من خطاب متلفز حول مسألة برلين ألقاه ن. س. خروتشيف في 7 آب/ أغسطس 1961**

قال رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في خطابه الأخير [في 25 تموز/ يوليو] إن الولايات المتحدة الأمريكية واجهت تحديات من الاتحاد السوفييتي وإن هناك تهديداً لحرية شعب برلين الغربية وإن الاتحاد السوفييتي لم يكن مستعداً لشيء سوى استخدام القوة. . .

ما هي الشروط الواردة في مشروع معاهدة السلام مع ألمانيا والتي تعطي الرئيس الأمريكي ذريعة حتى يؤكد علناً صحة «تهديد» الاتحاد السوفييتي بانتهاك السلام؟ هل يمكن لها أن تكون الشروط التي تصوِّر نبذ ألمانيا للأسلحة النووية، وإعطاء الصبغة القانونية للحدود الألمانية القائمة، ومنح

السيادة الكاملة لكلا الدولتين الألمانيتين، وانضمامهما إلى الأمم المتحدة؟

لو أن أحداً سمح لنفسه باللجوء إلى التهديدات لكان ذلك الشخص هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي لم يتوقف عند توجيه إنذار نهائي في جوابه لنا على اقتراح إبرام معاهدة سلام مع ألمانيا. إن الرئيس ـ كما لو كان يُعزِّز من تهديداته ـ أعلن عن زيادة القوات المسلحة الأمريكية بـ 217.000 رجل.

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن 1992، ص 43

# 14 من الانفراج حتى الحرب الباردة الثانية: 1969 ـ 1985

**أسئلة تركيزية**

- هل كان الانفراج علامة على نهاية الحرب الباردة الأولى أم كان بداية لمرحلة جديدة؟
- لماذا ابتدأت حرب باردة ثانية سنة 1979؟
- كيف كانت الحرب الباردة الثانية تختلف عن الأولى؟

**تواريخ هامة**

1969 كانون الثاني/يناير: نيكسون Nixon يصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

تشرين الأول/أكتوبر: فوز الحزب الديمقراطي الاشتراكي/وحزب الديمقراطيين الأحرار SPD/FPD في انتخابات ألمانيا الغربية

1970 آذار/مارس: معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية تدخل حيز التنفيذ، معاهدة موسكو

1972 شباط/فبراير: نيكسون يزور الصين

أيار/مايو: التوقيع على معاهدة الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية (سالت 1)

كانون الأول/ديسمبر: المعاهدة الأساسية

1973 حزيران/يونيو: بريجنيف Brezhnev يزور الولايات

المتحدة الأمريكية

تموز/يوليو: مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي CSCE يبدأ في هلسنكي Helsinki

تشرين الأول/أكتوبر: حرب الأيام الستة

1974 الثورة البرتغالية

تموز/يوليو: قمة موسكو Moscow

1975 استقلال المستعمرات البرتغالية في أفريقيا

آب/أغسطس: التوقيع في هلسنكي على الفصل الأخير

1976 المعاهدة السوفييتية ـ الأنگولية

1977 المعاهدة السوفييتية ـ الموزمبيقية

1978 كانون الأول/ديسمبر: الولايات المتحدة الأمريكية تعترف بالصين

1979 كانون الثاني/يناير: الثورة الإيرانية، ثورة في گرينادا Grenada، ثورة في نيكاراگوا Nicaragua

حزيران/يونيو: اتفاقية ڤيينا

كانون الأول/ديسمبر: القوات السوڤييتية تتدخل في أفگانستان Afghanistan

1980 آب/أغسطس: أزمة التضامن في پولونيا

1981 كانون الثاني/يناير: ريگان Reagan يصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، بدء مباحثات الأسلحة النووية المتوسطة INF

1982 حزيران/يونيو: مباحثات لتخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية START تبدأ في جنيڤ Geneva

1983 خطاب ريگان عن «إمبراطورية الشر».

آذار/مارس: ريگان يعلن مبادرة الدفاع الاستراتيجي SDI، مشروع (حرب النجوم)

## نظرة شاملة

خفَّت حدَّة توترات الحرب الباردة في أواخر الستينيات لأن الجانبين كانا راغبين على ما يبدو بالتوصل إلى تسويات عن طريق المفاوضات، فقد تم في سنة 1970 التوصل إلى اتفاقيات في مسألة ألمانيا، وشهدت سنة 1971 اتفاقية رباعية عن برلين وانضمام الصين إلى الأمم المتحدة. شهدت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية والصين مزيداً من التحسّن خلال سنة 1972 حين تم التوقيع على معاهدتي الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية سالت1 والأسلحة المضادة للصواريخ البالِستية ABM. وفي سنة 1973 انتهى التورط الأمريكي في ڤييتنام، واستمرت الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في عقد مباحثات حول تخفيض الأسلحة بالرغم من الحرب في الشرق الأوسط، وازدادت التجارة العالمية . حينما حلَّ فورد Ford محل نيكسون Nixon سنة 1974 تم الاتفاق على الخطوط العريضة لاتفاقية الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية سالت2 وفي سنة 1975 انتهت حرب ڤييتنام ووقع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية على إعلان هلسنكي Helsinki Declaration الخاص بأوروبا. استمرت العلاقات الطيّبة في البداية تحت حكم كارتر، وفي سنة 1979 أقامت الولايات المتحدة الأمريكية والصين علاقات دبلوماسية ووقَّع بريجنيف Brezhnev وكارتر Carter معاهدة سالت2 في ڤيينا Vienna.

الأنظمة المضادة للصواريخ البالستية Anti-ballistic missiles ABM هي أسلحة تستخدَم لإسقاط الصواريخ المعادية.

وُلِد ريتشارد نيكسون Richard Nixon سنة 1913، وكان سياسياً جمهورياً دخل الكونگرس الأمريكي لأول مرة سنة 1947، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ سنة 1950. كان مؤيداً قوياً للأعمال المضادة للشيوعية التي تقوم بها لجنة الأنشطة غير الأمريكية في مجلس النواب في الخمسينيات. أصبح نائباً للرئيس سنة 1953 إبان حكم آيزنهاور Eisenhower. انتخِب سنة 1968 رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وأعيد انتخابه سنة 1972. كان أول رئيس أمريكي يزور الصين الشيوعية وفاوض على انسحاب الولايات المتحدة من حرب ڤييتنام Vietnam. أُجبر على الاستقالة سنة 1974 بسبب فضيحة ووترگيت Watergate Scandal.

في أواخر السبعينيات بدأت أواصر الانفراج الدولي تنحل وتقوّضت دعائمه تقوُّضاً أخيراً في كانون الأول/ ديسمبر 1979 حين دخلت القوات السوڤييتية أفگانستان Afghanistan وبذلك بدأت الحرب الباردة الثانية، كما أسماها بعض المؤرخين. ردَّ كارتر Carter بمنع مختلف الصادرات إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وتعليق التصديق على معاهدة الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية الثانية ـ سالت 2 وبعد ذلك تم انتخاب ريگان Reagan رئيساً في تشرين الثاني/ نوڤمبر، فأعلن في آب/ أغسطس 1981 أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتخزين القنابل النيوترونية، ثم فرض عقوبات اقتصادية على كل من پولونيا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وذلك بعد إعلان الأحكام العرفية في پولونيا.

عُقِدَت بعض المباحثات الثنائية، وفي حزيران/ يونيو 1982 بدأت محادثات لتخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية START في جنيڤ، لكن ريگان خرج في آذار/ مارس 1983 بخطابه عن «إمبراطورية الشر» وأعلن عن برنامج حرب النجوم (مبادرة الدفاع الاستراتيجي SDI). وفي تشرين الثاني/ نوڤمبر نشر حلف شمال الأطلسي NATO صواريخ كروز Cruise وَبيرشينگ 2 في أوروپا. بدأ الوضع يتغير في آذار/ مارس 1985 حينما أصبح گورباتشيڤ Gorbachev زعيماً لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية حيث أعلن في نيسان/ ابريل عن تجميد تطوير الصواريخ السوڤييتية.

## هل كان الانفراج في العلاقات الدولية علامة على نهاية الحرب الباردة الأولى أم بداية لمرحلة جديدة؟

### الانفراج في العلاقات الدولية: 1969 ـ 1979

ظهرت في أواخر الستينيات عدة عوامل جعلت الولايات

المتحدة الأمريكية مستعدة لاتباع سياسة الانفراج مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، بسبب الأثر المتنامي لحرب ڤييتنام (انظر الفصل 19) على الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها وعلى وضعها العالمي. في سنة 1968 فاز نيكسون Nixon في الانتخابات الرئاسية، وبرغم أنه كان معادياً متشدداً للشيوعية طوال سنوات، إلا أنه كان مستعداً لحصر الولايات المتحدة الأمريكية ضمن سياسة الوقوف في وجه المد الشيوعي إذا كانت النتائج النهائية تصب في مصالح الولايات المتحدة، واعتقد أن لمتابعة الحرب في ڤييتنام آثاراً سلبية متزايدة على قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على المحافظة على تفوقها الاقتصادي والعسكري على الاتحاد السوڤييتي، وأدرك أيضاً أن معظم الأمريكيين يريدون انسحاباً من ڤييتنام، كما كان قلِقاً بسبب الدلائل على أن الاقتصاد الأمريكي بدأ بالانحدار.

وهكذا فقد جعل نيكسون من الانفراج في العلاقات الدولية والانسحاب المقبول من ڤييتنام مرتكزاً أساسياً لسياسته الخارجية التي كان هنري كيسنگر Henry Kissinger يقوم على تنفيذ القسم الأعظم منها فهو مستشاره الرئيسي لشؤون السياسة الخارجية طوال هذه الفترة، وكان يطرح أن على السياسة الخارجية الأمريكية أن تأخذ باعتبارها وجود مراكز قوى أخرى مثل الصين واليابان وأوروبا الغربية. وكان نيكسون وكيسنگر يدركان أن مساعدة الاتحاد السوڤييتي وتعاونه مطلوبين لضمان تسوية مقبولة مع ڤييتنام الشمالية North Vietnam.

وُلِدَ هنري كيسنگر Henry Kessinger في ألمانيا سنة 1923، وكان أستاذاً في جامعة هارڤرد Harvard ومستشاراً للحكومة. أصبح مستشار نيكسون للأمن القومي سنة 1969 وسرعان ما أصبح كبير مستشاريه لشؤون السياسة الخارجية. عيَّنه نيكسون سنة 1973 وزيراً للخارجيّة واستبقاه فورد Ford في هذا المنصب، كما تقاسم جائزة نوبل Nobel Prize سنة 1973 لقاء دوره في التفاوض على وقف إطلاق النار في ڤييتنام. إرتبط اسمه بسياسة الانفراج على نحو خاص وبدوره كوسيط في الشرق الأوسط. ترأس كيسنگر مجلس الأمن القومي بين سنتي 1969 و1975، وعمل وزيراً للخارجية من 1973 إلى 1977.

كان ثمة عاملان رئيسيان يدفعان الاتحاد السوڤييتي للسعي في نفس الوقت وراء علاقات أفضل مع الولايات المتحدة الأمريكية، أولهما وجود أسباب اقتصادية طاغية، إذ كانت علامات ركود ـ بل انحدار ـ تظهر على اقتصاد الاتحاد

السوفييتي بحلول سنة 1969، ويعود ذلك جزئياً إلى عدم الكفاءة البيروقراطية وكذلك إلى عبء النفقات الدفاعية الثقيل المطلوب من أجل مجاراة التطورات العسكرية لدى الولايات المتحدة الأمريكية. كان الوضع في الحقيقة يسوء في السبعينيات بسبب تزايد النفقات السوفييتية على الدفاع وإعانة الأقطار المتطورة، إضافة إلى ميل بريجنيف Brezhnev لتجاهل علامات الانحدار الاقتصادي.

وثانيهما وجود تخوف حقيقي من تزايد خطر الحرب النووية. وقد وُجد هذا القلق الأمني السوفييتي على الرغم من توصّل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في أواخر الستينيات إلى سدِّ «الفجوة النووية» بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية ـ أو على الأقل في بعض المجالات ـ حيث كان يمتلك على سبيل المثال 1.300 صاروخ بالِستي عابر للقارات مقابل 1.054 صاروخاً لدى الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ليس مهماً كثيراً لأن هذه الصواريخ أصبحت قديمة الطراز بفعل الصواريخ البالستية التي تطلقها الغواصات SLBM. لم تعد الولايات المتحدة تتمتع على وجه الإجمال بالتفوق النووي الطاغي الذي احتفظت به منذ سنة 1945. واعتقدت القيادة السوفييتية أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تكون مستعدة لإجراء مباحثات جادَّة حول تخفيض الأسلحة، وقد كانت مثل هذه المباحثات تفشل في السابق لأن الولايات المتحدة كانت على استعداد للموافقة على تجميد التسلح فقط حيث تستبقي حالة التدني السوفييتي.

«الفجوة النووية» هي التفوق أو الضعف النسبي في مجال السلاح النووي بين جانبين. تدَّعي الولايات المتحدة الأمريكية (بصورة عارية عن الصحة) أن الاتحاد السوفييتي متقدم بالرغم من عدم نجاح اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في سدِّ الفجوة في بعض المجالات.

وأخيراً فإن قلق الاتحاد السوفييتي المتزايد من شق الصف الصيني ـ السوفييتي قد تعاظم منذ بدايات الستينيات، وفي سنة 1969 كادت النزاعات الحدودية والصِّدامات المسلحة على امتداد نهر أوسوري Ussuri تؤدي إلى الحرب. لعلَّ

الخوف السوفييتي بخاصة كان من احتمال قيام تحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين قد يقف في وجه الانفراج مع الغرب، ناهيك عن فقدان السيطرة المتزايد على حركة العالم الشيوعي. وبرغم وجود أسباب كثيرة لدى نيكسون وكيسنگر (منها اقتصادية) تدفع بهما إلى إعادة الاتصال بالصين فإنهما في واقع الحال يجدان في ذلك وسيلة تسمح للولايات المتحدة الأمريكية بسحب قواتها من جنوب شرق آسيا وتركيز اهتمامها ومواردها على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في وقت يمكن فيه استخدام الصين (التي ما زالت على ضعف نسبي في آسيا) للحدِّ من عمل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وڤييتنام الشمالية. كان القادة السوفييت ـ عندما توجّه نيكسون إلى الصين لمقابلة ماو Mao في شباط/ فبراير 1972 ـ يخشون من أن تؤدي آثار أي خلافات رئيسية مع الولايات المتحدة الأمريكية إلى قيام حلف عسكري صيني أمريكي.

الصواريخ البالستية التي تطلق من الغواصات SLBMs أسرع حركة ولذلك يكون اكتشافها أكثر صعوبة من أنظمة الإطلاق المتمركزة على اليابسة، لكن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لايمكنه ـ كالولايات المتحدة ـ أن يستبقي كثيراً من الغواصات النووية في البحر لأنها بحاجة إلى قواعد بحرية حول العالم.

**لماذا كان الاتحاد السوفييتي قلِقاً من إمكانية حصول اتفاق دپلوماسي بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين؟**

رأى الاتحاد السوفييتي في الانفراج وسيلة لتقوية مركزه الأوروپي، لكنه كان بنظر الولايات المتحدة أداة مفيدة للحد من القوة السوفييتية، إلا أنه كان تطوراً هاماً وحقق نجاحاته العظمى في أوائل السبعينيات.

تخلى نيكسون وكيسنگر عن سياسة «دحْر» الشيوعية لصالح سياسة الانفراج وإقامة الروابط. يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تقبل بأن يسُدَّ الاتحاد السوفييتي الفجوة النووية، وأن تعطي وعداً بعدم التدخل في مناطق النفوذ السوفييتية وتقدم عروضاً بالتكنولوجيا والاستثمارات الغربية، لكن الثمن ـ أو إقامة الروابط ـ المطلوب من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو المساعدة على إخراج الولايات المتحدة الأمريكية من ڤييتنام والقبول

إقامة الروابط عبارة تشير إلى سياسة الولايات المتحدة خلال السبعينيات التي حاولت إقناع الاتحاد السوفييتي والصين بالتعاون على كبح جماح الثورات مقابل تنازلات في المجالات النووية والاقتصادية. غير أن الدعم السوفييتي كان في بعض الأحيان عاملاً داعماً لموجة من الثورات التي اندلعت بمعزل عن الرقابة السوفييتية مما قوض أركان هذه الاستراتيجية.

بوجود مصالح مشتركة للقوتين العظميين في الحفاظ على الاستقرار في العالم المتطور. اعتقد نيكسون بإمكانية استبدال التورط الأمريكي المباشر في العالم المتطور بتقديم أسلحة للدول «الصديقة» للولايات المتحدة وتدريبها حتى تستطيع بعد ذلك أن تتصدى لأي مشكلات إقليمية من خلال تدخلها نيابة عن الولايات المتحدة الأمريكية. وقد نشأت هذه الفكرة ـ مبدأ نيكسون Nixon Doctrine ـ في وقت يعود إلى أوائل تموز/يوليو 1969.

**ماذا كان قصد نيكسون وكيسنگر بعبارة إقامة الروابط؟**

عقدت قوتا الحرب الباردة العُظميان أربعة اجتماعات قمة مهمة بين سنتي 1972 وَ 1974، وبقي الشك يساور الاتحاد السوڤييتي من دوافع الولايات المتحدة الأمريكية وراء عرض رقابة على الأسلحة في مرحلة شارف فيها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية على تحقيق نقطة التكافؤ الإجمالي مع الولايات المتحدة الأمريكية في مجال السلاح النووي. وقد رأى بعض القادة السوڤييت في هذا العرض محاولة للمحافظة على نظام التفوق الأمريكي في التحالف العالمي وإعطائه صفة رسمية.

مبدأ نيكسون Nixon Doctrine هو سياسة للتفويض بالمسؤوليات أُعلِن عنها سنة 1969، وكانت تقوم على فكرة إعطاء أسلحة للدول «الصديقة» للولايات المتحدة الأمريكية في العالم المتطور لكي تقاتل في سبيل أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في المناطق المهمة وبذلك تجَنِّبها عبء الحاجة إلى التدخل العسكري الأمريكي المباشر، فقد حارب على سبيل المثال ما يزيد عن 300.000 جندي كوري جنوبي في ڤييتنام. غير أن موجة الثورات التي وقعت في أواخر السبعينيات جعلت الولايات المتحدة الأمريكية تنشئ قوة انتشار سريع من أجل التدخل في العالم المتطور على وجه الخصوص.

## مباحثات الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية ـ سالت 1

بدأت سنة 1969 (مباحثات الحدِّ من الأسلحة الاستراتيجية أو سالت 1) على استحياء للحد من الأسلحة النووية الاستراتيجية ابتداء بموضوع الرقابة على الأسلحة وليس تخفيضها. وبدا أن سياسة الردع كافية في ظل امتلاك كل طرف كمية من الأسلحة النووية تزيد كثيراً عما يكفي لتدمير الطرف الآخر، فكان المقصود إمكانية وضع حدٍّ لتطوير جديد لتكنولوجيا الأسلحة التي قد تهدد الاستقرار الجديد من خلال هذه المباحثات للرقابة على الأسلحة. انزعج اتحاد

الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بخاصَّة من الولايات المتحدة الأمريكية بسبب الزيادة الكبيرة في أنظمة الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية ABM ولم يكن راغباً بالمنافسة في هذا المجال بسبب النفقات الهائلة المترتبة على ذلك.

انتهت هذه المباحثات في أيار/مايو 1972 بتوقيع بريجنيف Brezhnev ونيكسون Nixon على اتفاقية سالت 1. وبرغم عدم التوصل إلى اتفاق إجمالي بشأن الأسلحة الهجومية، إلا أن تقدماً أُحرِز في مجالات أخرى، ولاسيَّما في تجميد مدته خمس سنوات للصواريخ العابرة للقارات ICBM والصواريخ البالستية التي تطلق من الغواصات SLBM والقاذفات بعيدة المدى، كما وافق كل طرف على ألا يمتلك أكثر من موقعَي أنظمة مضادة للصواريخ البالستية ABM (لا يزيد عدد راجمات الصواريخ في كل منهما عن المئة). غير أن الاتفاقية الأخيرة لم تكن بالأهمية التي بدَت عليها لأن أياً من الطرفين لم يكن ينوي تطوير الأنظمة المضادة للصواريخ البالستية إلى ذلك الحد، كذلك فإن اتفاقية سالت 1 فشلت في وضع حد للصواريخ التي تحمل رؤوساً حربية متعددة MIRV التي تم تطويرها أولاً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن الاتحاد السوفييتي سرعان ما طوَّر ونشر نظامه الخاص.

MIRV صواريخ تحمل رؤوساً حربية متعددة يمكن توجيه كل منها إلى هدف مستقل.

**ما هي المقاصد التي رمت إليها المفاوضات على سالت 1؟**

وبرغم ذلك فإن اتفاقية سالت 1 تُعتبر نقلة هامة في الابتعاد عن عداوات الحرب الباردة الأقدم وتميِّز بدء عملية مستمرة للرقابة على الأسلحة. أدّى قبول الولايات المتحدة الأمريكية لتضييق الفجوة في الصواريخ إلى استرضاء الاتحاد السوفييتي وبذلك أسهم كثيراً في تخفيف التوتر بين هاتين القوتين النوويتين العظميين.

## الانفراج في أوروپا

ساعدت التطورات التي حدثت في المانيا الغربية على عملية الإنفراج في أوروپا وأدت إلى اتفاقيات لزيادة الإتصال والمتاجرة بين أوروپا الشرقية والغربية ولمعالجة المشكلات القديمة حول برلين والألمانيتين. في تشرين الأول/أكتوبر 1969 فاز الاشتراكيون الديمقراطيون SPD بالانتخابات في ألمانيا الغربية متحالفين مع الديمقراطيين الأحرار FPD، وهذا الفوز هو أول انتصار ليسار الوسط منذ سنة 1945. اتبعت هذه الحكومة الاشتراكية الديمقراطية ـ الديمقراطية الحرة بزعامة ويلي برانت Willy Brandt سياسة عُرفَت بالسياسة الشرقية Ostpolitik وكانت ترمي إلى تقليص الحواجز بين جمهوريتي ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية.

كان تخلي برانت عن مبدأ هولشتاين Hallstein Doctrine القائل بعدم اعتراف ألمانيا الغربية بأي بلد يعترف بجمهورية ألمانيا الشرقية مشجِّعاً لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الذي رغب منذ الخمسينيات بقبول الغرب لوجود جمهورية ألمانيا الشرقية والكتلة السوڤييتية في أوروپا الشرقية.

في آب/أغسطس 1970 وقَّع الاتحاد السوڤييتي وألمانيا الغربية في موسكو على معاهدة أنهت الحرب العالمية الثانية رسمياً وأكَّدت تقسيم ألمانيا وخسارة الأراضي الألمانية الشرقية فيما قبل الحرب لصالح پولونيا والاتحاد السوڤييتي.

بعد هذا النجاح جاء الپروتوكول الرباعي النهائي سنة 1972 الذي شهِد قبول اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بروابط ألمانيا الغربية مع ألمانيا الشرقية فانتهى بذلك نزاع آخر طال أمده. وبعدئذ وقعت الألمانيتان الغربية والشرقية المعاهدة

الأساسية Basic Treaty في كانون الأول/ ديسمبر 1972 بقبول وجود الدولتين الألمانيتين كأمر قائم فعلاً، وذلك على الرغم من أن ألمانيا الغربية لم تعترف دبلوماسياً بجمهورية ألمانيا الشرقية بصورة كاملة.

**ما هي السياسة الشرقية Ostpolitik؟**

وهكذا فقد فعلت اتفاقية سالت 1 والسياسة الشرقية الكثير من أجل التخفيف من التوترات في أوروبا لجهة الأسلحة النووية وألمانيا، كذلك فإن الاتحاد السوفييتي أراد من الغرب أن يقبل بالأمر الواقع في أوروبا الشرقية، وتم الوصول إلى ذلك بصورة جزئية من خلال مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا CSCE الذي عُقِد في هلسنكي Helsinki في تموز/ يوليو 1973. وبرغم أنه لم ينتهِ إلى معاهدة سلام رسمية إلا أنه حصل إعلان نوايا عُرِف باسم الفصل الأخير Final Act وتم التوقيع عليه في نهاية المطاف سنة 1975 وضَمِنَ الأمر الواقع في أوروبا.

لكن موضوع حقوق الإنسان أثبت أنه مثير للنزاع وساهم في النهاية بتخلي الغرب عن الانفراج، وذلك بسبب ربطِ اتفاقية الأمر الواقع الأوروبي بالتنازلات السوفييتية في مجال حقوق الإنسان في الكتلة الشرقية والذي كان على مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي أن يتابع التقدم الحاصل في هذا الأمر. أضف إلى ذلك أن شميت Schmidt ـ الذي خلَف برانت Brandt بعد استقالته في أيار/ مايو 1974 ـ استرجع علاقات أقوى مع الولايات المتحدة وقبِل خاصَّةً بتحديث القدرة النووية لحلف شمال الأطلسي NATO.

## لماذا ابتدأت الحرب الباردة الثانية سنة 1979؟

### تقلُّص الانفراج

هناك مشكلة في الانفراج وهي أن الاتحاد السوفييتي

أراد أن يزيد من نفوذه في العالم المتطور الذي كان محدوداً جداً في هذه المرحلة مقارنة بنفوذ الولايات المتحدة الأمريكية ـ برغم رغبته بالاستقرار في أوروبا ـ فكانت القيادة السوفييتية حريصة بخاصَّةٍ على إيجاد حلفاء لهم قواعد بحرية، إذ كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية يصل إلى ست قواعد عاملة فقط وجميعها في الاتحاد السوفييتي. وبرغم أن حلف وارسو Warsaw كان يتفوق على حلف شمال الأطلسي NATO بعدد السفن والغواصات إلا أن وصول حلف شمال الأطلسي إلى قواعد بحرية منتشرة حول العالم كان يعني إمكانية احتفاظه بعدد من الغواصات في البحر يفوق ضعفي عدد غواصات حلف وارسو، ولهذا السبب أيضاً لم يكن بمقدور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية تشغيل سوى ست حاملات طائرات فقط مقارنةِ بحاملات حلف شمال الأطلسي العشرين.

أحرز اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بعض التقدم في الشرق الأوسط بعد حرب الأيام الستة سنة 1967 حين عوَّض جميع المعدات التي فقدتها مصر عبد الناصر Nasser's Egypt وأرسل آلافاً من المستشارين العسكريين. وبالمقابل منحت مصر الاتحاد السوفييتي حقوقاً بحرية في بعض الموانئ وبعض القواعد الجوية فاستطاع بذلك لأول مرة أن يواجه الفعاليات الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط.

وفي مُقتبل السبعينيات كان الاتحاد السوفييتي قد استفاد من هذا الوضع ليصبح حليفاً مهماً لعدد من الدول العربية، وكان لهذه المحاولة من جانبه ـ لتوسيع نفوذه إلى مناطق كان يُنظر إليها مدة طويلة على أنها غربية النفوذ ـ أثر سلبي على علاقات الشرق بالغرب، إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية

كانت قد باشرت منذ أيار/مايو 1972 بمحاولة إضعاف وضع الاتحاد السوفييتي الجديد في الشرق الأوسط حين طلبت من إيران ـ مباشرة بعد التوقيع على معاهدة سالت 1 ـ العمل على أن يقطع العراق روابطه مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية.

إلا أن السادات (الذي خلَف عبد الناصر حاكماً لمصر سنة 1970) غضب من رفض اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية المساعدة على استرجاع الأراضي التي فُقدت لصالح إسرائيل سنة 1967 (بسبب رغبتهٰ في المحافظة على الانفراج)، فرَدَّ بطرْد جميع العسكريين السوفييت من مصر، وبذلك حُرِم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية من أهم قواعده البحرية والجوية في العالم المتطور. أدى ذلك إلى سرعة تدني النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط برغم إرسال معدات عسكرية إلى مصر وسورية بعد اندلاع حرب يوم الغفران في تشرين الأول/أكتوبر 1973 وحثِّ دول عربية أخرى على تقديم الدعم لهما. والأهم أن الولايات المتحدة الأمريكية غضبت لأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لم يُطلعها على المعلومات المتعلقة بهجوم عربي وشيك على إسرائيل ولأنه حاول إدخال دول عربية أخرى في هذا الهجوم عندما وقع. ونتيجة لذلك أقصَت الاتحاد السوفييتي إقصاءً مقصوداً عن أي مفاوضات سلام لاحقة تتعلق بالشرق الأوسط.

**كيف ساهمت أحداث الشرق الأوسط في تدني الانفراج في السبعينيات؟**

استمر الانفراج في التدهور لأن الولايات المتحدة الأمريكية أوضحت بجلاء نيَّتها في المحافظة على أساس قوتها العالمية، وكان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية عازماً بنفس القدر على القبول بموقع أدنى فيما يتعلق بالحلفاء في العالم المتطور. أضف إلى ذلك أن موجة من الثورات بدأت

بالاندلاع في عدة مناطق فيه ولا سيَّما في الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا الوسطى، وكان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ميالاً إلى أن يرى فيها فرصاً للتحسين من وضعه الدولي.

ظهرت مشكلات أيضاً تتعلق بمعاهدة سالت 1 لأن هذه المعاهدة لم تكن تشمل أنظمة عديدة ـ صواريخ ترايدَنت Trident وصواريخ MX وقاذفات ب1 وصواريخ كروز Cruise ـ التي قرر نيكسون ضرورة تطويرها بسرعة رغم القصور المالي النسبي.

إلا أن الكونگرس وضع قيوداً خلال فترة 1973 ـ 1974 على قدرة نيكسون في متابعة الانفراج بقرارات اتخذها مدفوعاً إلى تأكيد استقلاليته ورقابته بسبب فضيحة ووترگيت Watergate scandal المتنامية والسرِّية التي أحاط بها نيكسون وكيسنگر قسماً كبيراً من سياستهما الخارجية، إذ أوقف سنة 1973 خطط نيكسون لإرسال جنود إلى كمبوديا Cambodia والأهم من ذلك أنه أصر على ضرورة عدم إبرام أي اتفاقيات أخرى مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية إلا إذا قدَّم تنازلات في مجال حقوق الإنسان في أوروپا الشرقية. وعندما توفي ماو Mao سنة 1976 تباطأت المفاوضات الصينية ـ الأمريكية التي كانت تشكل ضغطاً على الاتحاد السوڤييتي.

وجد الرئيس فورد Ford ـ الذي تسلم السلطة من نيكسون في آب/أغسطس 1974 ـ أن الكونگرس قد وضع نفس القيود على سياسته الخارجية، فكان ردُّه على هذه التطورات أن رفض استخدام كلمة «انفراج».

هناك عامل مهم آخر في ابتعاد الولايات المتحدة الأمريكية عن الانفراج وهو مشكلاتها الاقتصادية المتعاظمة،

حيث أدّت تكاليف ڤيتنام التي تضافرت مع منافسة الاقتصادين الياباني والألماني الغربي المتناميين إلى ميزانية أظهرت عجزاً تجارياً هو الأول منذ سنة 1900. وزاد سوء الحالة بسبب الزيادة الكبيرة في أسعار النفط التي تبعت حرب 1973 العربية ـ الإسرائيلية. ومن الواضح أن للاقتصاد الأمريكي المتدهور عواقب خطيرة على الحِفاظ على القوة العسكرية الأمريكية في المستقبل.

كانت إحدى نتائج هذا الوضع تردُّد الكونگرس في الموافقة على اعتمادات إضافية لتمكين كيسنگر من مواجهة الديپلوماسية السوڤييتية في أفريقيا في النصف الثاني من السبعينيات. بعد ثورة البرتگال سنة 1974 مُنِح الاستقلال لمستعمرات أنگولا Angola وموزامبيق Mozambique وگينيا ـ بيساو Guinea-Bissau، بعد سنوات طويلة من حرب العصابات التي خاضتها مجموعات استقلالية، إذ كانت الحركة الشعبية لتحرير أنگولا MPLA ـ أكبر المجموعات في أنگولا ـ تحظى بتأييد موسكو بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية والصين تؤيدان مجموعات أخرى. حَذا اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية حَذوَ الولايات المتحدة الأمريكية والصين عندما زادتا مساعداتهما العسكرية لمجموعاتهما أيضاً، بينما قامت كوبا Cuba في الواقع بإرسال قوات محاربة لمساعدة الحركة الشعبية لتحرير أنگولا MPLA. حينما انسحبت الصين رفض الكونگرس التمويل الإضافي الذي الْتمسه كيسنگر، وَوقّعت أنگولا سنة 1976 معاهدة مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، ولحقت بها موزمبيق مباشرة سنة 1977. كذلك أقام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية علاقات وثيقة مع حكومة إثيوپيا Ethiopia الموالية للسوڤييت. وتمكن الاتحاد السوڤييتي بفضل مجمل هذا النجاح من التغلب في النهاية

على معظم تخلفه في مجال القواعد البحرية الصديقة خارج أراضيه.

اتخذت الأحداث في أوروپا دوراً مقلِقاً للولايات المتحدة الأمريكية في فترة 1974 ـ 1977، إذ قامت ـ في كل من البرتگال عقب الثورة البرتگالية (التي قلبت الدكتاتورية اليمينية هناك) وَكذلك في اليونان بعد سقوط الدكتاتورية العسكرية اليونانية ـ حكومة جديدة يسارية ضمّت كثيراً ممن أرادوا الخروج من حلف شمال الأطلسي NATO سنة 1974، وتزامن ذلك مع تزايد شعبيّة الأحزاب «الشيوعية الأوروپية» في فرنسا وإيطاليا. وهكذا، بحلول سنة 1976، حتى كيسنگر كان يقول إنه لن يتحدث بعدُ عن الانفراج.

## كارتر والديمقراطيون

وُلِد جيمس كارتر James Carter سنة 1924. خدم في البحرية الأمريكية حتى سنة 1953 حين بدأ بإدارة مزارع عائلته الكبيرة لإنتاج الفول السوداني. أصبح عضواً في مجلس شيوخ ولاية جورجيا Georgia ثم حاكماً لها قبل أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة سنة 1977. هُزم بطريقة مقنعة من قبل المرشح الجمهوري ريگان Reagan في الانتخابات الرئاسية سنة 1980.

في البداية اتبع كارتر Carter ـ الذي هزم فورد في الانتخابات الرئاسية سنة 1976 ـ سياسة خارجية متقلبة إلى حدٍّ ما، وتجنّب استخدام العبارات المناوئة للسوڤييت وأعلن أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تقدم الدعم التلقائي للأنظمة القمعية لمجرد أنها ضد الشيوعية. اعتمد كارتر على مستشارَيْن هما سايروس ڤانس Cyrus Vance وزير الخارجية، وزبيگنيو بريجينسكي Zbigniew Brzezinski (البولوني) الذي عمل مستشاراً للأمن القومي. وكان في ذلك مشكلة، فبالرغم من أنهما يريان الاتحاد السوڤييتي عاملاً حاسماً في العلاقات الدولية إلا أن لهما آراء مختلفة في كيفية إدارة المفاوضات.

ظن ڤانس أن منافساً في الانفراج أصبح محتملاً حين تم استبدال بريجنيڤ Brezhnev بقادة شيوعيين أصغر سناً اعتقاداً منه أنهم يريدون إنهاء مواجهة الحرب الباردة. كذلك رأى أن

**كيف كانت مواقف ڤانس وبريجينسكي مختلفة تجاه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية؟**

سالت 2 طريق تسمح للولايات المتحدة الأمريكية بحلّ مشكلاتها الاقتصادية الذاتية من خلال تخفيض موازنة الدفاع.

أما بريجينسكي فكان له موقف آخر تجاه الاتحاد السوڤييتي الذي لا يثق بقادته ويعتقد أن لا شيء غير قوة أمريكا المتفوقة كفيل بإجبار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية على أن يقدم اتفاقيات مقبولة، ولذلك رأى أن لِسالت 2 أهمية نسبية ضئيلة. كان في الحقيقة يعتقد أن سباقاً جديداً للتسلح سيدمِّر الاقتصاد السوڤييتي ـ ذلك أن خبراء وكالة الاستخبارات المركزية CIA أعربوا عن أنه على غاية من الضعف ـ ولذلك ستحيق مشكلات خطيرة بالاتحاد السوڤييتي وبسيطرته على أوروبا الشرقية.

سرعان ما استنتج كارتر وبريجينسكي ـ بسبب التطورات في العالم المتطور (ولاسيما في إثيوبيا) ـ أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية كان يحاول تحسين موقفه الجغرافي من خلال الاستفادة من مشكلات الولايات المتحدة الاقتصادية وترددها ـ بعد ڤييتنام ـ في المخاطرة بالتورط في نزاع إقليمي آخر في هذا العالم. أثار كارتر انزعاج اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية من خلال تأييده لحملة حقوق الإنسان في الكتلة الشرقية بإطلاق دعوات بعيدة المنال للرقابة على الأسلحة، التي كانت تبدو مصممة لتأبيد تدني اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الإجمالي.

بحلول سنة 1978 اتضح أن بريجنيف مريض وأن الركود الاقتصادي والسياسي قد أصاب الاتحاد السوڤييتي، كما أن تغييرات كثيرة حصلت في العالم المتطور في الوقت ذاته دون تورط سوڤييتي، إذ استولى الشيوعيون في نيسان/ ابريل 1978

على السلطة في أفگانستان Afghanistan، وفي كانون الثاني/ يناير 1979 أطاحت ثورة إسلامية أصولية قادها آية الله الخميني Ayatollah Khomeni بشاه إيران (حليف الولايات المتحدة الإقليمي المهم)، وفي أمريكا الوسطى Central America والكاريبي Caribbean استولت على السلطة حكومات يسارية موالية للسوڤييت في نيكاراگوا Nicaragua وگرينادا Grenada.

إلا أن كارتر Carter بدأ بحلول سنة 1977 بتحديث التفوق النووي الأمريكي وتوسيعه، وبرغم أنه ألغى القاذفة ب1، إلا أنه استخدم المال لتطوير القاذفة الشبح Stealth الجديدة وصواريخ كروز Cruise، وقد تزايد الإنفاق الدفاعي في الواقع إبّان حكم كارتر. حين أبلغ الزعيم الألماني الغربي شميت Schmidt كارتر أنه يريد أن تُدرَج الأسلحة النووية المتمركزة في أوروپا (متوسطة المدى) ضمن سالت 2، رفض كارتر وبريجينسكي ذلك، وفي آذار/مارس 1977 أبلغ ڤانس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بذلك. وفي أواخر سنة 1977 بدأ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ينشر في ألمانيا الشرقية صواريخه من طراز إس إس ـ 20 بدل الصواريخ إس إس 4 وَ 5 والتي كانت أدنى من صواريخ پيرشينگ 1 التي نشرتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة 1960. والأهم أن الأقمار الصناعية الأمريكية اكتشفت بسرعة مواقع الصواريخ إس إس ـ 20 التسعة والثلاثين (كان الصاروخ إس إس ـ 20 سلاحاً للرَّدع).

دفعت هذه الأحداث التي توالت في العالم المتطور وأوروپا بالجمهوريين لتوجيه الانتقاد إلى كارتر على عدم مقاومته لما رأوه هجوماً سوڤييتياً جديداً، وقد أدّى هذا الضغط المتزايد إلى إنعاش عداوات الحرب الباردة. ردَّ كارتر باتخاذ مسلك أشد وبدأ بالتحدث عن التقليل من الحكم

الشيوعي أو النفوذ السوڤييتي في الصين China وڤييتنام Vietnam والصومال Somalia والعراق Iraq والجزائر Algeria وكوبا Cuba. وفي كانون الثاني/يناير 1979 قرَّرت الولايات المتحدة الأمريكية نشر صواريخ پيرشينگ 2 وكروز Cruise في أوروپا (كان قرار النشر قد اتخِذ في الحقيقة سنة 1975 قبل أن ينشر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية صواريخ إس إس ـ 20). وكان واضحاً أن هذه الأسلحة الجديدة، مع تزايد الإنفاق الأمريكي، إنما جعلت للوقوف في وجه الضربة الأولى، على خلاف صواريخ SS 20 السوڤييتية.

## مباحثات الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية: سالت 2

افتُتِحت مباحثات الحدِّ من الأسلحة الاستراتيجية سالت 2 في ڤيينا Vienna في حزيران/يونيو 1979، واتُّفِق على تحديد عدد راجمات الصواريخ العابرة للقارات ICBM والصواريخ البالستية التي تطلق من الغواصات SLBM بألفين وأربعمئة راجمة لكل طرف، كما اتفِق أيضاً على تحديد عدد راجمات الصواريخ التي تحمل رؤوساً حربية متعددة MIRV. إلا أن البعض في الولايات المتحدة الأمريكية بدؤوا بعد ذلك يدَّعون أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية قد حقق التفوق على الولايات المتحدة الأمريكية في الصواريخ العابرة للقارات ICBM. وبرغم أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية قد حقق الريادة على الولايات المتحدة الأمريكية إلاّ أن أمريكا بقيت في مجال أجهزة الإطلاق والقوة التدميرية ـ طبقاً لعَددٍ من الأبحاث التي نشرها معهد ستوكهولم لأبحاث السلم العالمي Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI) متفوقةً تفوُّقاً واضحاً في مجال التكنولوجيا كما كان حالها دائماً. إن دقة أسلحة الولايات المتحدة الأمريكية

هي أكبر بكثير، إذ أن الصاروخ إس إس ـ 18 يعادل الصاروخ الأمريكي طراز مينيتمان Minuteman، أما دقة الصاروخ طراز إم إكس MX فهي ضعفا دقة الصاروخ إس إس ـ 18. كذلك فإن 79٪ من صواريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية العابرة للقارات ICBM موجودة على اليابسة مقارنة بِ 25٪ من صواريخ الولايات المتحدة الأمريكية، بينما 54٪ من صواريخ الولايات المتحدة الامريكية موجودة في غواصاتها مقابل 21٪ من صواريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. (بقية صواريخ الولايات المتحدة الأمريكية العابرة للقارات «بعيدة عن المواقع» وليس من السهل العثور عليها من قبل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية).

أخَّرت الولايات المتحدة الأمريكية التصديق على اتفاقية سالت 2 عندما اكتُشِف لواء مقاتل في كوبا Cuba، وقد سبق للولايات المتحدة الأمريكية أن وافقت على وجود قوة سوڤييتية صغيرة عندما انتهت أزمة الصواريخ الكوبية، ولكن اليمين الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية مارس الضغط على كارتر Carter لإجبار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية على سحبها، وعندما رفض بريجنيڤ Brezhnev استمرت العلاقات بالتدهور، وشارفت فترة الرقابة على الأسلحة ـ والانفراج بطبيعة الحال ـ على نهايتها.

**لماذا ادَّعى الاتحاد السوڤييتي الدهشة من ردِّ فعل الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تدخُّله في أفگانستان؟**

## أفگانستان: كانون الأول/ديسمبر 1979

يُعتبر التدخل السوڤييتي المتزايد في سياسة أفگانستان Afghanistan الداخلية وقرار إرسال وحدات من الجيش الأحمر بناء على طلب الحكومة الأفگانية الموالية للسوڤييت آخر المسامير التي دُقَّت في نعش الانفراج.

وقعت الحرب الأهلية الأفگانية سنة 1979 حينما قرر كثير من مجموعات الأفگان التقليديين مقاومة الإصلاحات الراديكالية التي طرحتها الحكومة.

اعترف الغرب بالحكومة الأفگانية عند تسلمها السلطة

بعد انقلاب داخلي، كما قبل قبولاً غير رسمي بأفگانستان كمنطقة يتمتع فيها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بمصالح خاصة وذلك بالنظر إلى حدودهما المشتركة. أخذ كارتر الاتحاد السوڤييتي على حين غِرَّة عندما وصفه بأنه «أعظم تهديد للسلام العالمي منذ الحرب العالمية الثانية» (حسب نصيحة بريجينسكي Brzezinski). وادَّعى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أنه لم يتدخل إلا بعد أن تورطت كل من پاكستان Pakistan (بدعم من الولايات المتحدة) وكذلك إيران Iran بالحرب الأهلية الأفگانية. خشيت موسكو في الحقيقة من قيام دولة إسلامية أصولية ملاصقة لجمهورياتها الإسلامية، ولاسيَّما إذا تحالفت إما مع الولايات المتحدة الأمريكية أو مع الصين. كما أن بريجنيف Brezhnev اعتقد أن الفشل في الرَّد سيجعل الدول الشيوعية الأخرى تعتقد أن الاتحاد السوڤييتي لم يعد يرغب بالوقوف بوجه القوة



**دبابة سوڤييتية في أفگانستان. كان قرار إرسال القوات السوڤييتية في كانون الأول/ ديسمبر 1979 أحد العوامل وراء بدء الحرب الباردة الثانية**

الأمريكية. اعتقد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أن الحِفاظ على أكبر عدد ممكن من الدول الصديقة أمر مهم، وذلك في ظل تدني مستواه في هذا المجال أمام الولايات المتحدة الأمريكية، فالاتحاد السوڤييتي له أحد عشر حليفاً خارج أوروپا مقابل خمسين ونيِّف للولايات المتحدة الأمريكية.

## السياسة الداخلية الأمريكية

لايمكن تفسير الحرب الباردة الثانية ـ كما يراها المؤرخ ف. هوليداي F. Halliday ـ على أنها في كثير من نواحيها من فعل السوڤييت بل نتاج التطورات الحاصلة في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم المتطور. ففي الولايات المتحدة الأمريكية تزايدت أهمية الجنوب والغرب كثيراً من الناحيتين الاقتصادية والسكانية في السبعينيات بسبب تمركز معظم الصناعات الفضائية الجوية والعسكرية في تلك المنطقة التي كانت من الناحية التقليدية موطن أكثر السياسات المحافِظة تطرّفاً، وهي تحبِّذ الإنفاق العسكري العالي والسياسة الخارجية الشرسة المضادة للشيوعية، إضافة إلى التدخل العسكري في العالم المتطور. كذلك فإن هذه المنطقة تشكل موطناً لظهور اليمين الجديد الذي كان في حد ذاته ردَّ فعل تجاه التقهقر الاقتصادي الأمريكي وموجة الثورة التي اجتاحت العالم المتطور في السبعينيات.

التقهقر الاقتصادي الأمريكي تعبير يعني عدم حصول زيادة في إجمالي الناتج القومي. كان التضخم يسير بنسبة 10٪ والبطالة بنسبة 7.5٪.

بحلول سنة 1980 سيطر اليمين الجديد (وهو تحالف الجمهوريين والديمقراطيين المحافظين الجدد) على الكونگرس وتحالَفَ مع وزارة الدفاع ـ الپنتاگون Pentagon وصنّاع الأسلحة، وادَّعى أن القوة العسكرية الأمريكية

تقهقرت منذ ڤيتنام برغم أن الجيش الأمريكي خطط منذ 1968 لصواريخ كروز Cruise وإم إكس MX وترايدَنت Trident والقاذفات ب1، أما قرار نشر صواريخ كروز وَبيرشينگ 2 فاتُّخِذ منذ 1975 . إن الزيادة الكبيرة في الإنفاق العسكري هي طريقة لإيقاف تدني المردود الاقتصادي ـ مؤقتاً على الأقل ـ في ظل بلوغ عدد المستخدَمين المباشرين في صناعة الأسلحة سبعة ملايين (وحوالي 10٪ من عدد السكان على نحو غير مباشر). غير أن تفسير هوليداي Holliday يبقى قليل الأهمية، إذ أن معظم المؤرخين رأوا أن التدخل العسكري السوڤييتي في أفگانستان (الذي أقحم ما يزيد عن 85.000 جندي من الجيش الأحمر) والوقائع الأخرى التي حدثت في العالم المتطور تحظى بأهمية تفوق التغييرات في السياسة الأمريكية الداخلية.

## كيف كانت الحرب الباردة الثانية تختلف عن الأولى؟

كان رد فعل كارتر تجاه التدخل السوڤييتي في أفگانستان ـ وعودته إلى لغة الحرب الباردة التقليدية وسياستها ـ هو الخطوة الأولى فيما أسماه بعض المؤرخين الحرب الباردة الثانية، إذ كَشف في كانون الثاني/يناير 1980 (تحت ضغط متزايد من اليمين الجمهوري الجديد) عن غضب الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أعمال اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية في أفگانستان من خلال فرض حظر على مختلف صادراتها إليه، والتي اشتملت على كثير من توريدات الحبوب التي تدعو إليها الحاجة، وتأكيده على عدم التصديق على معاهدة سالت 2، ودعوته إلى مقاطعة الألعاب الأولمپية لدورة 1980 المقرر إجراؤها في موسكو. ساور القلق اتحاد

الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية أيضاً بسبب موافقة الولايات المتحدة الأمريكية على تزويد الصين بالأسلحة لأول مرة ودون سابقة.

في تموز/يوليو 1980 وقَّع كارتر مرسوماً رئاسياً أخذ فيه بعين الاعتبار إمكانية شنَّ حرب محدودة على أهداف عسكرية محددة في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هي الأكثر ضعفاً نظراً لأن 79٪ من الصواريخ العابرة للقارات ICBM تتمركز على اليابسة، وبذلك يسهل اكتشافها وضربها، بينما لا يزيد العدد المقابل لدى الولايات المتحدة عن 25٪ فقط. تم أيضاً إنشاء قوات الانتشار السريع من أجل التدخل في العالم المتطور، في حين رجع كارتر عن الوعود الانتخابية بسحب القوات من كوريا الجنوبية South Korea.

وُلِد رونالد ريغان Roland Reagan سنة 1911، وكان ممثلاً ومناهضاً للشيوعية عن قناعة وقام بدور مهم خلال فترة مككارثي McCarthy. كان حاكماً جمهورياً لكاليفورنيا خلال فترة 1967 ـ 1974 وله علاقات وثيقة مع اليمين الجديد New Right. أصبح سنة 1981 رئيساً وارتبط اسمه على وجه الخصوص بالحرب الباردة الثانية، وبعد ذلك لعب دوراً مهماً في نهاية الحرب الباردة.

وعلى الرغم من موقف كارتر القاسي إلا أن ريگان Reagan انتُخِب رئيساً في تشرين الثاني/نوفمبر 1980. ألْزَمت إدارة ريگان الجمهورية نفسها ـ وكانت قد تسلمت السلطة في كانون الثاني/يناير 1981 ـ بِـ «إعادة ترسيخ» قوة الولايات المتحدة من خلال زيادة تفوقها النووي فتتمكن بذلك من التدخل تدخلاً أكبر في العالم المتطور. تم ربط هذا الأمر بتوسع الاقتصاد الأمريكي عامة والتجمع العسكري ـ الصناعي بخاصة. وزاد ريگان الإنفاق العسكري بنسبة 13٪ سنة 1982 ـ برغم ضعف هذا الاقتصاد سنة 1981 ـ وبأكثر من 8٪ في كل من السنوات اللاحقة، وبرَّر ذلك بالادعاء بوجود «نافذة ضعف». كذلك ادّعى أن الإنفاق العسكري السوفييتي على التسلح تعاظم تعاظماً كبيراً خلال السبعينيات وأنه الآن أكبر مما هو عليه في الولايات المتحدة الأمريكية. ومع ذلك ـ وطِبقاً لمعهد ستوكهولم لأبحاث السلم العالمي SIPRI ـ فإن الاتحاد السوفييتي لم يتخطَّ الإنفاق الأمريكي كما أنه لم

يضِف أية زيادة مفاجئة في السبعينيات، إذ ازدادت موازنة وكالة المخابرات المركزية CIA في الوقت نفسه بأكثر من ذلك. بدأت إدارة ريگان تبحث في ضربات نووية «جراحية» وتمت تقوية الاتصالات الأمريكية من أجل التصدي لأي ردٍّ نووي سوڤييتي. أما في أوروپا فقد دُرس حتى استخدام القنبلة النيوترونية والأسلحة الكيميائية.

ازداد الإنفاق العسكري السوڤييتي في السبعينيات بنسبة 2٪ سنوياً، وهذه الزيادة تقل عن زيادة إجمالي الناتج القومي. ولما كان إجمالي الناتج القومي السوڤييتي يعادل حوالي نصف إجمالي الولايات المتحدة الأمريكية فإنه يحتاج إلى أن يصرف ضعفي النسبة الإجماليه حتى يتمكن من مجاراة التطورات الأمريكية. بلغ مجموع ما أنفقه حلف شمال الأطلسي NATO والدول المناهضة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ـ سنة 1980 ـ ثلاثمئة وخمسة بلايين دولار على الدفاع مقارنة بـ 201 بليون دولار هي مجموع ما أنفقه حلف وارسو

صُرف النظر عن الانفراج باعتباره فشِلَ، وأُنحِيَ باللائمة على موسكو لمخالفة تلك الاتفاقيات التي تم التوصل إليها، ولاسيَّما فيما يتعلق باختراقاتها المرئية والواقعية في مناطق العالم المتطور مثل أفگانستان، والأهم من ذلك هو أن ريگان اتّبع ـ فوراً ـ سياسة مناوئة للسوڤييت بغاية الشدة بالتناغم مع نظراته طويلة الأمد في مناوأة الشيوعية، والنتيجة هي تدهور العلاقات الأمريكية ـ السوڤييتية إلى مستوى أدنى.

أرسلت سياسة ريگان الخارجية رسائل مختلطة، إذ عيَّن ريگان Reagan جورج شولتز George Shultz وزيراً للخارجية سنة 1982 فدعا بسرعة إلى مراقبة جديدة للأسلحة، ومع ذلك ففي سنة 1983 أشار ريگان إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بعبارة «إمبراطورية الشر»، وبعد ذلك وخلال سنة كان يعرض «مفاوضات بناءة، ولكن فقط حينما تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد حققت التفوق من جديد.

صواريخ بيرشينگ 2 وكروز هي «الجيل الجديد» من الأسلحة النووية الأسرع والأصعب اكتشافاً. وكان هذا ينطبق بخاصة على صواريخ كروز التي يمكن إطلاقها من حاملات صواريخ متحركة. ولم يكن الاتحاد السوڤييتي يملك معادلاً لها.

أقلق هذا السلوك الزعيم السوڤييتي الجديد أندروبوف Andropov الذي خشي من أن تخاطر السياسة الأمريكية الجديدة بأزمة حقيقية بين القوتين العظميين، وبخاصة عندما أعلن ريگان برنامجاً مدته خمس سنوات بتكلفة مئة وثمانين بليون دولار من أجل تحديث القوات النووية الاستراتيجية

الأمريكية وبخاصة في أوروبا، وكانت أول الصنوف التي بدأ التحديث فيها هي الأسلحة النووية متوسطة المدى في أوروبا. كان الاتحاد السوفييتي ينشر في أوروبا الشرقية منذ أواخر سنة 1977 أسلحته متوسطة المدى من طراز إس إس ـ SS-20 20 في محاولة منه لسدِّ الفجوة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية في مجال هذه الأسلحة النووية الميدانية TNF. حلّت الصواريخ إس إس ـ 20 محلَّ الأسلحة النووية الميدانية القديمة من طراز إس إس ـ 4 وَإس إس ـ 5 التي كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية قد نشرها تمشياً مع صواريخ ثور Thor وَجوبيتر Jupiter التي نشرتها الولايات المتحدة في وقت سابق. تبنَّت الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1979 ـ كاستجابة للضغط الذي تمارسه الحكومات الأوروپية الغربية ـ سياسة «ذات مسار مزدوج»، وأعلنت أنها سوف تنشَر الصواريخ البالستية طراز بيرشينگ 2 في ألمانيا الغربية، في حين تتمركز صواريخ كروز التي تنطلق من الأرض في عدة بلدان أوروپية منها بريطانيا. غير أن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت قرارها المبدئي بنشر هذه الأسلحة الجديدة قبل أن يطرح الاتحاد السوفييتي الصواريخ طراز إس إس ـ 20 وتم في ذات الوقت إبلاغ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بأن أي عمل لن يُتّخَذ بهذا الشأن إذا أزيلت الصواريخ إس إس ـ 20. تملك الرعب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية من هذه الأسلحة الأمريكية الجديدة لأنها أسرع وأدق من الأسلحة الحالية وبذلك تكون مقارعتها أصعب، وهي أسلحة الضربة الأولى أو أسلحة ردع وليست أسلحة دفاعية مثل الصواريخ إس إس ـ 20 التي لا تتميَّز بدقة صواريخ بيرشينگ 1 التي نشرتها الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات.

الأسلحة التي كان يجري تطويرها في مبادرة الدفاع الاستراتيجية أو SDI (والمعروفة أيضاً باسم «حرب النجوم» Star Wars) ستجعل من المستحيل على اتحاد

الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الردَّ على أية ضربة أمريكية لأن أي صاروخ يُطلَق ردّاً على ذلك سوف يدمَّر بواسطة أسلحة مبادرة الدفاع الاستراتيجية قبل وصوله إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك زالت مخاوفها من تعرضها للتدمير بفعل حرب نووية وذلك لانعدام إمكانية القيام بهجوم سوڤييتي معاكس.

أثناء محادثات الأسلحة النووية متوسطة المدى INF طرح ريگان Reagan سياسة جديدة عُرِفت باسم «خيار الصفر» حيث يوافق الطرفان على وضع حدٍّ لزيادة التسلح في المستقبل، لكن الاتحاد السوڤييتي رفض ذلك. وفي الواقع ـ وطِبقاً لمعهد ستوكهولم لأبحاث السلم العالمي SIPRI ـ فإن خيار الصفر (التجميد) كان سيستبقي التفوق الواضح لحلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة، نظراً لأنه لدى الحلف 1000 قاذفة نووية متوسطة المدى و 17000 رأس حربي نووي، في حين كان لدى حلف وارسو على التوالي 550 قاذفة و 6000 رأس. كذلك فإن الولايات المتحدة كانت متقدمة كثيراً في أهم الصواريخ البالستية التي تطلق من الغواصات SLBM. في حزيران/يونيو 1982 ـ وبعد تصويت الكونگرس ـ بدأت أيضاً مباحثات في جنيف لتخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية Strategic Arms Reduction Talks (START)، وبعدئذ في آذار/مارس 1983 أعلن ريگان عن مبادرة الدفاع الاستراتيجي Strategic Defence Initiative (SDI) أو مشروع «حرب النجوم Star Wars» الذي سيجعل جميع الأسلحة الهجومية لاحاجة لها. خشي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية أن يكون معنى هذا سرعة حرمانه من امتلاك سلاح ردع نووي، ورأى أن توازن القوى المتحسِّن في طريقه إلى الزوال واعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد مهتمة بمحادثات تخفيض الأسلحة.

**ما هو مشروع «حرب النجوم»؟**

في تشرين الثاني/نوڤمبر 1983 بدأ حلف شمال الأطلسي NATO ينشر صواريخ بيرشينگ 2 وكروز، ونتيجة لذلك قطع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية هذه المباحثات، وفي نفس الوقت تلاشت الدعوة إلى مباحثات تخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية START. وعلى العموم فإن سنة 1983 كانت الأسوأ في علاقات الحرب الباردة بين



مظاهرة احتجاجية نسائية سلمية خارج قاعدة للصواريخ في گرينهام كومون Greenham Common في بيركشاير Berkshire ببريطانيا. كانت النسوة يحاولن منع نشر صواريخ كروز Cruise الأمريكية التي كان يُنظر إليها على أنها تشكل تصعيداً خطيراً لسباق تسلح الحرب الباردة

الطرفين منذ أزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962. وقصدت الولايات المتحدة قطع المباحثات آملة أن ينسحب الاتحاد السوڤييتي في النهاية.

## پولونيا

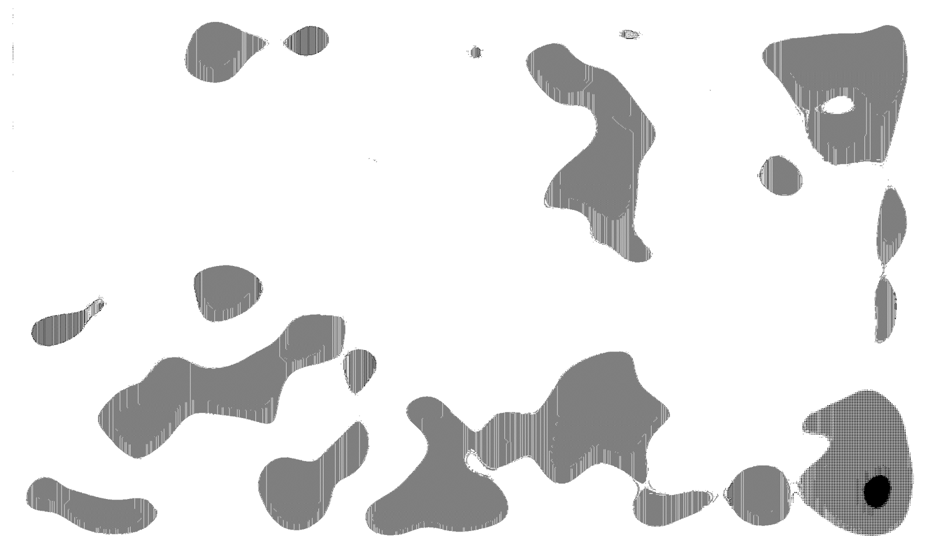
أصبحت الحرب الباردة الثانية والوضع في أوروپا أكثر توتراً بعد كانون الأول/ديسمبر 1981 حينما فرضت الحكومة الپولونية الأحكام العرفية في محاولة لإيقاف حركة اتحاد عمال التضامن Solidarity المستقلة. وبرغم أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية قد استبعد التدخل العسكري المباشر إلا أن موسكو مارست ضغطاً على القيادة الپولونية لترُدَّ بقسوة. كانت موسكو تخشى من أن تحذو دول أوروپية شرقية أخرى

حذو پولونيا فوراً فيما لو استطاعت هذه الأخيرة أن توجد نظاماً أكثر ديمقراطية، أضف إلى ذلك أن شعب الاتحاد السوڤييتي قد يحاول تفكيك الآليات التي تضمن سلطة قيادة الحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية ذاته.

كذلك فإن پولونيا كانت في نظر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية جزءاً هاماً من حلف وارسو وبالتالي من منظومة الدفاع السوڤييتية، وأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية مازال يشعر بالضعف من الناحية العسكرية في أوروپا وذلك برغم جيش الاتحاد السوڤييتي الذي يعدّ 3.7 ملايين رجل (مقابل جيش الولايات المتحدة الأمريكية الذي يعد مليونين)، حيث أن قسماً هائلاً من الجيش الأحمر (44 فرقة) ينتشر على حدود الاتحاد السوڤييتي مع الصين ولم يبق سوى 31 فرقة في أوروپا الشرقية. كذلك فإن تعداد حوالي 60٪ من الفرق السوڤييتية ـ كما تقول وكالة المخابرات المركزية ـ يقل بحوالي 50٪ عن التعداد المطلوب، في حين يسود الاعتقاد بعدم جاهزية 80٪ منها للقتال. وبالإجمال فإن كامل قوات حلف شمال الأطلسي NATO المسلحة يبلغ 4.9 ملايين في حين يصل هذا الرقم لدى حلف وارسو إلى 4.7 ملايين.

ردَّت الولايات المتحدة الأمريكية بفرض عقوبات اقتصادية وتجارية على كل من پولونيا والاتحاد السوڤييتي وأرادت من الغرب الأوروپي تطبيقها أيضاً. ومع ذلك فإن هذا تعارض مع مصالح كثير من هذه الدول التي ما زالت تريد الانفراج والمتاجرة مع الاتحاد السوڤييتي، كما أن أوروپا الغربية بخاصة كانت حريصة على المحافظة على خط الغاز

الطبيعي الذي يحمل الغاز من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، وأن بعضاً من دول الغرب الأوروبي آلمها مشروع «حرب النجوم»، وأخرى لم تكن سعيدة تجاه عواقب اعتقاد ريگان أن جميع القلاقل في العالم هي من صنع اتحاد



صورة تظاهرة في وارسو نظمها التضامن، وهو اتحاد عمالي مستقل عن حكومة پولونيا الشيوعية. كان مثل هذه التطورات يمثل إحدى علامات انهيار الأنظمة الأوروبية الشرقية في وقت لاحق من سنة **1991**.

الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. أدّى هذا الأمر إلى أن تزيد الولايات المتحدة الأمريكية من دعم الأنظمة القمعية أو الدكتاتورية اليمينية «الموثوقة» مثل السلڤادور El Salvador، ومن دعم مختلف المجموعات الإرهابية ولاسيما في أمريكا الوسطى Central America.

وُلد ميخائيل غورباتشيڤ Mikhail Gorbachev سنة 1931 ودرس الحقوق في جامعة موسكو، وعمِل بعد ذلك موظفاً شيوعياً. أصبح في سنة 1978 عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي وأخذ على عاتقه مسؤولية الزراعة. بحلول سنة 1980 أصبح عضواً في الشعبة السياسية Politburo وأيَّد أندروبوڤ Andropov الذي أصبح أميناً عاماً للحزب سنة 1983.

## السياسة الداخلية السوڤييتية

كان الاتحاد السوڤييتي يمر بفترة انتقالية سياسية متوترة خلال فترة 1982 ـ 1985، ففي شباط/فبراير 1984 توفي أندروبوڤ Andropov الذي خلَف بريجنيڤ Brezhnev في تشرين الثاني/نوڤمبر 1982، كما أن تشيرنينكو Chernenko الذي حلَّ محله توفي أيضاً في آذار/مارس 1985، وتزامن ذلك كله مع

أصبح گورباتشيڤ ذاته أميناً عاماً سنة 1985 وبدأ برنامجاً إصلاحياً لإنعاش الاقتصاد السوڤيتي وجعله عصرياً، وتحرير النظام السياسي. مُنِح جائزة نوبل Nobel Prize للسلام سنة 1990 لقاء دوره القيادي الذي لعبه في إنهاء الحرب الباردة.

مشكلات اقتصادية خطيرة في وقت توسعت فيه الفجوة التكنولوجية بين الاتحاد السوڤييتي والغرب (وبخاصة في مجالات الإلكترونيات الدقيقة والكمپيوترات). وبالضرورة فإن محاولة الاتحاد السوڤييتي مجاراة القوة العسكرية الأمريكية قد نالت من اقتصاده وأضعفته، ناهيك عن القصور الناجم عن الكثير من البيروقراطية والسيطرة المركزية. وبحلول أواخر الثمانينيات كان اقتصاد الاتحاد السوڤييتي أشبه ما يكون باقتصاد دولة متطورة منه ببلد صناعي متقدم. كان ميخائيل گورباتشيڤ Mikhail Gorbachev هو الزعيم السوڤييتي الجديد الذي انتخبته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤيتي في الحادي عشر من آذار/مارس 1985، وقد سبق له أن أدرك أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لم يعد بمقدوره اتباع كل تصعيد نووي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية.

## 1 . بيان مشترك سوڤييتي ـ أمريكي صادر بعد اجتماع قمة موسكو في تموز/يوليو 1974:

إن [كلا الجانبين] على قناعة تامة بالضرورة الملِحَّة لجعل عملية تحسين العلاقات الأمريكية ـ السوڤييتية أمراً لارجعة عنه... يستمر الجانبان بثبات في بذل جهودهما المشتركة... في مجالات هامة مثل: إزالة خطر الحرب، وبخاصة الحرب التي تشتمل على الأسلحة النووية أو أسلحة الدمار الشامل الأخرى، والحد من سباق التسلح وإنهائه في آخر الأمر، مستذكرَيْن الهدف النهائي في الوصول إلى نزع أسلحة عام وكامل تحت رقابة دولية مناسبة؛ وكذلك المساهمة في إزالة التوتر الدولي والنزاع العسكري؛ وتقوية وتوسيع عملية التخفيف من حدَّة التوترات في أنحاء العالم،

وإيجاد تعاون مشترك ومثمر وواسع في المجالات الاقتصادية والعلمية والفنية والثقافية.

ي. ج. رينر الحرب الباردة، لندن، 1992، ص 73

## 2 . هنري كيسنگر معلِّقاً على سياسة الانفراج

الانفراج لا يمنع من مقاومة التوسع السوڤييتي، بل هو على العكس، يرعى الإطار النفسي الوحيد الممكن لهذه المقاومة. [ الرئيس ] نيكسون Nixon يعرف أين يرسم الخط ضد المغامرة السوڤييتية سواء حدثت مباشرة أو بالنيابة . . . الولايات المتحدة والاتحاد السوڤييتي هما متنافسان عقائديان، ولا يمكن للانفراج أن يغير من ذلك. العصر النووي يضطرنا للتعايش، ولا يمكن للحملات البلاغية العنيفة أن تغير هذا الأمر.

هـ. كيسنگر، سنوات البيت الأبيض،
لندن ـ 1979، ص 237 ـ 238

# 15 نهاية الحرب الباردة: 1985 ـ 1991

**أسئلة تركيزية**

- ما هو الدور الذي لعبه گورباتشيڤ Gorbachev في إنهاء الحرب الباردة الثانية؟
- هل كانت نهاية الحرب الباردة نهاية «الصراع الكبير»؟

تواريخ هامة

| | |
|---|---|
| 1985 | آذار/ مارس: انتخاب گورباتشيڤ Gorbachev أميناً عاماً للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي |
| | تشرين الثاني/ نوڤمبر: قمة جنيڤ Geneva |
| 1986 | تشرين الأول/ أكتوبر: قمة ريكياڤيك Reykjavik |
| 1987 | كانون الأول/ ديسمبر: قمة واشنطن Washington |
| 1988 | أيار/ مايو: قمة موسكو Moscow |
| 1989 | انهيار الحكومات الأوروبية الشرقية أو قلبها |
| | كانون الأول/ ديسمبر: قمة مالطا Malta |
| 1990 | تشرين الثاني/ نوڤمبر: معاهدة الأسلحة التقليدية والقوات في أوروبا CFE |
| 1991 | تموز/ يوليو: قمة موسكو Moscow |
| | آب/ أغسطس: انقلاب فاشل ضد گورباتشيڤ |
| | كانون الأول/ ديسمبر: انهيار الاتحاد السوڤييتي؛ تشكيل رابطة الدول المستقلة CIS |

## نظرة شاملة

عُقِدت القمة الأولى بين گورباتشيف Gorbachev وريگان Reagan في جنيڤ Geneva في تشرين الثاني/ نوڤمبر 1985 والثانية في ريكياڤيك Reykjavik في تشرين الأول/ أكتوبر 1986. تم إحراز تقدم حول أمور تخفيض الأسلحة، برغم أن نشر الولايات المتحدة الأمريكية الطائرات الجديدة من طراز ب 52 قلّل من شأن هذا الأمر. في كانون الأول/ ديسمبر 1987 انتهت قمة واشنطن Washington بالتوقيع على معاهدة الأسلحة النووية متوسطة المدى Intermediate Nuclear Forces Treaty (INF).

أنهت اتفاقية جنيڤ Geneva سنة 1988 الحرب الأفگانية، كذلك عُقِدَت في هذا العام قمة موسكو Moscow التي أعلن فيها گورباتشيف قراره أحادي الجانب الخاص بتخفيض كبير للقوات السوڤييتية. وبحلول نهاية سنة 1989، وبعد أن أعلن أنه لن يوقِف الإصلاحات، سقطت معظم حكومات الأنظمة الأوروپية الشرقية. وهنا وافقت الولايات المتحدة الأمريكية على إنهاء معظم القيود على التجارة الأمريكية ـ السوڤييتية. في سنة 1990 أُعيد توحيد ألمانيا وتم التوقيع على معاهدة الأسلحة التقليدية والقوات في أوروپا CFE، وفي آذار/ مارس 1991 تم حل حلف وارسو Warsaw Pact وفي وقت لاحق من السنة تم التوقيع على معاهدة تخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية START. وبحلول نهاية العام كان گورباتشيف والاتحاد السوڤييتي قد ذهبا وانتهت الحرب الباردة في آخر المطاف.

**ما هي أهمية أن يصبح گورباتشيف أميناً عاماً للاتحاد السوڤييتي سنة 1985؟**

## ما هو الدور الذي لعبه گورباتشيف في إنهاء الحرب الباردة الثانية؟

### أهمية گورباتشيف

تبيَّن أن انتخاب گورباتشيف أميناً عاماً للحزب الشيوعي للاتحاد السوڤييتي في آذار/مارس 1985 شكَّل بداية نهاية الحرب الباردة وكذلك ـ كما ثبت ـ نهاية الاتحاد السوڤييتي ذاته.

وبرغم أن تقويض الاتحاد السوڤييتي لم يكن من مقاصد گورباتشيف، إلا أنه بالتأكيد هدَفَ إلى إنهاء الحرب الباردة، وكان همّه الأساسي إنهاء ركود الاقتصاد السوڤييتي، ومن ثم تقويته من جديد وبهذا يضمن للنظام السوڤييتي الأمان. أدرك گورباتشيف أن العبء المالي للإبقاء على قوة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية العسكرية هائل جداً وأن أثره على الاقتصاد السوڤييتي سوف يقوِّض دعائم الأمن السوڤييتي في نهاية المطاف. كذلك أدرك أن عجز موازنة الولايات المتحدة الأمريكية الكبير يعني أيضاً أنها لن تصمد أمام نفقات الدفاع المتزايدة لوقت أطول.

البيريسترويكا perestroika هي سياسة إعادة البناء التي أطلقها گورباتشيف. وعلى الرغم من أنها بدأت تُستخدَم لوصف نواياه العامة حول عصرَنة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، إلا أن مقصدها الأساسي هو الاقتصاد السوڤييتي. كان هدفه الرئيسي هو جعل النظام الاقتصادي أكثر حداثة وأن يحسِّن الإنتاج.

### «التفكير الجديد» لگورباتشيف

كانت سياسة گورباتشيف الداخلية تحدَّد من خلال سياساته لإعادة التعمير perestroika والانفتاح glasnost وتطبيق مزيد من الديمقراطية demokratizatsiya وطبَّق سياسته في التفكير الجديد على الشؤون الخارجية. طرح عدم الجدوى من الاستمرار في سباق التسلح نظراً لأن التقدم الذي تحقق لأحد الجانبين لا يكاد يُقارن بالآخر أو يُمَكِّن من التفوّق عليه، وأن المشكلات يمكن أن تُحل وأن الأمن يتحقق من خلال الوفاق السياسي وليس بالقوة العسكرية .

الگلاسنوست glasnost هي سياسة الانفتاح التي تبناها گورباتشيف وأراد الإفصاح للشعب عن أخطاء الماضي ومشكلات الحاضر في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، ومن ذلك انتقاد قيادة الحزب الشيوعي وسياساته علناً في وسائل الإعلام

الديموكراتيزاتسيا demokratizatsiya تشير إلى محاولات گورباتشيڤ لجعل النظام السياسي السوڤييتي أكثر ديمقراطية. أدخِلت الإصلاحات على الانتخابات لكي توفر فرصاً أكبر لاختيار الذين يدلون بأصواتهم، وتم السماح للتنظيمات والنوادي السياسية (أولاً يسار الوسط وبعدئذ الأحرار) بالعمل بعيداً عن رقابة الحزب الشيوعي. كذلك حاول گورباتشيڤ جعل الحكومة والنظام السوڤييتين أكثر استقلالية عن رقابة الحزب.

كانت سياسة گورباتشيڤ الخارجية تقوم على أساس معتقده ـ الذي يتم تطبيقه في الداخل أيضاً ـ وهو أن أساس الدپلوماسية هو حقوق الإنسان والديمقراطية واللاعنف وحرية الضمير، وقرر في هذا السياق أن عليه أن يعلن على الملأ ما رأى أنها حقيقة السياسة الخارجية السوڤييتية منذ أمد؛ وهي أن شكل دپلوماسية الاتحاد السوڤييتي يجب ألا يقوم على إيديولوجية الحرب الخفية.

تتضمن سياسة «التفكير الجديد» على نحو ما عناصر من السياسة السوڤييتية الخارجية التقليدية في أن هدفها هو التعايش السلمي والانفراج مع الغرب، كذلك فإن سياسة گورباتشيڤ الجديدة كانت تتميز بالاختلاف، فقد أسقط على سبيل المثال سياسة المسار المزدوج في التعايش السلمي لكي يضمن الأمن السوڤييتي المرتبط بالرغبة بانتصار الاشتراكية السلمي طويل الأمد في أنحاء العالم. كان هدفُ گورباتشيڤ المُعْلَن هو الأمن السوڤييتي، وتم التخلي على نحو واضح عن فكرته في تعايش سلمي ولكنه تنافسي. تميَّز مسلك گورباتشيڤ الجديد هذا من خلال إسناده وزارة الخارجية إلى إدوارد شيڤارنادزه Edvard Shevardnadze (وهو شيوعي إصلاحي ليبرالي من جورجيا Georgia).

**ما هي النواحي الرئيسية لتفكير گورباتشيڤ الجديد فيما يتعلق بالسياسة الخارجية السوڤييتية؟**

في أول اجتماع حضره گورباتشيڤ في اللجنة المركزية في نيسان/ابريل 1985 أعلن عن نيته إعادة فتح حوار مع الولايات المتحدة الأمريكية على الرقابة على الأسلحة، وتحدَّث عن الحاجة إلى سحب القوات السوڤييتية من أفگانستان. كذلك ألمح بصورة مبكرة إلى اعتقاده أن سباق التسلح بحاجة إلى أن يتوقف، لأن كل ما هو مطلوب لضمان أمن روسيا هو القدرة العسكرية للتهديد بهجوم معاكس فعّال. كان ذلك عودة إلى طريق خروتشيڤ Khrushchev والأهم من

ذلك أنه رفض صريح لسياسة التكافؤ التي اتبعها بريجنيف Brezhnev.

تحدث گورباتشيڤ في المؤتمر العام السابع والعشرين للحزب في شباط/فبراير 1986 عن التكافل العالمي وتكلم بصورة علنية لأول مرة عن الحاجة إلى التخلي عن سياسة التعايش السلمي المتنافس. وفي المؤتمر القطري التاسع عشر للحزب في حزيران/يونيو 1988 بدأ نقاش علني حول أخطاء السياسة الخارجية السابقة (مثل غزو تشيكوسلوڤاكيا سنة 1986) كما أتاح بعض المحفوظات بغرض البحث التاريخي.

**لماذا عارض بعض الشيوعيين سياسات گورباتشيڤ الداخلية والخارجية؟**

وبالرغم من أن أفكار گورباتشيڤ ومسلكه جعلت شعبيته كبيرة للغاية في الخارج إلا أنها كانت سبباً للانتقاد المتنامي من قبل الأوساط المحافِظة ضمن الاتحاد السوڤييتي التي كانت مصمِّمة على المحافظة على احتكار السلطة التي تتمتع بها النخبة السياسية في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وتعتقد أن مزيداً من الديمقراطية في الاتحاد السوڤييتي سوف يُقوِّض دعائم السيطرة السوڤييتية على أوروپا الشرقية. وفي الأساس أراد هؤلاء المتشدِّدون متابعة النهج الستاليني في الحكم.

## استجابة ريگان

بدأ مسلك ريگان تجاه الإتحاد السوڤييتي يأخذ منحى الاعتدال ويساهم في نفس الوقت بتحسين العلاقة بين القوتيْن العظمييْن، وتغيِّر اتجاه الجدل النووي وطبيعته بكاملهما وأصبحت المفاوضات تحمل مزيداً من المعنى، وكانت الحصيلة النهائية توافقاً سياسياً متزايداً في النصف الثاني من الثمانينيات بين رجال السياسة الذين وافقوا على استئناف مفاوضات الرقابة على الأسلحة التي انتهت بعدَ انسحاب

الاتحاد السوڤييتي منها سنة 1983.

أسرع گورباتشيف لاتخاذ خطوات للسير إلى الأمام، ففي نيسان/ابريل 1985 جمَّد نشر مزيد من صواريخ إس إس ـ 20، وأعلن في شهر آب/أغسطس عن وقف مؤقت للتجارب النووية تحت الأرض؛ وفي أيلول/سبتمبر اقترح قيام كل من الاتحاد السوڤييتي والولايات المتحدة الأمريكية بتخفيض مخازين جميع الأسلحة النووية الاستراتيجية إلى النصف؛ وفي تشرين الأول/أكتوبر أعلن عن خطَط لتخفيض عدد الصواريخ السوڤييتية في أوروپا الشرقية.

**القمم الأربع: 1985 ـ 1988**

عقد ريگان وگورباتشيف على مدار السنوات الثلاث التالية أربع قمم أمريكية روسية حول الرقابة على الأسلحة.

جنيڤ: 1985

تم الاجتماع الأول في جنيڤ Geneva في تشرين الثاني/نوڤمبر 1985، وعلى الرغم من عدم التوصل إلى اتفاقيات موقَّعة إلا أنه كان أول قمة تنعقد طوال ست سنوات، وقد كانت مهمة بتصريح گورباتشيف أن «الفوز في الحرب النووية غير ممكن ولا يجب خوضها»، وذلك إلى جانب ترسيخ علاقات شخصية طيبة بين ريگان وگورباتشيف. وقفت مخاوف الروس المستمرة من خطط ريگان في «حرب النجوم» في وجه الاتفاق العملي على تخفيض الصواريخ البالستية العابرة للقارات ICBM. كما رفض ريگان اقتراح گورباتشيف إصدار بيان مشترك يتضمن وعداً بألا يكون أحد الجانبين البادئ بشن هجوم نووي، وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية أرادت إبقاء الخيار مفتوحاً للرد بالأسلحة

النووية على هجوم تقليدي، إلا أنهما وافقا على وعد بمنع أي حرب بينهما وبعدم السعي إلى التفوّق العسكري.

تابع گورباتشيف بعد هذه القمة المضيَّ قدُماً وفاجأ الولايات المتحدة الأمريكية في كانون الثاني/يناير 1986 باقتراح إزالة جميع الأسلحة النووية كاملةً خلال فترة لاتتعدى نهاية القرن، ولحِقت ذلك عروض أخرى بالتخلص من جميع الصواريخ البالستية العابرة للقارات ICBM خلال عشر سنوات وسحب جميع الأسلحة النووية التكتيكية من أوروبا، وتقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بعروض مقابلة. وفي نيسان/ابريل 1986 اقترح گورباتشيف مباحثات جديدة حول تخفيض الأسلحة التقليدية والقوات لدى حلفي وارسو Warsaw وشمال الأطلسي NATO. وفي أيار/مايو أطلق سياسته في «التفكير الجديد» رسمياً، وذلك برغم استمرار ريگان في رفض التخلي عن تطوير مبادرة الدفاع الاستراتيجية SDI.

غير أن العلاقات بين القوتيْن العظميَيْن تدهورت في النصف الأول من سنة 1986، حين زاد التوتر المتفاقم سوءاً ـ بسبب الاعتداء الأمريكي على ليبيا وأفگانستان ـ عندما أعلن ريگان في شهر أيار/مايو أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تلتزم بمعاهدة سالت 2 التي لم تُصَدَّق بعد بسبب استمرار الوجود السوڤييتي في أفگانستان. وقع نزاع في شهر آب/أغسطس 1986 على التجسس (حين اكتشَف عملاءُ المخابرات الغربية السريون في الاتحاد السوڤييتي أن عدداً من عملاء المخابرات السوڤييتية KGB يعملون في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا) أدّى إلى طرد 25 سوڤييتياً موظفاً لدى الأمم المتحدة وإنذار الاتحاد السوڤييتي بعدم الرَّد بالمثل.

وافق ريگان على قمة ثانية بعد أن تراجع الاتحاد السوفييتي فلم يطرد أياً من عملاء وكالة الاستخبارات المركزية CIA العاملين في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية.

## قمة ريكياڤيك: 1986

لم تكن طبيعة الجو جيدة حسبما كان متوقعاً في قمة ريگان ـ گورباتشيف الثانية حيث كانت مبادرة الدفاع الاستراتيجية SDI تمثل نقطة الخلاف، ذلك أن الاتحاد السوفييتي ظلَّ يرى في هذه المبادرة منذ أن أعلنها ريگان في آذار/ مارس 1983 مخالفة لمعاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية لعام 1972 ABM Treaty، وبذلك تؤدي إلى تصعيد سباق التسلح النووي.

وافقت كل من الولايات المتحدة الأمريكية الاتحاد السوفييتي في معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية لسنة 1972 ABM Treaty of 1972 على عدم نشر أنظمة صواريخ مضادة للصواريخ، والتي كانت مكلفة للغاية.

حاول گورباتشيف أن ينتقل بالمفاوضات من دراسة تخفيض الأسلحة النووية والحد منها إلى نزعها الكامل، فردَّ ريگان بدعوته إلى التخلص الكامل من الصواريخ البالستية النووية خلال عشر سنين. وتم التوصل إلى اتفاق مبدئي على وجوب تخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية إلى النصف وسحب الصواريخ النووية متوسطة المدى من أوروپا.

غير أن استمرار الجدل حول مبادرة الدفاع الاستراتيجية SDI أدَّت في النهاية إلى قطع القمة؛ حيث رفض ريگان التخلي عنها. وقال گورباتشيف إن مزيداً من التخفيض من جانب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لايمكن أن يحدث دون أن يتحقق هذا التخلي. وقد بدا أن الأمر وصل إلى طريق مسدود. قام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بطرد 5 دپلوماسيين أمريكيين وردَّت الولايات المتحدة الأمريكية بطرد 55 دپلوماسياً روسياً.

عمِل گورباتشيف على فتح الطريق المسدود في شباط/

فبراير 1987 عندما عرض القبول بسياسة حلف شمال الأطلسي NATO القاضية بخيار الصفر لِصفر فيما يتعلق بنشر صواريخ إس إس20 وكروز في أوروپا، مما يعني في الجوهر أن كلا الجانبين سوف يسحبان صواريخهما من أوروپا، وهذه عودة كاملة عن السياسة السوڤييتية التي كانت متبعة في هذه المسألة خلال عشر سنوات، وتنازل كبير من قبل الاتحاد السوڤييتي لأن صواريخه من طراز إس إس20 نُشِرَت في محاولة لمعادلة توازن القوى التي اضطربت مرة أخرى بسبب الصواريخ الأمريكية المتطورة من طراز بيرشينگ 2 وكروز. ورأى منتقدو گورباتشيف في الاتحاد السوڤييتي في ذلك استسلاماً خطيراً. أقرَّ گورباتشيف في تشرين الثاني/نوڤمبر أن الحاجة تدعو إلى تحسين حقوق الإنسان في الكتلة السوڤييتية وأن الستار الحديدي يجب أن يُرفع، وتحدث أيضاً عن الحاجة إلى تجنب مواجهة بمستوى القوة العظمى في العالم المتطور.

**واشنطن:** 1987

نتيجة لتنازل گورباتشيف انعقد في كانون الأول/ديسمبر 1987 اجتماع قمة ثالث في واشنطن Washington تمخَّض عن توقيع معاهدة الأسلحة النووية متوسطة المدى INF التي وافقت على وجوب سحب جميع الصواريخ النووية ذات المدى المتوسط والقصير من قواعدها البرية في أوروپا، وكانت هذه المعاهدة هي الأولى التي توقَّع منذ سنة 1979 بشأن الأسلحة، وتفرَّدَت أيضاً بأن أي مباحثات لتخفيض الأسلحة لم تؤدِّ إلى إزالة صنف من الأسلحة النووية إزالة كاملة. وهذا يعادل في الأحوال العملية حوالي 5٪ من العدد الإجمالي للرؤوس الحربية النووية الموجودة. كذلك كانت معاهدة الأسلحة النووية متوسطة المدى INF ذات أهمية تاريخية إذ أن الطرفين قبلا بإجراءات التحقق ـ للمرة الأولى في تاريخ اتفاقيات

الرقابة على الأسلحة ـ حيث تسمح بمعرفة موعد تدمير الأسلحة وبحضور عملية التدمير. لم تؤد هذه المعاهدة إلى إبطاء سباق التسلح فحسب بل إلى عكس اتجاهه في الحقيقة، إذ ظهرت في هذه المرحلة مؤشرات على أن الحرب الباردة يمكن أن تنتهي من خلال تسوية يتفق عليها الطرفان.

موسكو: 1988

**لماذا كان ينظَر إلى إعلان گورباتشيڤ سنة 1988 بأن القوات السوڤييتية ستنسحب من أفگانستان كخطوة مهمة في التقليل من توترات الحرب الباردة؟**

اتّخذ گورباتشيڤ قبل اجتماع القمة التالي خطوة نحو تخفيف التوتر بين الشرق والغرب بإعلانه في شباط/ فبراير 1988 أن الاتحاد السوڤييتي سيسحب قواته من أفگانستان دون الإصرار على ضمانات على نوع الحكومة التي قد تتسلم السلطة في ذلك البلد حينذاك، وكان هذا الأمر موضِع إصرار من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ومقاومة من قبل القادة السوڤييت السابقين (ومنهم گورباتشيڤ في البداية). وبحلول نيسان/ ابريل 1988 عُقِد في جنيڤ مؤتمر دولي لهذا الغرض أدّى إلى اتفاقية أنهت كل التورط الأجنبي في الحرب الأهلية الأفگانية. كذلك ألْمَح گورباتشيڤ إلى إمكانية سحب القوات السوڤييتية حتى من أوروپا الشرقية في وقت قريب جداً. وبحلول شباط/ فبراير 1989 غادرت آخر وحدة من الجيش الأحمر أفگانستان بعد عشر سنوات من القتال.

وبالرغم من ذلك فإن قمة موسكو التي انعقدت في أيار/ مايو 1988 لم تحقق الكثير لأن الجدل على مشروع مبادرة الدفاع الاستراتيجية SDI حالَ مرة أخرى دون الاتفاق على تخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية. وحينذاك كان گورباتشيڤ قد قضى على محاولة ريگان لتصوير الاتحاد السوڤييتي «إمبراطورية الشر» حيث صرَّح الأخير على رؤوس الأشهاد أن نظرته إلى الاتحاد السوڤييتي قد تغيرت. وفي

الحقيقة كان گورباتشيڤ يسجل في استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة الأمريكية تقدماً على السياسيين الأمريكيين، كما أن «الجنون الگورباتشي Gorbimania» كما سُمِّي، انتشر في أوروپا حين استجاب الناس لمحاولاته إنهاء سباق التسلح وتحدثه عن «وطن أوروپي مشترك».

تعاظمت النظرة إلى گورباتشيڤ كصانع حقيقي للسلام من خلال تصريحاته التي أطلقها في كانون الأول/ديسمبر 1988 والتي قال فيها إن عدد قوات الاتحاد السوڤييتي سيخفض خلال السنتين القادمتين بمقدار نصف مليون جندي وأن القوات السوڤييتية ستنسحب تدريجياً من جمهورية ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوڤاكيا وهنگاريا، وأن ذلك سيتم دون الحاجة إلى تحركات مقابلة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية. والمهم أن گورباتشيڤ أعلن عن ذلك دون التفاهم مع وزير الدفاع السوڤييتي.

**ما هي القمم الأربع التي عُقدت بين الاتحاد السوڤييتي والولايات المتحدة الأمريكية في سنوات 1985 ـ 1988؟**

## من ريگان إلى بوش

في تشرين الثاني/نوڤمبر 1988 فاز جورج بوش George Bush في الانتخابات الرئاسية، وبعد استلامه مقاليد السلطة في كانون الثاني/يناير 1989 تباطأت خطوات تحسّن العلاقات الأمريكية ـ السوڤييتية لبعض الوقت اعتقاداً منه أن ريگان قد تسرَّع بتقديم كثير من التنازلات. وعندما تقابل بوش وگورباتشيڤ في تموز/يوليو 1989 أكد له گورباتشيڤ عدم وجود رغبة لدى الاتحاد السوڤييتي في تحدي الهيمنة الأمريكية العالمية، وسرعان ما طوَّر بيكر Baker ـ وزير الخارجية الجديد ـ علاقات طيبة مع شيڤارنادزه Shevardnadze. كان الاتحاد السوڤييتي قد يئس في هذا الوقت

من المساعدة المالية الأمريكية وكانت التعليمات قد أُعطِيت لشيفارنادزه بالإعلان عن استعداد الاتحاد السوڤييتي للتوقيع على معاهدة تخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية START دون الحاجة إلى أية تنازلات من جانب الولايات المتحدة الأمريكية.

### مبدأ گورباتشيف

رأى المؤرخون أن الانسحاب السوڤييتي من أفگانستان جزءٌ من سياسة واضحة من جانب الاتحاد السوڤييتي للتملّص من العالم المتطور تجنباً للمواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية على أساس رغبة بالأمن من خلال التعاون والعلاقات المتحسِّنة، وقد أطلق أحد المؤرخين على ذلك اسم «مبدأ گورباتشيف Gorbachev Doctrine».

غير أن أعمال گورباتشيف هنا وفيما يتعلق بنزع التسلح النووي وأوروپا الشرقية قد وُصِفت أيضاً بأنها «دپلوماسية اليأس». ويؤكد هذا الطرح على أن الاتحاد السوڤييتي ـ حتى وإن كان في وضع عسكري أدنى بسبب مصاعبه الاقتصادية ـ كان مجبراً على القيام بتخفيضات دفاعية تزيد كثيراً عما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في نفس المجال.

**كيف يمكن النظر إلى سياسة گورباتشيف الخارجية كـ«دپلوماسية اليأس»؟**

## هل كانت نهاية الحرب الباردة نهاية «الصراع الكبير»؟

### انهيار أوروپا الشرقية: 1988 ـ 1989

كان جزء من «تفكير» گورباتشيف «الجديد» يقوم على فكرة أن الاتحاد السوڤييتي وأوروپا الشرقية والغربية تتقاسم «وطناً أوروپياً واحداً»، وأكَّد على المشاركة في تاريخ أوروپا وثقافتها، وطرح أن الأمن الأوروپي بمجمله لايمكن أن يُحَلَّ إلا عن طريق مبادرات وهيئات لعموم أوروپا.

كان تخلي گورباتشيڤ العلني في آذار/مارس 1985 عن مبدأ بريجنيف لسنة 1968 مهماً، وبخاصة حين أوضح أن القوات السوڤييتية لن ترسَل إلى أية دولة أوروپية شرقية سواء للدفاع عن النظام القائم أو لسحق الشيوعيين الإصلاحيين أو الحركات الشعبية الجماهيرية، كما أكد على ذلك مرة أخرى في اجتماع لحلف وارسو عُقِد في نيسان/ابريل 1985.

عندما جاء گورباتشيڤ إلى السلطة سنة 1985 كانت معظم الأنظمة في الكتلة الشرقية كما يبدو تنعم بالأمن والاستقرار، وكثيراً من منتقدي گورباتشيڤ أنحَوا باللائمة على سقوط هذه الدول خلال أربع سنوات فقط على سياسات گورباتشيڤ.

شجَّع گورباتشيڤ كجزء من هذا المسلك تطبيق سياساته في إعادة التعمير وَالانفتاح وَتطبيق مزيد من الديمقراطية، وطبَّق سياسته في دول أوروپا الشرقية التابعة. وحين كان كثير من مواطني هذه الدول حريصين على الاستمتاع بالحريات الجديدة التي سُمِح بها في الاتحاد السوڤييتي كانت شكوك عظيمة تساور كثيراً من الحكومات الأوروپية الشرقية من هذه السياسات، إذ حاولت حكومات جمهورية ألمانيا الديمقراطية وبلگاريا ورومانيا وتشيكوسلوڤاكيا جاهدة أن تضع حداً للأنباء الخاصة بإصلاحات گورباتشيڤ في الاتحاد السوڤييتي. إلا أن الشيوعيين الحاكمين في پولونيا وهنگاريا رحّبوا بفرص الإصلاح الجديدة.

**ما هي أهمية تخلي گورباتشيڤ سنة 1986 عن مبدأ بريجنيڤ؟**

## پولونيا وهنگاريا

في پولونيا أصبحت حركة التضامن Solidarity (المحظورة منذ فرض الأحكام العرفية سنة 1981) قانونية في كانون الثاني/يناير 1989، وفي نيسان/ابريل اتفقت مع الحكومة على مجموعة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية شملت إجراء

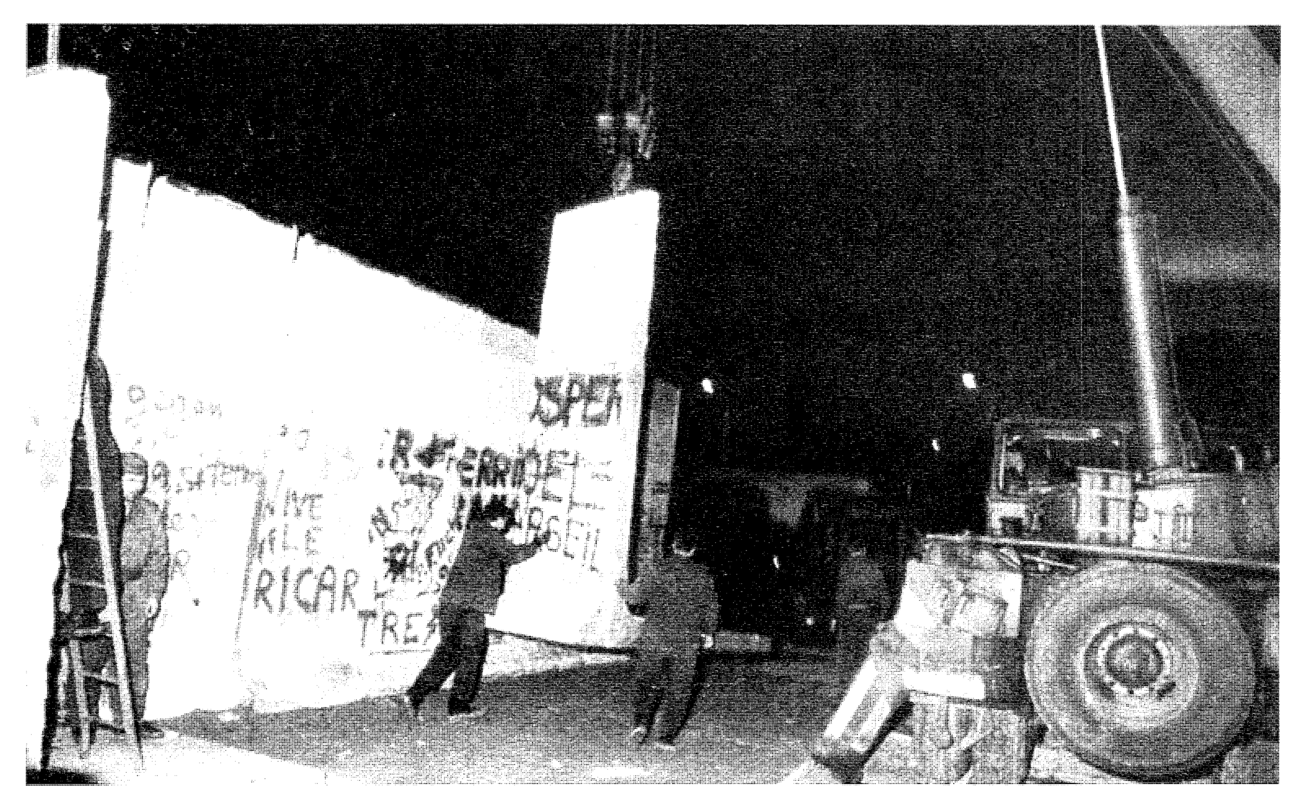
انتخابات في حزيران/ يونيو أدَّت إلى انتصارها الواضح، وفي آب/ أغسطس 1989 انتخب البرلمان البولوني الجديد أول رئيس وزراء غير شيوعي يحكم في أوروبا الشرقية منذ فترة تزيد عن أربعين سنة.

وفي هنگاريا كان الشيوعيون الإصلاحيون ينفذون لبعض الوقت سياساتهم الخاصة على الطريقة الگورباتشية. تزايدت هذه التحركات في أواخر الثمانينيات، وتم الاتفاق سنة 1989 على إجراء انتخابات متعددة الأحزاب. (كان غزو هنگاريا سنة 1956 رد فعل جزئياً على مثل هذه الإصلاحات). وقبل گورباتشيف بهذه الإصلاحات في كلا البلدين.

## ألمانيا الشرقية

تطلَّب الأمر حدوث تطورات في جمهورية ألمانيا الديمقراطية من أجل تسريع وتيرة التغيير في بقية أنحاء أوروپا الشرقية. أثار قرار هنگاريا فتح حدودها مع النمسا في شهر آب/ أغسطس 1989 أزمة في ألمانيا الشرقية. وبحلول أيلول/ سپتمبر 1989 كان آلاف من الألمان الشرقيين يعبرون الحدود إلى ألمانيا الغربية عبر هنگاريا والنمسا مثيرين بذلك أزمة اقتصادية ماثلت الأزمة التي أدَّت إلى بناء سور برلين.

لم يستطع زعيم ألمانيا الشرقية هونيكر Honecker أن يعتمد على الدعم السوڤييتي ـ خلافاً لما كان عليه أولبريخت Ulbricht سنة 1961 ـ وتلك حقيقة أوضحها گورباتشيف أثناء زيارته في تشرين الأول/ أكتوبر حين حثَّ هونيكر على القيام بإصلاحات سياسية واقتصادية. انتشرت التظاهرات تأييداً للديمقراطية في جميع أنحاء جمهورية ألمانيا الشرقية وفي 18 تشرين الأول/ أكتوبر استقال هونيكر من زعامة الحزب الشيوعي ليحل محله إيگون كرينز Egon Krenz.




تفكيك سور برلين في تشرين الثاني / نوڤمبر 1989. أصبح هذا العمل يرمز إلى انهيار الشيوعية ونهاية الحرب الباردة.

تزايدت وتيرة التظاهرات ووصلت إلى أوجها بتظاهرة عارمة في برلين الشرقية في الرابع من تشرين الثاني/نوڤمبر شارك فيها نصف مليون متظاهر. وفي هذه المرحلة أشار گورباتشيڤ أن على جمهورية ألمانيا الديمقراطية أن تقيم علاقات أوثق مع ألمانيا الغربية، موضحاً أنه لم يعد بوسع الاتحاد السوڤييتي أن يقدِّم الدعم لاقتصادها. وفي 7 تشرين الثاني/نوڤمبر استقالت حكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وفي 8 تشرين الثاني/نوڤمبر قرَّر كرينز أن يفتح سور برلين. كان هذا الخرق للسور أكبر الأمثلة الدراماتيكية على أن الحرب الباردة والسيطرة السوڤييتية على أوروبا الشرقية كانتا تشارفان على نهايتيهما. وتدافع آلاف من أهالي برلين الشرقيين لعبور الحدود حيث لم تعد مدينة مقسمة.

## تشيكوسلوڤاكيا وبلگاريا

حرَّضت هذه الوقائع في ألمانيا الشرقية على احتجاجات عارمة في تشيكوسلوڤاكيا وبلگاريا. ففي تشيكوسلوڤاكيا بخاصة كان الجو يذكِّر بربيع براگ Prague Spring سنة 1968. استقالت الحكومة الشيوعية وتم تأسيس نظام متعدد الأحزاب، ومما يثير السخرية أن رئيس البرلمان الاتحادي الجديد كان الكساندر دوبتشيك Alexander Dubcek. ونتيجة لهذه «الثورة المخملية» أصبح أحد المنشقين ـ ڤاكلاڤ هاڤل Vaclav Havel ـ رئيساً للجمهورية. وفي بلگاريا أيضاً أدت المظاهرات العارمة إلى استقالة الحكومة وظهور ديمقراطيةٍ متعددة الأحزاب.

## رومانيا

كانت رومانيا شاذة عن هذه الثورات السلمية حيث أقدم زعيم البلاد تشاوشيسكو Ceaucescu على استخدام الجيش لسحق المظاهرات. سقطت الحكومة بعد أن عمَّت الفوضى بوخارست Bucharest، وتم بعد ذلك إعدام تشاوشيسكو.

أعطت الولايات المتحدة إشارات إلى أنها لن تعترض على قيام گورباتشيف بإرسال قوات لمساعدة الجيش الروماني ضد تشاوشيسكو، إلا أن تدخل گورباتشيف الوحيد في أوروپا الشرقية كان لمتابعة التشجيع على الإصلاحات الليبرالية. (ففي وقت سابق في 27 تشرين الأول/أكتوبر كان حلف وارسو قد صرَّح بأنه لن يحصل تدخل عسكري لدعم الحكومات غير الشعبية).

وبالرغم من أن گورباتشيف أمل بقيام الحكومات الجديدة على أكتاف شيوعيين أو اشتراكيين إصلاحيين

يرسِّخون اشتراكية ديمقراطية في أوروپا الشرقية إلا أن كل ما أمكنه التأكد منه هو زوال الحكومات الشيوعية ذات النمط القديم. سمح الاتحاد السوڤييتي بتفكيك منطقته الأمنية التي كانت الأساس والهدف الرئيسي لسياسته الخارجية منذ سنة 1945 والتي لعبت دوراً أكبر في ابتداء الحرب الباردة. وكان هذا الانهيار للكتلة السوڤييتية دلالة واضحة على مدى خطورة تدهور الاتحاد السوڤييتي داخلياً وخارجياً بحلول نهاية الثمانينيات. كانت هذه الدول الأوروپية الشرقية ترزح تحت أعباء الديون الثقيلة للاتحاد السوڤييتي، وبذلك زادت من مشكلاته الاقتصادية الخاصة.

**كيف ساهمت التطورات في ألمانيا الشرقية بالانهيار النهائي للكتلة الأوروپية الشرقية؟**

## الفصل الأخير: 1990 ـ 1991

### مزيد من تخفيض الأسلحة

كان لانهيار الأنظمة الأوروپية الشرقية والمنطقة العازلة السوڤييتية دور كبير في إنهاء الحرب الباردة، ففي كانون الأول/ ديسمبر 1989 أعلن كل من گورباتشيڤ وبوش في قمة مالطا عن انتهاء الحرب الباردة رسمياً، وقد جاء هذا البيان الرمزي مع إعلان گورباتشيڤ أن الاتحاد السوڤييتي لم يعد يرى في الولايات المتحدة الأمريكية عدواً. عرضت الولايات المتحدة الأمريكية على الاتحاد السوڤييتي مساعدة اقتصادية، وتم التوصل إلى اتفاقيات غير رسمية على أوروپا الشرقية وألمانيا وجمهوريات البلطيق. (وبخصوص الموضوع الأخير كان گورباتشيڤ مستعداً لدراسة التخفيف من روابطها مع الاتحاد السوڤييتي ولكن ليس منحها الاستقلال في البداية). كذلك اتفقا على العمل على تقليص الأسلحة التقليدية والقوات في أوروپا. وبعد قمة مالطا صرح شيڤارنادزه

**ما هي الأهمية الرئيسية لقمة مالطا سنة 1989؟**

Shevardnadze أن الحرب الباردة «قد دُفِنت في قعر البحر الأبيض المتوسط».

بقيت مسألة ألمانيا تشكل هاجساً أمنياً للاتحاد السوڤييتي، ففي البداية أمل گورباتشيڤ بتجنب توحيد ألمانيا ظناً منه أن ألمانيا المقسَّمة ستكون أقل خطراً من الناحية الأمنية وذلك في ظل عدم التأكد من النهج السياسي والدبلوماسي الذي يحتمل ظهوره في أوروپا الشرقية. كذلك كان السوڤييت قلقين من أن يقوم حلف شمال الأطلسي NATO بتوسيع عضويته نحو الشرق ليصل حتى حدود الاتحاد السوڤييتي. وبحلول شباط/فبراير 1990 كان گورباتشيڤ قد قبل بعودة هذا الأمر إلى الألمان أنفسهم لتقرير مدى رغبتهم بإعادة التوحيد، وأمل أن تبقى ألمانيا الجديدة ـ في حال إعادة التوحيد ـ محايدة. غير أن كول Kohl مستشار ألمانيا الغربية أوضح أن ألمانيا الموحدة سوف تنضم إلى حلف شمال الأطلسي NATO. وفي أيار/مايو وقّعت جمهورية ألمانيا الديمقراطية على معاهدة إعادة التوحيد مع ألمانيا الغربية وأصبح المارك الألماني الغربي العملة المشتركة في تموز/يوليو.

كذلك وافق گورباتشيڤ في بدايات التفاوض على سحب القوات السوڤييتية من دول أوروپا الشرقية، ومن أجل تسهيل هذه العملية قدَّمت الولايات المتحدة الأمريكية معونة مالية ولكن الحصول عليها يتطلَّب من گورباتشيڤ أن يوافق بالضرورة على كل ما يريده بوش Bush ولا سيَّما إعادة توحيد ألمانيا، ومرَّة أخرى تصرَّف گورباتشيڤ دون تفاهم مسبق مع وزير الخارجية السوڤييتي أو العسكر السوڤييت.

وفي النهاية قبل گورباتشيڤ في أيلول/سپتمبر 1990

التنازلات هي تخفيض عدد الجيش الألماني الغربي السابق وعدم نشر قوات من حلف شمال الأطلسي في جمهورية ألمانيا السابقة.

ـ تحت ضغط الغرب الهائل وحصوله على بعض التنازلات ـ بإعادة توحيد ألمانيا (وعضويتها في حلف شمال الأطلسي NATO) وتم ذلك في نهاية المطاف يوم الثالث من تشرين الأول/أكتوبر 1990، وسرعان ما أصبح إعادة توحيد ألمانيا رمزاً لنهاية التقسيمات التي وُجدت في أوروبا منذ سنة 1947.

في تشرين الثاني/نوفمبر 1990 تم التوقيع على معاهدة تخفيض الأسلحة التقليدية والقوات في أوروبا CFE التي أدَّت إلى تخفيض في نشر القوات، وفي الوقت ذاته بدأت مباحثات أخرى حول تخفيض الأسلحة النووية انتهت إلى التوقيع على معاهدة لتخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية START في قمة موسكو في تموز/يوليو سنة 1991 بعد عشر سنوات من البدء بصياغتها. تم الاتفاق على تخفيض لا بأس به في مخزونات الأسلحة النووية الاستراتيجية الأمريكية والسوفييتية وبدأت المباحثات الخاصة بتخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية ستارت 2.

## انهيار الاتحاد السوفييتي

في البداية بدأت بعض الجمهوريات السوفييتية ـ ولا سيَّما جمهوريات البلطيق Baltic Republics ـ تدفع باتجاه الاستقلال، وبيَّنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها لا تحبِّذ تقطيع أوصال الاتحاد السوفييتي، وبدا أنها تفضل خطط گورباتشيف في فيدرالية تتمتع بمرونة أكثر من خطط يلتسن Yeltsen الذي كان ينوي تفكيك اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية إلى 15 دولة منفصلة لكل منها حكومتها الخاصة. تفضل الولايات المتحدة أن تتعامل مع قوة واحدة مركزية وتخشى من العواقب المحتملة لعدم الاستقرار التي قد تنجم عن تقطيع الأوصال، كما أنها تحرص على دعم گورباتشيف

لأنها تريد الدعم السوڤييتي في حرب الخليج Gulf War ضد العراق Iraq (حليف الاتحاد السوڤييتي الذي يتمركز فيه عدة آلاف من الجنود).

وبالتالي فعندما وقعت مصادمات عنيفة بين المحتجين وقوات الأمن في ليتوانيا Lithuania ولاتڤيا Latvia في كانون الثاني/يناير 1991 لم ترُدّ الولايات المتحدة الأمريكية بقطع العلاقات مع الاتحاد السوڤييتي. وبعد استمرار التوتر في جمهوريات البلطيق في شهر شباط/فبراير قرر بوش Bush ألا يسافر إلى قمة كان مقرراً عقدها في موسكو وذلك برغم زيارته التي قام بها الاتحاد السوڤييتي في وقت لاحق من تلك السنة. وبحلول أيار/مايو 1991 كان گورباتشيڤ قد بدأ يرى أن المساعدة الاقتصادية التي وُعِدَ بها لن تُقَدَّم أبداً.

وبالرغم من تسريع تنفيذ معاهدة الأسلحة التقليدية والقوات في أوروبا CFE الذي أدى إلى إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن قروض ائتمانية للاتحاد السوڤييتي تبلغ 1.5 بليون دولار لشراء القمح فإن التوتر بدأ يظهر من جديد بسبب إصرار الولايات المتحدة على عدم تقديم مزيد من المساعدة الاقتصادية إلا إذا تحرك الاتحاد السوڤييتي نحو اقتصاد السوق أو الاقتصاد الرأسمالي. وساءت الأمور حينما ادعت وكالة الاستخبارات الروسية KGB حيازتها أدلة على أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تحاول تفكيك الاتحاد السوڤييتي.

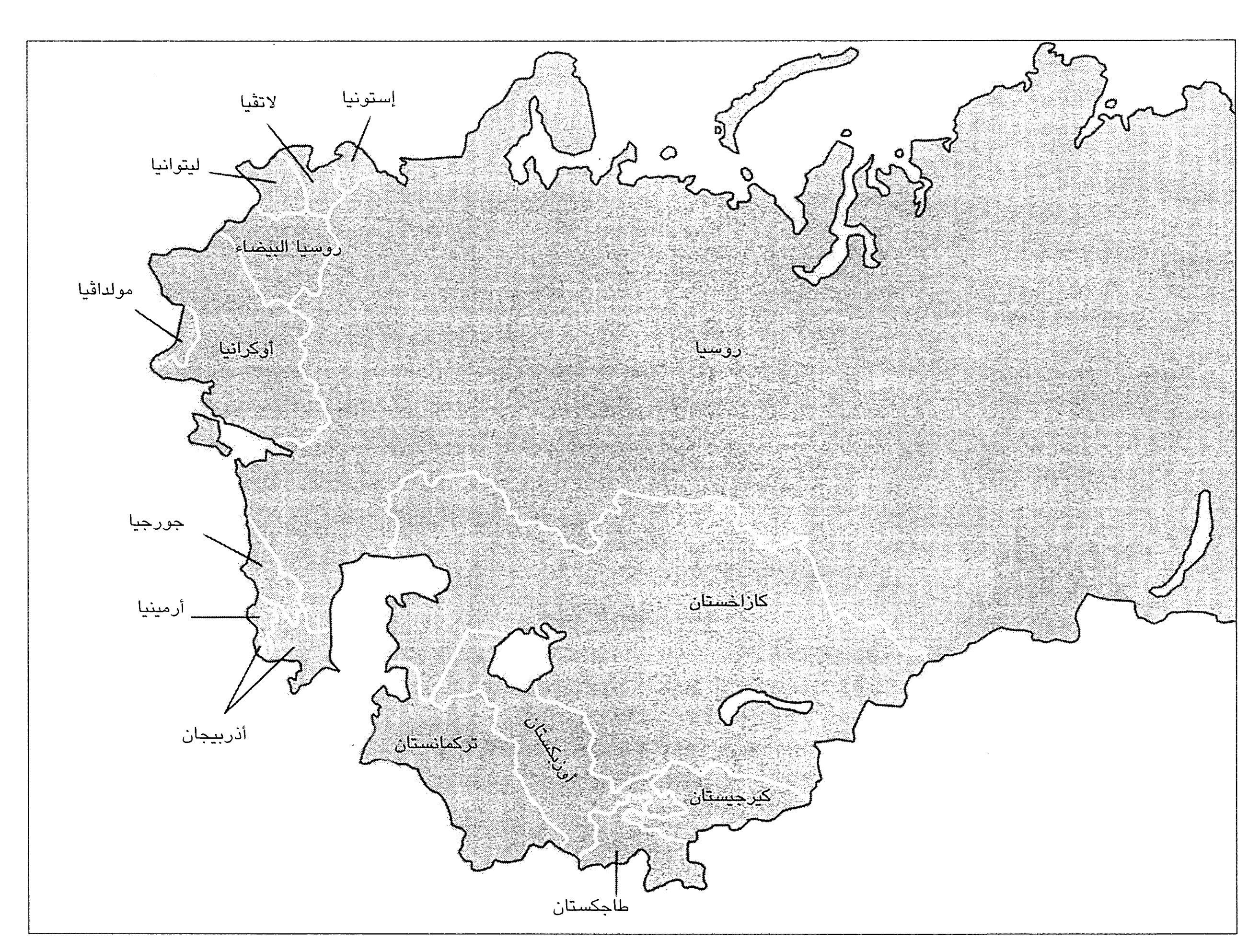
انزعج منتقدو گورباتشيڤ في القيادة السوڤييتية بسبب التطورات التي حدثت تحت قيادة گورباتشيڤ ولا سيَّما خسارة أوروبا الشرقية والقبول بالوضع المتدني للقوة النووية

السوڤييتية. وتزايدت مخاوفهم في تموز/يوليو 1991 حينما حُلَّ حلف وارسو تاركاً حلف شمال الأطلسي NATO حيّاً دون أن يتحداه أحد. قرَّرت مجموعة من القادة السياسيين والعسكريين ـ المعارضين لخطط تقديم مزيد من القوة للجمهوريات السوڤييتية (التي كانت قد أعطيت دعماً هائلاً في استفتاء آذار/ مارس 1991) ـ أن تطيح بگورباتشيف. لكن المتآمرين خافوا من أن هذه الحركة ـ التي تهدف إلى إضعاف السيطرة المركزية ـ قد تؤدي إلى تفكيك الاتحاد السوڤييتي.

وفي آب/أغسطس 1991 قام هؤلاء المتآمرون بمحاولتهم الانقلابية أثناء وجود گورباتشيف في عطلة، وفي البداية بدا بوش Bush مستعداً للقبول بالانقلاب، ولكنه غيَّر رأيه واتصل بيلتسن Yiltsen الخليفة المحتمل لگورباتشيف باعتباره الرئيس المنتخب للجمهورية الروسية (أكبر وأهم الجمهوريات الخمس عشرة التي تشكل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية)، والذي خرج على رأس المظاهرات الشعبية ضد الانقلاب، الذي سقط بسبب هذه المظاهرات، إضافة إلى أن السواد الأعظم من الجيش وقوات الأمن رفضوا تأييده.

بالرغم من أن گورباتشيف بقي الرئيس السوڤييتي إلا أن يلتسن كان يعمل على إضعاف مركزه، فقد استخدم سيطرته على روسيا لتسريع عملية انهيار الاتحاد السوڤييتي. قبلت الولايات المتحدة بحتمية تقويض الاتحاد السوڤييتي بسبب الشعور القومي القوي الذي أظهر بوضوح أن گورباتشيف كان يفقد السيطرة.

في كانون الأول/ديسمبر 1991 أعلنت روسيا Russia وجمهوريتا روسيا البيضاء Belorussia وأوكرانيا Ukraine




**الاتحاد السوڤييتي السابق وجمهورياته**

المهمتان تشكيل رابطة الدول المستقلة Commonwealth of Independent States (CIS)، والمهم أنها أبلغت بوش Bush بقرارها قبل أن تبلغ گورباتشيف به. وفي 25 كانون الأول/ ديسمبر 1991 أعلن گورباتشيف في خطاب متلفز استقالته من رئاسة الاتحاد السوڤييتي.

**ما هو المقصود بالادعاء أن انهيار الاتحاد السوڤييتي سنة 1991 هو «نهاية التاريخ»؟**

ومع هذه الخطوة أُعلِن عن أن الاتحاد السوڤييتي ـ الذي سبق أن تقوَّض من الناحية العملية ـ قد انتهى رسمياً، تاركاً الولايات المتحدة الأمريكية القوة العالمية الوحيدة بعد 75 سنة من النضال. لقد انتهى «الصراع الكبير» أو ـ كما عبَّر عن ذلك (أحد الموظفين الأمريكيين) فوكوياما Fukuyama ـ أن «نهاية التاريخ» قد وصلت وأدَّت إلى الانتصار النهائي للرأسمالية

«الليبرالية». أما آخرون مثل ر. كروكات R. Crockatt فيَرون أن سنة 1991 هي نهاية لخمسين سنة من الحرب بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية والولايات المتحدة الأمريكية، تلك الحرب التي تبيَّن فيها الانتصار المُبين للولايات المتحدة ذات القوة الاقتصادية الأعظم.

### القوة الأمريكية

لايزال المؤرخون يجادلون في أسباب انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة لذلك. من الواضح أن هناك نقاط ضعف ـ اقتصادية وسياسية ـ كثيرة طال أمدها ضمن الاتحاد السوفييتي نفسه لعبت دوراً كبيراً في سقوطه في النهاية، وشملت السيطرة البيروقراطية على الاقتصاد التي أدَّت إلى كثير من عدم الكفاءة والهدر، ونسب في الإنتاج تقل عامَّة عما تحقق في الغرب. استبعد نظام الاتحاد السوفييتي غير الديمقراطي قطاعات كبيرة من المجتمع السوفييتي، ويبدو أن إصلاحات گورباتشيف جاءت متأخرة جداً حيث لم تستطع إنقاذ النظام. إلا أن أوائل سياسات الولايات المتحدة على ما يبدو، ولاسيَّما محافظتها على سباق التسلح النووي وترسيخه، قد ساهمت في تشويه ـ ومن ثم تدمير ـ البُنى الاقتصادية والسياسية في الاتحاد السوفييتي تشويهاً كاملاً.

وعلى الرغم من أن انهيار الاتحاد السوفييتي ترك الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الوحيدة الباقية، فإن الصين تظل تحت سيطرة الحزب الشيوعي، ولديها القدرة ـ كقوة نووية تمتلك عدداً هائلاً من السكان واقتصاداً سريع النمو ـ على أن تصبح في المستقبل القريب قوة عظمى منافسة.



## 1 . ميخائيل گورباتشيڤ وهو يقدم شرحاً «لتفكيره الجديد» في السياسة الخارجية الجديدة

ناقشنا دور الدپلوماسية السوڤييتية الجديد في مؤتمر عُقِد بوزارة الشؤون الخارجية أواخر أيار/مايو . . . 1986. اليوم أعتبر أن هذا الاجتماع نقطة البداية لتنفيذ « تفكيرنا الجديد» على نحو كامل.

أدركْنا أن تصحيح أفكارنا المشوهة عن الأمم الأخرى ضرورة حيوية. هذه المفاهيم الخاطئة جعلتنا نعارض بقية العالم عقوداً كثيرة، وهذا أثر سلباً على اقتصادنا. . .

گورباتشيڤ، مذكرات، لندن 1996، ص 402 ـ 403

## 2 . مقطع من تقرير إخباري في شباط/فبراير 1991

في اجتماع اللجنة السياسية والاستشارية لمنظمة معاهدة وارسو Warsaw Treaty Organisation في بوداپست Budapest بتاريخ 25 شباط/فبراير، وافق وزراء الخارجية والدفاع في بلگاريا وتشيكوسلوڤاكيا وهنگاريا وپولونيا ورومانيا والاتحاد السوڤييتي بالإجماع ووقعوا على پروتوكول ينهي مفعول الاتفاقيات العسكرية وتنظيمات وبُنى معاهدة وارسو اعتباراً من 31 آذار/مارس.

ارتفعت بعد كانون الثاني/يناير 1991 وتيرة تحركات حَلِّ التحالف العسكري التي اتضحت في البداية أثناء اجتماع قمة حلف وارسو في حزيران/يونيو 1990، وجاءت بعدها تقارير بتاريخ الحادي عشر من شباط/فبراير أن الرئيس السوڤييتي ميخائيل گورباتشيڤ Mikhail Gorbachev كتب إلى زعماء

الدول الأعضاء يوصي «بتصفية بُنى حلف وارسو العسكرية بحلول الأول من نيسان/ ابريل».

ي.ج. رينر، الحرب الباردة، لندن 1992، ص 88

# الحرب الباردة في
# آسيا والأمريكتين
# 1949 ـ 1975

# 16 الصين والحرب الباردة

**أسئلة تركيزية**

- ما هو الموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشيوعية في الصين قبل سنة 1949؟
- كيف أثَّر الانتصار الشيوعي في الصين سنة 1949 على الحرب الباردة؟

**تواريخ هامة**

| | |
|---|---|
| 1921 | تأسيس الحزب الشيوعي الصيني CCP |
| 1923 | تحالف حزبي الشعب الوطني GMD والشيوعي الصيني CCP |
| 1925 | تشان كاي تشِك Jiang Jieshi يصبح زعيماً لحزب الشعب الوطني GMD |
| 1931 | الغزو الياباني لمنشوريا Manchuria |
| 1936 | حادثة سيان Sian، تشكيل جبهة حزبي الشعب الوطني والشيوعي المتحدة |
| 1937 | تموز/يوليو: الغزو الياباني للصين |
| 1945 | كانون الأول/ديسمبر: بعثة مارشال Marshall تفاوض على الهدنة بين حزبي الشعب الوطني والشيوعي الصيني |
| 1947 | «التخوف من الشيوعية» في الولايات المتحدة الأمريكية |

1949 كانون الثاني/ يناير: الشيوعيون يستولون على بكين Beijing

آب/ أغسطس ـ أيلول/ سپتمبر: اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية يفجر قنبلته الذرية الأولى أولاً، ثم يعلن عنها

تشرين الأول/ أكتوبر: الانتصار الشيوعي

1950 شباط/ فبراير: الكشف عن عمليات تجسس كلاوس فوخس Klaus Fuchs، المعاهدة الصينية ـ السوڤييتية، مككارثي McCarthy يبدأ حملته في الولايات المتحدة الأمريكية

آذار/ مارس: محاكمة الجاسوس ألجر هيس Alger Hiss

نيسان/ ابريل: وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68 NSC68

## نظرة شاملة

لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تهتم في البداية اهتماماً علنياً بالحرب الأهلية في الصين التي اندلعت سنة 1927 بين حزبي الشعب الوطني People's National Party (GMD) والشيوعي الصيني Chinese Communist Party (CCP)، ولكنها تحركت بسبب العدوان الياباني الذي شن في البداية على منشوريا ثم على البر الصيني بعدئذ، وقدمت الدعم لحكومة تشان كاي تشِك Jiang Jieshi الوطنية بعد سنة 1941.

شجَّع كل من الاتحاد السوڤييتي والولايات المتحدة الأمريكية الجانبين سنة 1945 على تشكيل حكومة تحالف تُوِّجَت في كانون الأول/ ديسمبر 1945 بهدنة أنجزتها بعثة

مارشال Marshall Commission الأمريكية. وعند انهيار هذه الهدنة في أوائل سنة 1946 استمرت الولايات المتحدة في دعمها لتشان كاي تشِك Jiang Jieshi في البداية ولكنها بدأت بإبطاء معونتها حينما أصبح الانتصار الشيوعي وشيكاً سنة 1948.

مالت الولايات المتحدة إلى النظر إلى الصين الشيوعية كأداة لستالين ورفضت الاعتراف بحكومة ماو. ومثَّل «ضياع» الصين، الذي زاد من تنامي الحرب الباردة في أوروبا وخسارة احتكار الولايات المتحدة الأمريكية النووي قبل ذلك، هزيمة لسياسة الوقوف أمام انتشار الإيديولوجية المعادية التي طلع بها ترومان Truman.

زادت الهواجس الأمريكية من التهديد الشيوعي بسبب المعاهدة الصينية ـ السوڤييتية Sino-Soviet لسنة 1950 التي ساهمت في حملة ماك كارثي McCarthy لملاحقة المنشقين في مطلع الخمسينيات، كما جعلت ترومان يأمر بمراجعةٍ لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية انتهت بوثيقة سُمِّيَت وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68. NSC 68.

وُلد ماو تسي تونگ Mao Zedong سنة 1893 وعمل أمين مكتبة في جامعة بكين Beijing وأصبح نشطاً في حركة الرابع من أيار/مايو التي احتجَّت على المطالبات اليابانية بالأراضي الصينية بعد الحرب العالمية الأولى. كان ماو عضواً مؤسساً للحزب الشيوعي الصيني سنة 1921، وبحلول سنة 1924 أصبح عضواً في لجنته المركزية. في تشرين الأول/أكتوبر 1934 قاد مظاهرة الجيش الأحمر الطويلة إلى شمال الصين من أجل تفادي التدمير على يد حزب الشعب الوطني GMD. انتُخِب سنة 1935 رئيساً للحزب الشيوعي الصيني CCP وظل محتفظاً بهذا المنصب إلى أن توفي سنة 1976. أصبحت الصين تحت حكمه دولة الحزب الواحد.

## ماهو الموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشيوعية في الصين قبل سنة 1949؟

### بدايات التورط السوڤييتي

تم تشكيل الحزب الشيوعي الصيني سنة 1921، وكان أحد مؤسسيه ماو تسي تونگ Mao Zedong. وجَّهت الحكومة السوڤييتية للحزب الشيوعي الصيني في بداياته نصيحة بالتعاون مع سُن ياتسِن Sun Yatsen وحزبه الشعبي الوطني، وعندما توفي سنة 1925 خلَفَه تشان كاي تشِك Jiang Jieshi الذي تحول سريعاً بالحزب إلى اليمين.

سنة 1927 بدأ تشان Jiang أمراً تكشَّف ليَظهر على أنه حرب أهلية متطاولة ضد الحزب الشيوعي الصيني، ولكنه لم يكن قادراً على سحق الشيوعيين على الرغم من استقباله مستشارين عسكريين واستلامه معدات عسكرية من ألمانيا النازية. تعقدت أمور الحرب الأهلية بفعل العدوان الياباني على الصين. ففي حادثة سيان Sian Incident سنة 1936 قام بعض خواص ضباط تشان Jiang بإجباره على تشكيل جبهة متحدة مع الحزب الشيوعي الصيني ضد الغزاة اليابانيين، إلا أنه كان أكثر اهتماماً بإضعاف الشيوعيين.

**ما هي حصيلة حادثة سيان سنة 1936؟**

## التورط الأمريكي

قبل سنة 1937 لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تولي اهتماماً كبيراً لأمور الصين. غير أن غزو اليابان للصين سبب هواجس كبيرة للولايات المتحدة وذلك في ظل وجود تنافس كبير متزايد بينها وبين اليابان في منطقة المحيط الهادي Pacific حيث يعتبر كلا البلدان أن الصين والمحيط الهادي منطقة هامة للمواد الأولية والتجارة.

حينما هاجمت اليابان پيرل هاربر Pearl Harbor في كانون الأول/ ديسمبر 1941 قررت الولايات المتحدة مساعدة حكومة تشان Jiang ضد اليابانيين بالرغم من أنها تتلقى الدعم من ألمانيا النازية، ويبيِّن ذلك مدى أهمية الصين والمحيط الهادي في نظر الولايات المتحدة الأمريكية. وبحلول هذا الوقت كان يوجد في الصين مليونا جندي ياباني (ما يزيد على 50٪ من أفراد القوات المسلحة اليابانية). وتشجَّع تشان Jiang كثيراً لدى دخول الولايات المتحدة الحرب ضد اليابان.

أخذت المساعدة العسكرية الأمريكية شكل المعدات العسكرية (التي وصلت إلى تشان Jiang عبر طريق بورما Burma Road)؛ وبعد ذلك أقامت الولايات المتحدة الأمريكية مطارات في جنوب غرب الصين مما سمح بجلب مزيد من المؤن وكذلك مكنت القاذفات الأمريكية من تدمير الشحن البحري والتجاري الياباني.

لم تكن قوات تشان Jiang تتمتع بالكفاءة ـ على الرغم من المساعدة العسكرية الأمريكية ـ فتم سحبها إلى الجنوب؛

لكن الجيش الأحمر الصيني ظلَّ خلف خطوط العدو واستطاع شنَّ حرب عصابات تزايدت فعاليتها فرفعته ليصبح على رأس مقاومة اليابانيين.

تراجع اليابانيون عن جنوب الصين شمالاً إلى منشوريا Manchuria حين بدأت تباشير خسارتهم للحرب، فتمكن الصينيون الشيوعيون (الذين كانوا يعملون خلف خطوط العدو) من التحرك إلى هذه المناطق، وكانوا بحلول سنة 1945 يسيطرون على 18 «منطقة محرَّرة» زراعية ذات أغلبية سكانية من الفلاحين، لكن الحزب الشيوعي الصيني سرعان ما أطلق إصلاحات اجتماعية شعبية في منطقتي تشانسي ويانان سوڤييتس Jiangsi & Yanan Soviets.

تشانسي Jiangsi ويانان سوڤييتس Yanan Soviets هما منطقتان تحت السيطرة الشيوعية منذ الثلاثينيات.

انتهى الاحتلال الياباني للصين في آب/أغسطس 1945 حينما أسقطت الولايات المتحدة الأمريكية القنابل الذرية على هيروشيما Hiroshima وناگازاكي Nagasaki، وأعلن الاتحاد السوڤييتي الحرب على اليابان وغزا منشوريا Manchuria.

أصبح من الواضح حينذاك أن حرباً أهلية كاملة توشك أن تقع بين الحزبين الشيوعي الصيني والشعبي الوطني. (لم تستمر الجبهة المتحدة في الحقيقة فترة طويلة، واعتباراً من سنة 1938 وما بعدها بدأ تشان Jiang يركِّز مزيداً من الجهد على محاولة سحق الشيوعيين). وبعد شهر آب/أغسطس 1945 تدافع كل من الحزبين الشيوعي الصيني والشعبي الوطني ليكون الأول في التحرك نحو المدن والمناطق الشمالية التي كانت القوات اليابانية تحتلها والاستيلاء على أسلحة الجنود اليابانيين المُستسلمين. كان الشيوعيون أكثر قرباً من القوات اليابانية المُستسلمة بينما تراجعت قوات تشان Jiang نحو الجنوب لمسافة 1.500 كم تقريباً.

**لماذا قامت الولايات المتحدة الأمريكية بنقل قوات تشان جواً إلى المدن والموانئ المهمة الرئيسية في الصين بعد استسلام اليابان في شهر آب/ أغسطس 1945؟**

أمل تشان Jiang أن يتمكن، بفضل دعم الولايات المتحدة، من الاستيلاء على كل الصين مرة أخرى، لكن الولايات المتحدة من جهتها لم تكن راغبة برؤية الصينيين الشيوعيين ينتصرون في الحرب وبذلك يقيمون دولة شيوعية جديدة في الصين. لقد كانت الولايات المتحدة على خلاف خطير مع روسيا الستالينية وقلقة من إمكانية أن تحبط خططها في منطقة المحيط الهادي من قِبَل صين شيوعية ستنهي بالتأكيد عزلة الاتحاد السوڤييتي. ولمنع ذلك أقامت الولايات المتحدة الأمريكية جسراً جوياً هائلاً لنقل حوالي 100.000 من قوات الحزب الشعبي الوطني إلى المدن والموانئ الهامة الرئيسية على الساحل، وأرسلت قوات أمريكية إلى الصين.

لم ترغب الولايات المتحدة الأمريكية ـ على الرغم من تقديم هذه المساعدة ـ (وكذلك الاتحاد السوڤييتي) برؤية تشان Jiang يجدد الحرب الأهلية، بل أرادت منع الشيوعيين من تولّي السلطة، ونصحته بتشكيل حكومة تحالف مع الحزب الشيوعي الصيني. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1945 تم إيفاد الجنرال جورج مارشال George Marshall إلى الصين ليضع هدنة بين الجانبين ويتدبَّر اتفاقاً لاقتسام السلطة. أدرك مارشال أن الحزب الشعبي الوطني لا يستطيع إحراز نصر كبير وخشي من أن يشجِّع تجدُّد الحرب الأهلية الاتحاد السوڤييتي على التدخل في الصين إلى جانب الحزب الشيوعي الصيني، كما أوضح لتشان Jiang أنه سيحقق النصر الأكبر إذا شكل تحالفاً الآن، حيث أن الحزب الشعبي الوطني أقوى من الحزب الشيوعي. وفي نفس الوقت أعطى ستالين تعليماته إلى ماو Mao بالموافقة على الانضمام لمثل هذه الحكومة الائتلافية حتى لا يغضب الغرب من ستالين، فتتعرّض بالتالي الاتفاقيات

ماذا حاولت بعثة مارشال الأمريكية إلى الصين أن تفعل؟

الخاصة بأوروپا الشرقية للخطر. لكن زمرة من الحزب الشيوعي الصيني دفعت باتجاه حل عسكري فوري.

حققت بعثة مارشال في البداية نجاحاً جعل كلا الطرفين يوقعان على هدنة، لكن هذا النجاح لم يدم طويلاً لأن الهدنة انهارت في كانون الثاني/يناير 1946 واشتعل أوار الحرب الأهلية مرة ثانية في حزيران/يونيو.

بدت الأمور تظهر كما لو أن الحزب الشعبي الوطني على وشك الانتصار، إذ بلغ تعداد جيشه ثلاثة ملايين تدعمهم الولايات المتحدة الأمريكية بالأموال والتدريب والعتاد والطائرات، وكان يسيطر بفضل جسرها الجوي على جميع المدن والموانئ والخطوط الحديدية الرئيسية. أضف إلى ذلك أن معظم الحكومات الأجنبية ـ بما فيها روسيا السوڤييتية ـ اعترفت بتشان حاكماً شرعياً للصين. وبالمقابل فلم يكن لدى الشيوعيين سوى مليون جندي فقط ولا يمتلكون قوات جوية ولا يسيطرون على أية مدن هامة ولا يؤيدهم أحد حتى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية الستاليني الذي كان يدفع الحزب الشيوعي الصيني لتشكيل تحالف مع تشان والحزب الشعبي الوطني.

كانت سيطرة الشيوعيين على المناطق الزراعية تعني أنهم على اتصال وثيق بغالبية السكان وكذلك فإن مقاومتهم العنيدة للغزاة اليابانيين أمنت لهم احتراماً لا بأس به من قبل الشعب الصيني، أما حكومة تشان فكانت فاسدة وغير كفؤة وكان القمع الذي مارسه بكل قسوة على المعارضة يدل على أنه ينوي تأسيس ديكتاتورية عسكرية.

لماذا انهارت الهدنة بين الحزبين الوطني والشيوعي في أوائل سنة 1946؟

وكان من الأسباب التي أدت إلى نقض الهدنة فشل تشان في تنفيذ الإصلاحات الاجتماعية والعسكرية لأجل

الصالح العام والتي اقترحتها بعثة مارشال، فقد اتهَم الحزب الشيوعي الصيني كلاً من تشان والولايات المتحدة الأمريكية بقلة الوفاء، لأنها أعلنت منذ البداية أنها لن تستمر في مدِّ تشان بالمساعدة إذا رفض القيام ببعض الإصلاحات الاجتماعية، لكنها ـ بالرغم من عدم تنفيذه أية إصلاحات ـ استمرت في مدِّه بمساعدات عسكرية هائلة بسبب مبدأ ترومان وسياسة منع انتشار الإيديولوجية المعادية (التي تلزِم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الدعم لكل نظام مناوئ للشيوعية) .

لكن الصين ـ بالرغم من هذا الدعم ـ لم تكن بنظر مجمل سياسة الولايات المتحدة الخارجية في آسيا على نفس الدرجة من الأولوية كاليابان، فبعد سنة 1945 اختارت الولايات المتحدة الأمريكية وضع مساعدة اليابان على رأس أولوياتها لكي تتمكن من العمل كدولة مناوئة للشيوعية في آسيا. وكانت هذه السياسة هي التي ساعدت ماو Mao على التحول إلى تأييد أولئك الشيوعيين الذين ضغطوا طوال الوقت باتجاه العمل العسكري، وكان أن تحول اسم الجيش الأحمر إلى جيش التحرير الشعبي People's Liberation Army وأضحى تحت قيادة لين بياو Lin Biao.

لكن جيش التحرير الشعبي ـ بالرغم من النكسات الأولى ـ كان بحلول نهاية سنة 1947 في وضع أفضل، إذ كانت الروح المعنوية في المدن الواقعة تحت سيطرة الحزب الشعبي الوطني متدهورة نتيجة للتأثيرات المتشابكة لفساد الحزب وانخفاض قيمة العملة والإضرابات التي كانت في غالب الأحيان من تنظيم الشيوعيين المحليين الذين نجَوا من حملات التطهير التي قام بها الحزب الشعبي الوطني والإعدامات التي نفذها اليابانيون (والتي كانت تنفَّذ في المكان الذي يلقي فيه تشان أو اليابانيون القبض على الشيوعيين).

ومع تدهور الأحوال تزايد فِرار جنود الحزب الشعبي الوطني بكامل أسلحتهم والتحاقهم بجيش التحرير الشعبي. وهنا أدركت الولايات المتحدة الأمريكية (التي قدَّمت لتشان حتى تاريخه مساعدات عسكرية زادت عن مئتي مليون دولار) أن الهزيمة لحقت بالحزب الشعبي الوطني في النهاية، وكان ترومان Truman مستعداً للتخلي عن تشان ليواجه مصيره لأن الصين لم تعد تحظى بأية أهمية استراتيجية في نظر الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي مطلع سنة 1948، وعلى الرغم من ظهور الحرب الباردة في أوروبا، أقنع مارشال Marshall ـ الذي تسلَّم وزارة الخارجية الأمريكية ـ ترومان بوقف المساعدات إلى تشان. تابع جيش التحرير الشعبي نجاحاته خلال سنة 1948 واستولى في كانون الثاني/ يناير 1949 على بكين Bejing، وفي نيسان/ ابريل على نانكين Nanjing عاصمة تشان التي سقطت بين أيدي الشيوعيين وفَرَّ تشان إلى تايوان Taiwan (المعروفة حينذاك باسم فورموزا Formosa) والغنية باحتياطي ذهب الصين ومعه 200.000 جندي، وفي الأول من تشرين الأول/ أكتوبر 1949 أعلن ماو Mao ولادة جمهورية الصين الشعبية People's Republic of China.

## كيف أثَّر الانتصار الشيوعي في الصين سنة 1949 على الحرب الباردة؟

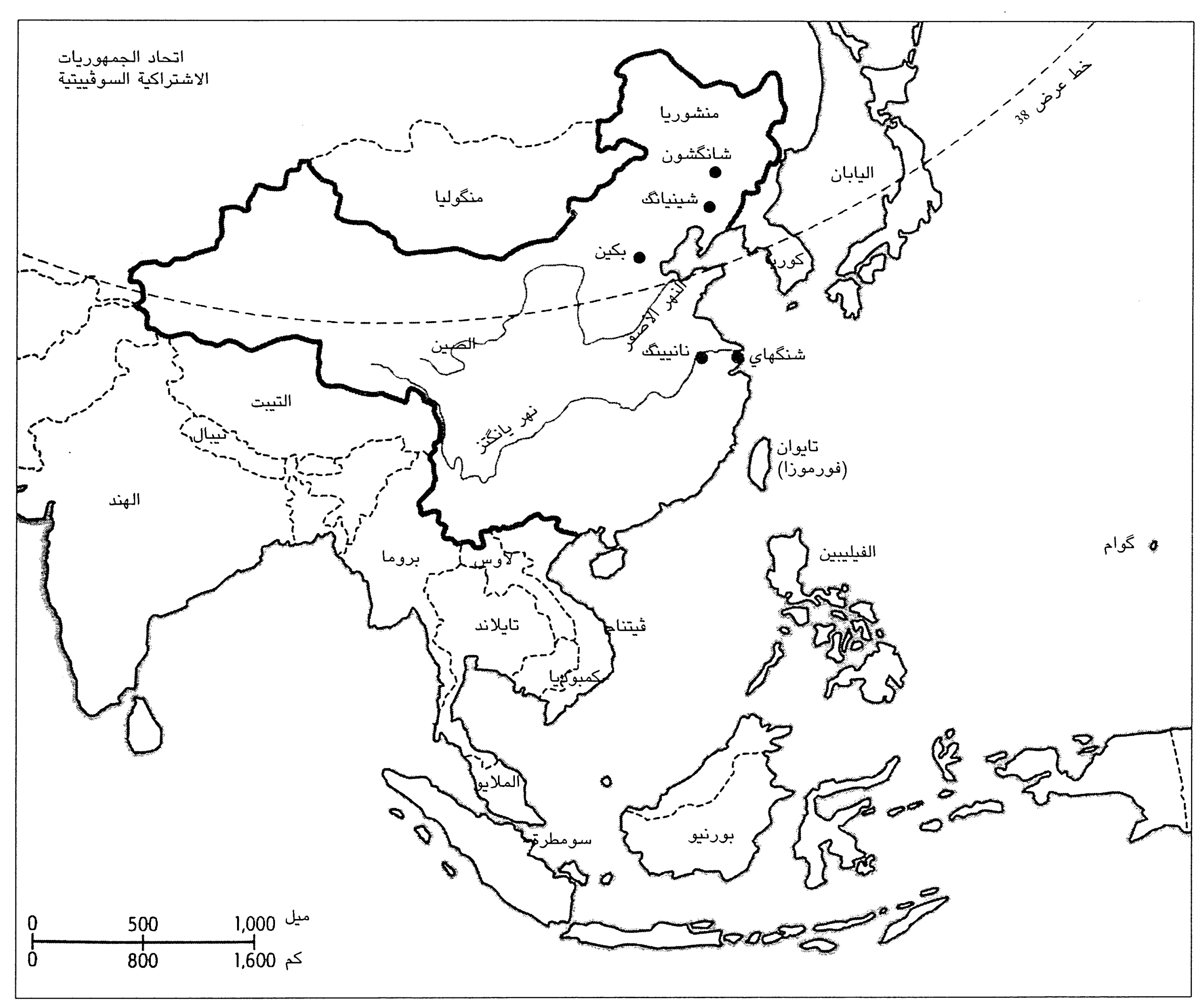
### التأثير على الولايات المتحدة الأمريكية

بحلول تشرين الأول/ أكتوبر 1949 بدأت توترات الحرب الباردة تتحول إلى آسيا بعد أزمة برلين في فترة 1948 ـ 1949. عندما قرَّرت الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1948 ألا تستمر

في دعم تشان كانت تتمتع بالاحتكار النووي، لكنه انتهى ـ كما رأينا ـ في شهر آب/أغسطس 1949 حينما قام الاتحاد السوڤييتي قياماً غير متوقّع بتفجير قنبلته الذرية الأولى. أدّى الانتصار الشيوعي في الصين الذي حصل بُعَيد هذا التفجير إلى اتهام حكومة ترومان بأنها كانت «ليِّنة» مع الشيوعيين في الصين ولذلك فهي مسؤولة عن «ضياع الصين».

في صيف سنة 1949 أعلن ماو Mao أن الصين ستنتقل من موقعها المحايد إلى موقع أكثر قرباً من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية (حيث عُرِف هذا الأمر بسياسة ماو «الميّالة إلى جانب واحد»)، وبسبب خلافاته السابقة مع ستالين طلب المساعدة في البداية من الولايات المتحدة الأمريكية، لكن ترومان رفض الاعتراف بحكومته الجديدة، فلم يكن أمامه بدٌّ من العودة إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بطلب المعونة الاقتصادية، فقبل ستالين، برغم الخلافات السابقة حول قرار الحزب الشيوعي الصيني بمتابعة الحرب الأهلية سنة 1946، ووقَّع الاتحاد السوڤييتي والصين في شهر شباط/فبراير معاهدة صداقة وتحالف ومساعدة متبادلة (أو المعاهدة الصينية ـ السوڤييتية Sino-Soviet Treaty) لمدة ثلاثين سنة.

إلا أن هذه المعونة كانت محدودة إلى حدٍّ ما (بسبب مشكلات الاتحاد السوڤييتي الاقتصادية في فترة ما بعد الحرب مباشرة). والحصيلة أنه عُرضت ثلاثمئة مليون دولار تُسترجع على مدى خمس سنوات، ومعظمها قروضاً وليست نقداً، إضافة إلى استيفاء فائدة. وكان عرض ستالين بالمعونة والمشورة الفنية أكثر قيمة حيث أُرسِلَ عدد من المهندسين وأكثر من عشرة آلاف من خبراء التخطيط لمساعدة ماو Mao




**الصين وآسيا سنة 1949**

على استرجاع الاقتصاد الصيني والبدء بتحوُّل اشتراكي بطيء. وبعد ذلك في سنة 1953، وبتأثير من هؤلاء المستشارين السوڤييت، أطلقت الصين خطتها الخمسية الأولى، ومقابل ذلك أصر ستالين على ضرورة إنشاء شركات مشتركة صينية ـ سوڤييتية من أجل إعطاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية مزيداً من السيطرة ولضمان عودة الأموال. لكن ستالين رفض طلب ماو تزويده بأسلحة نووية.

كان رد الحكومة الأمريكية المبدئي على هذه المعاهدة حذِراً، حيث رأى وزير خارجيتها دين أتشسون Dean Acheson المعروف بكراهيته للشيوعية، أن قيام علاقات جيدة مع ماو Mao قد يفيد مصالح الولايات المتحدة التي ما زالت ترفض الاعتراف بالجمهورية الصينية الشعبية الجديدة، بل تود الاعتراف بنظام تشان Jiang في تايوان Taiwan باعتباره الحكومة الصينية الشرعية، كما أنها رهنت في البداية ضمان المعونة العسكرية لتشان بقرار الصين الشيوعية إعادة السيطرة على الجزيرة، واعتبر أتشسون أن الاعتراف بحكومة ماو Mao قد يساعد على قطع صداقتها الجديدة مع الاتحاد السوڤييتي. ولكن ذلك كان متعذراً في ظل الهيستيريا المناوئة للشيوعية التي كانت على وشك أن يفجرها الجمهوريون في مطلع الخمسينيات.

وُلِد جوزيف مككارثي Joseph McCarthy سنة 1909، وأصبح عضواً جمهورياً في مجلس الشيوخ عن ولاية ويسكونسن Wisconsin سنة 1945. وفي سنة 1950 ـ حين ظهرت بوادر لعدم إعادة انتخابه سنة 1952 ـ بدأ حملته ضد الشيوعيين المشتبه بهم في الإدارة الأمريكية. كان من الروم الكاثوليك ذوي الخلفية الاجتماعية العادية، ووجَّه كراهيته بخاصة إلى «مؤسسة» الساحل الشرقي الليبرالية التي كانت تضم أهم وظائف الإدارة حيث كان دين أتشِسون Dean Acheson ـ البروتستانتي المتحدر من إحدى عائلات الطبقة الوسطى والذي تخرج من مدرسة خاصة للنخبة تابعة إلى إحدى أفضل الجامعات ـ يمثل شخصيات جميع الذين يكرههم. بدأ ماك كارثي يخسر مصداقيته سنة 1954 بعد فشله في تقديم أي دليل خلال جلسة استماع تلفزيونية، ثم استمر بتوجيه الاتهام إلى الجيش وحتى إلى آيزنهاور Eisenhower. توفي سنة 1957.

## المككارثية

زادت التطورات التي حصلت في الصين من حدَّة الحرب الباردة وساعدت على إشعال فتيل حملة مككارثي McCarthy المناوئة للشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت موجَّهة أصلاً إلى مستشاري السياسة الخارجية لدى الحكومة في قسم الشرق الأقصى التابع لوزارة الخارجية، لكن تأثيرها سرعان ما انتشر ليطال معظم قطاعات المجتمع الأمريكي.

فاز ترومان Truman بالانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني/ نوڤمبر 1948 برغم الانتقادات التي وُجِّهت إليه بسبب سياسته تجاه الصين، وكان هذا الفوز هو الخامس للديمقراطيين على التوالي، ومن نتائجه أن أصبحت سياسة الحزب في الولايات المتحدة أشد مرارة، وأُضيف إليها اتهام

الجمهوريين للديمقراطيين «باللّين» تجاه الشيوعية ـ ولاسيّما بعد أن طوَّر الاتحاد السوفييتي أسلحته الذرية ـ و«ضياع» الصين أيضاً سنة 1949.

حينما بدأت الحرب الباردة سنة 1947، بدأ «التخوف من الشيوعية» يسيطر على أعداد متزايدة من الأمريكيين، فكان من نتائج ذلك ظهور اختبارات ولاء موظفي الحكومة الاتحادية (الذين يجب عليهم أن يقسموا يمين الولاء للحكومة)، وتم إنشاء هيئة تدقيق الولاء للفصل في طلبات التسريح. ردَّ الكونگرس المنتخَب سنة 1946 على توترات الحرب الباردة بمزيد من استخدام لجنة النشاطات اللاأمريكية التابعة لمجلس النواب، التي ركّزت انتباهها على نجوم هوليوود Hollywood وكُتاب ومخرجي الأفلام، وأمرت بأن يَمْثل أمامها عشرة من كبار الشخصيات في صناعة السينما.

**كيف ساهمت الأحداث في الصين بما أصبح يُعرَف بالماكارثية McCarthyism في الولايات المتحدة الأمريكية؟**

في البداية رفض نجوم هوليوود العشرة (الذين كان بعضهم في وقت ما عضواً في الحزب الشيوعي الأمريكي Communist Party of the USA 'CPUSA') مناقشة معتقدهم السياسي، ونصَّب كثير من الممثلين المهمين (مثل كاثرين هيبورن Catherine Hepburn ولورين باكول Lauren Bacall وهمفري بوگارت Humphrey Bogart) لجنة التعديل الأول لتأييد رفضهم الإدلاء بشهاداتهم. غير أن الحملات الإعلامية والتصريحات التي أطلقتها الكنائس والمجموعات الدينية حرّكت الجماهير، وسرعان ما باشرت نقابة ممثلي السينما (اتحاد الممثلين السينمائيين الذي كان يرأسه الممثل رونالد ريگان Ronald Reagan بين سنتي 1947 و1952) بوضع قائمة سوداء بالشيوعيين المُشْتَبه بهم .

أُنشِئت لجنة النشاطات اللاأمريكية Un-American Activities Committee بداية في سنة 1938، وفي مطلع الخمسينيات استخدمها مككارثي McCarthy في حملته ضد الشيوعية في الولايات المتحدة الأمريكية. دفعت أنشطته الأولى ترومان إلى إصدار القرار الرئاسي رقم 9835 (اختبار ولاء الموظفين المدنيين) وأقنع مككارثي الكونگرس (بالرغم من معارضة ترومان) بالمصادقة على قانون مككارثي ـ نيكسون للأمن الداخلي McCarthy-Nixon Internal Security Act (لإجبار جميع المنظمات الشيوعية على التسجيل لدى الحكومة). انطلق تخوُّف مككارثي من الشيوعية عندما

انتشر «التخوُّف من الشيوعية» في المدارس والجامعات،

أصبح على رأس هذه اللجنة، وذلك برغم أن لجنة المعلومات التابعة لمجلس الشيوخ أفادت سنة 1950 بأن ادعاءاته «دجَل وخِداع».

وبدأ بعضها الطلب من جميع الأساتذة والمحاضرين أن يقسموا يمين الولاء، كما أن لجنة النشاطات اللاأمريكية بدأت تدقق في لوائح الكتب التي يُسمح للطلاب بمطالعتها، وفي سنة 1948 أُقصِيَ الكثير من المحاضرين والأساتذة تحت ذريعة علاقات مزعومة مع الحزب الشيوعي الأمريكي CPUSA، كما امتدَّ التخوُّف من الشيوعية سنة 1949 إلى اتحادات العمال الأمريكية حينما قام مؤتمر المنظمات الصناعية Congress of Industrial Organizations (CIO) بطرد عدة اتحادات يرأسها شيوعيون.

وبعد توقيع المعاهدة الصينية ـ السوفيتية في شباط/ فبراير 1950 قرر الحزب الجمهوري تصعيد حملته ضد ترومان في السباق نحو انتخابات تشرين الثاني/ نوفمبر 1950 الرئاسية، واتهمه بالتورُّط بتضخيم مقصود للتهديد الشيوعي سنة 1947 لكي يحصل على موافقة الكونگرس على مساعدة اليونان وتركيا وبعد ذلك على خطة مارشال Marshall Plan.



نجوم السينما في هوليوود يحتجون ضد حملة مطاردة المنشقين التي يشنها مككارثي ولجنة الأنشطة اللاأمريكية ضدهم. يكمن رؤية همفري بوگارت ولورين باكول في وسط الصورة

في شباط/فبراير 1950 أعلن البريطانيون أن كلاوس فوخس Klaus Fuchs (الذي كان يعمل في مشروع مانهاتن Manhattan Project الأمريكي للقنبلة الذرية) كان يرأس حلقة تجسس قامت بنقل أسرار نووية إلى الروس. وفي الشهر السابق ـ كانون الثاني/يناير 1950 ـ وُجِد موظف الحكومة ألجير هيس Alger Hiss مذنباً بنقل معلومات أمريكية سرية إلى الاتحاد السوفييتي في أواخر الثلاثينيات (لعب عضو الكونگرس الجمهوري ريتشارد نيكسون Richard Nixon دوراً رئيسياً في الكشف عن هذا الأمر). استخدم مككارثي McCarthy هذين الأمرين لدعم قضيته، وادعى أن بين يديه لائحة تضم 205 من موظفي وزارة الخارجية ممن كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي الأمريكي، وقال أيضاً إن أتشِسون Acheson وزير الخارجية يمتلك هذه اللائحة ولكنه لم يحرك ساكناً تجاه هؤلاء الموظفين. (فيما بعد خفض مككارثي عدد أعضاء جهازه الاتهامي إلى 57، وكرر نفس النمط مرات كثيرة. فكان يصِم الناس الجيّدين بأنهم شيوعيون أو متعاطفون مع الشيوعية، دونما دليل مادي، ثم يغير روايته).

يشير مشروع مانهاتن إلى مشروع الحلفاء للبحث العسكري الذري الذي أقامته بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بُعَيد اندلاع الحرب العالمية الثانية، لأن العلماء البريطانيين والأمريكيين أنذروا حكوماتهم بأن العلماء الألمان قد يقومون بتطوير قنبلة نووية. وحتى قبل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية سنة 1941، كان مشروع البحث (الذي أطلق عليه رمز مانهاتن Manhattan) قد أقيم في الولايات المتحدة الأمريكية وأنفق عليه ملايين الدولارات وكان تحت إمرة الجنرال الأمريكي ل. گروڤز L. Groves وكان العالم الرئيسي فيه هو الأمريكي البروفسور ج. ر. أوپنهايمر J.R. Oppenheimer. تم تفجير أول قنبلة ذرية في صحراء مكسيكو Mexico في 16 تموز/يوليو 1945، وبعد الكشف عن تجسس كلاوس فوخس Klaus Fuchs أصبح أوپنهايمر أحد ضحايا حملة مطاردة المنشقين التي يشنها مككارثي.

## وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68 (NSC68)

الحوادث التي وقعت سنة 1949 في آسيا، والتي ترافقت مع تنامي الانتقاد الجمهوري لسياسة ترومان الخارجية، جعلته يدعو في كانون الثاني/يناير 1950 إلى مراجعة كاملة لسياسات إدارته الخاصة بالحرب الباردة. كان ترومان يرى أن هذه المراجعة، إن لم تفعل شيئاً، فهي ستساعد على تقويض ادعاءات مككارثي بأن إدارته «لينة» في مسألة الشيوعية.

قدم مجلس الأمن القومي الذي قام بهذه المراجعة تقريره (المعروف باسم وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68)

وذلك في نيسان/ ابريل 1950، والذي بيَّن أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة ترومان متوافقة في مجملها مع تقييم التهديد السوفييتي الذي قام به كِنان Kennan في «برقيته الطويلة» سنة 1946، وتؤيد الرأي القائل إن الاتحاد السوفييتي تهديد عسكري بسبب التزامه بالثورة العالمية ولأنه «دكتاتورية استبدادية». وبيَّنت الوثيقة أيضاً استمرار سياسة ترومان منذ 1947 والتزامه بمنع انتشار الإيديولوجية المعادية «الشيوعية» حيثما وجدت فيما سبق والحدِّ من نفوذها وقوتها وفي النهاية إسقاطها.

ماذا ورد في وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68 عن مصالح الولايات المتحدة في آسيا؟

وطرح التقرير وجهة نظر قائلة بأن أفضل استراتيجية يمكن اتباعها في آسيا هي جعل اليابان مركز قوة إقليمية يمكنها ـ بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية ـ أن تقف في وجه أي تحركات للاتحَاد السوفييتي والصين (التي كان يُنظَر إليها على أنها حليفة ستالين الصغيرة والتي تقوم بتنفيذ تعليماته). إن اتباع هذه الاستراتيجية، مع تقوية أوروبا الغربية هي أفضل السبل ـ كما يُنظَر إليها ـ لتكوين توازن قوى عالمي يؤيد المصالح الأمريكية.

إلا أن تغيّراً واحداً في الاتجاه تبيَّن مع الاقتراح بأن تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية لايمكن أن يتحقق إلا من خلال زيادة هائلة في القوة العسكرية الأمريكية، وهي التي كانت حتى تاريخه تعتمد في شن الحرب الباردة والفوز بها على مكانتها الاقتصادية المهيمِنة في الاقتصاد العالمي.

تحتاج الولايات المتحدة الأمريكية ـ اليوم ـ إلى التوسع في قواتها التقليدية والنووية ـ حسب التقرير ـ الذي ألحَّ أيضاً على الإسراع الفوري في السعي إلى تطوير القنبلة الهيدروجينية حتى تستعيد الولايات المتحدة الأمريكية احتكارها النووي

الذي فقدته سنة 1949. وطرح واضعو التقرير أن امتلاك نوع جديد من الأسلحة النووية سيتيح للولايات المتحدة الأمريكية منع أي توازن بالقوى مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وبالتالي تأمين استمرار حاجة الاتحاد السوڤييتي إلى الاستجابة فعَّالة للسياسات الأمريكية.

هناك تحوُّل مهم آخر ظهر في الوثيقة 68 وهو اقتراح أن سياسة منع انتشار الإيديولوجية المعادية (التي كانت قائمة على الاعتقاد أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لا يشكل تهديداً قوياً على المدى الطويل) يجب استبدالها بسياسة المواجهة، وهي التي تعني محاولة القيام بهجوم «تندحر» فيه الشيوعية في آسيا وفي أوروپا الشرقية أيضاً وفي النهاية في الاتحاد السوڤييتي ذاته.

وتبرز أهمية وثيقة مجلس الأمن القومي 68 أيضاً في أنها توصي بامتلاك الولايات المتحدة الأمريكية قوات عسكرية على أساس دائم، حتى لو لم تتورّط في حرب. (كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقوم على الدوام بتخفيض قواتها العسكرية في أوقات السلم).

برغم قبول ترومان بهذا التحليل وبمجموعة الاقتراحات على وجه العموم، إلا أنه أخذ في حسبانه عدم احتمال قبول الناخبين الأمريكيين زيادة هائلة في الضرائب وتقليص الإنفاق على الرفاه العام الذي سيكون ضرورياً لتنفيذ التوصيات. ولهذا السبب علَّق ترومان توصيات التقرير إلى أن اندلعت الحرب الكورية.

**1 . مقطع من الوثيقة رقم 68 التي وضعها مجلس الأمن القومي الأمريكي في نيسان/ ابريل 1950**

يندفع الاتحاد السوفييتي إلى العمل بإيمان متعصب جديد يتناقض مع إيماننا، ويسعى لفرض سلطته المطلقة على بقية العالم. . . الكرملين حتماً في حرب حتمية لأنه يمتلك حركة ثورية عالمية ولأنه دكتاتورية مستبدَّة، ومن الواضح تماماً من خلال الممارسة النظرية والعملية السوفييتية أنه يسعى لوضع العالم الحر تحت هيمنته من خلال طرق الحرب.

ي. إدواردز، الولايات المتحدة الأمريكية والحرب الباردة، لندن، 1997، ص 64

**2 . يقول شو إن لاي ـ رئيس وزراء الصين الشيوعية ووزير خارجيتها ـ في تصريح أدلى به لوكالة الأنباء الصينية في 18 آذار/ مارس 1950:**

يعرف كل العالم أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ـ في محاولتها لضم الصين ـ أيَّدت تشان Jiang في شن حرب أهلية واسعة المدى وهي تنكِرُ بذلك على الشعب الصيني أي فرصة للعيش باستقلال وسلام . تزود الحكومة الأمريكية تشان بقطّاع طرق مع طائرات لقصف البر الصيني، وهي تستخدم طرقاً مماثلة في دعم الدُمى التي صنعتها: باو داي Bao Dai وسينگمان ري Syngman Rhee وكيرينو Quirino في تقويض حركات الاستقلال الوطني في ڤيتنام Vietnam وكوريا الجنوبية South Korea والفيليپين Philippines. يقول أتشِسون Acheson للشعب الصيني: «لماذا لاتطلبون المعونة الأمريكية؟» ولكن

هذا الشعب أدرك من خلال خبرته الذاتية معنى ما يُسَمَّى «المعونة» الأمريكية. فهي تعني الموت للملايين، وتعني ضياع الحرية والحقوق الوطنية.

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن، 1992، ص 24.

# 17 الحرب الكورية: 1950 ـ 1953

**أسئلة تركيزية**

- ما هو سبب الحرب الكورية؟
- ما هو أثر الحرب الكورية على الحرب الباردة؟

تواريخ هامة

1945 آب/أغسطس: تقسيم كوريا على مسار خط العرض 38، إنشاء مجلس الحلفاء من قبل الأربعة الكبار لإدارة اليابان

1948 الجنود السوڤييت يغادرون كوريا الشمالية

1949 حزيران/يونيو: الجنود الأمريكيون يغادرون كوريا الجنوبية

1950 كانون الثاني/يناير: أتشِسون يلقي خطاباً عن المحيط الدفاعي

حزيران/يونيو: بدء الحرب الكورية، قبول القرار الأمريكي من قبل مجلس الأمن، ماك آرثر MacArthur يشن هجوم إينشُن Inchon المعاكس

تشرين الأول/أكتوبر: ترومان يقرر الهجوم على كوريا الشمالية، القوات الصينية تتدخل لمساعدة كوريا الشمالية

1951 نيسان/ابريل: صرف ماك آرثر من الخدمة

تموز/يوليو: بدء مباحثات السلام

آب/أغسطس: تحالف عسكري أمريكي مع الفيليبين، ميثاق أنزوس Anzus Pact

أيلول/سبتمبر: معاهدة مع اليابان

1952 أيار/مايو: جيش الاحتلال الأمريكي يغادر اليابان

1953 كانون الثاني/يناير: آيزنهاور يصبح رئيساً

آذار/مارس: وفاة ستالين

تموز/يوليو: التوقيع على الهدنة

## نظرة شاملة

تم في سنة 1945 تقسيم كوريا تقسيماً مؤقتاً إلى شمال شيوعي وجنوب رأسمالي، وفي حزيران/يونيو 1950 هاجم الشمالُ الجنوبَ في محاولة لإعادة توحيد البلاد. تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية المؤيدة للجنوب من إقناع الأمم المتحدة ـ مُسْتغِلَّة مقاطعة الاتحاد السوفييتي لمجلس الأمن التابع لها ـ بالموافقة على إرسال جيش لمساعدة الجنوب.

بعد الانتصارات الأولى دفعت قوات الولايات المتحدة والأمم المتحدة تحت إمرة الجنرال الأمريكي ماك آرثر MacArthur بالشمال نحو الوراء، وحينما أُخرِج الشمال من الجنوب غزت قوات الولايات المتحدة والأمم المتحدة الشمال، وعندما شارفت هذه القوات على الوصول إلى الحدود مع الصين خفَّ جيش صيني عرمرم لمساعدة الشمال.

صَرَف ترومان ماك آرثر من الخدمة بسبب صدام على الاستراتيجية متبوعاً بعدم الخضوع، وسرعان ما وصلت الحرب الكورية إلى ركود استمر حوالي سنتين إلى أن تم

وُلِد الجنرال دوگلاس ماك آرثر Douglas MacArthur سنة 1880. خاض غمار الحرب العالمية الأولى وأصبح أصغر قائد في الجيش الأمريكي في فرنسا. تمت ترقيته سنة 1930 إلى رئيس هيئة الأركان، وعُهد إليه أثناء الحرب العالمية الثانية بمسؤولية الحملة ضد اليابان في المحيط الهادي. تلقى استسلام اليابان الرسمي سنة 1945 وكان مسؤولاً عن إدارة اليابان حتى سنة 1951. تم تعيينه سنة 1950 ـ وكان قد بلغ السبعين ـ قائداً لقوات الأمم المتحدة في كوريا ولكنه فُصِل من الخدمة سنة 1951 بسبب معارضته لاستراتيجية ترومان ولعدم خضوعه.

التوقيع على هدنة في تموز/يوليو 1953. كانت الولايات المتحدة قد أنجزت في نفس الوقت سلسلة من التحالفات العسكرية في المحيط الهادي صُمِّمَت لكي تؤمِّن ما سُمِيَ المحيط الدفاعي. وكانت إعادة إعمار اليابان تشكل الأمر الحاسم إلى جانب كل ذلك.

## ما هو سبب الحرب الكورية؟

**لماذا تم تقسيم كوريا بعد الحرب العالمية الثانية إلى شمال وجنوب؟**

خسِرَت كوريا استقلالها سنة 1910 عندما استولت عليها اليابان، وظلت مستعمرة يابانية حتى شهر آب/أغسطس 1945، وعندما استسلمت اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية تحركت القوات الأمريكية والسوفييتية على التوالي إلى جنوب وشمال كوريا التي تم تقسيمها مؤقتاً على مسار خط العرض الثامن والثلاثين بقصد التعامل مع القوات اليابانية المُستسلِمة.

لم تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي ـ مع بدء نشوء الحرب الباردة في أوروبا ـ من التوصّل إلى اتفاق على إعادة توحيد كوريا إذ لم تتفقا على الشكل الذي ستأخذه الحكومة أو نوع الاقتصاد الذي سيكون لها أو التحالفات التي ستنشئها. أصبحت المناطق المحتلة الأمريكية والروسية دولتين منفصلتين من الناحية العملية، وأخذ هذا الفصل شكله الرسمي سنة 1948، فكان كيم إيل سونگ Kim Il Sung حاكم الشمال الشيوعي الصناعي، وكان سينگمان ري Syngman Ree حاكم الجنوب الرأسمالي الزراعي في غالبيته.

كان كلا النظامان استبداديَّين للغاية وكان كلا الحاكمان (اللذين ينويان البقاء في سدة الحكم في حال إعادة التوحيد في المستقبل) وطنيَّين للغاية ويكرهان تقسيم بلدهما، وأرادا تحقيق إعادة التوحيد في أسرع وقت ممكن.

سحَب الاتحاد السوفييتي ـ الذي أراد توحيد كوريا تحت زعامة كيم Kim ـ قواته من كوريا في خريف سنة 1948، وسحبت الولايات المتحدة الأمريكية ـ التي أرادت توحيد كوريا تحت زعامة ري Ree ـ قواتها من كوريا في النهاية في حزيران/ يونيو 1949.

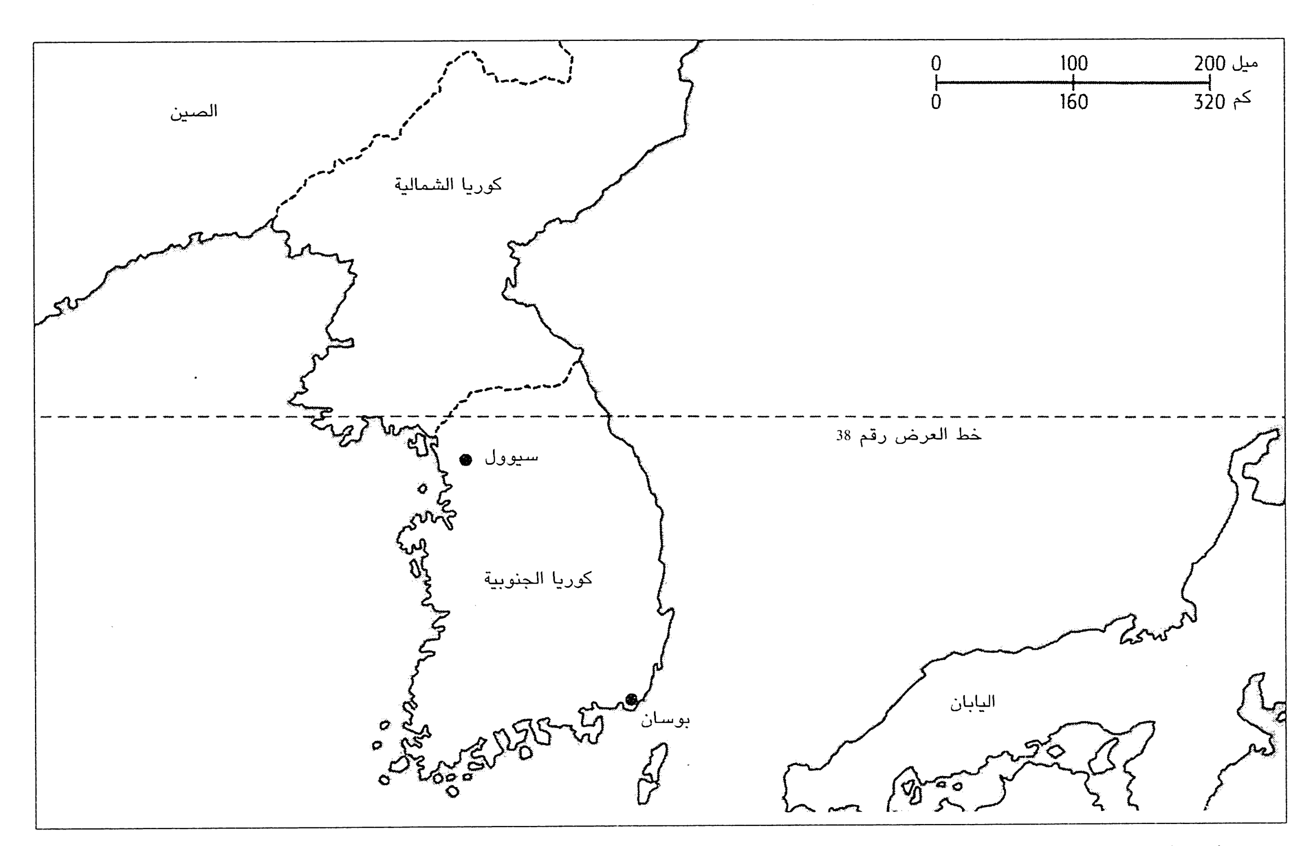
لم يكن أي من الجانبين، على ما يبدو، مهتماً بمستقبل كوريا الحالي، فستالين كان ـ بسبب حدود اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية المشتركة مع كوريا ـ قلِقاً من نوع النظام الذي يمكن أن يَحكُم بعد سنة 1945، إذ يبدو أن هواجسه الأمنية تهدأ حين يكون كيم إيل سونگ على رأس الشمال. كذلك لم تُذْكَر كوريا الشمالية ضمن البلدان التي ستقوم الولايات المتحدة الأمريكية بالدفاع عنها تلقائياً ضد أي عدوان شيوعي، والتي أوردَها وزير الخارجية الأمريكي دين أتشِسون Dean Acheson في كانون الثاني/يناير 1950 في اللائحة التي ذكَرَها في خطابه عن المحيط الدفاعي، وأيَّده ترومان في اعتقاده أن البر الآسيوي يخرج عن نطاق الولايات المتحدة الأمريكية الدفاعي في المحيط الهادي. أحسَّت كوريا أنها قليلة الأهمية في واقع الحال.

ماذا قصد اتشِسون بأهمية كوريا في خطابه في كانون الثاني/يناير 1950 عن المحيط الدفاعي؟

بدأت الحرب الكورية في حزيران/ يونيو 1950 حينما باشر جيش كوري شمالي ضخم بغزو كوريا الجنوبية في محاولة لإعادة توحيد البلاد، (وهناك دليل على أن حاكم كوريا الجنوبية أعد جيشاً صغيراً للغزو)، وعندما وقع الغزو اتضح أنه سيصبح نقطة انعطاف حاسمة في الحرب الباردة.

## السياسة التوسعية السوفييتية

منذ انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة تبيَّن




تقسيم كوريا سنة 1950 قبل بدء الحرب الكورية

من خلال الاطلاع على الوثائق التي كانت محظورة سابقاً أن كيم إيل سونگ Kim Il Sung هو المحرك وراء قرار الشمال بغزو الجنوب، وأنه أعلم كلاً من ستالين Stalin وَ ماو Mao مسبقاً عن نيَّته بالغزو. وفي كانون الثاني/يناير 1950 في أعقاب خطاب أتشِسون عن المحيط الدفاعي، أعطى ستالين موافقته الحذِرَة على خطط كيم، وبعد ذلك ساعد خبراء عسكريون سوڤييت في وضع الخطط النهائية للهجوم، وأرسل ستالين إلى الشمال مستشارين عسكريين وعتاداً في أيار/مايو وحزيران/يونيو، لكنه أوضح لِكيم في نيسان/ابريل 1950 أن الاتحاد السوڤييتي لن يتدخل مباشرة لمساعدته في حال تورُّط الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب.

المحيط الدفاعي هو الاستراتيجية العسكرية الأمريكية التي تطورت في آسيا: وضعت الخطط الحربية للدفاع عن مجموعة من الجزر الساحلية ـ هي اليابان وجزر ريوكيو Ryukyu وگوام Guam والفيليبين Philippines ـ في المحيط الهادي ضد أي تهديد شيوعي مُحتمل من جانب الاتحاد السوڤييتي أو الصين، وهذه الجزر تشكل حرف U مقلوباً وفي كل منها قواعد جوية وحاميات أمريكية.

كانت قرارات ستالين الخاصة بكوريا ـ تشبه تلك

القرارات التي اتخذها في فترة 1948، 1949 بشأن برلين ـ تدل في جوهرها على أنها قامت على أساسٍ من سوء الحساب الخطير للرد المُحتمَل من جانب الولايات المتحدة الأمريكية. في الوقت الذي كان فيه ستالين يعرف حق المعرفة أن الاتحاد السوڤييتي لا يستطيع خوض غمار حرب أخرى، كان يعتقد أن إعادة توحيد كوريا بنجاح، تحت زعامة حكومة كيم الشيوعية، ستؤدي إلى تقوية الأمن السوڤييتي من خلال تأمين وجود دولة صديقة على حدود اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، كما ستمكنه من الوصول إلى الطاقة الكهرمائية والمواد الأولية الكورية، وفي الوقت ذاته يحرم اليابان (وهو أهم حليف للولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادي) من هذه الأشياء.

لم يرد ماو Mao، الذي كان مطلعاً بعض الشيء على خطط كيم، أن يخاطر بالتورّط أيضاً بحرب رئيسية، وبرغم أنه حارب اليابانيين مع كيم في منشوريا Manchuria إلا أنه لم يكن مرتاحاً تجاه تحالف كيم الأخير الوثيق مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، وفي نفس الوقت كان أكثر قلقاً من تأسيس حكم شيوعي في الصين بعد سنوات من التدمير وعدم الاستقرار والتصدي للتهديد الذي يشكله نظام تشان كاي تشِك Jiang Jieshi في تايوان Taiwan والذي أراد ماو القيام بغزوه . ولهذه الأسباب رفض ماو تقديم أي ضمانات قاطعة في المساعدة العسكرية.

وبذلك نرى أن كيم ـ وليس ستالين أو ماو ـ هو الذي دفع إلى الغزو في حزيران/يونيو 1950، يشجعه على ذلك عدم شعبية ري Rhee، إضافة إلى دلائل على الدعم المتزايد للحزب الشيوعي في الجنوب، كما أنه اعتقد أن معظم الكوريين يرون فيه بطلاً قومياً إذا أعاد توحيد البلاد. كان كيم

يمقت محاولات الولايات المتحدة الأمريكية التي قامت بها بعد الحرب لإعادة إعمار اليابان التي حكمت كوريا بقسوة باعتبارها قوة إقليمية موالية للغرب، وهو يتذكَّر التأييد الأمريكي لتشان كاي تشِك Jiang Jieshi في حرب الصين الأهلية، وكان يخشى أيضاً من تقديم نفس المساعدة إلى كوريا الجنوبية. لكن كيم كان مخاطراً ورأى أن العمل أفضل من انتظار قيام الولايات المتحدة الأمريكية بإعمار الجنوب.

اعتبر عدد من المؤرخين أن غزو سنة 1950 كان في عدة وجوه استمراراً لحرب أهلية أطول بكثير بين شمال البلاد وجنوبها، فبين سنتي 1945 وَ 1950 وقبل بدء الحرب وقعت صدامات حدودية كثيرة بين الدولتين قضى فيها ما يزيد على مئة ألف كوري.

ويعتبر المؤرخ الأمريكي ب . كَمينگز B. Cumings أن غزو كوريا الشمالية هو نتيجة للمُثل القومية والثورية التي تحلى بها كيم، وأن هذا الغزو لا يتعلق كثيراً برغبات الاتحاد السوڤييتي. وتدعم هذه النظرة حقيقة هي أن كيم قدَّم إلى ستالين عدة مقترحات منذ أوائل سنة 1949 رُفِضت جميعها .

تمكن كيم في النهاية من إقناع ستالين أن الغزو سوف يؤدي إلى انتصار سريع لأن عدم شعبية ري Rhee ستؤدي إلى انتفاضة شعبية تدعم الشمال والتوحيد. كذلك كان كيم متشجعاً بالمضي قدُماً في خططه بالغزو بسبب خطاب أتشِسون Acheson عن المحيط الدفاعي.

## الاستراتيجية الأمريكية

### أهمية اليابان

كان التركيز الأساسي للسياسة الأمريكية على اليابان التي كان يُنظَر إليها على أنها حيوية من أجل «الوقوف في وجه» تهديد التوسع السوڤييتي عبر العالم. بعد آب/أغسطس 1945 أنشأ الأربعة الكبار مجلس حلفاء مشتركاً لإدارة اليابان ولكن القوة الحقيقية كانت في يد الولايات المتحدة الأمريكية، فهي الحليف الوحيد الذي كان له جيش في اليابان. ورُفِضَت فوراً الطلبات السوڤييتية بتقسيم اليابان مؤقتاً إلى أربع مناطق احتلال كما في ألمانيا.

بين سنتي 1945 وَ 1947 ركَّز الحلفاء على نزع الصفة العسكرية وإحلال الديمقراطية في اليابان، وتم تحطيم كثير من شركات الأعمال الكبيرة zaibatsus فيها. لكن الاستراتيجية الأمريكية تجاه اليابان تغيرت مع حلول سنة 1947 وبدء الحرب الباردة، فكانت السيطرة عليها حاسمة من أجل توازن القوى في كل المنطقة الآسيوية وبخاصة بالنظر إلى مكنونها الصناعي الهائل. ومن الضروري إذن أن يتم ربط اليابان بتحالف وثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية وإعادة بناء قوتها الاقتصادية، وسرعان ما أصبحت اليابان مركز اهتمام السياسة الأمريكية في آسيا.

دُمِّرت الصناعة والزراعة اليابانيتان تدميراً سيئاً جداً في المراحل الأخيرة من الحرب، فأدى هذا الوضع إلى شعبية متنامية للحزب الشيوعي في اليابان (التي كانت حكومتها في هذه المرحلة معيَّنة من قبل الولايات المتحدة لتصريف الأمور) وكان رد فعل الولايات المتحدة هو إعادة بناء اقتصاد اليابان وإزالة القيود السابقة عن الإنتاج الصناعي. خسِر مستخدمو

الحكومة في اليابان حق الإضراب سنة 1948 وبدأت سلطات الاحتلال الأمريكي باعتقال المنتسبين إلى الاتحادات العمالية الذين يُشتبَه أنهم شيوعيون أو متعاطفون مع الشيوعيين. وفي سنة 1949 وبعد موجة من الإضرابات الصناعية الخاصة بالأجور ومضايقات الناشطين، فاز الشيوعيون بما يزيد على ثلاثة ملايين صوت في الانتخابات، ورداً على ذلك صوَّت الكونگرس الأمريكي بمنح خمسمئة مليون دولار كمساعدة لشراء الأطعمة والمواد الأولية للصناعة اليابانية. وكجزء من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في «شراء» التأييد الياباني تم على نحو هادئ إسقاط ملاحقة مجرمي الحرب اليابانيين وأعلنت بوضوح أنها ستسحب قواتها المحتلة بسرعة وأن شروط معاهدة السلام لن تكون قاسية.

## المحيط الدفاعي

**ماهي الأقسام الرئيسية لاستراتيجية المحيط الدفاعي للولايات المتحدة؟**

تمشياً مع سياسة ترومان Truman في منع انتشار الأيديولوجية المعادية، قررت الولايات المتحدة الأمريكية وجوب إبقاء الشيوعية في محيط آسيا؛ فلم تكن الصين وكوريا الجنوبية وحتى ڤييتنام لبعض الوقت بالغة الأهمية للأمن الأمريكي. شملت هذه السياسة - التي أصبحت تُعرَف باستراتيجية المحيط الدفاعي - رسم خطط للدفاع عن حزام من الجزر في المحيط الهادي في آسيا (تضم اليابان وگوام Guam والفيليپين) ضد مزيد من التوسع السوڤييتي. وتقرَّر وجوب احتفاظ الولايات المتحدة الأمريكية على هذه الجزر بحاميات وبقواعد جوية أو تبنيها كي تصبح المقاومة العسكرية فعالة. كانت الولايات المتحدة قلقة أيضاً من التطورات المحتملة في الملايو Malayo وإندونيسيا Indonesia، كما كانت تحبِّذ وجود دول مستقلة ذات حكومات مؤيدة لها ومناوئة للشيوعية، كذلك لم تؤيد من حيث المبدأ عودة القوى

الهند الصينية هي اتحاد فيدرالي لدول في جنوب شرق آسيا ظلت حتى سنة 1954 جزءاً من الامبراطورية الفرنسية، والبلدان الرئيسية فيه هي ڤييتنام Vietnam (أنام Annam وَتونكين Tonkin وَكوتشين تشاينا Cochin China) وَكَمبوديا Cambodia التي شكلت جزءاً من اتحاد الهند الصينية سنة 1887، وَأضيفت لاوُس Laos سنة 1893. بعد الحرب العالمية الثانية عرضت فرنسا مزيداً من الحكم الذاتي، وبرغم أن كمبوديا ولاوُس قبلتا به إلا أنه رُفِض من قبل الذين أرادوا أن تكون ڤييتنام بلداً مستقلاً تماماً.

أُجبرت فرنسا سنة 1954 على الانسحاب الكلي من الهند الصينية ونالت الدول الثلاث استقلالها، إلا أن هذه المنطقة أصبحت بعد ذلك جزءاً من الحرب الباردة، واستمرت الحرب «الساخنة» فيها حتى سنة 1975.

الاستعمارية الأوروبية السابقة مثل فرنسا (الهند الصينية Indochina) وهولندا (إندونيسيا).

مع تطور الحرب الباردة تقرَّر بين سنتي 1945 وَ 1950 تقديم مساعدات مالية قيّمة للقوى المناهضة للشيوعية في الصين وكوريا الجنوبية وڤييتنام، وفي ذلك الوقت كانت السياسة الأمريكية تعارض بشدة نشر قوات أمريكية في أي نزاع على البر الآسيوي.

اتضح بحلول سنة 1950 أن الاستراتيجية الأمريكية في آسيا لمنع انتشار الشيوعية لم تكن ناجحة جداً، وبالرغم من أن اليابان كانت تبشر بانتعاش اقتصادي قوي وكانت على تحالف وثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن الصين «ضاعَت». وفي الوقت ذاته كان تزايد القوات الشيوعية يزداد وضوحاً في الهند الصينية من حيث الشعبية والقوة (انظر الفصل 18) كما اتضح أن نظام كيم Kim كان مصمِّماً على استخدام القوة لتحقيق إعادة التوحيد الكوري تحت قيادته.

كان نقص النجاح يعود جزئياً إلى أن معظم موارد الولايات المتحدة الأمريكية مكرَّسة لأوروبا التي كانت تتمتع بأهمية استراتيجية أكبر من آسيا، إلا أن الحركات الشيوعية في آسيا كانت أكثر شعبية بكثير مما هي عليه في أوروبا، وهذه الشعبية متعلقة بروابط الشيوعيين مع الذين يطالبون بالاستقلال الوطني عن القوى الاستعمارية مثل فرنسا. وكان ذلك ـ أكثر من الحاجة إلى المساعدة الأمريكية ـ هو السبب الرئيسي الذي أثبت أن الوقوف في وجه انتشار الشيوعية في آسيا على درجة كبيرة جداً من الصعوبة.

## الرد الأمريكي

كان رد فعل ترومان الفوري على الغزو الكوري الشمالي

في الخامس والعشرين من حزيران/يونيو 1950 هو التعجيل بإرسال المؤن العسكرية إلى كوريا الجنوبية. وبعد يومين فقط؛ أي في السابع والعشرين من حزيران/يونيو، استغلَّت الولايات المتحدة الأمريكية مقاطعة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لمجلس الأمن الدولي (احتجاجاً على رفض الولايات المتحدة الأمريكية السماح بمقعد للصين الشيوعية) ودفعت بقرار من خلال مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يطالب أعضاء الأمم المتحدة باتخاذ عمل عسكري ضد كوريا الشمالية، وفي الثلاثين من حزيران/يونيو أمر ترومان القوات الأمريكية المتمركزة في اليابان بالدخول إلى كوريا الجنوبية.

**لماذا حدثت مقاطعة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية للأمم المتحدة، ولماذا كانت هذه المقاطعة مهمة في مجرى الحرب الكورية؟**

وبالرغم من أن ذلك القرار كان من الناحية النظرية مشروعاً عسكرياً أممياً ـ حيث أن 15 من أعضاء الأمم المتحدة الآخرين ومنهم بريطانيا أرسلوا قواتهم ـ إلا أنه، في الحقيقة، كان مشروعاً أمريكياً، فالسواد الأعظم من الجنود المشاركين هم من غير الكوريين (إذ كان 260.000 من أصل أقل من 300.000 بقليل أمريكيين) ووُضِعَت القوات الكورية الجنوبية والأممية تحت إمرة الجنرال الأمريكي ماك آرثر MacArthur الذي يتبع ترومان مباشرة وليس الأمم المتحدة.

تنوعت أسباب هذه الأفعال الأمريكية، وأهمها هو الاعتقاد أن كيم Kim لم يكن مستقلاً بل مجرَّد تابعٍ لستالين في محاولته الهيمنة على العالم. وتصرَّف ترومان وفقَ أسلوب عُرِف فيما بعد بنظرية لعبة الدومينو domino theory (فإذا سقطت كوريا الجنوبية بين أيدي الشيوعيين تبعتها بقية آسيا)، ويقع الشرق الأدنى وحتى أوروبا تحت التهديد التالي. كان الجواب الحازم ـ كما يُرى أيضاً ـ يقدِّم دليلاً على تصميم الولايات المتحدة الأمريكية على مقاومة الشيوعية في أي مكان

من العالم، كما كان فرصة للحكومة الأمريكية لكسب قبول الرأي العام للمقترحات الواردة في وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68 التي تم وضعها قبل شهرين فقط.

## الحرب

سارت مجريات الحرب في البداية كما أرادت كوريا الشمالية، إذ دُحِرَت القوات الأمريكية الأممية بلا هوادة طوال صيف سنة 1950. وبحلول شهر آب/أغسطس احتل الكوريون الشماليّون العاصمة الكورية الجنوبية سيؤول Seoul وبحلول أيلول/سپتمبر فتحوا كل البلاد باستثناء منطقة حول الميناء الجنوبي ـ الشرقي پوسان Pusan.

وفي هذه الحالة اليائسة شنَّ ماك آرثر غزواً بحرياً معاكساً على إينشون Inchon الواقعة بعيداً خلف الخطوط الكورية الشمالية وكان يدفع مسرعاً باتجاه الشمال نحو خط العرض الثامن والثلاثين، وفي نفس الوقت بدأت القوات الأممية القتال على طريقتها للخروج من پوسان ودَحْر الكوريين الشماليين نحو الوراء.

**لماذا تورّطت الصين في الحرب الكورية؟**

كان هدف الحرب الأمريكي الأصلي هو طرد الكوريين الشماليين من الجنوب عبر خط العرض الثامن والثلاثين، إلا أن ترومان Truman قرر في تشرين الثاني/نوڤمبر 1950 إصدار أوامره إلى ماك آرثر MacArthur بغزو كوريا الشمالية، وهنا اتضح أن الولايات المتحدة الأمريكية تخطَّت سياسة مقاومة المد الشيوعي إلى سياسة «الدَّحْر إلى الوراء» التي أوجزتها وثيقة مجلس الأمن القومي رقم68. ظنت الولايات المتحدة أن الانتصار السهل يبدو ممكناً لأن التقارير الاستخباراتية أفادت أن الاتحاد السوڤييتي والصين لن يتدخلا لمساعدة الكوريين الشماليين، واندفع الأمريكيون وراء هدف جذاب

بقيام كوريا موحدة وموالية لأمريكا على حدود اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية. أضف إلى ذلك أن ترومان كان حريصاً على أن يثبت ـ بعد «ضياع» الصين ـ أنه لم يكن «ليّناً» تجاه الشيوعية على الرغم من خشية بعض مؤيدي الوثيقة 68 من أن تكون توصيات (الزيادة الكبيرة في الإنفاق العسكري) لم تنفَّذ بعد على النحو الكافي للمخاطرة بمواجهة عسكرية مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية.



بعض من المدنيين الكثيرين الذين تأثروا بالقتال في الحرب الكورية، حيث زاد العدد الإجمالي للمدنيين القتلى في الشمال والجنوب عن خمسمئة ألف قتيل.

استولى ماك آرثر بسرعة على العاصمة الكورية الشمالية بيونگيانگ Pyongyang وتابع التقدم نحو الشمال. وبحلول تشرين الثاني/نوڤمبر 1950 كان على مشارف نهر يالو Yalu River الذي يشكل الحدود بين كوريا الشمالية والصين. أراد ماو Mao، كما رأينا، أن يبقى في منأى عن الحرب الكورية ولكنه تعرض ـ مع اقتراب القوات الأمريكية من الحدود الصينية ـ لضغوطات كبيرة من ستالين وزُمَر أخرى من قيادة الحزب الشيوعي الصيني للقيام بعمل ما للدفاع عن استقلال الصين وأمنها القومي. ومع انعدام العلاقات الدبلوماسية الرسمية مع الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن أمام ماو وسيلة لمعرفة ما إذا كانت الولايات المتحدة تخطط للغزو عبر كوريا الشمالية. وقد كان قراره إرسال جنود صينيين لمساعدة كيم على أمل الحيلولة دون قيام الولايات المتحدة الأمريكية بغزو كوريا الشمالية. وازدادت حدة التوتر في الصين بسبب مخاوف من أن يختار تشان Jiang هذه اللحظة لغزو البر الصيني من تايوان Taiwan بمساعدة عسكرية أمريكية.

في البداية عبَرت قوة صغيرة من الصينيين المتطوعين الحدود في 25 تشرين الأول/أكتوبر إلى كوريا الشمالية للمساعدة على إيقاف زحف ماك آرثر، وعندما جدد تقدمه اندفع ما يزيد على مئتين وخمسين ألف جندي صيني عبر نهر يالو Yalu River.

تكبدت القوات الأمريكية الأممية خسائر جسيمة خلال شهر كانون الأول/ديسمبر، وقامت القوات الصينية والكورية الشمالية بهجوم مضاد ناجح واحتلت بيونگيانگ Pyongyang من جديد، وفي كانون الثاني/يناير 1951 اندفعت هذه القوات إلى الجنوب واسترجعت سيول Seoul. كان ترومان وإدارته قد درسوا ذات يوم دعوة ماك آرثر لاستخدام الأسلحة النووية

ضد الصين، لكن هذا الخيار رُفِض في النهاية بعد معارضة شديدة من قبل رئيس الوزراء البريطاني أتلي Attlee، والقلق من أن يؤدي مثل هذا العمل إلى حرب نووية مع الاتحاد السوفييتي.

كان الخوف من حرب نووية مع الاتحاد السوفييتي يقوم على افتراض خاطئ هو أن ستالين Stalin قد أمر بدخول القوات الصينية وأنه سوف يطبق المعاهدة الصينية ـ السوفييتية لسنة 1950 في حال الهجوم على الصين. وبدلاً من ذلك قرر ترومان وأتشِسون Acheson العودة إلى السياسة الأمريكية الأصلية القاضية بطرد كوريا الشمالية من الجنوب، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية حينئذٍ ملتزمة بخوض حرب محدودة تعتقد أن الاتحاد السوفييتي لن يعارضها.

ماذا كان دور ستالين في أصول الحرب الكورية وفي مراحلها الأولى؟

وفي الحقيقة فإن ستالين ـ حين بدأت الحرب ـ سحب جميع المستشارين العسكريين السوفييت من كوريا الشمالية واستدعى السفن السوفييتية التي كانت متجهة بالمؤن العسكرية إليها، وكان ذلك إشارة واضحة على أنه لايريد أن يُجَرَّ إلى حرب مع الولايات المتحدة الأمريكية. وفي نهاية سنة 1950 ـ وبرغم التقدم الأمريكي حتى الحدود الصينية ـ لم يفِ ستالين بالوعود التي قطعها لماو Mao في توفير غطاء جوي وعتاد عسكري للقوات الصينية المتقدمة، وحتى حينما قرَّر بالفعل تقديم بعض المساعدة للصين ولكوريا الشمالية فقد تأكد من أنها محدودة وأن أحداً من السوفييت لن يتورط في القتال مباشرة رغم بقاء المستشارين السوفييت في كوريا ومساعدة بعضهم في الإشراف على القواعد الجوية.

وبرغم أن ترومان كان استقر في هذا الوقت على خوض حرب محدودة غير أنها لم تكن استراتيجية يشاركه

فيها ماك آرثر الذي وجَّه انتقاداً علَنياً لسياساته، ففُصِل من منصبه كقائد عسكري في نيسان/ابريل 1951. ظل ترومان ملتزماً بالسياسة الجديدة في أن كوريا ليست المكان الذي يُخاطَر فيه بحرب شاملة ضد الشيوعية، وذلك برغم تأييد الجمهوريين لوجهة نظر ماك آرثر والانتقاد العلني. وحينذاك تمكن الغرب في شباط/فبراير وآذار/مارس 1951 من شن هجومين معاكسين ناجحين بفضل تفوّق القوات الأمريكية الأممية في الجو والموارد العسكرية، وكانت النتيجة توغلاً آخر ناجحاً للقوات الأمريكية الأممية تماماً بُعَيْدَ خط العرض الثامن والثلاثين.

إلا أن الجانبين وصلا إلى حالة من الجمود العسكري عند هذه النقطة واستمرا مُتَثاقِلَيْن حتى سنة 1953 برغم بدء مباحثات للهدنة في أوائل تموز/يوليو 1951 بمدينة پانمونجون Panmunjon. ويعود ذلك في معظمه إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية حاولت الإصرار على ألا تتم إعادة أسرى الحرب الكوريين الشماليين والصينيين بالضرورة إلى أوطانهم الأصلية بل أن يبقوا في كوريا الجنوبية (أو حتى أن يرسلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية). مارس ستالين ضغطاً على كيم Kim وماو Mao للعمل على كسب أكبر قدر ممكن من التنازلات من الولايات المتحدة الأمريكية لأمن كوريا الشمالية. وبحلول سنة 1952 ـ ومع تنفيذ معظم توصيات وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68، ولاسيَّما ما يتعلق منها بالقنبلة الهيدروجينية ـ اعتقد بعض العسكريين الأمريكيين أن بالإمكان إلحاق الهزيمة باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية حينئذ، ولهذا السبب اتخذوا موقفاً متصلّباً في مباحثات السلام. وبرغم ذلك لم يكن ستالين مستعداً لتحمُّل الضغط الاستفزازي ورأى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تنتصر في حرب تقليدية تخوضها ضد الصين وكوريا الشمالية

وكانت لديه معلومات مفادها أنها لن تستخدم الأسلحة النووية.

انتهت فترة الركود سنة 1953، ففي كانون الثاني/يناير أصبح آيزنهاور Eisenhower رئيساً وأنذر الصين بواسطة السفير الهندي بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستدرس الآن إمكانية استخدام القنبلة الذرية إذا لم يتم إحراز تقدم في المباحثات الجارية في پانمونجون. كان ذلك جزءاً مما سُمِّي «النظرة الجديدة» في السياسة الخارجية الأمريكية وله ارتباط وثيق بآيزنهاور وبوزير خارجيته ج. ف. دالِس J.F. Dulles الذي تحدث علناً عن «سياسة قومية لركوب الأخطار لقاء غاية سامية» قائمة على رغبة الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام السلاح النووي. لقد ثبُت أن ذلك كان من الناحية العملية مجرَّد كلام أكثر منه حقيقة ـ كما رأينا ـ وليس ثمة اختلاف كبير بين سياسة ركوب الأخطار وسياسة ترومان للوقوف في وجه المد الشيوعي السابقة.

**ما هو تورُّط الصين في الحرب الكورية؟**

بعد وفاة ستالين في آذار/مارس توصلت الصين والولايات المتحدة الأمريكية إلى حل وسط في موضوع أسرى الحرب، وتم التوقيع على الهدنة في تموز/يوليو 1953. كان الجزء الرئيسي في الاتفاقية هو أن خطاً يمتد تقريباً على مسار خط العرض الثامن والثلاثين سيشكل الحدود الفاصلة بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية. وهكذا لم يحدث تغيير كبير بعد ثلاث سنوات من الحرب والتضحية بحوالي عشرة ملايين شخص بين ميت ومصاب. لكن استمرار عداء الحرب الباردة والعداوة المتوالية بين الكوريتين كان يعني عدم التوصل إلى تسوية سلمية دائمة برغم بدء التعاون الآن فيما بينهما.

## ما هو أثر الحرب الكورية على الحرب الباردة؟

### الولايات المتحدة الأمريكية
### ووثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68

أتاحت الحرب الكورية لمؤيدي وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68 الفرصة التي يحتاجونها للقبول بهذه السياسة ونتائجها العسكرية، فقد أدركوا قبل هذه الحرب أن الكونگرس الأمريكي والرأي العام يريدان تخفيض الضرائب، وأن تغيير هذا الأمر يتطلب حادثاً جَلَلاً. لقد استخدم ترومان والعسكريون الأمريكيون واليمين الحرب الكورية للانطلاق بسياسة جديدة أكثر عدوانية تجاه الحرب الباردة، وكانت الحرب الكورية علامة على بدء سباق التسلح التقليدي والنووي معاً في الحرب الباردة، وعلى شن حروب «ساخنة» محدودة أخرى تتورّط فيها الدول «الزبائن» في العالم المتطور، وأصبحت الحرب الباردة بعد سنة 1953 ظاهرة عالمية.

كان على الولايات المتحدة الأمريكية ـ من أجل أن تقوم بدور «الشرطي» العالمي ضد الشيوعية في أي مكان ـ أن تحافظ على نقطة القرب من التساوي في مجال القوات التقليدية مع الاتحاد السوڤييتي، وعلى التفوق الواضح في الأسلحة النووية. ولذلك اعتبرت الزيادات الهائلة في الموازنة العسكرية وفي الإنتاج العسكري ضرورية.

في سنة 1950 بعد بدء الحرب طلب ترومان موافقة الكونگرس على زيادة هائلة في الإنفاق العسكري مقدارها عشرة بلايين دولار على القوات المسلحة، ومئتان وستون مليوناً على مشروع القنبلة الهيدروجينية، وأربعة بلايين على

المساعدات العسكرية لحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في مختلف أنحاء العالم. وفي سنة 1950 بلغت النفقات الدفاعية 13.1 بليون دولار، وبلغت 50.4 بليوناً بحلول سنة 1953. وبرغم أن هذا الرقم تناقص بعد الحرب الكورية إلا أنه لم ينزل أبداً عن رقم سنوي يعادل أربعين بليوناً في سنوات العِقد الباقية، وازداد الإنتاج العسكري الأمريكي بحلول سنة 1953 بمقدار سبعة أضعاف ما كان عليه سنة 1950.

## آسيا

أثّرت الحرب الكورية على التطورات في آسيا إلى جانب تأثيرها على السياسة الأمريكية في أوروبا، فقد استفاد الاقتصاد الياباني كثيراً من خلال خدمة احتياجات الأعداد الهائلة من القوات الأمريكية المتمركزة هناك، وكذلك من توقيع معاهدة سان فرانسيسكو للسلام San Fransisco Peace Treaty في أيلول/سبتمبر 1951 مع الولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى ثمان وأربعين دولة أخرى، حيث أعادت هذه المعاهدة السيادة إلى اليابان ووعدت بإنهاء الاحتلال الأمريكي بحلول سنة 1952، وبالمقابل وقَّعت اليابان على معاهدة أمن مشترك مع الولايات المتحدة الأمريكية تضمن بقاء القواعد العسكرية الأمريكية، كما وافقت على التوقيع على مقاطعة تجارية ـ رسالة يوشيدا Yoshida Letter ـ ضد الصين الشيوعية تهدف إلى إضعاف نظام ماو Mao ومن ثم القضاء عليه .

**ما هي رسالة يوشيدا** Yoshida Letter؟

وعدت رسالة يوشيدا كذلك بأن تتاجر اليابان مع تايوان تحت حكم تشان كاي تشيك Jiang التي تزايدت أهميتها لدى الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب الكورية. في حزيران/ يونيو 1950 أرسل ترومان الأسطول السابع للدفاع عن تايوان ضد أي غزوٍ صيني محتمل، إضافة إلى منح تشان مساعدة

عسكرية واقتصادية كبيرة بسبب الاعتقاد السائد بأهمية تايوان حينذاك في الوقوف في وجه أي توسع للصين الشيوعية في آسيا (لا تستطيع الصين المخاطرة بالتوسع في آسيا مخافة قيام تايوان بمهاجمة مؤخرتها). وتثبيتاً لذلك وقَّعت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة دفاع مشترك مع تايوان سنة 1954. أدى التدخل الأمريكي في كوريا واعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بتايوان (كممثلة لجميع الصين) في الأمم المتحدة إلى عداء صيني ـ أمريكي امتد عشرين سنة. كذلك كان أثر الحرب الكورية مهماً على السياسة الأمريكية في الهند الصينية (انظر الفصل 18).

## معاهدات الحرب الباردة

أدت الحرب الكورية إلى توقيع معاهدتين جديدتين حول الحرب الباردة، ففي آب/أغسطس 1951 وقعت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة تحالف عسكري مع الفيليبين Philippines تدافع الولايات المتحدة الأمريكية بموجبها عنها، وبالمقابل تنشئ قواعد عسكرية وبحرية فيها. أثيرت شكوك في كل من أستراليا Australia و نيوزيلندة New Zealand بسبب قيام الولايات المتحدة الأمريكية ببناء اليابان التي كانت تُعتبر في نظرهما منافساً اقتصادياً ومصدر تهديد عسكري محتملاً. ومن أجل تهدئة هذه المخاوف طرحت الولايات المتحدة الأمريكية ميثاق أنزوس Anzus Pact الذي يقدم الدعم الأمريكي ضد أي عدوان عسكري ويَعد بأن تقدّم أستراليا ونيوزيلندة المساعدة للولايات المتحدة الأمريكية ضد أية أنشطة شيوعية في منطقة المحيط الهادي، وقد تم التوقيع عليه في أيلول/سبتمبر 1951.

أُخِذت هذه التطورات بعين الاعتبار من قبل الولايات

المتحدة الأمريكية قبل سنة 1950، ولكن ابتداء الحرب الكورية أسرع بتنفيذها. كذلك كان من المهم تفعيل جميع المقترحات الرئيسية الواردة في وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68، وقد بوشر بها بحلول نهاية هذه الحرب التي أدت إلى التخلص من أي شكوك لدى الولايات المتحدة الأمريكية في سياساتها الخاصة بالحرب الباردة خلال فترة 1945 ـ 1950. قليلون هم الآن الذين يشكّون بأن الانتصار الشيوعي في أي مكان من العالم يؤدي إلى فرض تهديد خطير على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية العالمية، مثلما كشف الهجوم على كوريا الشمالية عن النوايا التوسعية لدى الشيوعية. كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد الْتزمت بحلول سنة 1953 باستراتيجية عسكرية عالمية لمعارضة «العدوان» الشيوعي والدفاع عن العالم «الحر» كلما كان ذلك ضرورياً بحيث يصل الأمر إلى حد زجِّ القوات الأمريكية في ظروف قتالية، وستبقى هذه الاستراتيجية حجر الأساس في سياسة الحرب الباردة خلال العقدين القادمين.

**ما هما معاهدتا الحرب الباردة الجديدتان اللتان قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالتوقيع عليهما بعد الحرب الكورية؟**

## المصادر التاريخية

### 1 ـ خروتشيف يعلق على أصول الحرب الباردة

عاد كيم إلى موسكو عندما أنجَز كل شيء... وكانت لدى ستالين شكوكه، إذ كان قلقاً من أن الأمريكيين ربما تدخلوا بصورة مباغتة، ولكننا كنا نميل إلى الاعتقاد بإمكانية تجنب دخول الولايات المتحدة الحرب إذا جرت بسرعة، وكان كيم إيل سونگ متأكداً من إحرازه النصر فيها بسرعة.

ومع ذلك قرر ستالين أن يطلب رأي ماو تسي تونگ في اقتراح كيم إيل سونگ، ويجب أن أؤكد هنا أن ذلك لم يكن

فكرة ستالين بل إن كيم أيل سونگ هو الذي طرحها وكان هو صاحبها. لم يحاول ستالين بالطبع أن يثنيه عن ذلك. . . أجابه ماوتسي تونگ بالإيجاب أيضاً وثنّى على اقتراح كيم إيل سونگ وطرح رأياً هو أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتدخل نظراً لأن الحرب شأن داخلي يقرره الشعب الكوري بنفسه.

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن، 1992، ص 27.

**2 ـ وجهة نظر المؤرخ إسحاق دويتشر تجاه موقف ستالين من الحرب الكورية (كان دويتشر في وقت ما من مؤيدي تروتسكي).**

بدا أنه من الممكن صرف النظر عن الخطر، منذ أن غادرت جيوش الاحتلال السوڤييتية كوريا الشمالية؛ وبحلول نهاية سنة 1948 انسحبت القوات الأمريكية من الجنوب. أضف إلى ذلك أن الأمريكيين صرَّحوا أنه ليس لهم مصالح حيوية يدافعون عنها في كوريا وألْمَحوا إلى أنهم يعتبرون البلد «قابلاً للصرف». ولذلك كان لدى ستالين بعض الأسباب لكي يفترض أن كيم إيل سونگ كان يباشر حرباً محلية لن تتحول إلى نزاع دولي.

ي. دويتشر، ستالين، هارموندسويرث، 1966، ص 584

# 18 الهند الصينية وڤييتنام: 1954 ـ 1963

**أسئلة تركيزية**

- لماذا تورَّطت الولايات المتحدة الأمريكية في ڤييتنام؟
- ما هو تأثير الهند الصينية على الحرب الباردة؟

تواريخ هامة

1946 بدء القتال بين فرنسا والڤييت مينه Viet Minh

1949 فرنسا تمنح ڤييتنام استقلالاً محدوداً تحت حكم باو داي Bao Dai

1950 اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والصين يعترفان بهو شي مينه Ho Chi Minh حاكماً شرعياً لڤييتنام.

1954 كانون الثاني/يناير: مؤتمر برلين

أيار/مايو: الولايات المتحدة الأمريكية تقرر زيادة مساعدتها لفرنسا في حربها ضد الڤييت مينه، هزيمة الفرنسيين في ديان بيان فو Dien Bien Phu.

تموز/يوليو: اتفاقات جنيڤ

أيلول/سبتمبر: الولايات المتحدة تنشئ منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا SEATO، أزمة مضائق تايوان الأولى

1956 ڤييتنام الجنوبية ـ بدعم من الولايات المتحدة

الأمريكية ـ ترفض إجراء انتخابات إعادة التوحيد حسب الوعد في باريس سنة 1954

1958 إنشاء الڤييت كونگ Viet Cong في ڤييتنام الجنوبية وبدء حرب العصابات ضد الحكومة

1958 أزمة تايوان الثانية

1959 حزيران/ يونيو: سحب المستشارين السوڤييت من الصين

أيلول/ سپتمبر: نزاع حدودي صيني ـ هندي

1960 إنشاء جبهة التحرير الوطنية NLF واستلامها مساعدات من ڤييتنام الشمالية

1961 كانون الثاني/ يناير: كِنِدي Kennedy يصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

1963 تشرين الثاني/ نوڤمبر: مقتل دييم Diem بعد انقلاب عسكري بمساعدة المخابرات المركزية CIA، اغتيال كِنِدي وإحلال نائب الرئيس جونسون محلّه.

## نظرة شاملة

عرفنا في الفصل السادس عشر أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت في البداية ضد عودة الفرنسيين إلى الهند الصينية Indochina كقوة استعمارية، لكن ترافق اندلاع الحرب بين الڤييت مينه Viet Minh ذات القيادة الشيوعية والفرنسيين سنة 1946 والتطورات التي جرت في أماكن أخرى من آسيا في فترة 1949 ـ 1950 (الانتصار الشيوعي في الصين والحرب الكورية) دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقديم المساعدة للفرنسيين من أجل الوقوف في وجه امتداد الشيوعية.

بدا مؤتمر برلين لعام 1954 بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وفرنسا واعداً باتفاقيات حول كوريا والهند الصينية، لكن الفرنسيين تعرضوا حينئذ لهزيمة نكراء في ديان بيان فو Dien Bien Phu، وفي وقت لاحق من تلك السنة وضعت اتفاقات جنيف Geneva Accords شروطاً لتقسيم ڤييتنام تقسيماً مؤقتاً إلى شمالية وجنوبية على مسار خط العرض السابع عشر على أن تجري انتخابات للتوحيد سنة 1956. قامت الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك فوراً بتشكيل لجنة عسكرية لتقديم المعونة الاقتصادية والعسكرية لڤييتنام الجنوبية.

رفضت ڤييتنام الجنوبية المدعومة أمريكياً إجراء هذه الانتخابات بعد أن اقتنعت أن زعيم ڤييتنام الشمالية الشيوعي هو شي مينه Ho Chi Minh سيفوز فيها، وفي سنة 1958 بدأ الڤييت كونگ Viet Cong حرب عصابات ضد حكومة ڤييتنام الجنوبية، وفي سنة 1960 أُنشِئت جبهة التحرير الوطنية National Liberation Front (NLF) وضمَّت جميع مناوئي الحكومة الڤييتنامية الجنوبية. زادت الولايات المتحدة الأمريكية من مساعدتها العسكرية للجنوب، وساعدت وكالة المخابرات المركزية الجيش الڤييتنامي الجنوبي ـ بعد موافقة كِنِدي Kennedy ـ على الانقلاب في تشرين الثاني/ نوڤمبر 1963 على ديم Diem الفاسد.

هو شي مينه Ho Chi Minh، المولود سنة 1890 (واسمه الحقيقي نگويين ذات ذان Nguyen That Thanh) انضم الى الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1920، وفي سنة 1930 أسس الحزب الشيوعي لڤييتنام ولكنه اضطُر للذهاب إلى المنفى. بحلول سنة 1945 سيطرت قوات الڤييت مينه Viet Minh التابعة له على معظم ڤييتنام ونودي به رئيساً لڤييتنام المستقلة. لقي في البداية دعماً من الولايات المتحدة الأمريكية في نضاله ضد اليابانيين وفي دعوته إلى الاستقلال عن فرنسا، ولكنها تحولت بسرعة إلى دعم عودة الفرنسيين مع تطور الحرب الباردة. وحينما رفض الجنوب إجراء الانتخابات الموعودة سنة 1954 شجَّع هو Ho وساعد الشيوعيين الجنوبيين (الڤييت كونگ Viet Cong) في مقاومتهم. أسس دولة شيوعية ذات حزب واحد ولكنه توفي ـ سنة 1969 ـ قبل إعادة توحيد بلده. كان زعيماً وطنياً شعبياً (بالرغم من القمع السياسي الذي مارسه على المعارضين لأفكاره) وكان يُطلق عليه تحبباً اسم العم هو Uncle Ho.

## لماذا تورَّطت الولايات المتحدة الأمريكية في ڤييتنام؟

### الوقوف في وجه المد الشيوعي وَ نظرية لعبة الدومينو

كانت السياسة الأمريكية تجاه الاتحاد السوڤييتي والشيوعية تقوم منذ سنة 1947 ـ كما رأينا ـ على مبدأ ترومان

Truman وسياسة الوقوف في وجه المد الشيوعي التي زادت تعمقاً بعد مجيء ماو Mao والشيوعيين إلى السلطة في الصين في تشرين الأول/أكتوبر 1949. إلا أن ترومان كان مستعداً لاتخاذ موقف عسكري في آسيا فقط استناداً لما عُرِف باسم المحيط الدفاعي.

كان من المفروض أن تقدم السياسة الأمريكية تجاه البر الآسيوي ـ وجنوب شرق آسيا هو جزء منه ـ معونة اقتصادية للقوى المناوئة للشيوعية، وكان يُنظَر إلى الهند الصينية وبخاصة ڤيتنام، على أن لها شأن حيوي للوقوف في وجه المد الشيوعي إلى المناطق التي تُزرع بالأرُز في الإقليم. لكن اندلاع الحرب الكورية في حزيران/يونيو 1950 شكَّل نقطة تحول في السياسة الأمريكية تجاه ڤيتنام، ذلك أن ترومان وَ دالِس Dulles أسرعا للمباشرة في تنفيذ مقترحات وثيقة مجلس الأمن القومي رقم 68 حالما بدأت كوريا الشمالية غزوها للجنوب لأن ترومان وإدارته كانا يعتقدان أن الولايات المتحدة الأمريكية والغرب لا يمكنهما تحمّل فقدان مزيد من السكان والأرض والموارد لمصلحة الجانب الآخر. وخلال وقت قصير قرر ترومان زيادة مساعدة الفرنسيين في حربهم ضد قوات الڤييت مينه Viet Minh ذات القيادة الشيوعية في ڤيتنام (إذ كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقدم مساعدة عسكرية للفرنسيين منذ آذار/مارس 1950)؛ وسرعان ما بلغت قيمة هذه المساعدة بليون دولار في السنة.

**لماذا قررت الولايات المتحدة مساعدة الفرنسيين للبقاء مسيطرين في الهند الصينية بعد الحرب العالمية الثانية؟**

## الفرنسيون والهند الصينية

**ما هي البلدان الثلاثة التي تشكل الهند الصينية؟**

كانت الهند الصينية (التي تتألف من ڤيتنام Vietnem وكمبوديا Cambodia ولاوُس Laos) تشكل قبل الحرب العالمية

الثانية جزءاً من الإمبراطورية الفرنسية، وأثناء الحَرب استولت عليها اليابان. وبعد سنة 1945 كان الفرنسيون يسعون إلى استرداد مستعمراتهم الجنوب ـ شرق آسيوية.

أرادت الولايات المتحدة الأمريكية لهذه البلدان، من حيث المبدأ، أن تستقل وتتحالف معها، ومارست ضغطاً على فرنسا كي تنسحب. وواجهت فرنسا معارضة شديدة من القيبت مينه Viet Minh وهي حركة وطنية شيوعية تسعى وراء الاستقلال القيبتنامي، وحرَّرت جزءاً كبيراً من البلاد بقيادة هو شي مينه Ho Chi Minh من اليابانيين قبل سنة 1945.

القيبيت مينه Viet Minh (رابطة قيبتنام للاستقلال) أنشأها هو شي مينه سنة 1941، أثناء وجوده في المنفى. وبعد الغزو الياباني أنشأت القيبيت مينه جيشها الخاص وخاضت حملة عسكرية منذ 1943 ضد الجيش الياباني، وبحلول سنة 1945 كانت القيبيت مينه قد حرَّرت جزءاً كبيراً من البلاد.

تشجَّع هُو Ho بموقف الولايات المتحدة الأمريكية وطالبها بالمساعدة ولكنه خُذِل بسبب ميوله الشيوعية. بدأ القتال بين الفرنسيين والقيبت مينه سنة 1946 ثم انقلب ليصبح حرب عصابات طويلة الأمد في البداية ضد الفرنسيين ومن ثم ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

ومع تطور الحرب الباردة وتنامي شعبية الحركات الشيوعية الوطنية، قررت الولايات المتحدة الأمريكية مساعدة الفرنسيين على البقاء في الهند الصينية ولكنها دفعت فرنسا لمنح الوطنيين القيبتناميين غير الشيوعيين بعض التنازلات. كانت المساعدة في البداية مالية ثم أصبحت عسكرية حين تزايدت خطورة الوضع.

سنة 1949 عرض الفرنسيون (الذين عانوا من الصعوبات الاقتصادية في وطنهم) على القيبتناميين صيغة من استقلال محدود إرضاءً للولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تمارس الضغط باتجاه نظام أكثر ليبرالية. وبموجب هذه الخطة يتم تعيين باو داي Bao Dai على رأس الحكومة. لكن القيبت مينه ـ الذين كانوا يطالبون باستقلال تام ـ رفضوها.

حمل هو شي منه سنة 1950 على اعتراف ستالين وماو بهِ زعيماً شرعياً لڤييتنام، وبعد ذلك اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بباو داي Bao Dai كحاكم لڤييتنام. توصلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى نتيجة مفادها أن هو Ho كان يعمل ـ مثل كيم Kim في كوريا الشمالية ـ حسب تعليمات من موسكو وكان مجرَّد أداة في يد الشيوعية الدولية. وبدأت اعتباراً من آذار/مارس 1950 بإرسال مساعدة عسكرية للفرنسيين على أمل أن يتمكنوا من إيقاع الهزيمة بالڤييت مينه Viet Minh، فقد كانت ترى أن الانتصار الفرنسي مهم للأمن الأوروپي وأن هزيمة الفرنسيين قد تقوّي الحزب الشيوعي الفرنسي. وفي نفس الوقت كان يُنظَر إلى تقديم الدعم للفرنسيين في ڤييتنام على أنه «شراء» القبول الفرنسي لإعادة بناء قوة ألمانيا الغربية الاقتصادية والعسكرية التي تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية أنها حيوية جداً للوقوف بوجه الشيوعية في أوروپا.

ساد الاعتقاد أن هزيمة الفرنسيين في ڤييتنام سوف تُضعِف الحكومة وتُفضي إلى أزمة سياسية ستزيد بدورها من التأييد الذي يحظى به الحزب الشيوعي الفرنسي

## آيزنهاور والنظرة الجديدة

كان يُفترَض أن تختلف سياسة النظرة الجديدة الخارجية التي ابتدعها آيزنهاور Eisenhower عن متابعة ترومان لسياسة الوقوف بوجه المد الشيوعي، فآيزنهاور (مثل ترومان) رأى في هو شي مينه أداة بيد الشيوعية الدولية واعتقد أن «ضياع» الهند الصينية سيكون له نتائج مرعبة على بقية جنوب شرق آسيا (نظرية لعبة الدومينو domino theory) الحيوية للمصالح الأمريكية.

ارتبطت السياسة بدالِس Dulles وكانت تؤكد كثيراً على أن تحقيق التفوق النووي الواضح يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك القوة فتمارس الضغط على اتحاد

**ما هي سياسة النظرة الجديدة الخارجية التي ابتدعها آيزنهاور Eisenhower؟**

الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والصين حتى يقدما تنازلات. كان ذلك جزءاً من المبدأ الذي أسماه دالِس «الردع الشامل». هناك دلائل على أن آيزنهاور كان أكثر استعداداً من ترومان للتفويض بعمليات خفيَّة للوقوف بوجه الشيوعية، فهذه الطرق سريعة ورخيصة وبعيدة عن تحقيق الكونگرس بها والدليل عليها غير حاسم.

أصبح واضحاً الآن أن الفرنسيين يواجهون صعوبات في التشبث بمواقعهم في ڤييتنام نتيجة للمقاومة العنيدة التي يبديها الڤييت مينه Viet Minh. وخشي آيزنهاور ودالِس من أن تنتصر الشيوعية في ڤييتنام عند هزيمة فرنسا، وتجر وراءها ـ حسب نظرية لعبة الدومينو ـ بقية الهند الصينية (كمبوديا ولاوُس)، حيث تكون الملايو وإندونيسيا وتايوان وكوريا الجنوبية أهداف الشيوعية اللاحقة.

تابع آيزنهاور في البداية إمداد القوات الفرنسية في ڤييتنام بالمساعدة الهائلة وإرسال المستشارين (وليس الجنود) الأمريكيين، وبالرغم من أن هؤلاء كانوا موجودين لأغراض التدريب وتقديم النصائح لكنهم، في حقيقة الأمر، ساهموا بدور في العمليات العسكرية. كانت الولايات المتحدة الأمريكية بحلول سنة 1954 تدفع ما يقارب السبعين بالمئة من موازنة الجيش الفرنسي في الهند الصينية وقد مَنَحَت مساعدات زادت عن أربعة بلايين دولار، إذ لم تكن في هذه المرحلة راغبة بالانخراط في حرب أخرى ـ كما فعلت في كوريا ـ يحتمل أن تكون خسائر الأرواح باهظة (فقد ثبت أن ذلك أمر لا يقبله الرأي العام الأمريكي)، وبخاصة أن آيزنهاور رأى أن التورط الأمريكي المباشر قد يدفع بالصين إلى التدخل.

ڤو نگويان جياب Vo Nguyen Giap المولود سنة 1912 ـ شيوعي ڤييتنامي وقائد ألمعي، كان واسع الاطلاع على تكتيكات حرب العصابات التي استخدمها الصينيون ولكنه أوجد استراتيجيات خاصة به على امتداد سنوات الحرب. قاد وحدات الڤييت مينه Viet Minh التي دخلت سايگون Saigon بعد هزيمة اليابان، ويعود إليه الفضل في هزيمة الفرنسيين سنة 1954 في ديان بيان فو. كذلك قاد جيوش ڤييتنام الشمالية أثناء الحرب الڤييتنامية ونظّم هجوم تيت Tet سنة 1968. وبعد إعادة توحيد ڤييتنام سنة 1957 أصبح نائباً لرئيس الوزراء.

في آذار/مارس 1954 بلغت الأمور مرحلة حرجة إذ اتضح أن الفرنسيين يواجهون في معركة ديان بيان فو Dien Bien Phu هزيمة نكراء، وأن الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد أنهم سيطالبونها في القريب العاجل بدعم عسكري مباشر. استبعد آيزنهاور فكرة إرسال جنود أمريكيين لأن الكونگرس أوضح أنه لا يريد حروباً جديدة «كحرب كوريا» ولأن بريطانيا قالت إنها غير مستعدة للتورط أيضاً. وهنا اقترحت وزارة الدفاع الأمريكية ـ البنتاگون Pentagon ـ ضرورة إلقاء ثلاث قنابل نووية تكتيكية للقضاء على قوات الڤييت مينه Viet Minh التي كانت تحاصر القوات الفرنسية في ديان بيان فو بقيادة الجنرال جياب Giap. وبرغم طلب الفرنسيين هذا، فقد رُفِض وقرر آيزنهاور بدلاً منه عدم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية دون موافقة من الكونگرس ودعم من حلفائها. ولم يُتَّخَذ أي عمل لإنقاذ الفرنسيين في ديان بيان فو لأن رئيس الوزراء البريطاني تشرشل Churchill ظل معارضاً. سقطت ديان بيان فو بأيدي الڤييت مينه في السابع من أيار/مايو 1954 وانتهى بذلك الحكم الاستعماري الفرنسي في الهند الصينية فعلياً.

والواضح أنه كان لدى آيزنهاور تحفظات كبيرة على اللجوء إلى الأعمال الحربية النووية برغم الاختلاف البسيط الظاهري، من الناحية العملية، بين نظرته الجديدة وسياسة ترومان في الوقوف بوجه المد الشيوعي.

## تقسيم ڤييتنام

**علامَ تم الاتفاق بشأن ڤييتنام بموجب اتفاقات جنيڤ لسنة 1954؟**

قرر الفرنسيون بعد هزيمتهم في ديان بيان فو الانسحاب من ڤييتنام. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والصين مستعدة للتوسط بين

الحكومة الڤييتنامية والڤييت مينه Viet Minh من أجل إنهاء النزاع. مارست القيادة السوڤييتية ضغطاً على هو Ho للقبول بتقسيم ڤييتنام مؤقتاً إلى شمالية وجنوبية على مسار خط العرض السابع عشر وذلك بالرغم من سيطرة الڤييت مينه على ثلثي البلاد. قبلت الحكومة المؤقتة، التي عينها الفرنسيون قبل انسحابهم، وممثلو هو Ho بصورة نهائية بهذه الشروط (التي عُرفت باتفاقات جنيف Geneva Accords) وذلك في مؤتمر عُقِد في جنيف في تموز/يوليو 1954. قبل هو Ho بهذا الحل الوسط من أجل وقف القتال وكذلك لأن الاتفاق تم على إجراء انتخابات وطنية خلال سنتين لتحقيق إعادة التوحيد. وفي لاوس Laos تم التخلي عن قوات پاتيت لاو Pathet Lao الموالية للشيوعيين (على الرغم من عدم وجودها في السلطة) في حين سُمِح بإجراء انتخابات وطنية في كمبوديا.

غير أن الولايات المتحدة لم توقع على اتفاقات جنيف اعتقاداً منها أن الشيوعيين سيفوزون بالانتخابات، على الرغم من أنها وعدت بعدم إفشالها بالقوة. وركّز هو Ho في نفس الوقت جهوده على إنشاء دولة شيوعية ذات حزب واحد وعلى إعادة بناء اقتصاد الشمال، حيث تم تحقيق إعادة البناء جزئياً من خلال المساعدة السوڤييتية.

**لماذا لم يتم إجراء انتخابات إعادة التوحيد الموعودة لسنة 1956؟**

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت ذاته بتدريب الجيش الڤييتنامي الجنوبي وأنشأت لجنة عسكرية لتقديم الاستشارات، وباشرت بمساندة ڤييتنام الجنوبية من أجل منع قدوم الشيوعية من الشمال وذلك في عمل كان البداية الفعلية للتورط الأمريكي بحرب هي الأطول في تاريخها (انظر الفصل 19).

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتجاوز الفرنسيين

حتى قبل رحيلهم وتقدم المساعدة المباشرة لكل حركة ڤييتنامية جنوبية مستعدة للعمل معها (طالما أنها غير شيوعية). وبحلول تموز/يوليو 1955 كانت معظم القوات الفرنسية قد سُحِبت، فسارعت الولايات المتحدة إلى إقصاء باو داي Bao Dai المدعوم فرنسياً وعينت نگو دينه دييم Ngo Dinh Diem ليرأس حكومة جديدة لڤييتنام الجنوبية، فكان من أوائل أعماله ـ بناء على تعليمات آيزنهاور ـ أن أعلن عن عدم إجراء الانتخابات الوطنية لإعادة التوحيد (حيث أظهر كثير من التوقعات أن هو Ho سيفوز بثمانين بالمئة من الأصوات). كان هدف الولايات المتحدة الرئيسي في ذلك الوقت هو قيام دولة في ڤييتنام الجنوبية قادرة على العيش وعلى الحيلولة دون المد الشيوعي، لكن الجنوب كان يعيش ممزقاً بفعل سنوات الحرب في جحيم سياسي.

نگو دينه دييم Ngo Dinh Diem المولود سنة 1901 وطنيٌّ عارض الفرنسيين والشيوعيين. تم تعيينه سنة 1954 رئيساً لوزراء ڤييتنام الجنوبية. حَظِيَ في البداية بدعم الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن نظامه همَّش السكان البوذيين مما أدى إلى المزيد من الدعم للڤييت كونگ Viet Cong.

سرعان ما ازداد نظام دييم Diem فساداً وقمعاً، وبدأ الشيوعيون في الجنوب تنظيم المقاومة وبادروا بحرب العصابات، وأصبحوا يعرفون باسم الڤييت كونگ Viet Cong الذي يعبِّر عن شتيمة استخدمها دييم والولايات المتحدة الأمريكية أيضاً. وَجدت قوات دييم ـ التي لم تتعود على حرب العصابات ـ أن من الصعب عليها مواجهة محاربين أمضوا سنوات يقاتلون اليابانيين ومن بعدهم الفرنسيين.

**من هم الڤييت كونگ Viet Cong؟**

أعلنت ڤييتنام الجنوبية سنة 1959 عن نيتها إعادة توحيد ڤييتنام، وفي سنة 1960 شجَّع هو Ho الڤييت كونگ على تشكيل جبهة التحرير الوطنية بالاشتراك مع القوات الأخرى المناوئة لديم Diem، فكانت هذه الجبهة الذراع السياسي للڤييت كونگ.

وبرغم تنامي الكراهية الشعبية لنظام دييم في فترة 1955

ـ 1960، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت في منحه معونة اقتصادية وعسكرية هائلة (زادت قيمتها عن البليون دولار خلال هذه الفترة) للحيلولة دون انتصار شيوعي في جنوب ڤيتنام. وساندت هذه المعونة نظام دييم، الذي تزايدت كراهيته على الصعيد الشعبي، لكنها لم تفعل شيئاً لحل المشكلات التي كان الفلاحون الڤيتناميون الجنوبيون يواجهونها.

كان الفلاحون الڤيتناميون الجنوبيون يواجهون الحاجة إلى تملك الأراضي والإيجارات العالية في حين كان نظام دييم يساند مُلاك الأراضي

## كِنِدي و«الاستجابة المرنة»

فاز ج. ف. كِنِدي J.F. Kennedy بالانتخابات الرئاسية سنة 1960 وكان يشارك آيزنهاور نظرته العالمية، كما أنه كان منذ أواخر الأربعينيات محارباً صلباً في الحرب الباردة فهاجم ترومان بسبب «ضياع» الصين، وأيَّد حملة ماك كارثي McCarthy، حتى وصل إلى حد اتهام آيزنهاور بالسماح لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية «بالتفوق» على الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الصواريخ. وعندما تسلم السلطة اكتشف أن الولايات المتحدة ما زالت متفوقة تفوقاً كبيراً وكان في الحقيقة عازماً على المحافظة على هذا التفوق.

وُلِد دين راسك Dean Rusk سنة 1909، وكان سياسياً ديمقراطياً. شارك سنة 1950 في القرار الأمريكي بدخول الحرب الكورية. تسلَّم وزارة الخارجية بين سنتي 1961 وَ 1969 وكان مؤيداً للتورط في ڤيتنام ومدافعاً عنه.

كانت التوترات الناجمة عن الحرب الباردة قد بلغت حداً خطيراً حين تسلم كِنِدي Kennedy مقاليد السلطة في كانون الثاني/يناير 1961 وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن لا غِنى لها عن ڤيتنام ـ وجنوب شرق آسيا على العموم ـ من أجل أمنها. وبالرغم من استعداد آيزنهاور للإقرار بضياع ڤيتنام إلا أنه لم يكن يرغب أن يكون الرئيس الذي يضيِّع الهند الصينية، وكان كِنِدي متردداً بنفس القدر في أن تكون ذكراه مرتبطة بذلك، وهو يخشى أن يخسر

الديمقراطيون الانتخابات الرئاسية التالية المقررة سنة 1964 إذا سقطت ڤييتنام بأيدي الشيوعيين، فعيَّن على الفور مناوئين شرسين للشيوعية - ومنهم بعض الجمهوريين - في المناصب الرئيسية، وكان من المعيَّنين المهمّين دين راسك Dean Rusk وَ روبيرت مكنمارا Robert McNamara اللذان كانا يعتقدان أن الصين كانت تقف وراء ڤييتنام الشمالية وأن الاتحاد السوڤييتي يقف وراء الصين.

وُلِد روبيرت مكنمارا Robert McNamara سنة 1916، وأصبح وزيراً للدفاع بين سنتي 1961 و1968، إلا أنه بدأت تساوره شكوك خطيرة تجاه السياسات والأفعال الأمريكية في ڤييتنام، فاستقال في نهاية المطاف، وأصبح بعد ذلك رئيساً للبنك الدولي.

بدأ راسك ومكنمارا يرسمان بسرعة سياسة جديدة للوقوف في وجه الشيوعية - عُرِفت باسم «الاستجابة المرنة» - وتقوم على زيادة القوات العسكرية الأمريكية التقليدية للمساعدة في خوض حروب محدودة في آسيا وعند الضرورة في أوروبا، وتم طرح هذه السياسة كانتقاد لاعتماد آيزنهاور العلني على الأسلحة النووية وَعلى «الردع الهائل». كذلك كان يُنظَر إلى استراتيجية الاستجابة المرنة كطريقة لتحقيق شيء من التحكُّم بالأعمال الحربية في العصر النووي الجديد.

**ما هي النواحي الرئيسية في «استجابة» كِنِدي «المرنة»؟**

وقعت أولى أزمات كِنِدي في الهند الصينية في لاوُس، فعند اقتراب نهاية رئاسة آيزنهاور سنة 1960 قامت مجموعة محايدة بانقلاب على الحكومة الموالية لأمريكا التي أقيمت سنة 1958 بتدخل من قبل وكالة المخابرات المركزية CIA. كان كِنِدي مصمِّماً على القيام بعمل اعتقاداً منه أن الانتصار الشيوعي في لاوس سيهدد بقاء ڤييتنام الجنوبية كدولة مناوئة للشيوعية، فاحتجّ بالمساعدة السوڤييتية للپاتيت لاو Pathet Lao وأرسل الأسطول السابع إلى خليج تايلاند Thailand ووضع جميع القوات الأمريكية الموجودة في الشرق الأقصى في حالة الاستنفار، وأقنع في الوقت ذاته كثيراً من أعضاء منظمة حلف جنوب شرق آسيا SEATO بالتعهد بتقديم الدعم العسكري لعمل تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.

قامت الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1954 بإنشاء منظمة حلف جنوب شرق آسيا SEATO في مانيلا Manila واتخذت من بانكوك Bangkok مقراً لقيادتها، وكانت مصممة على الوقوف في وجه انتشار الشيوعية في آسيا. لم يكن لها قواتها الخاصة بل كانت تقوم بعمليات عسكرية مشتركة، وضمّت بريطانيا وفرنسا إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومختلف الدول الآسيوية. سنة 1955 انسحبت منها كل من پاكستان وفرنسا لأنهما لم ترغبا بالتورط في حرب ڤييتنام. تقرر إنهاء هذه المنظمة سنة 1975 وحصلت آخر عملياتها العسكرية سنة 1976.

قرر خروتشيف حينذاك أن لاوس لم تكن مهمة كثيراً ووافق على ممارسة ضغط على الپاثيت لاو Pathet Lao لإبرام وقف لإطلاق النار، وفي سنة 1962 وقّع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية في جنيف تقضي بقبول حياد لاوُس وضمانه. قبل كِنِدي ذلك بالرغم من بقاء القوات الموالية للشيوعية في موقع المُهَيمِن. لكن القتال استؤنف على الفور إذ لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عمليات خفِيّة وجدَّد الاتحاد السوڤييتي مساعدته العسكرية للپاتيت لاو. استخدمت وكالة المخابرات المركزية المرتزقة ورجال القبائل المحليين لتشكيل جيش عصابات مناوئ للشيوعية قوامه خمسون ألف رجل تقريباً وأنشأت شركة خاصة نظرية (إير أمريكا Air America) لقصف الپاتيت لاو، لأنها لم تكن تقاتل لاوس رسمياً. وبرغم ذلك استمر شيوعيو الپاثيت لاو بزيادة معاقلهم.

جَدَّد الوضع في لاوس عزم كِنِدي على الاعتماد على ڤييتنام الجنوبية فمدَّ دييم Diem بمزيد من المعونة الاقتصادية وأرسل مزيداً من «المستشارين» العسكريين إلى ڤييتنام الجنوبية فارتفع عددهم من ألفين سنة 1960 إلى أحد عشر ألفاً سنة 1962، وحين اغتيل كِنِدي في تشرين الثاني/نوڤمبر سنة 1963 كان عددهم قد وصل إلى ستة عشر ألفاً في ڤييتنام وكانوا مجهَّزين بثلاثمئة طائرة ومئة وعشرين حوامة، كما سمَح لهم كِنِدي أيضاً بالمشاركة في أعمال قتالية (مثل نقل مقاتلين جنوبيين جواً إلى ساحة المعركة) وفوَّضهم القيام بعمليات عصيان معاكسة مثل برنامج «القرى الاستراتيجية الصغيرة» التي صُمِّمَت لسحق جبهة التحرير الوطنية من خلال استراتيجية الإنهاك وحتى القيام بمهمات «إبحث ودمِّر»، وبحلول سنة 1963 زاد عدد الجنود الأمريكيين القتلى في ڤييتنام عن المئة.

«إبحث وَدمِّر» هي إحدى الاستراتيجيات العسكرية التي استخدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في ڤييتنام. بعد أن اقتنع المدنيون الڤييتناميون بالانتقال إلى «قرىً استراتيجية صغيرة» في مناطق خاضعة لسيطرة جيش ڤييتنام الجنوبية (من أجل نقلهم من مناطق التماس مع الڤييت كونگ)، ومن ثم ترسَل القوات الأمريكية إلى هذه المناطق المنظفة لكي «تبحث وتدمِّر» الڤييت كونگ، فكل ڤييتنامي بقي في تلك المناطق هو من الڤييت كونگ أو من مؤيديهم، ولذلك تم تشجيع الجنود على قتل العدد الأكبر، وكان أن تم استخدام هذه الاستراتيجية في مذبحة ماي ليه My Lai سنة 1968.

اتّضح في ذلك الحين أن مثل تلك الاستراتيجيات لم تكن تحقق نتائجها، ويعود ذلك بصورة رئيسية إلى أن تهميش غالبية السكان قد استمر بفعل سياسات دييم Diem القمعية ورفضه تنفيذ الإصلاحات، فبلغت نسبة البوذيين من هؤلاء السكان تسعين بالمئة، وكان دييم وأخوه نگو دينه نو Ngo Dinh Nhu رئيس الشرطة السرية يميلان إلى تعيين الكاثوليك فقط (وهُم أقلية) في مناصب سُلطوية. نظَّم البوذيون في صيف سنة 1963 مظاهرات احتجاج ضخمة ضد الحكومة تعرَّضت لإطلاق النار عليها من قوات الشرطة، واحتجاجاً على ذلك أحرق راهب بوذي نفسه في سايگون Saigon وسرعان ما انتشرت هذه الظاهرة. واقترح تقرير تايلر ـ روستو Taylor - Rostow إرسال ثمانية آلاف جندي أمريكي بزعم تقديم إغاثة بسبب الفيضان.



واحد من رهبان بوذيين كثيرين ممن أضرموا النار بأنفسهم احتجاجاً على فساد حكومة ڤيتنام الجنوبية في أوائل الستينيات

إلا أن كِنِدي رفض النصيحة مرتين سنة 1961 بإرسال جنود أمريكيين نظاميين مقاتلين، وذلك برغم أن نائبه ليندون ب. جونسون Lyndon B. Johnson كان يحبِّذ هذا الاتجاه. وقبيل اغتياله بوقت قصير جداً أعطى تفويضاً لوكالة المخابرات المركزية بمساعدة مجموعة من الجنرالات الڤيتناميين الجنوبيين للقيام بانقلاب للإطاحة بدييم الذي زاد فساده وعدم كفاءته. ويعود السبب في ذلك إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية أدركت أن المعركة ضد الشيوعية تتطلّب، مع الوجه العسكري المُبَرَّر، وجهاً آخر، هو الإصلاحات السياسية والاجتماعية. ولذلك اتصلت الوكالة بهؤلاء الجنرالات وقدمت الدعم لأحدهم ظناً منها أنه أقل فساداً. وفي الأول من تشرين الثاني/نوڤمبر 1963 أُطيح بدييم وقُتِل مع أخيه. وهكذا أنفذ كِنِدي عن تبصُّر سياسته الذاتية بالاستجابة المرنة (كما فعل جونسون فيما بعد).

**لماذا وافق كِنِدي على الإطاحة بدييم Diem؟**

## ما هو تأثير الهند الصينية على الحرب الباردة؟

### البحث عن حلفاء جدد

دفعت التوترات في الهند الصينية الولايات المتحدة الأمريكية إلى إنشاء تحالف لآسيا على طراز حلف شمال الأطلسي NATO من أجل الوقوف في وجه انتشار الشيوعية هناك، ففي الثامن من أيلول/سبتمبر سنة 1954 أقام دالِس Dulles تحالف جنوب شرق آسيا South East Asia Treaty Organization «SEATO»، بعضوية فرنسا وبريطانيا وأستراليا ونيوزيلندا (العضوان الأخيران متحالفان مسبقاً مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حلف آنزوس Anzus Pact لسنة 1951) وتايلاند والفيليپين والپاكستان، إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية. اتحد هؤلاء الأعضاء في رؤية أن ڤيتنام الجنوبية ولاوُس وكمبوديا ذات أهمية استراتيجية. والمهم أن

ثلاث دول هي بورما وإندونيسيا والهند (الدولتان الأخيرتان هما الأهم في المنطقة) رفضت العضوية لاعتقادها أن الولايات المتحدة الأمريكية تهَوِّل من الخطر الشيوعي على المنطقة.

اتفقت هذه البلدان على التدخل في الدول التي تم فرض سلطة الشيوعية فيها بالقوة. وأكد دالِس للكونگرس الأمريكي أن التدخل لن يؤخذ في الحسبان إلا حين تكون هيمنة القوات الشيوعية واضحة للعيان، وأن المبادرة بالعمل العسكري ستكون من قِبَل القوات الجوية وليست البرية وَوَعَدَ بعدم التدخل دون الحصول على موافقة مجلس الشيوخ. إلا أن بنداً آخر في المعاهدة كان ينص على إمكانية التدخل في بلد يبدو فيه أن حزباً شيوعياً قد يحقق الفوز في الانتخابات، برغم أن دولاً أعضاء أخرى رفضت مساعدة الولايات المتحدة في مثل هذه الظروف.

ردَّ السوفييت على تحالف جنوب شرق آسيا SEATO والنفوذ الأمريكي المتنامي في آسيا بتقديم الدعم لتجمع عدم الانحياز في أفريقيا وآسيا الذي تم إنشاؤه في مؤتمر باندونگ Bandung Conference بإندونيسيا Indonesia، وكان هذا التجمع حركة نذرت نفسها لمعارضة العنصرية ولإيجاد «طريق ثالث» (ليس رأسمالياً ولا شيوعياً) بين طرفي الحرب الباردة. وخلال شهري تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 1955 زار خروتشيف Khrushchev ورئيس الوزراء السوفييتي بُلگانين Bulganin الهند وبورما وأفغانستان. وقام سوكارنو Sukarno زعيم إندونيسيا بزيارة موسكو وأُعطيت له وعود بالمعونات الاقتصادية والعسكرية برغم أنه كان يتلقى معونة من الولايات المتحدة الأمريكية.

مؤتمر باندونگ Bandung Conference هو الاجتماع الذي انعقد في باندونگ عاصمة جزيرة جاوا الغربية West Java الإندونيسية وحضرته 29 دولة آسيوية وإفريقية تعارض الشيوعية والعنصرية، وأرادت الحصول على اعتراف العالم المتطور والبقاء في معزل عن الحرب الباردة، واتفقت على قبول المعونات «غير المشروطة» وألا تتورط في منازعات الحرب الباردة.

## أزمة مضائق تايوان

أُصيب ماو Mao بالذعر بسبب إعلان تشكيل تحالف جنوب شرق آسيا SEATO ورأى أن الولايات المتحدة الأمريكية ستحاول أن تفصِل تايوان عن البر الصيني إلى الأبد. كان تشان كاي تشِك قد أعلن في الفترة الأخيرة عن هجوم وشيك على الصين فيما سُمِّي «الحرب المقدَّسَة» الجديدة ضد الشيوعية. ورَدَّ ماو في أيلول/سپتمبر 1954 بقصف بعض الجزر الساحلية ـ مجموعات جينمِن Jinmen (Quemoy) وماتسو Mazu (Matsu) وذلك على سبيل إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بعدم الالتزام كثيراً بنظام تشان كاي تشِك Jiang Jieshi الذي كان له جنود في تلك الجزر. وفي سنة 1955 بدأت الصين أيضاً بقصف جزر تاتشِن Tachen التي كان يحتلها جنود تشان كاي تشِك أيضاً. أوصى الجيش الأمريكي مرة أخرى باستخدام الأسلحة النووية أثناء أزمة مضائق تايوان Taiwan Traits Crisis خلال سنتي 1954 ـ 1955 التي وقعت نتيجة لمحاولات ماو الاستيلاء على هذه الجزر، ومرة أخرى رفض آيزنهاور ذلك (بعد شيء من التردد) اعتقاداً منه أن وضع حدود لهذا العمل سيكون صعباً.

رفضت الولايات المتحدة الموافقة على السماح للصين الشيوعية باسترداد الجزر الساحلية برغم أن دالِس شكَّك بأن تشان كاي تشِك قد يحاول إثارة حرب مع الصين لكي يتمكن من استعادة البر الصيني بمساعدة الولايات المتحدة. وكانت النتيجة إبرام حلف دفاع مشترك بينها وبين تايوان تضمن بنوداً سرية بألا يهاجم تشان كاي تشِك الصين دون موافقة الولايات المتحدة الأمريكية وألا تلتزم الولايات المتحدة الأمريكية بالدفاع عن تلك الجزر الساحلية المُتنازَع عليها.

حاولت الولايات المتحدة بعد ذلك إلزام الصين بعدم

استخدام القوة لاسترداد تايوان، فرفض ماو في البداية موضحاً أن الجزيرة من ممتلكات للصين وأن النزاع ليس إلا أحد مخلفات الحرب الأهلية الصينية. حينما استولت الصين على جزر تاتشن Tachen هدد آيزنهاور باستخدام السلاح النووي إذا هاجمت الصين تايوان، وأقر الكونگرس قرار تايوان Taiwan Resolution الذي أجاز لآيزنهار اتخاذ العمل العسكري الذي يراه مناسباً، فقال شو إن لاي Zhou Enlai رئيس الوزراء الصيني حينذاك إن الصين لن تستخدم سوى الوسائل السلمية لاسترداد تايوان، ثم دخل وقف لإطلاق النار على أرض الواقع في مضائق تايوان حيِّز التنفيذ.

تأجَّجت التوترات مرة أخرى سنة 1957 عندما أوقفت الولايات المتحدة الأمريكية المباحثات الصينية ـ الأمريكية على الجزر وتايوان بسبب تعَنُّت ماو، فوصلت العلاقات الصينية ـ الأمريكية إلى الحضيض. واندلعت أزمة ثانية سنة 1958 عندما استأنفت الصين قصفها لجزر جينمِن Jinmen وماتسو Mazu. وصرَّح دالِس أن ذلك هو المرحلة الأولى من غزو صيني لتايوان، وتم إرسال الأسطول السابع إلى مضائق تايوان. وُضِعَت القوات الأمريكية بحالة استنفار وبدأت الولايات المتحدة مرة أخرى تهدد باستخدام الأسلحة النووية. إلا أن كلاً من الصين والولايات المتحدة الأمريكية كانت مستعدة للتفاوض وتم ترتيب وقف آخر لإطلاق النار. ومرة أخرى أوضح دالِس لتشان كاي تشِك أن الولايات المتحدة لن تساعده في أي غزو للبر الصيني، برغم مساندتها لاستقلال تايوان، كذلك مارس دالِس ضغطاً عليه لتقليص عدد جنوده في الجزر المُتنازَع عليها.

## اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والصين

ساءت العلاقات بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والصين بسبب هذا التوتر حول تحالف جنوب شرق آسيا SEATO والوضع في آسيا، وعندما قطعت الولايات المتحدة الأمريكية المباحثات مع الصين سنة 1957 طالب ماو Mao خروتشيڤ بدعم الاتحاد السوڤييتي لهجوم صيني من أجل استرداد جزر جينمِن Jinmen وَ ماتسو Mazu، لكن خروتشيڤ رفض تقديم أي مساعدة هجومية قائلاً إن الاتحاد السوڤييتي لا يتدخل إلا إذا قامت الولايات المتحدة الأمريكية بغزو مباشر للصين. وفي نفس الوقت أجبَر التهديد الأمريكي باستخدام الردّ النووي في حال استمرار الهجمات ماو على التراجع. أدى ذلك إلى زيادة المرارة بين القوتين الشيوعيتين (ولاسيَّما لأن الاتحاد السوڤييتي ما زال يرفض السماح للصين بالحصول على تكنولوجيا القنبلة الذرية)، كما أدى إلى شرخ متعاظم سرعان ما أثر على الحركة الشيوعية في أرجاء العالم. والمهم في هذا الشرخ هو التخلص المحدود من الستالينية الذي باشرَه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بعد خطاب خروتشيڤ السري سنة 1956، لأن ماو Mao والحزب الشيوعي الصيني اعتقدا بضرورة المحافظة على طرق الحكم الستالينية القديمة.

أدرك دالِس منذ بدايات أزمة مضائق تايوان سنة 1954، أن موقفاً أمريكياً ثابتاً من هذه الجزر وإرسال إشارات واضحة لجميع من يهمهم الأمر بأن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة للقيام بعمل عسكري في جنوب شرق آسيا، قد يساعد على انهيار التحالف الصيني ـ السوڤييتي، وحسِب أن تصميماً أمريكياً قوياً سيثني اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية عن تقديم دعم فعال

للصين وأن هذا سيقود إلى الوقيعة بينهما. ومع ذلك فقد أُجبِر ـ هو وآيزنهاور ـ على دعْم نظام تشان كاي تشِك Jiang الوطني ضد نظام ماو Mao الشيوعي، من خلال الاستمرار في نشاط اللوبي الصيني الذي أمعن بالضغط على الحكومة الأمريكية لمساعدة تشان كاي تشِك Jiang على غزو البر الصيني. ولو لم يكن الأمر كذلك لجرت المباحثات بين واشنطن Washington وبكين Beijing قبل وقت طويل مما جرت بالفعل في سنة 1971.

في العشرين من حزيران/ يونيو 1959 أدى هذا الشرخ الصيني ـ السوفييتي المتنامي إلى قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بسحب جميع خبرائه فجأةً من الصين في وقت حرِج لاقتصاد الصين، مخلِّفين وراءهم مشاريع كثيرة غير مُستكمَلة. وسرعان ما وقع توتر آخر في آسيا حينما حصلت مصادمات في التاسع من أيلول/ سبتمبر سنة 1959 بين الجنود الصينيين والهنود في منطقة حدودية مُتنازَع عليها. استشاط ماو غضباً لقرار الاتحاد السوفييتي البقاء على الحياد، مما أدى إلى شرخ مفتوح في مؤتمر الحزب الشيوعي الروماني في حزيران/ يونيو 1960 أنتج انقساماً في الحركة الشيوعية. فإما أن تكون مؤيدة للحزب الشيوعي في موسكو أو للحزب الشيوعي في بكين.

## المصادر التاريخية

### 1 . مقطع من خطاب ج. ف. كِنِدي في حزيران/ يونيو 1956 إلى أصدقاء أمريكا في ڤييتنام

تمثل ڤييتنام حجر الأساس في العالم الحر بجنوب شرق آسيا، وهي عقدة القوس وصمّام السَّد . بورما Burma وتايلاند Thailand واليابان Japan والفيليپين Philippines وكذلك لاوس

Laos وكمبوديا Cambodia هي ضمن البلدان التي سيتعرض أمنها للتهديد من قبل مد الشيوعية الأحمر الذي طغى جريانه على ڤيتنام. . . إن استقلال ڤيتنام الحرة أمر حاسم للعالم الحر في كل المجالات غير العسكرية. فاقتصادها ضروري لاقتصاد كل جنوب شرق آسيا، وحريتها السياسية لا تنفصل عن كل مَن يسعى للحصول على حريته أو المحافظة عليها في كل أنحاء آسيا، وفي الواقع في العالم كله.

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن 1992، ص 54

**2 . مقطع من مقابلة متلفزة للرئيس كِنِدي مع وولتر كرونكايت في أيلول/ سپتمبر 1963**

كِنِدي: لا أظن أن النصر يمكن أن يتحقق في حرب ڤيتنام الجنوبية ما لم تبذل الحكومة هناك جهوداً أكبر لكسب التأييد الشعبي، فالحرب حربهم في نهاية المطاف، وهم الذين يجب عليهم الانتصار فيها. يمكننا أن نساعدهم ونمدهم بالمعدات ونرسل رجالنا إليهم كمستشارين ولكن يجب عليهم أن يحققوا النصر على الشيوعيين.

كرونكايت: ألا تشير كل الدلائل الواردة من سايگون إلى أن الرئيس دييم لا ينوي تغيير موقفه؟

كِنِدي: إذا لم يغير موقفه فهذا بالطبع راجع إليه، ونحن نرى أنه في أحسن الأحوال لن يحقق النجاح على هذا الأساس. . .

و. إدواردز، الولايات المتحدة الأمريكية والحرب الباردة، لندن 1997، ص 112



# 19 حرب ڤييتنام: 1964 ـ 1975

**أسئلة تركيزية**

- لماذا تزايد التورط الأمريكي في ڤييتنام بعد سنة 1964؟
- لماذا قررت الولايات المتحدة الأمريكية الانسحاب من ڤييتنام؟
- ما هو الأثر الذي خلفته حرب ڤييتنام على السياسة الخارجية الأمريكية بعد سنة 1975؟

**تواريخ هامة**

1964 آب/أغسطس: حادثة خليج تَنْكِن Tonkin، قرار خليج تونكِن

1965 آذار/مارس: بدء عملية الرعد Operation Thunder، إرسال طلائع القوات الأمريكية إلى ڤييتنام الجنوبية

تموز/يوليو: إرسال 180.000 جندي أمريكي إلى ڤييتنام الجنوبية

1968 كانون الثاني/يناير: هجوم تيت Tet

آذار/مارس: مذبحة ماي ليه My Lai، بدء مفاوضات السلام في باريس

تشرين الأول/أكتوبر: جونسون Johnson يعلن عن توقف القصف الأمريكي على ڤييتنام الشمالية مؤقتاً.

| | |
|---|---|
| 1969 | كانون الثاني/ يناير: نيكسون Nixon يصبح رئيساً، الكشف عن مذبحة ماي ليه |
| | حزيران/ يونيو: سحب طلائع الجنود الأمريكيين |
| 1971 | الولايات المتحدة الأمريكية تسمح للصين باحتلال مقعد في الأمم المتحدة |
| 1972 | شباط/ فبراير: نيكسون يزور الصين؛ هجوم كبير للڤيتناميين الشماليين والڤييت كونگ |
| 1973 | كانون الثاني/ يناير: الاتفاق على وقف إطلاق النار، القوات الأمريكية تبدأ الانسحاب، الكونگرس يصوِّت على خطط نيكسون لغزو كمبوديا |
| 1974 | إجبار نيكسون على الاستقالة بسبب فضيحة ووترگيت |
| 1975 | آذار/ مارس: ڤيتنام الشمالية تشن هجوماً على ڤيتنام الجنوبية |
| | نيسان/ ابريل: انتصار الڤيتناميين الشماليين ينهي الحرب، ڤيتنام تتوحد |

## نظرة شاملة

كان جونسون Johnson، خلافاً لكِنِدي Kenneddy، مستعداً لإلزام القوات الأمريكية بخوض غمار الحرب في ڤيتنام التي أصبحت واحداً من مواضيع الحرب الباردة الرئيسية. جعلت حادثة خليج تَنْكِن Gulf of Tonkin سنة 1964 الكونگرس الأمريكي يصدر قرار خليج تونكِن الذي أدى بدوره إلى قصف ڤيتنام الشمالية وإرسال قوات محاربة نظامية أمريكية إلى الجنوب. تصاعد التورط الأمريكي بالحرب في عهد جونسون بسرعة، وفي أواخر سنة 1967 زاد عدد الجنود

**ما هي أهمية حادثة خليج تَنْكِن Tonkin سنة 1964؟**

«الڤتنمة» هي السياسة الأمريكية الرامية إلى أن يخوض الجيش الڤيتنامي الجنوبي الجزء البري

الأمريكيين الموجودين في ڤييتنام الجنوبية عن خمسمئة وأربعين ألف جندي، إلا أن التكتيكات الأمريكية لم تكن ناجحة، وبدأت احتجاجات هائلة ضد الحرب تنطلق في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أمكنة أخرى. بعد هجوم تيت Tet الذي شنه الڤييت كونگ Viet Cong والڤييت مينه Viet Minh في كانون الثاني/يناير 1969 عُقِدَت أول مباحثات سلام بين الولايات المتحدة الأمريكية وڤييتنام الشمالية. وعَدَ نيكسون ـ الذي أصبح رئيساً سنة 1969 ـ بإنهاء الحرب وبدأ مسرعاً عملية عُرفت باسم «الڤتنمة» vietnamisation، وفي سنة 1973 وافق الشمال على وقف إطلاق النار ـ ربما بدافع من الضغط المتضافر الذي مارسه كل من الاتحاد السوڤييتي والصين ـ وبدأت القوات الأمريكية بالانسحاب من ڤييتنام الجنوبية. وفي سنة 1975 غزا الشمالُ الجنوبَ وانتهت الحرب بهزيمة الجنوب في نيسان/ابريل 1975.

من حرب ڤييتنام حتى يمكن سحب القوات الأمريكية. تم سحب طلائع القوات الأمريكية سنة 1969، وبحلول سنة 1970 كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أوقفت تقريباً تورطها المباشر في القتال البري ولكنها استمرت بتقديم الدعم الجوي.

## لماذا تزايد التورط الأمريكي في ڤييتنام بعد سنة 1964؟

### جونسون والتصعيد

عندما اغتيل كِنِدي Kennedy في تشرين الثاني/نوڤمبر سنة 1963 كان الڤييت كونگ يسيطرون على أكثر من نصف الأراضي الزراعية في ڤييتنام الجنوبية، أما في المدن فقد شنوا حملة إرهابية ضد موظفي الحكومة وقواد الشرطة. وعندما تسلَّم جونسون Johnson ـ نائب الرئيس ـ السلطة كان عازماً على تصعيد التورط الأمريكي في الحرب في ڤييتنام الجنوبية، فقد صرح أثناء الانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني/نوڤمبر 1964 أنه لا يود أن يرى جنوب شرق آسيا «يسير على طريق الصين»، مشيراً بذلك إلى إيمانه بالوقوف في وجه المد الشيوعي ونظرية لعبة الدومينو.

وُلِد ليندون ب. جونسون Lyndon B. Johnson سنة 1908. كان عضواً ديمقراطياً في مجلس النواب (1937 ـ 1948) ثم في مجلس الشيوخ (1948 ـ 1960) ثم أصبح معروفاً بكونه ليبرالياً. غير أن هذه الشهرة وبرنامجه «للمجتمع العظيم» تكشفا من خلال تصعيده للتورط الأمريكي بحرب ڤييتنام التي بدأها عندما أصبح رئيساً سنة 1963 بعد اغتيال كِنِدي. أصبحت الحرب أثناء حكمه مكلِفة جداً وفقدت شعبيتها، وفي آذار/مارس 1968 أعلن أنه لن يرشح نفسه لدورة انتخابية أخرى.

في آب/أغسطس 1964 هاجمت سفن ڤيتنامية شمالية مدمِّرة أمريكية (بالقرب من الساحل الڤيتنامي الشمالي في خليج تنكِن Tonkin ضمن المياه الإقليمية الڤيتنامية الشمالية)، فتذرَّع جونسون بحادثة تنكن هذه ليأمر بقصف قواعد الشمال البحرية برغم أن المدمرة لم تصب بضرر كبير وعدم إعلان حالة الحرب. وبعد ذلك تم إقناع الكونگرس بإصدار قرار خليج تنكن الذي منح الرئيس سلطة «اتخاذ الخطوات الضرورية التي يدخل ضمنها استخدام القوة المسلحة» للدفاع عن الجنوب. كان ذلك بالنتيجة تفويضاً مطلقاً لجونسون لشن الحرب التي يراها مناسِبة دون العودة للكونگرس مرة أخرى. وفي آذار/مارس 1965 كانت القاذفات الأمريكية تقوم بمهمات قصف نظامية للشمال في حملة عُرِفت «بعملية الرعد الهادر Operation Rolling Thunder» وبذلك تصاعدت حدة النزاع بين الولايات المتحدة الأمريكية والڤييت كونگ Viet Cong إلى حرب كاملة.

إبان حكم جونسون كان حوالي 10٪ من الجنود الأمريكيين عبارة عن شباب تم تجنيدهم ليحاربوا في ڤييتنام، وكان متوسط أعمارهم 19 سنة وكثيرون لم يريدوا أن يكونوا في ڤييتنام.

كان جونسون يحبِّذ إرسال الجيش الأمريكي إلى الجنوب للقضاء على الڤييت كونگ. وفي آذار/مارس أرسل بعض القوات البرية إلى ڤييتنام الجنوبية للقيام بحماية القاعدة الجوية الأمريكية في دا نانگ Da Nang، ثم أمر في تموز/يوليو 1965 بإرسال 180.000 جندي أمريكي وبحلول سنة 1968 أصبح عدد الجنود الأمريكيين في ڤييتنام خمسمئة وأربعين ألفاً. وبرغم أن وصول هذه الأعداد الكبيرة من الجنود الأمريكيين ساعد على الحيلولة دون انهيار النظام العسكري الڤييتنامي الجنوبي (برئاسة الجنرال ثيو Thieu) إلا أن القتال العنيف لم ينجح في القضاء على الڤييت كونگ. كان القصف الأمريكي لكل من ڤييتنام الشمالية والجنوبية يتصاعد باستمرار، حيث قُدِّر أن عدد القنابل التي أُسقِطَت

النابالم Napalm مادة نفطية هلامية تم تطويرها خلال الحرب العالمية الثانية واستخدَمتها الولايات المتحدة الأمريكية على نطاق واسع في حرب ڤييتنام. يوضع هذا الهلام القابل للاشتعال ضمن قنابل ينتشر منها النفط المشتعل عند انفجارها ويلتصق على كل شيء يلامسه. وعندما اكتشفت الولايات المتحدة الأمريكية أن الضحايا يقفزون إلى الماء لإطفاء اللهب أضافت إليها الفوسفور حتى يمكن استمرار احتراق الهلام تحت الماء. كثيرون من المدنيين الڤييتناميين وجنود الڤييت كونگ تعرضوا للاحتراق الفظيع أو للقتل.

على ڤيتنام الشمالية خلال ثلاث سنوات زاد عن مجموع ما أُسْقِطَ على ألمانيا وإيطاليا واليابان طوال الحرب العالمية الثانية كلها.

تمكّن الڤييت كونگ من البقاء على قيد الحياة من خلال شبكةً واسعة من الأنفاق التي حفروها وكذلك بمساعدة معدات وقوات ڤييتنام الشمالية التي كانت بدورها تتلقى معدات عسكرية من الاتحاد السوڤييتي. أضف إلى ذلك الخبرة الهائلة التي تمتعوا بها في حرب العصابات والتي برَعوا فيها أكثر من الجنود الأمريكيين الذين لم تكن خبرة قادتهم العسكريين تضاهي خبرة الڤييت كونگ في نصب الكمائن، فقرر القادة الاعتماد على قدرتهم النارية الهائلة. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم قنابل الناپالم Napalm والديفوليانت Defoliant والقنابل المضادة للأشخاص إضافة إلى الأسلحة التقليدية التي كانت تؤدي في كثير من الأحيان إلى قتل المدنيين وتسبب تصاعد المعارضة في ڤييتنام وفي خارجها وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها. وكان أمل جونسون في خوض غمار حرب محدودة والانتصار فيها ـ دون دفع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والصين إلى التدخل ـ يتلاشى أمام مقاومة ثابتة يقوم الڤييت كونگ والشمال بتصعيدها.

## هجوم تيت: كانون الثاني/يناير 1968

ظهر فشل تكتيكات الولايات المتحدة الأمريكية جلياً وبصورة مأساوية في كانون الثاني/يناير 1968 . شنت قوات الڤييت كونگ وڤييتنام الشمالية هجوماً على كثير من المدن والقواعد الأمريكية في مختلف أنحاء ڤييتنام الجنوبية، ولم

العامل البرتقالي Agent Orange هو واحد من منثورات الديفوليانت Defoliant الكيميائية الكثيرة التي قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتطويرها واستخدامها في ڤييتنام للتخلص من أوراق الشجر في

تستثنِ حتى السفارة الأمريكية في سايگون Saigon عاصمة ڤيتنام الجنوبية، وذلك أثناء الاحتفال بعيد تيت Tet الديني (حيث لا توجد إلا الفئة المناوبة من حراس الأمن). كان الشيوعيون يأملون أن يؤدي هذا الهجوم إلى إشعال شرارة العصيان المدني في الجنوب ولكن ذلك لم يحدث، بل حصل خلال الأشهر الثلاثة التالية قتال مرير واسع أثناء محاولة الولايات المتحدة الأمريكية استرجاع المدن التي احتُلَّت في كانون الثاني/ يناير. وبحلول شهر آذار/ مارس 1968 كان حوالي خمسين ألفاً من الجنود الشيوعيين قد لقوا مصرعهم وضاعت جميع مكاسبهم.

الغابات بغرض حرمان الڤييت كونگ من الغطاء وتعريض قوافل هو شي مينه Ho Chi Minh للقاذفات الأمريكية. لكن منثورات الديفوليانت قضت أيضاً على محاصيل الفلاحين وعلى الأخشاب (التي تشكل منتجاً هاماً للتصدير) وكان لها أيضاً تأثير خطير على الأجنة الذين لم يولدوا بعد مما أدى إلى مواليد أموات وتشوهات. كان كِنِدِي قد سمح قبل ذلك بالناپالم والعامل البرتقالي.

وبالرغم من ذلك فقد ثبت أن هجوم تيت Tet شكَّل نقطة تحوُّل في الحرب الڤييتنامية التي كانت على المدى القصير هزيمة للشيوعيين ولكنها كانت، على المدى الطويل، علامة على طريق إعادة تقييم الولايات المتحدة الأمريكية لتورطها في الحرب. اقتنع بعض مستشاري جونسون من أمثال أتشِسون Acheson أنه ليس بمقدور الولايات المتحدة الأمريكية الحيلولة دون انتصار الشيوعيين في الجنوب، وأن هجوم تيت دلَّ على أنها بعيدة عن تحقيق النصر وأن مقاومة الشيوعيين ماضية كما كانت دائماً. وزال وهم الحرب عن كثير من الساسة الأمريكيين وتصاعدت الحركة المناوئة لها في الولايات المتحدة الأمريكية.

القنابل المضادة للأشخاص هي قنابل تلقي قنابل أصغر فتتناثر على الأرض إلى أن يطأها شخص ما أو يلتقطها . أثناء الحرب الڤييتنامية كان بعض أصناف هذه القنابل يطلى بألوان براقة يثير شغف الأطفال، وكان بعض هذه القنابل يُغطَّى بالبلاستيك فيتفجر إلى شظايا خيطية لا تُرى بالأشعة السينية عندما ينقل الضحايا إلى المستشفيات.

**ماذا كان الهدف من استعمال الولايات المتحدة الأمريكية للديفوليانات (العامل البرتقالي) في ڤييتنام؟**

وهناك نتيجة مباشرة أخرى وهي أن جونسون أعلن في آذار/ مارس 1968 قراره بعدم ترشيح نفسه لانتخابات تشرين الثاني/ نوڤمبر لولاية جديدة كمرشح ديمقراطي، ذلك أن الحرب وضحاياها المتزايدين من المدنيين جعلت منه أقل رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية شعبية. وكانت هناك أغنية

شائعة لمعارضي الحرب تقول: «يا ! يا! يا ليندون ب. جونسون: ما هو عدد الأطفال الذين قتلتهم اليوم؟». وبرغم النفقات الهائلة ـ التي ساهمت في تقويض مشروعه حول «المجتمع العظيم» ـ إلا أنه أصبح من الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت في طريقها إلى خسارة الحرب خسارةً بطيئة، وكانت تكلف حينذاك 28 بليون دولار في السنة ومقتل ما يزيد عن ثلاثمئة جندي أمريكي في الأسبوع. أعلن جونسون التخفيف من حدة القصف ودعا إلى مباحثات سلام مع هانوي Hanoi. وافقت الحكومة الڤيتنامية الشمالية وبدأت المفاوضات في باريس في أيار/مايو 1968 دون تحقيق تقدم حقيقي بالرغم من الضغط السوڤييتي على الشمال. إلا أن جونسون دعا في تشرين الأول/أكتوبر 1968 إلى توقف مؤقت عن قصف ڤييتنام الشمالية من أجل المساعدة على تقدم مباحثات السلام (ولمواجهة مظاهرات الاحتجاج أيضاً).

## لماذا قررت الولايات المتحدة الأمريكية الانسحاب من ڤييتنام؟

### بحث نيكسون عن السلام

فاز المرشح الجمهوري نيكسون Nixon في انتخابات تشرين الثاني/نوڤمبر الرئاسية، وكان عازماً على وضع حد للحرب ولكنه أراد سلاماً لا يَحُطُّ من قدر الولايات المتحدة الأمريكية من خلال إجبارها على التخلي نهائياً عن ڤييتنام الجنوبية. اقترح في البداية، أثناء محادثات السلام في باريس، وجوب انسحاب قوات ڤييتنام الشمالية من الجنوب، وفي الوقت ذاته تنسحب القوات الأمريكية منه، وهدد بشن حملة قصف جوية شديدة إذا لم يوافق الشمال، ورفض الشمال. وفي النهاية صعَّد نيكسون Nixon القصف على الشمال وعلى

**لماذا كان هجوم تيت Tet سنة 1968 مهماً؟**

المجتمع العظيم Great Society هو برنامج الرئيس جونسون لعمل شيء تجاه الفقر العظيم واللامساواة الموجودين بين ملايين البشر (أبيضهم وأسودهم) في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن أجل بناء «مجتمع عظيم» طرح أكثر البرامج التشريعية طموحاً منذ صفقة روزفلت الجديدة، وقد تضمن هذا البرنامج «حرباً على الفقر» وقانون الرعاية الصحية للمسنين وقانون الضمان الاجتماعي ومبادرات تجديدية مدنية وتعليمية وإجراءات لإعطاء حقوق مدنية حقيقية للأفارقة الأمريكيين . لكن كثيراً من ذلك لم يتحقق بسبب تكاليف حرب ڤييتنام المتصاعدة.

معاقل الڤييت كونگ في الجنوب، وحاول أيضاً أن يقنع الاتحاد السوڤييتي والصين بممارسة الضغط على ڤييتنام الشمالية للموافقة على حل وسط، ووعد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بالمقابل بمعونة اقتصادية، لكن ڤييتنام الشمالية تردَّدت في قبول الحل الوسط رغم أن الاتحاد السوڤييتي بذل بعض المحاولات لإقناعها بالرضوخ ورفض على سبيل المثال تزويدها بأكثر صواريخه الأرض ـ جو فعالية.

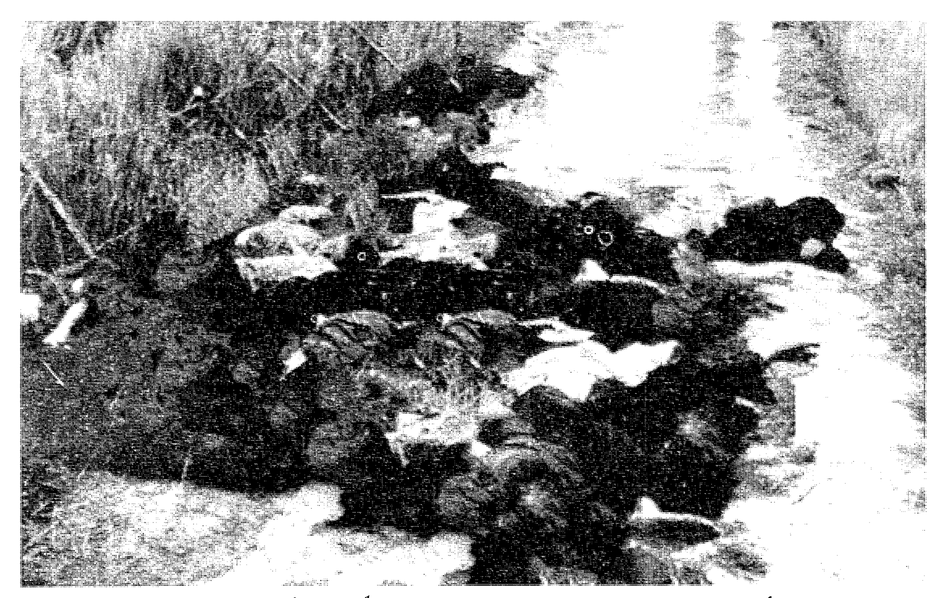
قرر نيكسون سياسة «ڤتنمة» الحرب من أجل مزيد من الفعالية، وهي تشتمل على وضع مزيد من العبء القتالي على كاهل الجيش الڤييتنامي الجنوبي من خلال انسحاب القوات الأمريكية واستمرار المعونة المالية الأمريكية. في نيسان/ ابريل 1969 أصبح عدد الجنود الأمريكيين في ڤييتنام الجنوبية 543.000 وبحلول سنة 1971 كان نيكسون قد خفض هذا العدد إلى 157.000.

**ما هي النقاط الرئيسية في سياسة نيكسون للڤتنمة؟**

إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية أُصيبت في ذلك الحين بصدمة حين كُشِف النقاب عن وحشية حربية أمريكية إذ قامت وحدة أمريكية يقودها الملازم وليم كالي William Calley أثناء مهمة «للبحث والتدمير» في آذار/ مارس 1968 بذبح حوالي أربعمئة مدني (معظمهم من الأطفال والنساء والرجال المسنين) في قرية ماي ليه My Lai الصغيرة في جنوب ڤييتنام. حُكِم على كالي بالسجن لمدة عشرين سنة (لم يُسجن منها سوى خمس) بسبب قتل 109 مدنيين. وزاد هذا الكشف من العواطف ومظاهرات الاحتجاج المعادية للحرب ولا سيَّما بعدما تبيَّن أن ماي ليه لم تكن الحادثة الوحيدة.

**ماذا حصل في ماي ليه؟**

شمل جزء من ڤتنمة الحرب زيادة في القصف على قوافل هو شي مينه Ho Chi Minh من أجل منع وصول



هذه الصورة المأخوذة في 16 آذار/مارس 1968 تبين بعضاً من الأطفال والنساء الأربعمئة الذين ذبحوا في ماي ليه على يد الجنود الأمريكيين أثناء مهمة «بحث وتدمير» في جنوبي ڤيتنام.

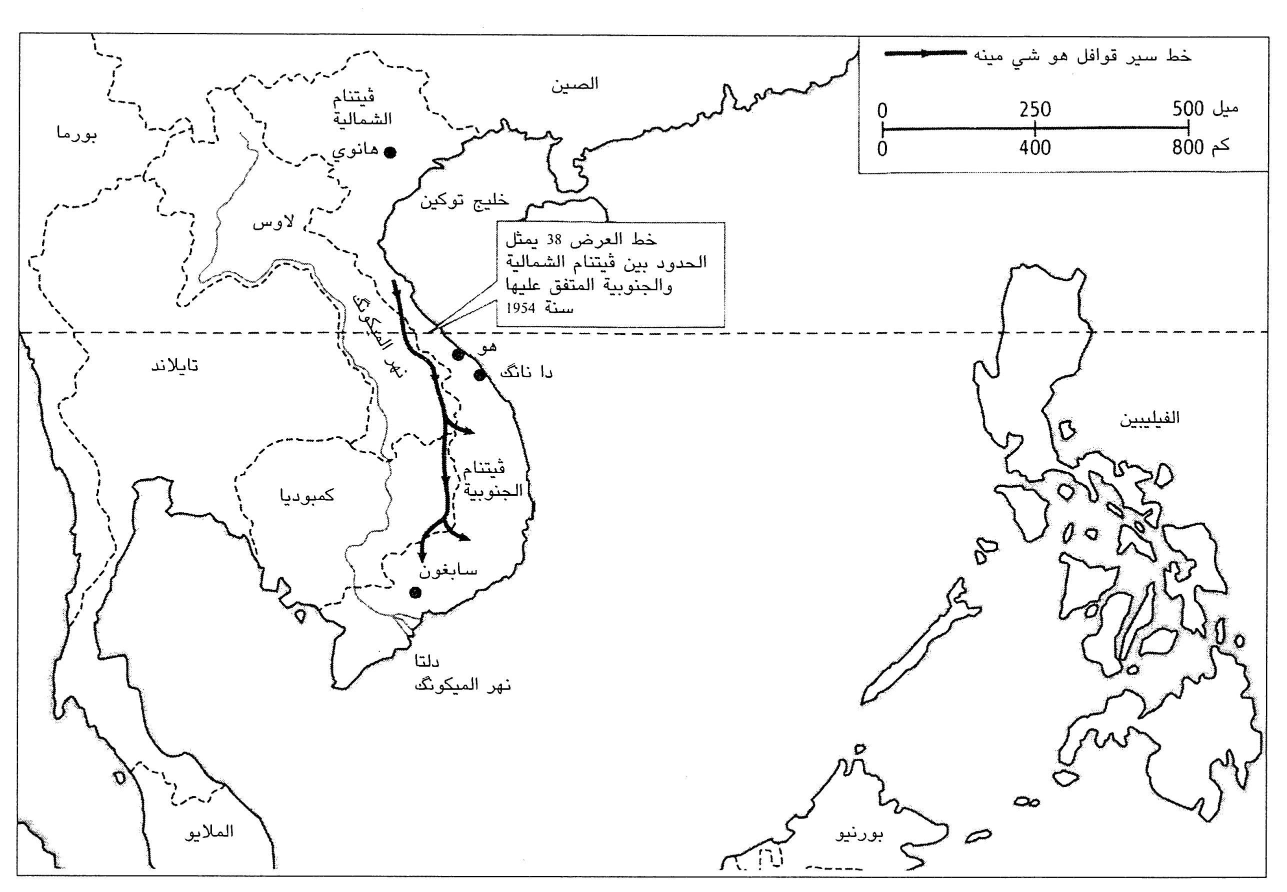
تعزيزات العتاد والجنود الجديدة إلى الشيوعيين في ڤيتنام الجنوبية. وكان لهذا القصف من الناحية العملية أثر بسيط على قدرة الڤييت كونگ في شن حرب عصابات وأدى فقط إلى اتساع دائرة النزاع إلى لاوس Laos وكمبوديا Cambodia المجاورتين برغم استمرار القوافل التموينية. أسقطت الولايات المتحدة الأمريكية نصف مليون طن من المتفجرات بين سنتي 1969 و1973 على كمبوديا التي كانت القوافل التموينية تمر فيها، وكانت النتيجة فقط زيادة الدعم للشيوعيين الكمبوديين ـ الخمير الحمر Khmer Rouge ـ وتصميمهم، كما تلقى الپاتيت لاو Pathet Lao في لاوس مزيداً من الدعم أيضاً.

## المصالحة مع الصين

حاول نيكسون ـ كجزء من استراتيجيته لجعل الاتحاد

السوفييتي يمارس ضغطاً على ڤييتنام الشمالية للقبول بسلام وسط - أن يحسِّن من علاقاته مع الصين (التي كانت تحكم ڤييتنام في القرن الماضي) والتي كانت غير سعيدة بعلاقات هو شي مينه Ho Chi Minh الوثيقة مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية حتى في ظل تقديم الصين ذاتها دعماً محدوداً إلى ڤييتنام الشمالية. اعتقد كيسنگر Kissinger أن اتفاقاً مع الصين سيتيح للقوات الأمريكية الخروج من ڤييتنام وجنوب شرق آسيا عامة. كذلك يمكن استخدام الصين كمراقبة على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية وعلى ڤييتنام، وذلك

**لماذا تردَّدت الصين في إعطاء ڤييتنام الشمالية أكثر من الدعم المحدود؟**




خريطة ڤييتنام وجنوب شرق آسيا تبين تقسيم ڤييتنام ومختلف طرق قوافل هو شي مينه Ho Chi Minh Trail التي كانت ڤييتنام الشمالية تستخدمها لإرسال المؤن إلى الڤييت كونگ.

لأن الصين لا تتمتع بكثير من النفوذ على الصعيد العالمي، ولم تكن هذه السياسة لتشكِّل أي خطر على المصالح الأمريكية، مما سيتيح للولايات المتحدة الأمريكية مجالاً للتركيز على التعامل مع الاتحاد السوڤييتي.

أعلن نيكسون سنة 1971 عن نيَّته زيارة الصين الشعبية حتى في ظل استمرار رفضه الاعتراف بحكومتها. وفي نفس السنة سمحت الولايات المتحدة الأمريكية للصين بالانضمام إلى الأمم المتحدة. حققت هذه الزيارة التي تمت في شباط/فبراير 1972 نجاحاً حيث وافق نيكسون على سحب القوات الأمريكية من تايوان ووعد بالترويج لفكرة التوحيد الصيني إذا ساعدت الصين الولايات المتحدة على الخروج من ڤييتنام دون «إراقة ماء وجهها» وأقلعت عن اتخاذ أي عمل عسكري في مضائق تايوان.

ووترگيت Watergate فضيحة سياسية تورطت فيها إدارة نيكسون وأدت في نهاية المطاف إلى استقالته من الرئاسة سنة 1974 لكي يتفادى اتهام الكونگرس له بالإخلال بواجبات وظيفته. وقد نشأت هذه الفضيحة عن محاولة السطو على المقر العام للحزب الديمقراطي (الكائن في بناية ووترگيت) وتركيب أجهزة تنصت خفية، وذلك في حزيران/يونيو 1972 قبل خمسة أشهر فقط من الانتخابات الرئاسية التي ترشح فيها نيكسون لولاية ثانية. حاول نيكسون ومستشاروه إخفاء تورطهم ولكن تم تجريم سبعة عشر من أعضاء حكومته بجرائم مختلفة بحلول حزيران/يونيو 1974 (وكان على نائبه سپيرو أگنيو Spiro Agnew أن يستقيل أيضاً لأنه كان يعبث ببياناته الضريبية، وحل محله جيرالد فورد). وحينما استقال نيكسون أصبح فورد رئيساً فكان أول ما فعله أن منح نيكسون عفواً.

تباطأ هذا التحسن في العلاقات الصينية ـ الأمريكية مع تفاقم الإحراج السياسي المتزايد الذي تعرض له نيكسون بسبب فضيحة ووترگيت Watergate scandal خلال فترة 1973 ـ 1974، ووقف في طريق هذا التحسن اليمينُ الأمريكي الذي أجبرت المعارضة فيه نيكسون على تأخير الاعتراف الأمريكي بالصين (الذي لم يتم إلا في كانون الأول/ديسمبر 1978) وعلى استبقاء المعاهدة الدفاعية مع تايوان.

من خلال القلق الذي ساور اتحاد الجمهوريات السوڤييتية الاشتراكية من «خسارة» حليف شيوعي، تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد ساعدت على إيجاد إطار للتسوية في ڤييتنام خاصةً ولعملية الانفراج عامة. كان كيسنگر Kissinger يحبِّذ فكرة « إقامة الروابط»: إذا ساعد الاتحاد السوڤييتي الولايات المتحدة الأمريكية على الخروج من

ورطتها في ڤييتنام ووافق على «استقرار» التوترات الأخرى في العالم المتطور، تقبل الولايات المتحدة الأمريكية بمحيط نفوذه الأوروبي الشرقي وتقدم له مساعدة مالية وفنية.

## وقف إطلاق النار والانسحاب

أثناء هذه الأحداث كانت مباحثات السلام في پاريس مستمرة دون أن تتوصل إلى نتيجة، وفي صيف سنة 1972 شن الشيوعيون هجوماً شاملاً آخر بجميع قواهم، وكان الهدف هذه المرة هو المراكز الحضرية في الجنوب. وقد ثبت أن هذا الهجوم حقق نجاحاً أكبر من هجوم تيت Tet برغم عدم الاستيلاء على المراكز السكانية. أدى هذا الهجوم إلى أن تصبح مباحثات السلام أكثر جدية، وكان على رأسها كيسنگر Kissinger عن الولايات المتحدة الأمريكية ولي دوك ثو Le Duc Tho عن ڤييتنام الشمالية. وفي كانون الثاني/يناير 1973 اتفقا على وقف لإطلاق النار، وفي وقت لاحق من نفس السنة رفض الكونگرس الإذن لنيكسون بإرسال جنود للدفاع عن كمبوديا Cambodia ضد الاجتياح الڤييتنامي الشمالي، وقد كان يأمل أن يؤدي هذا العمل إلى تسريع محادثات السلام من خلال ضرب طرق التموين الشيوعية إلى كمبوديا. كذلك أقر الكونگرس قانوناً يمنع أي رئيس من نشر أي قوات أمريكية قبل إعلان الحرب وأمر بوقف قصف كمبوديا وقضى بعدم إرسال القوات الأمريكية مرة أخرى إلى ڤييتنام. وعندما تم التوقيع على وقف إطلاق النار بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بسحب قواتها المتبقية .

**ماذا كان كيسنگر يقصد «بإقامة الروابط» أثناء مناقشة السلام الممكن في ڤييتنام؟**

لكن الحرب سرعان ما اشتعلت مرة أخرى في ڤييتنام بين الشيوعيين والقوات الڤييتنامية الجنوبية، وشنّ الشمال هجوماً رئيسياً آخر في آذار/مارس 1975، ولم يتمكّن

الجنوبيون هذه المرة من الصمود أمام هذا الهجوم لحاجتهم إلى الدعم الجوي والجنود الأمريكيين. اندفع الڤييت كونگ والجيش الڤييتنامي الشمالي نحو الجنوب، وفي 29 نيسان/ ابريل 1975 دخل الشيوعيون في نهاية المطاف سايگون Saigon. سيطر الشيوعيون بعد حوالي ثلاثين سنة من القتال على كل ڤييتنام، وزاد عدد القتلى الڤييتناميين عن المليونين.

قبل ذلك بأسبوعين سيطر الخمير الحمر Khmer Rouge على السلطة في كمبوديا، وفي التاسع من أيار/مايو تسلَّم الپاتيت لاو Pathet Lao السلطة في لاوُس. وبعد ذلك في سنة 1978 أرسلت ڤييتنام الشيوعية جيشها إلى كمبوديا للقضاء على نظام پول پوت Pol Pot، وتدخلت أيضاً في لاوس، وأدى ذلك بدوره إلى أن تغزوَ الصين ڤييتنام في كانون الثاني/يناير 1979 في محاولة منها لتحد من قوة ڤييتنام التي وقَّعت سنة 1978 معاهدة مع الاتحاد السوڤييتي.

**لماذا غزت الصين ڤييتنام في كانون الثاني/يناير 1979؟**

## ماهو الأثر الذي خلَّفته حرب ڤييتنام على السياسة الخارجية الأمريكية بعد سنة 1975؟

شكَّل إخفاق الولايات المتحدة الأمريكية في كسب الحرب بڤييتنام وإجبار القوة الأعظم في العالم على الانسحاب من قِبَل أمة من العالم المتطور، صدمة عميقة للسياسيين والرأي العام الأمريكيين على حدٍّ سواء، فالحرب لم تكلف 150 بليون دولار فحسب؛ بل إن عدد الجنود الأمريكيين القتلى زاد على 55.000 وبلغ عدد مَن جُرحوا جراحاً بليغة أو بُترت أطرافهم أكثر من ذلك. وبرغم كل هذا فقد «أصبحت» ڤييتنام الجنوبية شيوعية كما هو حال جارتيها لاوس وكمبوديا.

ساد الوضع الدولي ثنائي القطب حين كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والولايات المتحدة الأمريكية يمثلان القوتين العظميين، أما الوضع متعدد الأقطاب فقد ساد عندما ظهرت ثلاث دول قوية أو أكثر.

الأكثر إزعاجاً في مجال سياسة الوقوف في وجه المد الشيوعي هو أن ذلك النجاح المتكرر الذي حققه الشيوعيون كان يُنظر إليه كنتيجة للدعم الشعبي ابتداءً «بالضغط الخارجي»، وبالتالي فإن نيكسون Nixon وكيسنگر Kissinger ـ كبير مستشاريه ـ قررا متابعة سياسة الانفراج الجديدة تجاه العالم الشيوعي. اعتبر كيسنگر أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تركِّز كثيراً جداً على النشاط الشيوعي في منطقة واحدة من العالم على حساب إجمالي توازن القوى العالمي، وكان يرى أن العالم قد تحوّل من الوضع الدولي ثنائي القطب إلى الوضع متعدد الأقطاب.

كان التصَدّع بين الاتحاد السوڤييتي والصين فرصة جديدة لتطوير السياسة الخارجية الأمريكية، واستمر الذين جاؤوا بعد نيكسون Nixon بالسير على هذا النهج حتى نهاية السبعينيات. وساهمت الهزيمة في ڤييتنام في التردد الأمريكي بالالتزام بإقحام الجنود في نزاعات أخرى في العالم المتطور. واستغل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية هذا الوضع خلال بقية السبعينيات ليحاول زيادة نفوذه في أجزاء العالم التي كان نفوذه فيها ضعيفاً ولا سيَّما في الشرق الأوسط وأفريقيا.

## المصادر التاريخية

### 1 . جزء من خطاب متلفز وجَّهه الرئيس نيكسون إلى الأمة في 23 كانون الثاني/ يناير 1973 وأعلن فيه انتهاء حرب ڤييتنام

في الساعة الثانية عشرة والنصف بتوقيت پاريس من ظهر هذا اليوم الثالث والعشرين من كانون الثاني/ يناير 1973 تم التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية إنهاء الحرب واستعادة السلام من قبل الدكتور هنري كيسنگر Henry Kissinger نيابة

عن الولايات المتحدة الأمريكية وَ لي دوك ثو Le Duc Tho نيابة عن جمهورية ڤييتنام [الشمالية]. . . وسوف يدخل وقف إطلاق النار حيِّز التنفيذ في الساعة الرابعة والعشرين بتوقيت گرينيتش GMT في اليوم السابع والعشرين من كانون الثاني/ يناير 1973. . .

لقد كنا، أثناء سير هذه المفاوضات، نجري مشاورات وثيقة مع الرئيس ثيو Thieu والممثلين الآخرين لجمهورية ڤييتنام [الجنوبية] . إن هذه التسوية ترضي الأهداف وتحظى بدعم الرئيس ثيو المطلق. . .

وسوف تستمر الولايات المتحدة الأمريكية في الاعتراف بحكومة جمهورية ڤييتنام باعتبارها الحكومة الشرعية الوحيدة لجنوبي ڤييتنام. . .

ي. ج. رينر، الحرب الباردة، لندن 1992، ص 57

**2 . تعليق السيناتور مكْكارثي (الذي كان سنة 1968 أحد زعماء الحركة المناوئة للحرب) على تأثير الحركة المناوئة للحرب على قرار الولايات المتحدة بالانسحاب من ڤييتنام**

إني أميل إلى الاعتقاد أن الحرب كانت ستنتهي تماماً في الوقت الذي انتهت فيه حتى ولو لم تكن هناك احتجاجات، ولو لم أكن أشن الحملة، لأنهم لم يضعوا حداً لها في نهاية المطاف بناء على سياسة، بل أنهوها فقط لأنهم كانوا ينهزمون فيها. . . فما كان الجنود ليحاربوا.

أ. پولوك، ڤييتنام، ملبورن، 1955، ص 126



# 20 الثورة الكوبية والأمريكيتان

**أسئلة تركيزية**

- لماذا كانت كوبا تتمتع بهذه الدرجة من الأهمية في نظر الولايات المتحدة الأمريكية؟
- لماذا وقعت أزمة الصواريخ الكوبية؟
- ما هو تأثير الثورة الكوبية على الحرب الباردة؟

**تواريخ هامة**

| | |
|---|---|
| 1947 | حلف ريو |
| 1948 | آذار/مارس: تشكيل منظمة الدول الأمريكية OAS |
| 1951 | إنتخاب أربِنز Arbenz رئيساً لگواتيمالا Guatemala |
| 1953 | أربِنز يؤمم بعض الأراضي التي يملكها أمريكيون (ومنها أراض تعود ملكيتها لشركة يونايتد فرُت United Fruit Company) من أجل البدء بإصلاح أوضاع الأراضي |
| 1954 | حزيران/يونيو: وكالة المخابرات المركزية CIA تساعد أرماس Armas على الإطاحة بأربِنز |
| 1956 | كانون الأول/ديسمبر: نزول قوات كاسترو Castro في كوبا Cuba للبدء بحرب عصابات ضد باتيستا Batista |
| 1959 | كانون الثاني/يناير: حكومة كاسترو الثورية تسيطر على كوبا |

| | |
|---|---|
| 1961 | كانون الثاني/يناير: الولايات المتحدة الأمريكية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا |
| | نيسان/ابريل: خليج الخنازير Bay of Pigs: محاولة غزو كوبا |
| 1962 | تشرين الأول/أكتوبر: أزمة الصواريخ الكوبية |
| | تشرين الثاني/نوفمبر: كِنِدي يوعز باستئناف عملية مونگوز Mongoose |
| 1963 | حزيران/يونيو: إنشاء الخط الساخن |
| | آب/أغسطس: معاهدة حظر التجارب النووية |
| 1965 | تشي غيفارا يذهب إلى بوليفيا Bolivia لمساعدة الثورة فيها |
| 1967 | أسر گيڤارا وقتله رمياً بالرصاص |
| 1975 | القوات الكوبية تساعد الحركة الشعبية لتحرير أنگولا MPLA |
| 1977 | إرسال قوات كوبية لمساعدة الحكومة الإثيوپية Ethiopian |
| 1979 | كانون الثاني/يناير: الثورة الإيرانية |
| | آذار/مارس: ثورة گرينادا |
| | تموز/يوليو: ثورة نيكاراگوا |

## نظرة شاملة

ظلَّت الولايات المتحدة الأمريكية على الدوام تدَّعي، من الناحية التاريخية، بحقها في رؤية الدول الأمريكية محيطاً لنفوذها، وقد خاضت حرباً ضد إسپانيا Spain سنة 1898 فترسخت سيطرتها على تلك المنطقة. تعزَّز هذا الموقف من

خلال تطورات الحرب الباردة وأدى إلى حلف ريو Rio Pact وتشكيل منظمة الدول الأمريكية Organisation of American States في فترة 1947 ـ 1948.

أدى القلق من سياسات الإصلاح التي انتهجها أربِنز Arbenz رئيس گواتيمالا Guatemala إلى أن تساعد وكالة المخابرات المركزية CIA على الإطاحة به في انقلاب سنة 1954. وظهر أن الهيمنة الأمريكية على كوبا Cuba مهدَّدَة بثورة يقودها فيدل كاسترو Fidel Castro سنة 1959 الذي تحوَّل بفعل ضغط الولايات المتحدة الأمريكية إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لطلب العون، وسرعان ما أصبحت كوبا جزءاً من الحرب الباردة. التجأت كوبا إلى خروتشيف Khrushchev طلباً للحماية بعد فشل محاولة الإطاحة بكاسترو سنة 1961 من خلال عملية مدعومة أمريكياً، فردَّ بإرسال صواريخ بالِستيّة متوسطة المدى اكتشفتها طائرات التجسس الأمريكية وأدَّت إلى أزمة الصواريخ الكوبية Cuban Missile Crisis. وبرغم الخطر الحقيقي من حرب نووية خلال هذه الأزمة إلا أن كِنِدي Kennedy وخروتشيف تمكنا من الاتفاق على حل وسط.

تحسَّنت العلاقات السوڤييتية ـ الأمريكية بعد ذلك من خلال إنشاء خط ساخن بين موسكو Moscow وواشنطن Washington وَتوقيع معاهدة حظر جزئي للتجارب النووية partial Nuclear Test Ban Treaty، لكن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت في عدوانيتها تجاه كوبا.

حاولت كوبا التشجيع على ثورات أخرى في الدول الأمريكية، وأرسلت قوات لمساعدة الحكومات والحركات المتعاطفة في أفريقيا والمنخرطة في حروب ضد مجموعات

مبدأ مونرو Monroe Doctrine هو السياسة الخارجية الأمريكية التي وضعها الرئيس جيمس مونرو James Monroe في كانون الأول/ديسمبر 1823 وأوضحت أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتغاضى عن أي تدخل من قبل أي دولة أوروپية في الدول الأمريكية لأن ذلك سوف يُعتبَر عملاً حربياً ضد الولايات المتحدة الأمريكية. واعتباراً من ذلك التاريخ ظلَّت الولايات المتحدة الأمريكية تنظر إلى جميع الدول الأمريكية على أنها «باحة منزلها الخلفية». استمرّت هذه السياسة وترسَّخت

مدعومة أمريكياً. غير أن مشكلات الاتحاد السوفييتي جعلت المساعدات العسكرية والاقتصادية تتناقص وتتوقف تماماً في عهد گورباتشيف Gorbachev.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثم تزايد العنصر السياسي فيها حين ابتدأت الحرب الباردة. عمِلت الولايات المتحدة الأمريكية على هذا النهج خلال الخمسينيات والستينيات (ولا سيَّما فيما يتعلق بكوبا) حتى أنها قامت في أواخر سنة 1983 بتدخل عسكري في جزيرة گرينادا Grenada الكاريبية الصغيرة.

## لماذا كانت كوبا تتمتع بهذه الدرجة من الأهمية في نظر الولايات المتحدة الأمريكية؟

### الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي

ظلَّت الولايات المتحدة الأمريكية دائماً تعتبر البحر الكاريبي Caribbean «باحة خلفية لمنزلها». وأوضح مبدأ مونرو Monroe Doctrine لسنة 1823 على نحو لا لبس فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية تنوي أن تكون القوة المُهيمِنة هيمنة كاملةً وشاملةً على هذا الإقليم. خلال تسعينيات القرن التاسع عشر أقرَّت بريطانيا أن إقليم البحر الكاريبي هو محيط نفوذ أمريكي، وانطلقت الولايات المتحدة الأمريكية لاحتلال كوبا Cuba وپَنما Panama وإنشاء محمية فوق أراضي جمهورية الدومينيك Dominican Republic. وفي سنة 1904 أعلن الرئيس تيودور روزڤلت Theodore Roosevelt ـ الذي قال في معرض التعامل مع أمريكا اللاتينية Latin America أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن «تتحدث برقة وتحمل عصا غليظة» ـ عن أمر أصبح يُعرَف بلازمَة روزڤلت الملحقة بمبدأ مونرو Roosevelt Corollary to the Monroe Doctrine والتي تبَرِّر التدخل في أمريكا اللاتينية والوسطى Central على أساس حماية الملكية الخاصة أو حفظ النظام أو حماية حياة الأمريكيين. ووقع عدد من التدخلات المسلحة في سنوات ما قبل 1933 عندما تبنت الولايات المتحدة سياسة «الجار الطيب» في عهد فرانكلين د. روزڤلت.

القصد من سياسة «الجار الطيِّب Good Neighbor» هو الابتعاد عن التدخل العسكري العدواني في الدول الأمريكية، واستثمار مبالغ أمريكية طائلة في بلدان أمريكا اللاتينية ـ بدلاً من ذلك ـ إذ بلغت ثلاثة بلايين دولار سنة 1939، وكان ذلك في نظر البعض أحد أشكال الاستعمار من خلال الدولار Dollar imperialism.

**لماذا أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية منظمة الدول الأمريكية سنة 1948؟**

اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية، مع ابتداء الحرب الباردة، خطوات لضمان عدم نشوء دول شيوعية أو موالية للشيوعية في الأمريكتين، فوقَّعت سنة 1947 على أولى معاهداتها للأمن في فترة ما بعد الحرب ـ وهي حلف ريو Rio Pact ـ التي تنص على أن أي هجوم على أي قطر في القارة الأمريكية يعتبر هجوماً على جميع الأقطار، وأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تمنع أي قطر آخر من التدخل في المنطقة، وأنشأت سنة 1948 منظمة الدول الأمريكية Organisation of American States (OAS) لتكون الذراع السياسي للموقِّعين على حلف ريو. وقد تضمَّن ميثاق المنظمة نصاً واضحاً لا لبس فيه على أن «الشيوعية الدولية» لا تتوافق مع «الحرية الأمريكية».

## گواتيمالا

گواتيمالا Guatemala بلد زراعي فقير تركزت معظم الأراضي الزراعية فيه بيد الأقلية الغنية، إذ أن أكثر من نصف سكانه لايمتلكون إلا 3٪ من الأراضي.

شكَّلت التطورات في گواتيمالا Guatemala ـ الدولة الواقعة في أمريكا الوسطى ـ أول التحديات الماثلة أمام سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة. في سنة 1950 قام الرئيس الإصلاحي المُنتخَب بتسليم السلطة إلى وزير الدفاع العقيد جاكوبو أربِنز گوزمان Colonel Jacobo Arbenz Guzman بسبب المظاهرات الضخمة المطالبة بالإصلاح، فترأس أربِنز بعد ذلك تحالفاً من يسار الوسط، فاز في وقت لاحق من العام بالانتخابات، وتم تنصيبه رئيساً سنة 1951. كان أربِنز ينوي تنفيذ الإصلاح انطلاقاً من أوضاع الأراضي، فتقدم في حزيران/يونيو 1952 بقانون يسمح للحكومة بتأميم أراضي المزارع الكبيرة غير المزروعة، ووضع نصوصاً لدفع تعويضات لقاء أي أرض يتم الاستيلاء عليها. خلال ثمانية عشر شهراً أُعيد توزيع ما يزيد على 1.5 مليون آكر من هذه الأراضي على ما يزيد على مئة ألف عائلة، وفي سنة 1953 تم

الاستيلاء على بعض الأراضي المهجورة التي تمتلكها شركة يونايتد فرُت كومباني United Fruit Company (UFC) الأمريكية والتي كانت تترك 85٪ من المساحات الشاسعة التي تمتلكها في گواتيمالا دون زراعة، وتقوم باستمرار بتخفيض قيمة هذه الأراضي من أجل تفادي دفع ضرائب.

كان القلق من انتخابات أربِنز سنة 1951، وبرنامجه الإصلاحي ابتداء من أوضاع الأراضي، يساور آيزنهاور Eisenhower الذي أصبح رئيساً سنة 1953، كما كان يساور سابقه ترومان، فاستخدم دعم الشيوعيين لأربِنز كفرصة مناسبة لاتخاذ إجراء. يرى المؤرخون الذين يراجعون الأحداث التاريخية بعد وقوعها أن هذا الأمر تعقَّد لأن كثيرين في إدارة آيزنهاور كانوا منخرطين كثيراً في شركة يونايتد فرُت كومباني، أما غيرهم من المؤرخين فقد بيّنوا أن الشركة عارضت الانقلاب الأمريكي المبيَّت وأن وزارة العدل في إدارة آيزنهاور قاضت الشركة، في النهاية، بموجب القوانين المضادة لإنشاء التروستات الاحتكارية والتي تمنع شركات الأعمال الكبيرة من تأسيس احتكارات.

ادَّعت الولايات المتحدة الأمريكية أن أربِنز Arbenz كان «ليّناً» تجاه الشيوعية وأنه ـ بصرف النظر عن نواياه ـ كان «أُلعوبة» بيد الاتحاد السوڤييتي، كما ادّعى آيزنهاور أن برنامجه الإصلاحي، ابتداء من أوضاع الأراضي، هو أول خطوة نحو استيلاء الشيوعية على السلطة حتى وإن كان عدد الشيوعيين في مجلس النواب الگواتيمالي يبلغ أربعة فقط.

في آب/أغسطس 1953 حاول دالِس Dulles العمل على أخذ موافقة أعضاء منظمة الدول الأمريكية على وجوب اتخاذ عمل ما بموجب نصوص حلف ريو، مبرزاً التأثير الخارجي على گواتيمالا، ومدَّعياً أن سقوط گواتيمالا يجعل الخطر

محيطاً ببقية أمريكا الوسطى. غير أن المنظمة أخفقت في الاجتماع الذي انعقد في أوائل سنة 1954 في تأييد دعوة الولايات المتحدة الأمريكية، وأكدت بدلاً من ذلك على أن الهيمنة الشيوعية على إحدى الدول الأعضاء يتطلب، من الناحية النظرية، عملاً مشتركاً. ونتيجة لذلك سلك آيزنهاور سبيل العمل الخفي وأوعز إلى وكالة المخابرات المركزية CIA لوضع خطة الإطاحة بحكومة أربِنز (عُرفت بعملية پ. ب. سَكسيس P. B. Success) وتركَّزت على قيام انقلاب بقيادة مناوئ الشيوعية المتحمس كاستيللو أرماس Castillo Armas الذي تلقى تمويلاً لمجموعة صغيرة من المرتزقة وقاعدة في الهندوراس Honduras المجاوِرَة حيث يستطيع أن ينطلق بانقلابه منها.

أبقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت ذاته على طلباتها بتعويضات باهظة لقاء فقدان أملاك أمريكية. وقرر أربِنز ـ الذي كان على علم بالتهديد المتنامي ـ أن يشتري أسلحة صغيرة من الكتلة الشرقية . في حزيران/يونيو 1954 شن أرماس «الغزو»، وقامت طائرتان يقودهما طياران أمريكيان ـ مقدَّمتان من وكالة المخابرات المركزية ـ بقصف أهداف مدنية، مما جعل أربِنز يعتقد أن هناك قوات غازية كبيرة. وفي حالة الرعب الناتجة عن ذلك تخلَّت القوات المسلحة عنه فهرب إلى المكسيك Mexico. نصَّب أرماس نفسه دكتاتوراً عسكرياً وأمر بإعدام مئات من المعارضين السياسيين برغم مقتل واحد فقط من مرتزقته. وبرغم فساد أرماس، فقد اعتمدت عليه الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن لفترة قصيرة فقط، إذ ما لبث أن أطاح بنفسه.

## كوبا

**ما هو تعديل پلات لسنة 1901؟**

حدث التحدي الأوضح للسيطرة الأمريكية على المنطقة

في أعقاب حوادث في كوبا Cuba الجزيرة الكاريبية التي تقع على بعد حوالي 150 كم جنوبي فلوريدا Florida، والتي ظلّت منذ الحرب الإسپانية ـ الأمريكية سنة 1898 تحت هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية (كما هو حال بورتو ريكو Puerto Rico والفيليپين Philippines). كانت كوبا في البداية تحت الاحتلال العسكري الأمريكي، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية سمحت لها سنة 1901 بوضع مسوَّدة دستور اضطرت إلى تضمينه تعديل پلات Platt Amendment الذي نصَّ على أن للولايات المتحدة الأمريكية الحق «بمراقبة» الاقتصاد الكوبي، وَنقْض أي اتفاقات دولية تبرمها كوبا، وَالتدخل بسياستها الداخلية. وهكذا كانت كوبا ـ من الناحية العملية وليس القانونية ـ محمية أمريكية.

كان فلجينسيو باتيستا Fulgencio Batista ـ المولود سنة 1901 ـ رقيباً في الجيش الكوبي قبل أن يقود انقلاباً ناجحاً سنة 1933. حكم في البداية من خلال رؤساء صوريين حتى سنة 1940 حيث أحكم سيطرته الكاملة بعد أن «انتخب» نفسه رئيساً. تقاعد سنة 1944 وانتقل إلى فلوريدا ولكنه نظّم انقلاباً عسكرياً سنة 1952 وحكم كدكتاتور إلى أن أطاح به كاسترو سنة 1959.

حينما أنهى روزڤلت العمل بتعديل پلات سنة 1933 كان الاقتصاد الكوبي يعتمد كثيراً على السكر، وكانت شركات الأعمال الأمريكية تسيطر عليه في الواقع. ظلت كوبا منذ سنة 1934 ـ بعد هزيمة حكومة يسار الوسط الإصلاحية ـ تحت حكم دكتاتور عسكري يميني هو الجنرال فلجينسيو باتيستا Fulgencio Batista المدعوم أمريكياً، في ظل سلسلة من الرؤساء الصوريين حتى سنة 1940. حكم باتيستا من سنة 1940 حتى سنة 1948 حكماً مباشراً ثم عاد ليستخدم رؤساء صوريين حتى سنة 1952 لكي يعطي انطباعاً بأنه (ومعه الجيش) لم يعد يدير شؤون البلاد. وبعد ذلك قام بانقلاب في سنة 1952 وحكم كدكتاتور عسكري علناً.

تزايدت هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، إبّان عهد باتيستا، على الاقتصاد الكوبي والتطورات السياسية في الجزيرة، وسرعان ما أصبحت الشركات الأمريكية تمتلك معظم أراضي كوبا وصناعاتها وحتى مرافقها العامة، وكانت

عاصمتها هاڤانا Havana ملعباً لرجال الأعمال الأغنياء والمافيا الأمريكيين. وأبقت الولايات المتحدة الأمريكية على قاعدة بحرية هامة في گوانتنامو Guantanamo.

عارضت مجموعات كثيرة حكم باتيستا، وتحوُّل كوبا إلى مجرَّد «تابع» أمريكي صغير. وراودها الحنين إلى حكومة سنة 1933 التي لم تعمِّر طويلاً. كانت إحدى هذه المجموعات بقيادة طالب راديكالي شاب يدعى فيدل كاسترو Fidel Castro، وبرغم أنه من يسار الوسط إلا أنه لم يكن على ارتباط بمجموعة الطلاب الشيوعيين الأكثر عَدداً وتنظيماً. في 26 تموز/يوليو 1953 نفَّذت مجموعته هجوماً على ثكنة مونكادا Moncada للجيش ففشلت فشلاً ذريعاً، وقام فيدل وأخوه راول Raul بتسليم نفسيهما في محاولة لإيقاف العملية التي كان يقوم بها باتيستا لقتل المُشتبه بهم. حُكِم على كاسترو بالسجن لمدة خمس عشرة سنة وعُفِي عنه سنة 1954، فذهب إلى المنفى في المكسيك Mexico حيث قابل طبيباً ثورياً أرجنتينياً يُدعى إرنِستو شي گيفارا Ernesto 'Che' Guevara وشكَّلا معاً حركة السادس والعشرين من تموز/يوليو 26th of July Movement واتّفقا على الإطاحة بباتيستا.

وُلِد فيدِل كاسترو Fidel Castro سنة 1926 لأب غني يمتلك مزرعة للسكر، ودرس الحقوق في جامعة هاڤانا بين سنتي 1945 وَ 1948، ثم مارس المحاماة بين سنتي 1950 و1952 وَرشَّح نفسه للكونگرس سنة 1952.

حركة السادس والعشرين من تموز/يوليو هو اسم مجموعة كاسترو السياسية التي تشكلت في أيار/مايو 1955. سُجِن كاسترو وكثيرون آخرون بعد الهجوم غير الناجح الذي قاموا به في 26 تموز/يوليو 1953 على ثكنة مونكادا، ومن هنا جاء اسم الحركة التي تأسست في أعقاب إطلاق سراحهم. وعندما وصلوا إلى المكسيك أصدر أفراد المجموعة بيانين رسميين. وبرغم أنهم أرادوا ثورة راديكالية اجتماعية إلا أن كاسترو بذل جهداً حثيثاً لسد حاجتهم إلى الانخراط في الشيوعية، وهذه المجموعة هي التي بدأت النضال ضد باتيستا في كانون الأول/ديسمبر 1956.

في كانون الأول/ديسمبر 1956 نزلت في كوبا مجموعة صغيرة من الثوار بقيادة كاسترو بقصد الإطاحة بنظام باتيستا، لكنها تراجعت إلى جبال سييرا مايسترا Sierra Maestra بعد أن شارفت على الهزيمة الكاملة في البداية. وفي هذه المرحلة كان الثوار إصلاحيين ليبراليين من الطبقة المتوسطة، وقدموا للقساوسة الكوبيين تطمينات كافية جعلتهم يصدِرون دعوة لحكومة وحدة وطنية في شباط/فبراير 1958.

في آذار/مارس، فرضت الولايات المتحدة الأمريكية

حظراً على شحنات الأسلحة للجانبين (بعد أن أحرجها الرأي العام بانتقاده دعمها لنظام باتيستا القمعي). وبعد حرب عصابات مريرة ـ جعلت حكومة آيزنهاور تقتنع بأن استمرار دعمها لباتيستا يشكل خطراً حقيقياً على مصالحها في كوبا ـ قرر باتيستا بصورة مفاجئة في آخر ليلة من سنة 1958، أن يَفِرَّ إلى جمهورية الدومينيك، فدخلت قوات كاسترو هاڤانا في الأول من كانون الثاني/يناير 1959.

## ثورة كاسترو

في البداية تولّى أوروتيا Urrutia (رئاسة الجمهورية) وَكاردونا Cardona (رئاسة الوزراء) لكن السلطة الحقيقية كانت بيد كاسترو، القائد العام للقوات المسلحة. واستقال كاردونا في شباط/فبراير احتجاجاً على نقص سلطته، فحل كاسترو محله في منصبه.

تطلَّع كاسترو في البداية نحو الولايات المتحدة الأمريكية لطلب المساعدة وبخاصة أنها المشتري الرئيسي للصادر الكوبي الأساسي ـ السكر ـ (بموجب نظام الحصص حيث كانت تستورد 40 ـ 60 ٪ من احتياجاتها من كوبا) والتبغ أيضاً. في نيسان/ابريل 1959 زار كاسترو مبنى الأمم المتحدة بنيويورك وحاول إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بتأييد خططه الإصلاحية، ومقابل ذلك يمكن لها الاحتفاظ بقاعدتها البحرية في گوانتنامو، لكن آيزنهاور رفض مقابلته برغم أن نيكسون ـ نائب الرئيس ـ قابله.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية شديدة القلق بسبب قانون الإصلاح الزراعي الذي أصدره كاسترو في أيار/مايو 1959، الذي لم يحدد مجموع الممتلكات بألف آكر فحسب

ـ مع التعويضات على شكل ضمانات تُحتسب على أساس التقويم الضريبي لسنة 1958 (الذي كان المُلاَّك الأغنياء يقلِّلون من قيمته قصداً لتفادي دفع ضريبة) ـ بل نص أيضاً على عدم السماح للأجانب بعد ذلك الوقت بامتلاك أراض زراعية في كوبا. لكن تعيين كاسترو للشيوعي نونيز جيمينز Nunez Jimenez على رأس المعهد الوطني للإصلاح الزراعي National Institute of Agrarian Reform (INRA) كان سبب القلق بخاصة. وبدأت الولايات المتحدة ترى في كاسترو وخططه الخاصة بالأراضي والصحة والرفاه العام صورة أخرى لأربِنز Arbenz .

في حزيران/ يونيو 1959 استقال قائد القوات الجوية الكوبية احتجاجاً على تنامي النفوذ «الشيوعي» في الجيش، كما استقال الرئيس أوروتيا Urrutia في تموز/ يوليو. وفي النهاية قوّى كاسترو من وضعه وأعلن في أيلول/ سپتمبر في الأمم المتحدة أن الحياد هو الموقف الحقيقي الوحيد للدول المتطورة تجاه الحرب الباردة، فكان ذلك رفضاً واضحاً لنفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في كوبا.

بدأ كاسترو يتهم الولايات المتحدة الأمريكية بالتآمر لإعادة باتيستا، وبخاصة مع قيام المنفيين الكوبيين بطلعات جوية من فلوريدا Florida لقصف وحرق حقول قصب السكر . ولم يكن ذلك اتهاماً باطلاً إذ أن وكالة المخابرات المركزية كانت منذ أواخر سنة 1959 تستخدمهم وتضع الخطط التآمرية من أجل زعزعة الاقتصاد وإضعاف حكومة كاسترو. زادت التوترات خلال سنة 1960 حين أمر كاسترو مصافي النفط في كوبا التي يمتلكها أمريكيون بتصفية النفط الخام السوڤييتي الذي كان أرخص من النفط الذي يُشترى عادة من ڤنزويلا Venezuela . وعندما رفضت المصافي (وخالفت بذلك القانون

**لماذا كان إلغاء الولايات المتحدة الأمريكية لمخصصاتها من السكر سنة 1960 على تلك الدرجة من الأهمية لدى كوبا؟**

الكوبي) قام كاسترو بتأميم شركات النفط الأمريكية. ردَّ آيزنهاور بتعليق مستوردات السكر في تموز/ يوليو 1960 وقطعها نهائياً في كانون الأول/ ديسمبر. وردَّ كاسترو بتأميم الشركات المملوكة أمريكياً في كوبا، ففرضت الولايات المتحدة الأمريكية حظراً على كل متاجرة مع كوبا. كانت كوبا قد وقَّعت في شباط/ فبراير 1960 اتفاقاً تجارياً مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية يقدم لكوبا تسهيلات ائتمانية بمئة مليون دولار لشراء معدات في حين وعد الاتحاد السوڤييتي بشراء مليوني طن من السكر سنوياً خلال السنوات الأربع القادمة. كذلك سبَّب كاسترو للولايات المتحدة الأمريكية مزيداً من الإزعاج حين وقَّع اتفاقاً تجارياً مع الصين الشيوعية.

وفي فترة لاحقة من سنة 1960 بدأ كاسترو برنامجاً عاماً لتأميم الاقتصاد الكوبي وأُلغي كثير من الحريات السياسية - على رأسها حرية الصحافة - تطميناً لمخاوف حكومته المتزايدة من احتمال حدوث ثورة مضادة وغزو. وقد زاد اعتماده في هذه الفترة على الحزب الشيوعي الكوبي - برغم أنه ليس عضواً فيه - لتقديم إداريين لبرامجه الإصلاحية.

في آذار/ مارس 1960 أقنعت وكالة المخابرات المركزية CIA آيزنهاور بالموافقة على تدريب قوة غازية من المنفيين الكوبيين اليمينيين للإطاحة بكاسترو، فبدأ التدريب الجاد في تموز/ يوليو في مكان إقامتهم في گواتيمالا وتم تجهيزهم بأسلحة أمريكية وإخضاعهم لتدريب أمريكي. زاد غضب الولايات المتحدة الأمريكية (وخاب أمل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية) عندما أصبحت كوبا أول دولة أمريكية لاتينية تقيم علاقات ديلوماسية مع صين ماو Mao.

مع تزايد تقرُّب كاسترو من الكتلة السوڤييتية قطع آيزنهاور في كانون الثاني/يناير 1961 العلاقات الدپلوماسية مع كوبا، وبدا أن جزيرة صغيرة في «حديقة المنزل الخلفية» للولايات المتحدة الأمريكية تشكل تحدياً مباشراً لسياستها في الوقوف بوجه المد الشيوعي، وأنها بذلك أصبحت عاملاً مهماً في الحرب الباردة. وبحلول منتصف سنة 1961 كان كاسترو قد أقام علاقات دپلوماسية وتجارية مع كل دولة شيوعية من بينها كوريا الشمالية وڤييتنام الشمالية.

## لماذا حدثت أزمة الصواريخ الكوبية؟

### خليج الخنازير: 1961

أورث آيزنهاور Eisenhower كِنِدي Kennedy حصاره الاقتصادي لكوبا وخططه لغزوها بعد أن فاز كِنِدي بانتخابات تشرين الثاني/نوڤمبر 1960 الرئاسية. لكن كِنِدي لم يشاطر آيزنهاور عداوته نحو حكومة كاسترو فحسب، بل زاد على ذلك أن اتهمه «بتضييع» كوبا من خلال موقفه اللامبالي، وأوعز لوكالة المخابرات المركزية CIA بمتابعة برنامجها على الرغم من تحذيرات رؤساء هيئة الأركان المشتركة ووزير الخارجية بأن ذلك «قد يقلب السحر على الساحر» ويقوي كاسترو ويلحق الضرر بصورة الولايات المتحدة الأمريكية في نظر بقية العالم المتطور.

في 15 نيسان/ابريل 1961 نفذ المنفيون الكوبيون بمشاركة طيارين من وكالة المخابرات المركزية غارات جوية أولية لإرهاق القوات الجوية الكوبية. كان كاسترو يتوقع منذ بعض الوقت أن تحاول الولايات المتحدة الأمريكية تكرار التدخل الذي قامت به في گواتيمالا في تموز/يوليو 1954،

فكان رده الفوري في السادس عشر من نيسان/ابريل الإعلان بأن كوبا تنوي الآن السير على النهج «الاشتراكي» استكمالاً لثورتها، وفي نفس الوقت استمرت المفاوضات مع الاتحاد السوڤييتي من أجل صفقة مساعدات كبيرة تشمل السلاح. ويعتقد معظم المؤرخين اليوم أن مثل هذا العمل من جانب الولايات المتحدة ـ وليس الالتزام الإيديولوجي ـ هو الذي دفع بكاسترو نحو الماركسية.

ماذا حصل في خليج الخنازير سنة 1961؟

منذ سنة 1959 ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تقف في طريق محاولات كاسترو شراء أسلحة صغيرة لبناء جيش كوبي قوي لمقاومة أي محاولة يقوم بها باتيستا للعودة. وقد بدأ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية منذ شباط/فبراير 1960 بتقديم هذه الأسلحة مع مستشارين عسكريين ثبت نفعهم جميعاً في التصدي للغزو البري الذي حصل في السابع عشر من نيسان/ابريل 1961 بعد الغارات الجوية حيث نزل حوالي 1.400 منفي في خليج الخنازير Bahia de Cochinos (Bay of Pigs) في أقصى الجزيرة. يشير الكوبيون دائماً إلى هذه الواقعة باسم پلايا گيرُن Playa Giron وهو اسم الشاطئ الشرقي للخليج الذي نزلت فيه المجموعة الرئيسية من الغزاة. وبرغم أن كِنِدي أمر بعدم مشاركة أمريكيين إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية قدَّمت وسائل النقل والسلاح، وفي الحقيقة فإن أول من وطأ التراب الكوبي كان أمريكياً.

تم القضاء بسرعة على محاولة الغزو وانقلبت المغامرة كلها إخفاقاً تاماً لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية الجديد، حيث أُسِرَ 1.179 منفياً كوبياً، وتوجَّب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم لكوبا مساعدات ـ من أجل استعادتهم ـ بلغت قيمتها 53 مليون دولار على شكل أغذية أطفال وأدوية ومعدات طبية. وبذلك لم ترتكب وكالة

المخابرات المركزية خطأً كبيراً في تقدير القوة الكوبية على النحو الصحيح فحسب، بل أخفقت أيضاً في إدراك مدى الدعم الشعبي لنظام كاسترو.

**أزمة الصواريخ الكوبية: 1962**

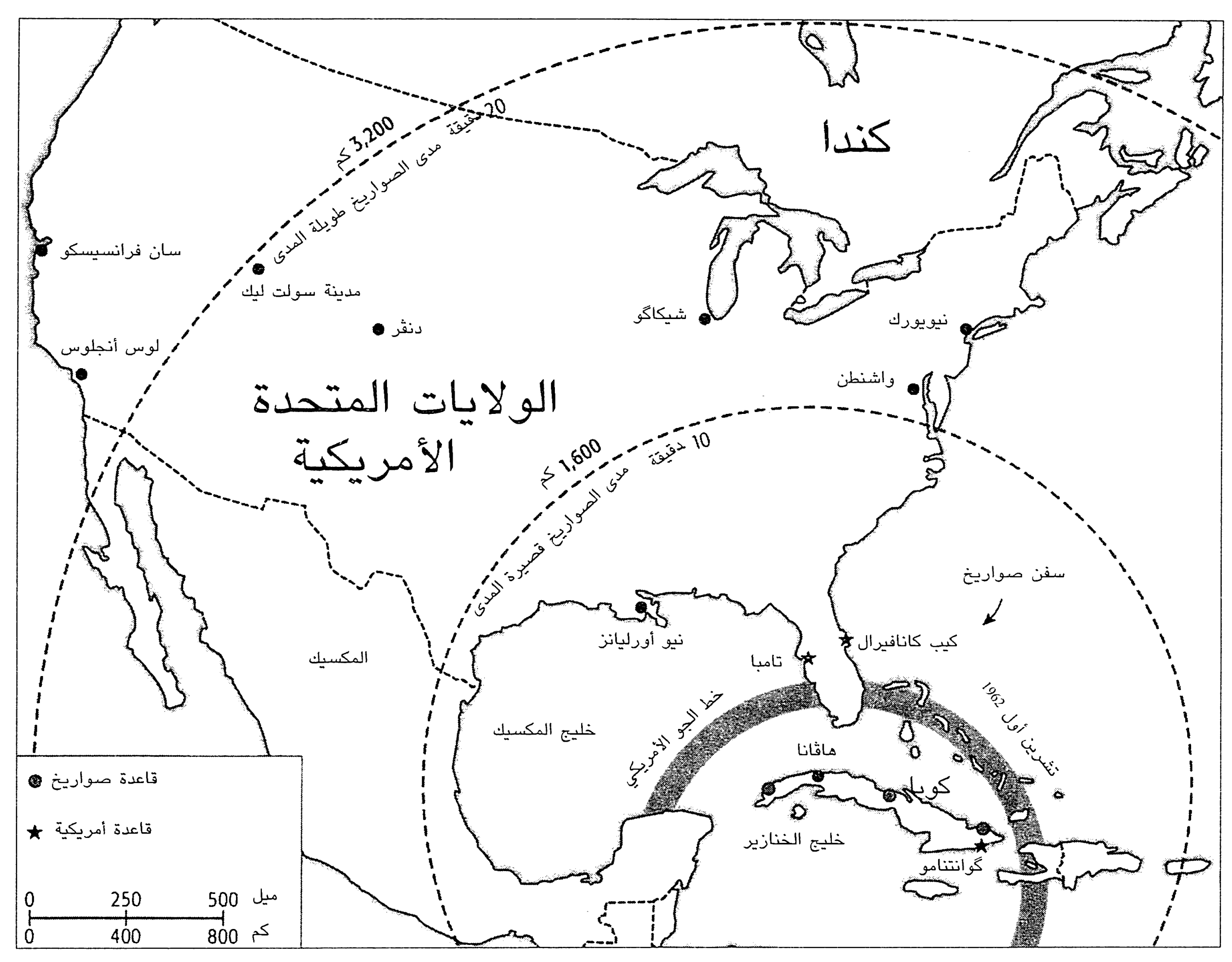
ظلّ كِنِدي مصمماً على إسقاط كاسترو على الرغم من النكسة الخطيرة التي عانتها الولايات المتحدة الأمريكية جرّاء حادثة خليج الخنازير، ولذلك أوعز لوكالة المخابرات المركزية بمتابعة العمليات التي شملت خططاً غريبة لاغتيال كاسترو بواسطة (سيجار) متفجر، أو لباس غطس مغطى بسم قاتل أو استخدام طائرات «من القطاع الخاص» لقصف أو إحراق حقول السكر والتبغ بالناپالم، كما سمح لعملاء وكالة المخابرات المركزية بالقيام بتخريب مصافي النفط وإغراق السفن التجارية الكوبية. في وقت يعود إلى 30 تشرين الثاني/ نوڤمبر 1961 أجاز كِنِدي محاولة أخرى لإسقاط كاسترو عُرفت باسم عملية مونگوز Operation Mongoose. وقد استولت قوات الأمن الكوبية على وثائق تفيد بأن على الولايات المتحدة الأمريكية القيام بعمل أشد إذا لم يتم إسقاط كاسترو بحلول تشرين الأول/ أكتوبر 1962. أضف إلى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية عمِلت على طرد كوبا من منظمة الدول الأمريكية، وكان الغرض من قيام 40.000 جندي بغزو «مسرحي» لپورتو ريكو Puerto Rico في تمرين عسكري، هو توجيه إنذار واضح لكاسترو عن مدى سهولة غزو كوبا من قِبَل الولايات المتحدة الأمريكية.

طالب كاسترو خروتشيف Khrushchev بالحماية مخافة غزو آخر تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية. وتزايدت توريدات الأسلحة السوڤييتية إلى كوبا منذ أيار/ مايو 1962

تزايداً كبيراً. جاء طلب كاسترو في وقت تزايد فيه قلق الاتحاد السوڤييتي من الصواريخ النووية التي نشرتها الولايات المتحدة الأمريكية في تركيا على ساحل البحر الأسود قريباً جداً من الاتحاد السوڤييتي. كذلك كان خروتشيف قلقاً من «الفجوة الصاروخية» بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية والولايات المتحدة الأمريكية.

أثناء زيارة قام بها خروتشيف لبلغاريا في أيار/مايو 1962 اقتنع بأن نشر صواريخ سوڤييتية في كوبا يؤدي غرضاً مزدوجاً؛ فهو يؤمن الحماية التي طلبها كاسترو ضد العدوان الأمريكي، كما يمَكّن الاتحاد السوڤييتي من مواجهة التهديد الذي تشكِّله الصواريخ الأمريكية في تركيا بتهديد مماثل للولايات المتحدة الأمريكية. وبحلول أيلول/سبتمبر 1962 كان الاتحاد السوڤييتي قد باشر بإنشاء وتجهيز مواقع للصواريخ في كوبا، وزاد من عدد الدبابات والمقاتلات التي يقدّمها لقوات كاسترو المسلحة. وسرعان ما زاد ـ عن الخمسة آلاف ـ عدد الفنيين والمهندسين السوڤييت العاملين في مواقع الصواريخ التي كانت بالطبع تحت الرقابة السوڤييتية وليس الكوبية، ووصل إجمالي السوڤييت الموجودين في كوبا إلى 42.000.

في 11 أيلول/سبتمبر أنذر كِنِدي خروتشيف أن الولايات المتحدة الأمريكية ستحول دون نصب الصواريخ النووية السوڤييتية في كوبا «بالوسائل الضرورية مهما كان نوعها»، فأجاب خروتشيف أن الاتحاد السوڤييتي لا ينوي تزويد كوبا بهذه الصواريخ، وشعر أنه قادر على اتخاذ مثل هذه الخطوة الخطرة لأن أزمة برلين بسبب بناء سور برلين سنة 1961 قد انحسرت وأصبح الآن حراً للتركيز على مشكلات أخرى، والأهم من ذلك هو أن الفشل الذي مُنِي به في برلين جعله يبحث عن النجاح في مجال آخر. لكن كِنِدي رأى أن هذه




**أزمة الصواريخ الكوبية، تشرين الأول/ أكتوبر 1962**

الصواريخ السوڤييتية متوسطة المدى تشكل تغييراً في توازن القوى الاستراتيجي في منطقة طالما اعتُبِرت ضمن محيط النفوذ الأمريكي.

في 14 تشرين الأول/ أكتوبر حلَّقت فوق كوبا طائرة تجسس أمريكية من طراز يو ـ 2 وعادت بصور لمواقع قيد الإنشاء لصواريخ بالستية متوسطة المدى يبلغ مداها 1.600 كم تحوِّل معظم المدن الأمريكية الرئيسية إلى أهداف مُحتمَلة. قام عدد قليل من أعضاء الحكومة الأمريكية (اللجنة التنفيذية

**لماذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قلقة كثيراً من وجود الصواريخ السوڤييتية في كوبا؟**

لمجلس الأمن القومي ExComm) على مدار ستة أيام بمناقشة مختلف خيارات الرد، دون استشارة أحد من الحلفاء. وأمر وزير الدفاع الأمريكي روبيرت مكنمارا Robert McNamara ـ كخطوة أولى ـ بالتحضير لغزو كوبا بحلول العشرين من تشرين الأول/أكتوبر. ولم تُبَلَّغ بريطانيا بموضوع الصواريخ إلا في الحادي والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر بعد أن كان كِنِدي قد اتخذ القرار الخاص بما يجب فعله.

استقر كِنِدي على ردَّين: قيام الولايات المتحدة الأمريكية في المقام الأول بضرب حصار بحري حول كوبا، ومن ثم تقوم القوات الأمريكية بغزو الجزيرة. أُعلِن عن الحصار أو «الحجْر» في 22 تشرين الأول/أكتوبر حين صرحت الولايات المتحدة الأمريكية أنها ستقوم اعتباراً من 24 تشرين الأول/أكتوبر بإيقاف وتفتيش كل السفن المتوجهة إلى كوبا، لكن خروتشيف ردَّ في 23 تشرين الأول/أكتوبر بالقول إن السفن السوڤييتية لن تخضع للحصار. ويستمر الانقسام في الرأي حول ما إذا كانت الأعمال الأمريكية تشكل، على الصعيد الفني، حرباً.

في 24 تشرين الأول/أكتوبر تم إيقاف أو إعادة 18 سفينة سوڤييتية (ربما كانت تحمل رؤوساً حربية للصواريخ) قُبَيْل وصولها إلى الحد الذي عيَّنته الولايات المتحدة الأمريكية. وتزايد خطر اندلاع حرب نووية حينما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن غزو كوبا سيتم إذا لم تُسحب الصواريخ فوراً. وفي 25 تشرين الأول/أكتوبر بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذ خططها للقيام بضربة جوية في 29 أو 30 تشرين الأول/أكتوبر لمواقع الصواريخ. ألحَّ كاسترو، ومعه الجنرالات السوڤييت، على خروتشيف بإطلاق بعض

الصواريخ من أجل منع غزو كوبا الذي يُلوِّح به، إلا أنه رفض هذه الدعوات وأرسل بدلاً من ذلك رسالة إلى كِنِدي في 26 تشرين الأول/ أكتوبر.

حملت الرسالة عرضاً بسحب الصواريخ السوڤييتية من كوبا ووعدت بعدم إرسال مزيد منها إذا رفعت الولايات المتحدة الحصار عن كوبا ووعدت بعدم غزو الجزيرة. وبعد ذلك ـ وحين لم يرد جواب من الولايات المتحدة الأمريكية ـ أرسل خروتشيڤ في 27 تشرين الأول/أكتوبر رسالة ثانية تضمنت طلبات مغايرة، إذ عرض الاتحاد السوڤييتي هذه المرة سحب صواريخه من كوبا إذا ردَّت الولايات المتحدة الأمريكية بسحب صواريخها من طراز جوپيتر Jupiter من تركيا، كما اقترح أن يتم هذا الأمر عن طريق الأمم المتحدة أيضاً. شكَّل هذا الطلب صعوبات للولايات المتحدة الأمريكية لأنها لم تعترف قط أن لها صواريخ في تركيا.

ضغط رؤساء أركان الجيش الأمريكي على كِنِدي للقيام بهجوم جوي على كوبا ولكنه تردد، وبعد مناقشات مستفيضة تم الاتفاق على تجاهل رسالة خروتشيڤ الثانية، وأجاب كِنِدي على الرسالة الأولى عارضاً أن يعطي التزاماً بعدم غزو كوبا Cuba بشرط أن يتم سحب الصواريخ السوڤييتية أولاً. وفي وقت لاحق من نفس اليوم تم إيفاد روبيرت كِنِدي Robert Kennedy شقيق الرئيس للتباحث مع أناتولي دوبرينين Anatoly Dobrynin السفير السوڤييتي لدى الولايات المتحدة الأمريكية حاملاً تعليمات بتقديم إنذار غير رسمي للسفير مصحوباً بعرض. أما الإنذار فهو أن الولايات المتحدة الأمريكية ستهاجم الصواريخ وتدمرها إلا إذا وعد الاتحاد السوڤييتي، قبل 28 تشرين الأول/ أكتوبر، بسحبها، وأما العرض فهو أنه عند سحب الصواريخ فإن الولايات المتحدة

الأمريكية ستسحب صواريخها من تركيا في أقرب وقت، مع التأكيد على أن هذا العرض لن يكون جزءاً من الصفقة العلنية. أبلغ دوبرينين خروتشيف بذلك فقبل بهذا الحل الوسط وأُسْدِل الستار بذلك على الأزمة.

**نتائج الأزمة**

تم في الغرب تصوير نهاية الأمر ـ الذي ثبت أنه استمر ثلاثة عشر يوماً كأخطر أزمة مرَّت طوال الحرب الباردة ـ على أنها انتصار لكِنِدي Kennedy وهزيمة لخروتشيف Khrushchev لأن الصفقة حول الصواريخ الأمريكية في تركيا بقيت سراً، وتم سحبها في نيسان/ ابريل 1963، لكن ذلك لم يبلغ للرأي العام إلا سنة 1969. وفي الحقيقة كان المغنم الذي جناه الاتحاد السوڤييتي من صفقة الصواريخ الأمريكية بسيطاً، فسحبُها كان مقرراً من قبْل لأن القواعد الأرضية أصبحت بلا معنى بعد طرح الصواريخ البالستية التي تطلقها الغواصات، التي كان اكتشافها صعباً وتدميرها أكثر صعوبة.

وعلى الرغم من أن خروتشيف ضمِن وعوداً غير رسمية بعدم الهجوم على كوبا إلا أن عدداً من الزعماء الشيوعيين لم يكونوا راضين عن اعتراف اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية بالخطأ العلني. وما من شك في أن أزمة الصواريخ الكوبية لعبت دوراً في إزاحة خروتشيف عن السلطة سنة 1964. كذلك فإن موافقاته أثبتت اعتقاد الشيوعيين الصينيين أنه لم يكن راغباً بالوقوف في وجه الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك تابعت الصين تطوير سياستها الخارجية الخاصة المستقلة، مما وسَّع الشرخ في الحركة الشيوعية العالمية.

أما في أوروبا الغربية فحصل شيء من الغضب بسبب عدم استشارة الولايات المتحدة الأمريكية لحلفائها أثناء هذه

الحالة الطارئة برغم الخطر الماثل في أن أي نزاع بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية سيورِّط الأعضاء الآخرين في حلف شمال الأطلسي NATO. كانت فرنسا بخاصة حانقة، وكان هذا هو أحد الأسباب التي جعلت دي گول de Gaulle يقرر سحب فرنسا من حلف شمال الأطلسي ومحاولة تشجيع بقية الدول الغربية على تبني سياسة خارجية مستقلة.

## الخط الساخن ومعاهدة حظر التجارب النووية

أصيب كلا الجانبان بصدمة من مدى قربهما من حافة حرب عالمية ثالثة نووية في أزمة الصواريخ الكوبية، وكانا مصمِّمين على تجنب مثل هذه التوترات الخطيرة في المستقبل. تم الاتفاق فوراً على تركيب خط هاتفي خاص «حار» بين الكرملين Kremlin والبيت الأبيض White House حتى يتمكن قادتهما من التحادث مع بعضهم بسرعة ومباشرة أثناء أية أزمة، وتم تفعيله بحلول حزيران/يونيو 1963. وبرغم استمرار الحرب الباردة إلا أن مستوى التوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية لم يصل أبداً إلى المستوى الذي كان عليه في تشرين الأول/أكتوبر 1962. كانت هذه السياسة القومية تجاه الخطر، من أجل الوصول إلى غاية سامية، أمراً على غاية الخطورة في العصر النووي.

ساعدت هذه الأزمة على تحقيق انفراج جزئي في العلاقات الشرقية ـ الغربية أيضاً، ففي خطوة هي الأولى نحو وقف سباق التسلح النووي وقَّع الاتحاد السوڤييتي والولايات المتحدة الأمريكية معاهدة حظر التجارب النووية Nuclear Test Ban Treaty في آب/أغسطس 1963، وبرغم أنها لم تضع حداً

لصنع الأسلحة النووية أو تخفيضها أو نشرها، إلا أنها حاولت فرض رقابة على تجربتها. كذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية ـ بعيداً عن المعاهدة ـ وافقت على بيع الاتحاد السوڤييتي مزيداً من القمح بقيمة 250 مليون دولار . وعلى الرغم من وضع صيغة لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية Treaty for Non-Proliferation of Nuclear Weapons إلا أنها في الحقيقة لم تُوَقَّع إلا سنة 1969 خلال فترة الانفراج، لكن الحرب الباردة ظلت منذ سنة 1962 محصورة في العالم المتطور.

## ما هو تأثير الثورة الكوبية على الحرب الباردة؟

### كوبا وأمريكا اللاتينية

ظلّت الولايات المتحدة شديدة العداوة لكوبا على الرغم من اتفاقيات سنة 1962، ففي أوائل حزيران/يونيو 1963 أمر كِنِدي باستئناف عملية مونگوز Operation Mongoose. كذلك استمرت وكالة المخابرات المركزية بالقيام بأعمال تخريبية وغارات عسكرية صغيرة وحبك مؤامرات لاغتيال كاسترو.

ونظراً لاستمرار العداء الأمريكي تجاه كوبا بعد أزمة الصواريخ سنة 1962، أمِل كاسترو في أن يشعل المَثل الذي ضربته الثورة الكوبية ثورات مماثلة في الأمريكتين الوسطى Central واللاتينية Latin والبحر الكاريبي Caribbean لأن مِثل هذه التطورات ستؤدي إلى إنهاء عزلة كوبا في المنطقة، وهذا على وجه التحديد هو الأمر الذي خشيته الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيَّما وأن لدى الثوار الكوبيين التزاماً قوياً بفكرة الثورة العالمية. حدثت أولى محاولات كاسترو لنشر الثورة في المنطقة سنة 1959 أثناء تدخل فاشل في جمهورية الدومينيك Dominican Republic. ولم يحدث شيء مهم برغم ظهور

وُلِد إرنستو گيڤارا Ernesto Guevara في الأرجنتين Argentina سنة 1928، وكان يُشار إليه غالباً بكلمة «شي Che». تخرج طبيباً سنة 1953 وقابل كاسترو Castro في المكسيك Mexico سنة 1955. لم يكن في البداية شيوعياً ـ مثل كاسترو ـ برغم أنه كان ماركسياً حين اندلعت الثورة الكوبية سنة 1959. أثبت خلال حرب العصابات أنه قائد داهية. بعد الإطاحة بباتيستا Batista سنة 1959 أصبح مسؤولاً عن التخطيط الاقتصادي، لكن الحياة كوزير في الحكومة لم ترق له فرحل عن كوبا سنة 1965 ليعاون جماعة صغيرة من الثوار في بوليڤيا Bolivia. في سنة 1967 أسرته قوات مكافحة العصيان المدرَّبة أمريكياً ثم قتلته. أصبحت صورته رمزاً واسع الانتشار للثورة في الستينيات والسبعينيات.

مجموعات كثيرة تدَّعي الاستلهام من الثورة الكوبية وتزويدها بالسلاح والتدريب من قبل كوبا، حتى أن محاولة شي گيفارا Guevara في المساعدة على إذكاء الثورة في بوليڤيا سنة 1965 مُنيَت بالفشل، وهو الذي كان رأس الحربة في مسيرة نشر الثورة في الإقليم.

كان أحد أهداف غيفارا - وآمال كاسترو - إيجاد «ڤيتنامات كثيرة» من أجل إضعاف قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على التدخل في العالم المتطور وسحق الثورات في نشأتها الأولى. إلا أن سياسة كوبا الخارجية ظلت حتى سنة 1968 تميل إلى أن تكون مخالفة بعض الشيء لما يرغب به اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية برغم اعتمادها العسكري والاقتصادي على القوة العظمى الشيوعية. فالاتحاد السوڤييتي بخاصة لم يوافق على محاولات كاسترو «تصدير» الثورة، وأحد أسباب هذا الاختلاف منذ أزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962 هو أن كاسترو أصبح يدرك أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية استخدم كوبا في نزاعه العالمي مع الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد فشل گيڤارا وموته في بوليڤيا Bolivia، بدأ كاسترو يسير وفق هوى موسكو، وجاءت أولى الإشارات على ذلك سنة 1968 حينما أعلن على الملأ تأييده لغزو تشيكوسلوڤاكيا من قِبَل حلف وارسو، واتسع نطاق هذا التحول بعد أن عانت كوبا من مشكلات اقتصادية سنتي 1969 وَ 1970، وبذلك أصبحت أكثر اعتماداً على المعونة السوڤييتية. لكن كاسترو ظل ملتزماً بفكرة العالمية رغم أنه أصبح - الآن - حليفاً للاتحاد السوڤييتي يُعتمد عليه اعتماداً متزايداً في العالم المتطور.

**ما هو أثر أزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962 على الحرب الباردة**

## كوبا وأفريقيا

في منتصف السبعينيات تزايد استعداد كاسترو لمساعدة النضال التحرري الذي يجري في العالم المتطور خارج الأمريكتين، وذلك بالرغم من الحصار الاقتصادي الخانق الذي تفرضه عليه الولايات المتحدة الأمريكية. وكان ذلك ينطبق بخاصة على المستعمرات البرتگالية السابقة في أفريقيا: موزامبيق Mozambique وگينيا - بيساو Guinea-Bissau وأنگولا Angola، والتي مُنِحَت جميعاً استقلالها سنة 1975 في أعقاب الثورة البرتگالية سنة 1974. نشبت حرب أهلية مريرة في أنگولا سنة 1975 بين الحركة الشعبية لتحرير أنگولا Movement of the Popular Liberation of Angola (MPLA) (المدعومة من الاتحاد السوفييتي) وبين FNLA (المدعومة من الولايات المتحدة والصين) ويونيتا UNITA (المدعومة من الصين وجنوب أفريقيا وإسرائيل وفي وقت لاحق من الولايات المتحدة الأمريكية).

كان الاتحاد السوفييتي يتمتع حتى أواخر الستينيات بقليل من النفوذ في أفريقيا، وبرغم ذلك فإن خروتشيف أعلن على الملأ عن عزمه على دعم «حروب التحرر الوطني» في أفريقيا وفي أي مكان آخر. وخلال الستينيات كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية على صلة ضعيفة مع گانا Ghana ومالي Mali، إلا أن حاكم گانا (نيكروما Nkrumah) وحاكم مالي (كيتا Keita) أُطيح بهما في سنتي 1966 وَ 1968 على التوالي. كان التنافس على النفوذ في أفريقيا قائماً معظم هذا الوقت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وعلى نحو متزايد الصين، كل منها ضد الأخرى. ومع انهيار الامبراطورية البرتگالية بعد سنة 1974 دبَّ الفوضى في هذا الوضع وبخاصة في أفريقيا الجنوبية.

وُلِد جيرالد فورد Gerald Ford سنة 1913. تدرَّب على المحاماة وخدم في البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية. دخل مجلس النواب سنة 1948 باعتباره جمهورياً. أصبح نائباً للرئيس سنة 1973 وخلف نيكسون Nixon عندما اضطر للاستقالة بسبب فضيحة ووترگيت. هزمه الديمقراطي جيمي كارتر Jimmy Carter في الانتخابات الرئاسية لسنة 1976.

تتمتع أنگولا بأهمية اقتصادية واستراتيجية بسبب غناها بالنفط والثروات المعدنية. كانت الحركة الشعبية لتحرير أنگولا - التي يدعمها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية - أكبر المجموعات وأكثرها شعبية، ولذلك زادت الصين ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية من تقديم السلاح لجبهة FNLA فزاد الاتحاد السوڤييتي دعمه للحركة الشعبية لتحرير أنگولا. بعد ذلك أنهت الصين تورطها في أنگولا ووضعت الولايات المتحدة الأمريكية ثقلها وراء يونيتا UNITA. قرر كاسترو مد يد العون للحركة الشعبية لتحرير أنگولا من خلال إرساله 17.000 جندي كوبي. استطاعت هذه الحركة المنتصرة أن تشكل حكومة وقّعت سنة 1976 معاهدة تعاون وصداقة مع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤييتية، وكذلك فعلت موزامبيق في السنة التالية. (أقلقت حكومة الحركة الشعبية لتحرير أنگولا الولايات المتحدة الأمريكية لدرجة أسقط معها الرئيس الأمريكي فورد Ford كلمة «انفراج» من قاموسه).

ازدادت الولايات المتحدة الأمريكية رعباً سنة 1977 بسبب أحداث إثيوبيا Ethiopia حين قدَّم الاتحاد السوڤييتي العون للحكومة الإثيوبية في نضالها لطرد الصومال Somalia من إقليم أوگادن Ogaden، ومرة أخرى قدم كاسترو حوالي 17.000 جندي كوبي مقاتل، وبعد انقلاب عسكري أصبحت إثيوبيا جمهورية اشتراكية مؤيدة للسوڤييت. إحدى النتائج التي تمخض عنها انخراط كوبا هي أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت أكثر تصميماً على إيجاد سبُل لتقويض موقع كاسترو، وقد استمر ذلك إبّان حكم كارتر Carter الذي وافق سنة 1980 على إنشاء قوة الانتشار السريع Rapid Deployment Force للتدخل في العالم المتطور.

**كيف ساعدت كوبا عدة بلدان أفريقية خلال السبعينيات؟**

سنة 1979 اندلعت الثورة في أمريكا الوسطى، ففي

آذار/ مارس استولت حركة نيو جُويل New Jewel اليسارية الثورية على السلطة في جزيرة گرينادا Grenada في البحر الكاريبي، كما أدت ثورة ناجحة في نيكاراگوا Nicaragua إلى انتصار الساندينيين Sandinistas وهم مجموعة مؤلفة من تحالف ضم ماركسيين وليبراليين وراديكاليين وكهنة وبعض رجال الأعمال، والأهم أنها أدت إلى هزيمة وطرد الدكتاتور الفاسد المتوحش سوموزا Somoza الذي استولى على السلطة سنة 1936 واستخدم الحرس الوطني لقمع كل معارضة، وكان متحالفاً مع الولايات المتحدة الأمريكية ومدعوماً من قِبَلها (برغم أن كارتر Carter قطع المعونة الأمريكية في وقت من الأوقات بعد أن تلقى معلومات حول فساده). وعندما استولى الساندينيون على السلطة سنة 1979 تصدت حكومتهم لهدفين رئيسيين: سياسة خارجية «مستقلة وغير منحازة» وإيجاد اقتصاد «مختلَط» وصولاً إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية. قدمت الولايات المتحدة الأمريكية في البداية شيئاً من المعونة الاقتصادية، أما الاتحاد السوڤييتي فلم يقدم أية معونة، بالرغم من أن كوبا أرسلت 2.500 شخص بين مهندس وطبيب وممرضة وأستاذ، وجاء كثير من المعونات الأساسية من أوروبا الغربية. إلا أن ريگان Reagan (الذي انتُخِب سنة 1980) قرر تقويض دعائم ما أسماه «الاستحواذ الماركسي» على نيكاراگوا.

الساندينيون Sandinistas هم المعارضون لدكتاتورية سوموزا Somoza في نيكاراگوا Nicaragua والذين أسسوا سنة 1961 جبهة ساندينيستا للتحرير الوطني Sandinista Front for National Liberation (FSLN). يعود هذا الاسم إلى الجنرال أوگستو ساندينو Augusto Sandino الذي قاد انتفاضة وطنية تحررية في أوائل الثلاثينيات ضد الحكومة النيكاراگوية وجنود المارينز الأمريكيين المتمركزين في نيكاراگوا على نحو شبه مستمر منذ سنة 1912. حظيت عصابات ساندينو المحاربة بتأييد واسع وقبلت سنة 1933 وقفاً لإطلاق النار، لكن الشروط التي وضعها ساندينو لم تكن مقبولة لدى الحكومة أو لدى الولايات المتحدة الأمريكية. سنة 1934 وأثناء خروجه من القصر الرئاسي بعد مزيد من مباحثات السلام ألقي القبض عليه وقتل على يد حرس نيكاراگوا الوطني الذي تم تدريبه على يد الأمريكيين وكان تحت إمرة أناستاسيو سوموزا Anastasio Somoza.

تم في سنة 1979 الإعلان عن «اكتشاف» لواء مقاتل سوڤييتي في كوبا ـ والحقيقة أن القوات السوڤييتية كانت موجودة في كوبا منذ بضع سنين ـ مما دعا كارتر، وبعده ريگان، إلى تقديم مزيد من الدعم الأمريكي للدكتاتورية العسكرية في السلڤادور El Salvador ولمجموعة كونترا الإرهابية Contra terrorist group في نيكاراگوا Nicaragua كجزء من

حظيت عائلة سوموزا بدعم الولايات المتحدة الأمريكية أثناء هيمنتها على نيكاراگوا سنة 1936، وقبل ذلك بين سنتي 1909 وَ 1933 كانت نيكاراگوا محميّة أمريكية يتمركز فيها جنود من مشاة البحرية الأمريكية على نحو دائم.

سياسة تقديم المعونة للقوات المناوئة للشيوعية في المنطقة من أجل «الوقوف في وجه» انتشار الشيوعية. وحينما انتشرت الأنباء حول تصاعد وتيرة الأعمال الإرهابية التي ترتكبها مجموعة الكونترا ضد المدنيين صوّت الكونگرس على إيقاف أي مساعدات عسكرية، لكن ريگان Reagan حاول الاستمرار في دعمه من خلال استخدام غير قانوني لأموال جاءت من مصادر أخرى غير قانونية ـ شملت صفقات غير قانونية للأسلحة مع إيران (المحظورة من قبل الكونگرس أيضاً) ـ وذلك من أجل تمويل أفراد الكونترا. وقد أدّى هذا الأمر حين اكتُشِف إلى فضيحة الكونتراگيت Contragate scandal.

مجموعة كونترا الإرهابية Contra Terrorist Group هي المعارَضة لحكومة نيكاراگوا الساندينية الجديدة، وتضم أعضاء من حرس سوموزا الوطني المكروه. قرر ريگان تقديم المال وكذلك مساعدة وكالة المخابرات المركزية لهذه المجموعة على خلفية ادعائه أن الساندينيين كانوا يستغلون سلطتهم لتقديم الأسلحة للعصابات المحاربة اليسارية في السلڤادور. وبعد ذلك ـ وفيما استمرت التهديدات الأمريكية وأعمال الكونترا الإرهابية ضد الأهداف الاقتصادية وأساتذة محو الأمية وأعضاء جبهة ساندينيستا للتحرر الوطني ـ تم فرض مزيد من القيود على بعض الحريات (الصحف المعارضة مثلاً) ولذلك تحوَّل بعض مؤيدي الساندينيين في الأصل إلى تأييد الكونترا.

كانت المحاولات المبذولة لممارسة الضغط على الأقطار المتطورة المعارضة للولايات المتحدة الأمريكية جزءاً من مبدأ ريگان Reagan Doctrine الجديد الذي اعترف أن نشر القوات الأمريكية مباشرةً ينطوي على كثير من الأخطار. وبرغم أنه أرسل بالفعل قوات أمريكية غازية للإطاحة بحكام گرينادا اليساريين في تشرين الأول/أكتوبر 1983 إلا أن گرينادا ليست إلا جزيرة صغيرة يبلغ عدد سكانها ثمانين ألفاً. لكن الاتحاد السوڤييتي لم يحرك ساكناً للرد على هذا الغزو بالرغم من مخاوف كاسترو من نوايا الولايات المتحدة الأمريكية الآنية حول كوبا. وبالنتيجة فإن مجمل سنوات 1974 ـ 1980 شهِدَت سلسلة كاملة من الانتفاضات الثورية في العالم المتطور أدت إلى تغييرات طالت أربعة عشر نظاماً للحكم. وساهمت هذه التطورات في إنهاء الانفراج وابتداء الحرب الباردة الثانية نظراً لأن قلق الولايات المتحدة الأمريكية قد تزايد بسبب فقدانها الحلفاء السابقين وتزايد وجود الاتحاد السوڤييتي في العالم المتطور.



أحد مشاة البحرية الامريكية يقوم على حراسة سجناء خلال الغزو الامريكي لجزيرة گرينادا الصغيرة في تشرين الأول/ أكتوبر **1983**. ادعى ريگان أن الحكومة اليسارية كانت تحول الجزيرة إلى «مستعمرة سوڤييتية ـ كوبية».

## گورباتشيف ونهاية الحرب الباردة

إضافة إلى ما قام به گورباتشيف Gorbachev بالخروج من أفگانستان Afghanistan وأوروپا الشرقية، فإنه اتخذ في نهاية المطاف قراراً بتخفيض الدعم السوڤييتي للاقتصاد الكوبي وسياسة كوبا التدخلية الخارجية. حينما تم إيقاف المعونة الاقتصادية السوڤييتية خفَّت قدرة كوبا على دعم الحكومات والحركات المتعاطفة، وتوجَّب على كاسترو Castro أن يحدَّ من دعمه الذي يقدمه للحكومة النيكاراگوية Nicaraguan وللثوريين اليساريين في السلڤادور El Salvador. وكانت إحدى النتائج التي ترتبت على ذلك أن الانتخابات التي جرت في نيكاراگوا وضعت حداً لأنشطة الكونترا الإرهابية وإلى تشكيل حكومة تحالف.

أثَّرت سياسة گورباتشيف الجديدة في أفريقيا على دور كوبا في العالم، فقد تفاوض على اتفاق مع الولايات المتحدة حول الحرب الأهلية في أنگولا Angola التي ظلت مستمرة منذ سنة 1975، وتم سحب الجنود الكوبيين سنة 1991 وتعليق هذه الحرب برغم اشتعالها عدة مرات منذ ذلك الحين. وفي القرن الأفريقي Horn of Africa أنهى الاتحاد السوڤييتي أيضاً دعمه لإثيوبيا Ethiopia وسُحِب المقاتلون الكوبيون منها أيضاً. وبعد ذلك أنهت الولايات المتحدة الأمريكية دعمها للصومال Somalia، ثم انتهت الحرب بين إثيوبيا والصومال. وبانتهاء الحروب في هذه «المناطق الساخنة» أُسْدِل الستار على الحرب الباردة الثانية.

## الخاتمة

مع انهيار الاتحاد السوڤييتي سنة 1991 تكون قوة عظمى واحدة فقط قد بقيت من الحرب الباردة، فالولايات المتحدة الأمريكية، حتى في هذا الوقت، ظلت محتفظة بعدوانيتها تجاه كوبا كاسترو التي بقيت جزيرة شيوعية في نصف الكرة الأرضية الغربي. ومع ذلك، وبالرغم من خسارتها لحلفائها الاقتصاديين والسياسيين، فإنها ما زالت تشكل عنصراً مهيِّجاً للولايات المتحدة الأمريكية، وجزءاً مُلْحَقاً بالحرب الباردة منذ خمسين سنة، ولكنه منسي في غالب الأحيان.

**كيف أثر انهيار الاتحاد السوڤييتي سنة 1991 على كوبا؟**

1 . **مقطع مأخوذ من مذكرات ن. س. خروتشيف «خروتشيف يتذكر Khrushchev Remembers» طبعة ي. كرانكشو.**

كان يسيطر عليَّ وجه كوبا والحفاظ على هيبة الاتحاد السوڤييتي في ذلك الجزء من العالم. . . وكان علينا أن نقيم عائقاً ملموساً وفعالاً في وجه التدخل الأمريكي في البحر الكاريبي. . . الجواب المنطقي هو الصواريخ. كنا نعلم أن الصواريخ الأمريكية في تركيا وإيطاليا ـ ولا ننسى ألمانيا الغربية ـ موجهة نحونا. . .

أرسلنا إلى الأمريكيين ملاحظة تفيد بموافقتنا على سحب صواريخنا ومقاتلاتنا بشرط أن يعطينا الرئيس تأكيداته بعدم غزو كوبا من قِبَل قوات الولايات المتحدة الأمريكية أو أي أحد آخر . وفي نهاية المطاف تراخى كِنِدي ووافق على الإدلاء بتصريح يعطينا مثل هذه التأكيدات. . .

ي. ج. رينر، الحرب الباردة،
لندن، 1992، ص 50 ـ 51.

2 . **مقطع مأخوذ من محضر اجتماع اللجنة التنفيذية لمجلس الأمن القومي ExComm أثناء أزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962. وتضم اللجنة كِنِدي ومستشاره لشؤون الأمن القومي ماك جورج بوندي**

كِنِدي: إنه [خروتشيف] ألجأنا إلى زاوية ميتة لأن كثيراً من الناس سيعتبرون ذلك اقتراحاً غير معقول، ولن أقول لكم غير ذلك.

بوندي: [مخالفاً كِنِدي] لكن، من هم هؤلاء الناس، يا سيدي الرئيس؟

كِنِدي: أظن أنك ستكتشف مدى صعوبة تفسير سبب قيامنا بعمل عسكري عدائي في كوبا ضد هذه المواقع، وهو الأمر الذي كنا نفكر فيه. الشيء الذي يقوله هو: «إذا أخرجتم صواريخكم من تركيا أخرجنا صواريخنا من كوبا». أظن أننا نواجه صعوبة بالغة هنا.

و. إدواردز، الولايات المتحدة الأمريكية والحرب الباردة، لندن 1977، ص. 120

# الفهرس